٢٢٧١

ادبيات كتبخانه سى

ادبيات كتبخانه سى
١٤٦

احياء علوم مختصر منهاج القاصدين

ملكه من فضل ربه المالك
عبد الله ...

İSTANBUL ÜNİVERSİTESİ
KÜTÜPHANESİ

٢٢٧١

الربع الاول ربع العبادات

كتاب العلم وفضله وما يتعلق به ١ باب اداب المتعلم والعلم وافاته ٣
فصل في آفات العلم وعلماء السوء والآخرة ٤ كتاب الطهارة واسرارها ٥ والصلوة وما يتعلق بها
فصل في اداب صلاة الجمعة ويوم الجمعة ٧ والنوافل كتاب الزكوة واسرارها وما يتعلق بها ٨
كتاب الصوم واسراره ومهماته وما يتعلق به ١٠ كتاب الحج واسراره وفضائله واداب ١١
كتاب اداب تلاوة القرآن وفضائله ١٢ كتاب الاذكار والدعوات وغيرها ١٣
فصل في الاسباب الميسرة لقيام الليل ١٤ الربع الثاني في ربع العادات في اداب الاكل ١٨
اداب الشرب ١٩ تقديم الطعام ١٩ اداب الضيافة والاجابة ٢٠ كتاب النكاح واداب وما يتعلق به ٢٠
اداب المعاشرة ٢٠ اداب الولادة ٢٢ كتاب الكسب ٢٢ كتاب الحلال والحرام ٢٤
درجات الحلال والحرام ٢٥ الاحوال مع الامراء ٢٧ كتاب اداب الصحبة والاخوة ومعاشرة الخلق ٢٨
حقوق المسلم ٣٢ حقوق الجار ٣٣ حقوق الاقارب والرحم ٣٣ والعزلة ٣٣
فوايد العزلة وغوايلها ٣٤ افات العزلة ٣٥ كتاب اداب السفر ٣٦ كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ٣٧
ربع المهلكات باب المنكرات ٤٠ السماع ٤٥ اداب المعيشة ٤٦ واخلاق النبوة ٤٦ شرح عجايب القلب ٤٧
كتاب رياضة النفس وتهذيب الخلق ٤٨ ومعالجة امراض القلب ٥٠
علامة حسن الخلق ٥١ رياضة الصبيان في اول النشو ٥٢ كسر الشهوتين ٥٣
كتاب افات اللسان ٥٣ الاسباب الباعثة على الغيبة وذكر علاجها ٥٥

سوء الظن ٥٦ الاعذار المرخصة في الغيبة ٥٦ وكفارة الغيبة
النميمة ٥٧ ذي اللسانين ٥٧ من آفات العوام سؤالهم عن صفات الله سبحانه ٥٨
ذم الغضب والحقد والحسد ٥٨ الاسباب المهيجة للغضب وعلاجه ٥٩ كظم الغيظ ٥٩
الحلم ٥٩ العفو والرفق ٦٠ الحقد والحسد ٦٠ كثرة الحسد بين اقوام ٦١
باب ذم الدنيا ٦٣ حقيقة الدنيا والمذموم منها والمحمود ٦٣ ذم البخل والحرص ٦٤ والطمع وذم المال
مدح المال ٦٤ مدح القناعة ٦٥ علاج الحرص والطمع والدواء الذي تكتسب القناعة ٦٥
حكايات الاسخياء ٦٦ في البخل وذمه ٦٦ حكايات البخلاء ٦٧ الايثار وبيانه ٦٧
علاج البخل ٦٧ ذم الجاه والرياء وعلاجهما ٦٨ علاج حب الجاه ٦٩
بيان الرياء ٦٩ دواء الرياء ومعالجة القلب فيه ٧٢ بيان الرخصة في قصد اظهار الطاعة وكتمان الذنوب ٧٣
ذم الكبر والعجب ٧٤ معالجة الكبر واكتساب التواضع ٧٥ في العجب ٧٦
كتاب الغرور واقسامه ودرجاته ٧٧ فصل في جميع الاغترار في الاغلب في حق اربعة ٧٨
اغترار اهل العلم ٧٩ وارباب التعبد والعمل ٨٠ والمتصوفة ٨٠ وارباب الاموال ٨١
كتاب التوبة وذكر شروطها واركانها وما يتعلق بها ٨٢ فصل في بيان اقسام الذنوب ٨٣
ربع المنجيات م

فصل في كيفية توزع الدرجات الاخروية على الحسنات والسيئات في الدنيا ٨٤ فصل
في بيان ما تعظم به الصغاير من الذنوب ٨٤ فصل التوبة عبارة عن ندم ... ٨٥
شروط التوبة الصحيحة ٨٦ بيان اقسام العباد في دوام التوبة ٨٦ دواء التوبة ٨٧
وطريق علاج حل عقد الاصرار ٨٧ ما ينبغي للواعظ بسلوكه مع الخلق ٨٧ كتاب ٨٨
الصبر والشكر الصبر قسمان بدني ونفساني ٨٨ دواء الصبر ٩٠ في الشكر ٩١
في الشكر وفضله المراد من خلق الخلق وخلق الدنيا واسبابها ٩٢ كثرة نعم الله عز وجل ٩٣
الاطعمة كثيرة مختلفة ٩٥ اجتماع الصبر والشكر ٩٦ الصبر افضل ام الشكر ٩٨
كتاب الرجاء والخوف ٩٨ فضيلة الرجاء ٩٩ الخوف ١٠٠ اقسام الخوف ١٠١
الخوف افضل ام الرجاء ١٠١ الدواء الذي يجلب به الخوف ١٠٢ ذكر خوف الملايكة ١٠٤
ذكر خوف الانبياء ١٠٤ ذكر خوف نبينا صلى الله عليه وسلم ١٠٥ ذكر خوف الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين ١٠٥ — ١٠٣ في اسباب سوء الخاتمة نعوذ بالله منه
ذكر خوف التابعين ومن بعدهم ١٠٥ كتاب الزهد والفقر ١٠٦ فضيلة الفقر وتفضيل الفقير على الغني ١٠٦
اداب الفقير ١٠٧ تحريم السؤال ١٠٨ في الزهد ١٠٩ درجات الزهد ١٠٩ تفضيله ١١٠
علامات الزهد ١١١ كتاب التوحيد والتوكل ١١١ احوال التوكل ١١٢ اعمال المتوكلين ١١٢
كتاب المحبة والشوق والانس والرضا ١١٤ اجل اللذات معرفة الله ١١٦ معنى الشوق ١١٨
محبة الله تعالى للعبد ومعناها ١١٩ معنى الانس بالله ١٢٠ الرضا بقضاء الله وفضيلته ١٢١

الرضاء لا ينافي القضاء ١٢٣ باب في النية ١٢٤ والاخلاص ١٢٤ والصدق ١٢٧

حقيقة الاخلاص ١٢٦ حكم العمل المشوب واستحقاق الثواب به ١٢٧ باب المحاسبة ١٢٨

والمراقبة ١٢٩ المحاسبة بعد العمل ١٣٠ المجاهدة ١٣١ معاتبة النفس ١٣١

باب التفكر ١٣٢ مجاري الفكر وثمراته ١٣٢ تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله ١٣٣

باب في ذكر الموت وما بعده وما يتعلق به ١٣٤ فضل ذكر الموت ١٣٤ تقصير الامل ١٣٥

في ذكر شدة الموت ١٣٦ ما يستحب من الاحوال عند المحتضر ١٣٧ ذكر

وفات رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ١٣٧

وفات ابي بكر الصديق رضي الله عنه ١٣٨ وفات عمر بن الخطاب رضي الله عنه ١٣٨

وفات عثمان ابن عفان رضي الله عنه ١٣٨ وفات علي بن ابي طالب رضي الله عنه ١٣٩

ذكر كلمات نقلت عن جماعة عند موتهم وذكر زيارة القبور ونحو ذلك ١٣٩

حقيقة الموت ١٤٠ في ذكر القبر ١٤١ في احوال الميت من وقت نفخة في الصور ١٤٢

الى الاستقرار ذكر جهنم اعاذنا الله منها ١٤٣ صفة الجنة نسأل الله العظيم من فضله ١٤٤

في ذكر سعة رحمة الله ١٤٤

تم وبالخير عم

اساس نومروسی
٤٠
عدلیه مفتشلری مصطفی ندیم بك افندی

مختصر احياء العلوم

لابن الجوزي وتماه منهاج القاصدين

لابي قدامة الحنبلي

وذكر في البدايع قال ليس للامام ان ياخذ الزكوة من صاحب المال من غير اذنه جبرا ولو اخذ لا يسقط عنه الزكوة

انفع الوسائل
م ع

ملكه من فضل ربه المنان الراجي عفوه
العبد الفقير الى رحمة ربه الكريم المرحوم الشيخ عبد القادر سلطان
الحلبي الحنفي عفا الله عنه وعن ذنوبه
والمسلمين امين

فمن شتم الدهر فقد شتمني لان من عاب
مصنوعات عاب صانعه مفاتيح شرح
مصابيح قبل كتاب
كتاب الجنايات بثلثة ورق
م

الجزء ٢

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
الحمد لله منبه الراقدين في غفلاتهم بمزعجات الايقاظ ومنزه التائبين من هفواتهم
بملاطفات الوعاظ ومحادث العارفين في خلواتهم باحلى الكلمات والالفاظ ومحذر الزاهدين
بالشرف شهواتهم تادبا حتى فرقوا عن الظاهرين اللحاظ وقاموا الى محاربة النفوس
قيام الليث الحرب المغتاظ وحفظوا اما استحفظوا فحفظوا وانما الحفظ للحفاظ احمده
حمدا كثيرا فائت العد دائم الالتاظ واصلي واسلم على نبيه محمد الذي اعجز الفصحاء بما
جاء به قس بن ساعدة يوم عكاظ وعلى اله واصحابه واهل اليقين والتقى والاستيقاظ
صلاة اتقي بها يوم البعث حر لظى والشواظ نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة
غلاظ قال مؤلفه عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي رحمه الله تعالى سميت كتابي هذا منهاج
القاصدين ومفيد الصادقين واسال الله تعالى ان ينفعنا به ومن قراه او سمعه او نظر فيه و
ان يجعله خالصا لوجهه الكريم وان يختم لنا بخير ويوفقنا لما يرضيه من القول والعمل والنية
وان يسامحنا في تقصيرنا وتفريطنا ولا يكلنا الى انفسنا طرفة عين ولا الى احد من خلقه فانه
حسبنا ونعم الوكيل قال المصنف رحمه الله تعالى بعد فراغه من الخطبة اما بعد فاني رايتك
ايها المريد الصادق والحازم العازم قد وطنت نفسك على التخلي عن فضول الدنيا الشاغلة
وعزمت على الانقطاع الى الاخرة علما منك ان مخالطة الخلق توجب التخليط واهمال المحاسبة
للنفس اصل التفريط وان العمر ان لم يستدرك ادرك الفوت وان مراحل الانفاس تسرع
بالراكب الى منزل الموت فنظرت اي انيس من الكتب تستصحب في خلوتك وتستنطقه في
حال صمتك فاذا انت توثر كتاب احياء علوم الدين وتزعم انفراده في جنسه ونفاسته في نفسه
فاعلم ان في كتاب الاحياء آفات لا يعلمها الا العلماء واقلها الاحاديث الباطلة الموضوعة والموقوفة
وقد جعلها مرفوعة وانما نقلها كما اقتراها لا انه افتراها ولا ينبغي التعبد بحديث موضوع و
الاغترار بلفظ مصنوع وكيف ارتضي لك ان تصلي صلوات الايام ولياليها وليس فيها كلمة قالها رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكيف او ثر ان يطرق سمعك من كلام المتصوفة الذي جمعه وندب الى
العمل به ما لا حاصل له من الكلام في الفناء والبقاء والامر بشدة الجوع والخروج الى السياحة في غير حاجة
والدخول الى الفلاة بغير زاد الى غير ذلك مما كشفت عن عواره في كتابي المسمى تلبيس ابليس و

وساكتب لك كتابا يخلو عن مفاسده ولا يخل بفوائده اعتمد فيه من المنقول الاصح والاشهر و
من المعنى الاثبت والاجود واحذف ما يصلح حذفه وازيد ما يصلح ان يزاد ثم قال بعد ذلك واذ قد
صح عزمك على العزلة لاستيفاء حق الحق من النفس والاخذ على يدها فليكن وسيلتك عليها العلم وكن
باحثا عن دقائق هواها لعلك تسلم واحذر سبيل احد رجلين عالم عرف الجدال في الفقه واقتنع
برياسة او نال القضاء فسعى في حفظ منزلته او زخرف الوعظ فضيق اعين شبكته او زاهد
يتقلب برايه الفاسد في جهالته ويتقرب بتقبيل يده واعتقاد بركته ويعمل بهواه دون شرع الله
وسنته فهذان عادلان عن منهاج الصواب مقتنعان بقشور الاعمال عن خالص اللباب خادعان
للمبتدئين بلامع السراب وطريقهما معزل عن سنن السلف الصالح الذي هو جادة الاستقامة
وطريق السلامة وسادرج لك في هذا الكتاب ان شاء الله تعالى من اخبارهم ما يدلك على اثارهم و
كتابنا هذا يحتاج اليه المنتهي كما يفتقر اليه المبتدي لان فيه اسرار العبادات والتحذير من
افات المعاملات وقد جعلته اربعة ارباع الاول ربع العبادات الثاني ربع العادات
والثالث ربع المهلكات والرابع ربع المنجيات وكل واحد من هذه الاقسام الاربعة يشتمل على كتب
وابواب وفصول فمن اقسام الربع الاول كتاب العلم وفضله وما يتعلق به
قال الله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم
والذين اوتوا العلم درجات قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه للعلماء درجات فوق
المؤمنين سبع مائة درجة ما بين الدرجتين خمسمائة عام وقال تعالى انما يخشى الله من عباده
العلماء وفي الصحيحين من حديث معاوية بن ابي سفيان قال سمعت رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وعن ابي امامة رضي الله تعالى عنه
قال ذكر لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رجلان احدهما عابد والاخر عالم فقال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم ثم قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ان الله وملائكته واهل السموات والارض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون
على معلمي الناس الخير رواه الترمذي وقال حديث صحيح وفي حديث اخر فضل العالم على العابد
كفضل القمر ليلة البدر على ساير الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا
دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذ به اخذ بحظ وافر وعن صفوان بن عسال ان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضى بما يطلب قال الخطابي

في معنى وضعها اجنحتها ثلثة اقوال احدها انه بسط الاجنحة الثاني انه بمعنى التواضع تعظيما
لطالب العلم الثالث ان المراد به النزول عند مجالس العلم وترك الطيران وعن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من سلك طريقا يلتمس فيها علما سهل الله تعالى له به
طريقا الى الجنة رواه مسلم وروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال من جاءه الموت وهو يطلب
العلم ليحيى به الاسلام كان بينه وبين الانبياء في الجنة درجة واحدة وفيه اخبار كثيرة وكان بعض الحكماء
يقول ليت شعري اي شيء ادرك من فاته العلم واي شيء فات من ادرك العلم ومن فضايل
التعليم ما اخرجاه في الصحيحين عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قال لعلي لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من ان تكون لك حمر النعم وقال بن عباس رضي
ان الذي يعلم الناس الخير تستغفر له كل دابة حتى الحوت في البحر وروي نحو ذلك في حديث مرفوع
الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فان قيل ما وجه استغفار الحوت للمعلم فالجواب ان نفع العلم يعم
كل شيء حتى الحوت فان العلماء عرفوا ما يحل ويحرم واوصوا بالاحسان الى كل شيء حتى الى المذبوح والحوت
بالعلم ح
فالهم الله تعالى الكل الاستغفار لهم جزاء لحسن صنيعهم وعن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ان مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضا فكانت منها
طايفة طيبة قبلت الماء فانبتت الكلاء والعشب الكثير وكانت منها اجادب امسكت الماء
فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا واصاب منها طائفة اخرى انما هي قيعان لا تمسك
ماء ولا تنبت كلاء فذلك مثل من فقه في الدين ونفعه بما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم
يرفع بذلك راسا ولم يقبل هدى الله تعالى الذي أرسلت به اخرجاه في الصحيحين فانظر رحمك الله
الى هذا الحديث ما اوقعه على الخلق فان الفقهاء واولي الفهم كمثل البقاع التي قبلت الماء فانبتت
لانهم علموا وفهموا وفرعوا وعلموا وغاية الناقلين من المحدثين الذين لم يرزقوا الفقه والفهم انهم
كمثل الاجادب التي حفظت الماء فانتفع بما عندهم واما الذين سمعوا ولم يتعلموا ولم يحفظوا فهم
العوام الجهلة وقال الحسن لولا العلماء لصار الناس مثل البهايم وقال معاذ بن جبل تعلموا العلم فان
تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله
لاهله قربة وهو الانس في الوحدة والصاحب في الخلوة وقال كعب رحمه الله تعالى اوحى الله
الى موسى عليه السلام ان تعلم يا موسى الخير وعلمه الناس فاني منور لمعلم الخير ومتعلمه قبورهم حتى لا
يستوحشوا لمكانهم فصل قد روى انس بن مالك رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه

وسلم انه قال طلب العلم فريضة على كل مسلم قال المصنف اختلف الناس في ذلك فقال الفقهاء هو علم
الفقه اذ به يعرف الحلال والحرام وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة اذ بهما يتوصل
الى العلوم كلها وقالت الصوفية هو علم الاخلاص وافات النفوس وقالت المتكلمون هو علم
الكلام الى غير ذلك من الاقوال التي ليس فيها قول مرضي والصحيح انه علم معاملة العبد لربه
والمعاملة التي كلفها على ثلثة اقسام اعتقاد وفعل وترك فاذا بلغ الصبي فاول واجب عليه تعلم
كلمتي الشهادة وفهم معناها وان لم يحصل ذلك بالنظر والدليل لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اكتفى من اجلاف العرب بالتصديق من غير تعلم دليل فذلك فرض الوقت ثم يجب عليه النظر
والاستدلال فاذا جاء وقت الصلاة وجب عليه تعلم الطهارة والصلاة فاذا عاش الى رمضان
وجب عليه تعلم الصوم فان كان له مال وحال عليه الحول وجب عليه تعلم الزكاة وان جاء وقت
الحج وهو مستطيع وجب عليه تعلم المناسك واما المتروك فهو بحسب ما يتجدد من الاحوال
اذ لا يجب على الاعمى تعلم ما يحرم من النظر اليه ولا على الابكم تعلم ما يحرم من الكلام فان كان في بلد
يتعاطى فيه شرب الخمر ولبس الحرير وجب عليه ان يعرف تحريم ذلك واما الاعتقادات
فيجب علمها بحسب الخواطر فان خطر له شك في المعاني التي تدل عليها كلمتا الشهادة وجب عليه
تعلم ما يصل به الى ازالة الشك وان كان في بلد قد كثرت فيه البدع وجب عليه ان يلقن الحق كما
لو كان تاجرا في بلد قد شاع فيه الربا وجب عليه ان يتعلم الحذر منه وينبغي ان يعلم الايمان
بالبعث والجنة والنار فبان بما ذكرنا ان المراد بطلب العلم الذي هو فرض عين ما يتعين
وجوبه على الشخص فاما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام امور الدنيا كالطب
اذ هو ضروري في حاجة بقاء الابدان على الصحة والحساب فانه ضروري في قسمة المواريث
والوصايا وغيرها فهذه العلوم لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج اهل البلد واذا قام بها واحد
كفى وسقط الفرض عن الباقين ولا يتعجب من قولنا ان الطب والحساب من فروض الكفاية
فان اصول الصناعات ايضا من فروض الكفاية كالفلاحة والحياكة بل الحجامة فانه لو خلا البلد عن
حجام لاسرع الهلاك اليهم فان الذي انزل الداء انزل الدواء وارشد الى استعماله واما التعمق في
دقايق الحساب ودقايق الطب وغير ذلك فهذا يعد فضلة لانه يستغنى عنه وقد يكون بعض
العلوم مباحا كالعلم بالاشعار التي لا سخف فيها وتواريخ الاخبار وقد يكون بعضها مذموما
كعلم السحر والطلسمات والتلبيسات فاما العلوم الشرعية فكلها محمودة وتنقسم الى اصول وفروع

ومقدمات ومتممات فالاصول كتاب الله وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم واجماع الامة
واثار الصحابة والفروع ما فهم من هذه الاصول من معان تنبهت لها العقول حتى فهم من اللفظ
الملفوظ وغيره كما فهم من قوله لا يقضي القاضي وهو غضبان انه لا يقضي جايعا والمقدمات هي التي
تجري مجرى الالات كعلم النحو واللغة فانهما آلة لعلم كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام والمتممات كعلم
القراة ومخارج الحروف وكالعلم باسماء رجال الحديث وعدالتهم واحوالهم فهذه هي العلوم الشرعية وهي
كلها محمودة فصل فاما علم المعاملة وهو علم احوال القلب كالخوف والرجاء والرضاء والصدق
والاخلاص وغير ذلك فهذا العلم ارتفع به كبار العلماء وبتحقيقه اشتهرت اذكارهم كسفيان ومالك
والشافعي واحمد وانما انحطت رتبة المسميين بالفقهاء والعلماء عن تلك المقامات
لتشاغلهم بصورة العلم من غير اخذ على النفس ان تبلغ الى حقايقه وتعمل بخفاياه وانت
تجد الفقيه يتكلم في الظهار واللعان والسبق والرمي ويفرع التفريعات التي تمضي الدهور
فيها ولا يحتاج الى مسألة منها ولا يتكلم في الاخلاص ولا يحذر من الرياء وهذا عليه فرض
عين لان في اهماله هلاكه والاول فرض كفاية ولو انه سئل عن علة ترك المناقشة
للنفس في الاخلاص والرياء لم يكن له جواب ولو سئل عن علة تشاغله بمسايل اللعان
والرمي لقال هذا فرض كفاية ولقد صدق ولكن خفي عليه ان الحساب فرض كفاية ايضا
فهلا تشاغل به وانما تبهرج عليه النفس لان مقصودها من الرياء والسمعة يحصل بالمناظرة
لا بالحساب واعلم انه قد بدلت الفاظ وحرفت ونقلت الى معان لم يردها السلف
الصالح فمن ذلك الفقه فانهم تصرفوا فيه بالتخصيص فخصوه بمعرفة الحروف والفروع وعللها
ولقد كان اسم الفقه في العصر الاول منطلقا على علم طريق الاخرة ومعرفة افات دقايق
النفوس ومفسدات الاعمال وقوة الاحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع الى نعيم الاخرة
واستيلاء الخوف على القلب ولذلك قال الحسن انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في
الاخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف عن اعراض المسلمين العفيف
عن اموالهم الناصح لهم فكان اطلاقهم اسم الفقه على علم الاخرة اكثر لا انه لم يكن متناولا للفتاوى
ولكن متناولا لذلك بطريق العموم والشمول فثار من هذا التخصيص تلبيس بعث الناس على
التجرد لعلم الفتاوى الظاهرة والاعراض عن علم المعاملة للاخرة اللفظ الثاني العلم فقد كان ذلك
يطلق على العلم بالله تعالى وباياته وافعاله في عباده فخصوه وسموا به في الغالب المناظر في مسائل

الفقه وان كان جاهلا بالتفسير والاخبار اللفظ الثالث التوحيد وقد كان ذلك
اشارة الى ان ترى الامور كلها من الله تعالى رؤية تقطع الالتفات الى الاسباب والوسايط
فيثمر ذلك التوكل والرضى وقد جعل الان عبارة عن صناعة الكلام في الاصول وذلك من المنكرات
عند السلف اللفظ الرابع التذكير والذكر قال الله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين
وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض
الجنة قال مجالس الذكر فنقلوا ذلك الى القصص وما يحتوي عليه اليوم مجلس القاص
من الشطح والطامات ومن تشاغل في وعظه بذكر قصص الاولين فليعلم ان اكثر
ما يحكى في ذلك لا يثبت كما ينقلون ان يوسف حل تكته وانه راى يعقوب عاضا على يده
وان داود جهز اوريا حتى قتل فمثل هذا يضر سماعه واما الشطح والطامات فمن اشد
ما يؤذي العوام لانها تشتمل على ذكر المحبة والوصال والم الفراق وعامة الحاضرين
اجلاف بطونهم محشوة بالشهوات وحب الصور فلا يحرك ذلك من قلوبهم الا ما هو
مستكن في نفوسهم فيشتعل فيها نار الشهوة فيصيحون وكل ذلك فساد وربما احتوى الشطح على الدعاوى
العريضة في محبة الله تعالى وفي هذا ضرر عظيم وقد ترك جماعة من الفلاحين فلاحتهم واظهروا مثل
هذه الدعاوي اللفظ الخامس الحكمة والحكمة العلم والعمل به قال ابن قتيبة لا يكون الرجل حكيما
حتى يجمع العلم والعمل وقد صار هذا الاسم يطلق في هذا الزمان على الطبيب والمنجم فصل
واعلم ان العلوم المحمودة تنقسم قسمين الاول محمود الى اقصى غاياته وكل ما كان اكثر كان احسن
وافضل وهو العلم بالله تعالى وبصفاته وافعاله وحكمته في ترتيب الاخرة على الدنيا فان هذا علم
مطلوب لذاته وللتوصل به الى سعادة الاخرة وهو البحر الذي لا يدرك غوره وانما يحوم المحومون
على سواحله واطرافه بقدر ما يسر لهم القسم الثاني العلم التي لا يحمد منها الا مقدار مخصوص
وهي التي ذكرناها من فروض الكفايات فان في كل منها اقتصارا واقتصادا واستقصاء فكن احد
رجلين اما مشغولا بنفسك واما متفرغا لغيرك بعد الفراغ من نفسك واياك ان تشتغل
بما يصلح غيرك قبل اصلاح نفسك واشتغل باصلاح باطنك وتطهيره من الصفات الذميمة
كالحرص والحسد والرياء والعجب قبل اصلاح ظاهرك وسياتي انشاء الله تعالى في ربع المهلكات
فان لم تتفرغ من ذلك فلا تشتغل بفروض الكفايات فان في الخلق كثيرا يقومون بذلك فان مهلك
نفسه في طلب صلاح غيره سفيه ومثله مثل من دخلت العقارب تحت ثيابه وهو يذب الذباب

مطلب ما يؤذي العوام

عن غيره وان تفرغت من نفسك وتطهيرها وما بعد ذلك فاشتغل بفروض الكفايات
وراع التدريج في ذلك فابتدي بكتاب الله عز وجل ثم بسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم ثم بعلوم القران من التفسير ومن ناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه الى غير ذلك وكذلك
في السنة ثم اشتغل بالفروع واصول الفقه وهكذا بقية العلوم على ما يتسع له العمر
ويساعد فيه الوقت ولا تستغرق عمرك في فن واحد منها طلبا للاستقصا فان
العلم كثير والعمر قصير وهذه العلوم آلات يراد بها غيرها وكل شي يطلب لغيره فلا
ينبغي ان ينسى فيه المطلوب **فصل** واعلم ان المناظرة الموضوعة لقصد المغالبة
والمباهاة منبع الاخلاق المذمومة ولا يسلم صاحبها من كبر لاحتقار المقصرين عنه
وعجب بنفسه لارتفاعه على كثير من نظرايه ولا يسلم من الريا لان جمهور مقصود
المناظر اليوم علم الناس بغلبته واطلاق السنتهم بشكره ومدحه فهو يذهب عمره
في العلوم التي تعين على المناظرة مما لا ينفع في الاخرة كحسن اللفظ وحفظ النوادر
وقد روي في الحديث عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال اشد الناس عذابا يوم
القيمة عالم لم ينفعه علمه **باب في اداب المتعلم والمعلم** وافات العلم وبيان
علماء السوء وعلماء الاخرة اما المتعلم فينبغي له تقديم طهارة النفس عن رذائل الاخلاق
ومذموم الصفات اذ العلم عبادة القلب وينبغي له قطع العلايق الشاغلة فان
الفكرة متى توزعت قصرت عن ادراك الحقايق وقد كان السلف يوثرون العلم
على كل شي فروي عن الامام احمد انه لم يتزوج الا بعد الاربعين واهدي الى ابي بكر بن
الانباري جارية فلما دخلت عليه تفكر في استخراج مسئلة فغربت عنه فقال اخرجوها الى
النخاس فقالت هل لي من ذنب قال لا الا ان قلبي اشتغل بك وما قدر مثلك ان يمنعني
علمي وعلى المتعلم ان يلقي زمامه الى المعلم انقياد المريض زمام امره الى الطبيب فيتواضع له و
يبالغ في خدمته وقد كان بن عباس ياخذ بركاب زيد بن ثابت ويقول هكذا امرنا
ان نفعل بالعلماء ومتى تكبر المتعلم ان يستفيد من غير موصوف بالتقدم فهو جاهل لان
الحكمة ضالة المومن اين وجدها اخذها وليدع رايه لراي معلمه فان خطا المعلم انفع
للمتعلم من صواب نفسه **قال** علي رضي الله تعالى عنه ان من حق العالم عليك ان تسلم
على القوم عامة وتخصه بالتحية وان تجلس امامه ولا تشير عنده بيدك ولا تغمزن بعينك

ولا تكثر عليه السول ولا تعيبه في الجواب ولا تلح عليه اذا كسل ولا تراجعه اذا امتنع
ولا تاخذ بثوبه اذا نهض ولا تفش له سرا ولا تغتابن عنده احدا ولا تطلبن عثرته وان
زل قبلت معذرته ولا تقولن له قد سمعت فلانا يقول كذا ولا ان فلانا يقول خلافك ولا
تصفن عنده عالما كذا ولا تعرض من طول صحبته ولا ترفع نفسك عن خدمته واذا عرضت
له حاجة سبقت القوم اليها فانما هو بمنزلة النخلة تنظر متى يسقط عليك منها شي و
ينبغي ان يحترز الخايض في العلم في مبدا الامر من الاصغا الى اختلاف الناس فان ذلك
يحير عقله ويفتر ذهنه وينبغي له ان ياخذ من كل شي احسنه لان العمر لا يتسع لجميع العلوم
ثم يصرف جمام همته الى اشرف العلوم وهو العلم المتعلق بالاخرة الذي به يكتسب اليقين الذي
حصله ابو بكر الصديق رضي الله عنه حتى شهد له الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ما سبقكم
ابو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشي وقر في صدره فهذه وظائف المتعلم **واما المعلم**
فعليه وظائف ايضا من ذلك الشفقة على المتعلمين وان يجريهم مجرى بنيه ولا يطلب على
العلم اجرا ولا يقصد به جزاء ولا شكرا بل يعلم لوجه الله تعالى ولا يرى
افاضة لنفسه منة على المتعلمين بل يرى الفضل لهم اذ هياوا قلوبهم للتقرب الى الله تعالى
بزراعة العلم فيها فهم كالذي يعير الارض لمن يزرع فيها فلا ينبغي ان يطلب المعلم الاجر الا من
الله تعالى **و**قد كان السلف يمتنعون من قبول هدية المتعلم **و**منها ان لا يدخر من نصح
المتعلم شيا وان يزجره عن سوء الاخلاق بطريق التعريض مهما امكن لا على وجه التوبيخ
فان التوبيخ يهتك حجاب الهيبة **و**منها ان ينظر في فهم المتعلم ومقدار عقله فلا يلقي اليه ما لا
يدركه فهمه ولا يحيط به عقله فقد روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال امرت ان
اخاطب الناس على قدر عقولهم **و**قال علي رضي الله تعالى عنه ان هاهنا علما لو اصبت له حملة
وقال الشافعي رحمه الله لا انثر درا بين سارحة النعم لا انظم منثورا لراعية الغنم ومن
منح الجهال علما اضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم **و**منها ان يكون المعلم عاملا بعلمه و
لا يكذب قوله فعله قال الله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم **و**قال علي قصم
ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك **فصل في افات العلم وبيان علماء السوء
وعلماء الاخرة** علماء السوء هم الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل الى المنزلة عند
اهلها **و**قد روى ابو هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال من تعلم
علما مما يبتغى به وجه الله عز وجل لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم

القيمة يعني ريحها وفي حديث اخر انه قال من تعلم العلم ليباهي به العلماء او يماري به السفهاء
او يصرف به وجوه الناس اليه فهو في النار وفي ذلك احاديث كثيرة وقال بعض السلف
اشد الناس ندامة عند الموت عالم مفرط واعلم ان الماخوذ على العالم ان يقوم بالاوامر
والنواهي وليس عليه ان يكون زاهدا ولا معرضا عن المباحات الا انه ينبغي له ان يتقلل
من الدنيا مهما استطاع الا انه ليس كل جسم يقبل التقليل فان الناس يتفاوتون
وروي ان سفين الثوري كان حسن المطعم وكان يقول ان الدابة اذا لم تحسن اليها
في العلف لم تعمل وكان الامام احمد بن حنبل يصبر من خشونة العيش على امر عظيم والطباع
تتفاوت ومن صفات علماء الاخرة ان يعلموا ان الدنيا حقيرة وان الاخرة شريفة وانهما
كالضرتين فهم يؤثرون الاخرة ولا تخالف افعالهم اقوالهم ويكون ميلهم الى العلم النافع
في الاخرة ويجتنبون العلوم التي يقل وقعها ايثارا لما يعظم نفعه كما روي عن شقيق
البلخي انه قال لحاتم قد صحبتني مدة فماذا تعلمت فقال ثمان مسائل اما الاولى فاني نظرت
الى الخلق فاذا كل شخص له محبوب فاذا وصل الى القبر فارقه محبوبه فجعلت محبوبي حسناتي
لتكون معي في القبر واما الثانية فاني نظرت الى قول الله عز وجل ونهى النفس عن الهوى
فاجهدتها في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى واما الثالثة فاني رايت
كل من معه شيء له قيمة عنده حفظه ثم نظرت في قوله سبحانه وتعالى ما عندكم ينفد وما
عند الله باق فكلما وقع معي شيء له قيمة وجهته اليه ليبقى لي عنده واما الرابعة فاني
رايت الناس يرجعون الى المال والحسب والشرف وليست بشيء فنظرت في قول الله تعالى
ان اكرمكم عند الله اتقاكم فعملت في التقوى لاكون عنده كريما واما الخامسة فاني
رايت الناس يتحاسدون فنظرت في قوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم فتركت الحسد
السادسة رايتهم يتعادون فتركت عداوتهم واتخذت الشيطان وحده عدوا السابعة
رايتهم يذلون في طلب الرزق فنظرت في قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله
رزقها فاشتغلت بما له علي وتركت ما لي عنده الثامنة رايتهم متوكلين على تجاراتهم
وصنايعهم وصحة ابدانهم فتوكلت على الله تعالى ومن صفات علماء الاخرة ان يكونوا
منقبضين عن السلاطين محترزين من مخالطتهم قال حذيفة رضي الله عنه اياكم و
مواقف الفتن قيل وما هي قال ابواب الامراء يدخل احدكم على الامير فيصدقه بالكذب و

مطلب المستفيده

ويقول ما ليس فيه وقال سعيد بن المسيب اذا رايتم العالم يغشى الامراء فاحذروا منه
فانه لص وقال بعض السلف انك لا تصيب من دنياهم شيا الا اصابوا من دينك
افضل منه ومن صفات علماء الاخرة انهم لا يسرعوا الى الفتوى وان لا يفتوا الا بما يتيقنون
صحته وقد كان السلف يتدافعون الفتوى حتى الى الاول وقال عبد الرحمن بن ابي ليلى
ادركت في هذا المسجد مائة وعشرين من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما احد
يسال عن حديث او فتوى الا ود ان اخاه كفاه ذلك ثم قد آل الامر الى اقوام قوم
يدعون العلم اليوم على الجواب في مسائل لو عرضت لعمر بن الخطاب لجمع لها اهل بدر
واستشارهم ومن صفاتهم ان يكون اكثر بحثهم في علم الاعمال عما يفسدها ويكدر
القلوب ويهيج الوساوس فان صور الاعمال قريبة وانما التعب في تصفيتها واصل
الدين التوقي من الشر ولا يصح ان يتوقى حتى يعرف ومن صفاتهم البحث عن اسرار
الاعمال الشرعية والملاحظة لحكمها فان عجز عن الاطلاع على العلة كفاه التسليم للشرع
ومن صفاتهم اتباع الصحابة وخيار التابعين وتوقي كل محدث

كتاب الطهارة واسرارها والصلاة وما يتعلق بها

اعلم ان الطهارة لها اربع مراتب
الاولى تطهير الظاهر من الاحداث والانجاس والفضلات والثانية تطهير الجوارح
من الذنوب والاثام والثالثة تطهير القلب من الاخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة
والرابعة تطهير السر عما سوى الله تعالى وهذا هو الغاية القصوى فمن قويت بصيرته
سمت الى هذا المطلوب ومن عميت بصيرته لم يفهم من مراتب الطهارة الا المرتبة
الاولى فتراه يضيع اكثر زمانه الشريف في المبالغة في الاستنجاء وغسل الثياب ظنا منه
بحكم الوسوسة وقلة العلم ان الطهارة المطلوبة هي هذه فقط وجهلا بسير المتقدمين
الذين كانوا يستغرقون الزمان في تطهير القلوب ويتساهلون في امر الظاهر كما روي عن
عمر رضي الله تعالى عنه انه توضا من جرة نصرانية وكانوا لا يكادون يغسلون ايديهم من الزهم
ويصلون على الارض ويمشون حفاة ويقتصرون في الاستجمار على الاحجار وقد انتهى الامر
الى قوم يسمون الرعونة نظافة فترى اكثر زمانهم يمضي في تزيين الظواهر وبواطنهم خراب
محشوة بخبائث الكبر والعجب والجهل والرياء والنفاق ولو راوا مقتصرا على الاستجمار على
الحجر او حافيا يمشي على الارض او من يصلي عليها من غير حائل او متوضيا من انية عجوز لانكروا

عليه اشد الانكار ولقبوه بالقذر واستكفوا مواكلته فانظر كيف جعلوا البذاذة التي هي
من الايمان قذارة والرعونة نظافة وصيروا المنكر معروفا والمعروف منكرا لكان من يقصد
بهذه الطهارة والنظافة ولم يسرف في الماء ولم يعتقد ان استعمال الماء الكثير اصل الدين
فليس ذلك بمنكر بل هو فعل حسن ولنرجع في معرفة الانجاس والاحداث الى كتب الفقه
فان المقصود من هذا الكتاب الاداب واما ازالة الفضلات فهي نوعان النوع الاول
اوساخ تزال كالذي يجتمع في الراس من الوسخ والدرن فيستحب تنظيفه بالغسل والترجيل
والتدهين لازالة الشعث وكذلك ما يجتمع في الاذن والانف من الوسخ يستحب ازالته
ويستحب التسوك والمضمضة لازالة ما على الاسنان واللثة من القلح وكذلك وسخ البراجم
والدرن الذي يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق وذلك يزيله الغسل ولا
باس بدخول الحمام فانه ابلغ في الازالة وقد دخله جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم لكن على داخله صيانة عورته من نظر الغير اليها ولمسه اياها وينبغي للداخل اليه ان
يتذكر بحرارته حر النار فان فكرة المؤمن لا تزال تجول في كل شيء من امور الدنيا فيذكر به
امور الاخرة لان الغالب على المؤمن امر الاخرة وكل اناء ينضح بما فيه الا ترى انه لو دخل الى
دار معمورة بزاز ونجار وبناء وحايك رايت البزاز ينظر الى الفرش يتامل قيمتها والحايك
ينظر الى نسج الثياب والنجار ينظر الى سقف الدار والبناء ينظر الى الحايط فكذلك المؤمن
ان راى ظلمة ذكر ظلمة القبر وان سمع صوتا هايلا تذكر نفخة الصور وان راى نعيما تذكر نعيم الجنة
وان راى عذابا ذكر النار ويكره دخول الحمام قريبا من الغروب وبين العشائين فانه وقت انتشار
الشياطين النوع الثاني من ازالة الفضلات اجزاء تحذف مثل قص الشارب ونتف الابط
وحلق العانة وقص الاظفار ويكره نتف الشيب ويستحب خضابه وباقي مراتب الطهارة
ياتي في ربع المهلكات والمنجيات ان شاء الله تعالى فصل واما الصلوة فانها عماد الدين وغرة
الطاعات وقد ورد في فضايل الصلاة اخبار كثيرة مشهورة ومن احسن ادابها الخشوع وقد
روي عن عثمان بن عفان رضي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ما من امرئ تحضره صلاة
مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها الا كانت له كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت
كبيرة وذلك الدهر كله وله في حديث ايضا عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال من صلى ركعتين لا
يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه وكان ابن الزبير اذا قام في الصلاة كانه عود من الخشوع و

الدهر كله

وكان يسجد فتنزل العصافير على ظهره لتحسبه الا جرما حايطا وصلى يوما في الحجر فجاء حجر قذافة فذهب
ببعض ثوبه فما انفتل وقال ميمون بن مهران ما رايت مسلم بن يسار ملتفتا في صلاة قط ولقد
انهدمت ناحية من المسجد ففزع اهل السوق لهدتها وانه لفي المسجد يصلي فما التفت وكان
اهل بيته اذا دخل المنزل سكتوا فاذا قام الى الصلوة تكلموا وضحكوا وكان علي بن الحسين رض
اذا توضا اصفر لونه فقيل له ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فقال اتدرون بين يدي
من اريد ان اقوم واعلم ان للصلاة اركانا وواجبات وسننا وروحها النية والاخلاص
والخشوع وحضور القلب فان الصلاة تشتمل على اذكار ومناجاة وافعال ومع عدم حضور
القلب لا يحصل المقصود بالاذكار والمناجاة لان النطق اذا لم يعرب عما في الضمير كان بمنزلة الهذيان
وكذلك لا يحصل المقصود من الافعال لانه اذا كان المقصود من القيام الخدمة ومن الركوع
والسجود الذل والتعظيم ولم يكن القلب حاضرا لم يحصل المقصود فان الفعل متى خرج عن مقصوده
بقي صورة لا اعتبار بها قال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم
والمقصود ان الواصل الى الله تعالى هو الوصف الذي استولى على القلب حتى حمل على امتثال
الاوامر المطلوبة فلا بد من حضور القلب في الصلاة لكن سامح الشارع في غفلة تطرا لان
حضور القلب في اولها ينسحب حكمه على باقيها والمعاني التي تتم بها حياة الصلاة كثيرة منها حضور
القلب كما ذكرنا ومعناه ان يفرغ القلب من غير ما هو ملابس له وسبب ذلك الهمة فانه متى
اهمك امر حضر قلبك ضرورة فلا علاج لاحضاره الا صرف الهمة الى الصلاة وانصراف الهمة يقوى
ويضعف بحسب قوة الايمان بالاخرة واحتقار الدنيا فمتى رايت قلبك لا يحضر في الصلاة فاعلم
ان سببه ضعف الايمان فاجتهد في تقويته المعنى الثاني التفهم لمعنى الكلام فانه امر وراء حضور
القلب لانه ربما كان القلب حاضرا مع اللفظ دون المعنى فينبغي صرف الذهن الى ادراك المعنى
بدفع الخواطر الشاغلة وقطع موادها فان المواد اذا لم تنقطع لم تنصرف الخواطر عنها والمواد
اما ظاهرة وهي ما يشغل السمع والبصر او باطنة وهي اشد كمن تشعبت به الهموم في اودية
الدنيا فانه لا ينحصر فكره في فن واحد ولم يغنه غض البصر لان ما وقع في القلب كاف في الاشتغال
به وعلاج ذلك ان كان من المواد الظاهرة بقطع ما يشغل السمع والبصر وهو القرب من
القبلة والنظر الى موضع سجوده والاحتراز في الصلاة من المواضع المنقوشة وان لا يترك عنده
ما يشغل حسه فان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما صلى في انبجانية لها اعلام نزعها وقال انها

مطلب
فمتى رايت قلبك لا يحضر في
الصلاة واعلم ان سببه
ضعف الايمان

المتنبي آنفا عن صلاتي وان كان من الموارد الباطنة فطريق علاجه ان يرد النفس قهرا الي
مايقراء في الصلاة ويشغلها به عن غيره ويستعد لذلك قبل الدخول في الصلاة بان يقضي اشغاله
ويجهد علي تفريغ قلبه ويجدد علي نفسه ذكر الاخرة وخطر القيام بين يدي الله عز وجل و
هول المطلع فان لم تسكن الافكار بذلك فليعلم انه انما يتفكر فيما اهمه واشتهاه فليترك
تلك الشهوات ويقطع تلك العلايق واعلم ان العلة متى تمكنت لاينفعها الا الدواء
القوي والعلة اذا قويت جاذبت المصلي وجاذبها الي ان تنقضي الصلاة في المجاذبة ومثل
ذلك كمثل رجل تحت شجرة اراد ان يصفو له فكره وكانت اصوات العصافير تشوش عليه
وفي يده خشبة يطيرها بها فما يستقر فكره حتى تعود العصافير فيشتغل بها فقيل له هذا سير لاينقطع فان
اردت الخلاص فاقطع الشجرة فكذلك شجرة الشهوة اذا علت وتفرقت اغصانها انجذبت اليها الافكار
كانجذاب العصافير الى الاشجار والذباب الي الاقذار فذهب العمر النفيس في دفع مالايندفع و
سبب هذه الشهوة التي توجب هذه الافكار حب الدنيا قيل لعامر بن عبد قيس هل تحدث نفسك
بشئ من امور الدنيا فقال لان تختلف الاسنة في احب الي من ان اجد هذا واعلم ان قطع حب الدنيا في الصلوة ح
عن القلب امر صعب وزواله بالكلية عزيز فليقع الاجتهاد في الممكن منه والله الموفق المعين الثالث
التعظيم لله والهيبة وذلك يتولد من شيئين معرفة جلال الله تعالى وعظمته ومعرفة حقارة النفس
وانها مستعبدة فيتولد من المعرفتين الاستكانة والخشوع ومن ذلك الرجاء فانه زايد على الخوف فكم
من معظم ملكا يهابه لخوف سطوته ولايرجوا بره والمصلي ينبغي ان يكون راجيا بصلاته الثواب
كما يخاف من تقصيره العقاب وينبغي للمصلي ان يحضر قلبه عند كل شئ من الصلاة فاذا سمع نداء المؤذن
فليمثل النداء للقيامة ويشمر للاجابة ولينظر ماذا يجب وباي بدن يحضر واذا ستر عورته فليعلم ان
المراد من ذلك تغطية فضايح بدنه عن الخلق فليذكر عورات باطنه وفضايح سره التي لايطلع عليها
الا الخالق وليس لها عنه ساتر وانها يكفرها الندم والحياء والخوف واذا استقبل القبلة فقد صرف
وجهه عن الجهات الي جهة بيت الله فصرف قلبه الي الله اولي من ذلك فكما انه لايتوجه الي جهة البيت
الا بالانصراف عن غيرها كذلك القلب لاينصرف الي الله تعالى الا بالانصراف عما سواه واذا كبرت ايها
المصلي فلا يكذبن قلبك لسانك لانه اذا كان في قلبك شئ اكبر من الله تعالى فقد كذبت فاحذر ان يكون
الهوى عندك اكبر بدليل ايثارك موافقته على طاعة الله تعالى فاذا استعذت فاعلم ان الاستعاذة هي
لجاء الى الله سبحانه فاذا لم تلجاء بقلبك كان كلامك لغوا وتفهم معنى ما تتلوا واحضر التفهم بقلبك عند

عند قولك الحمد لله رب العالمين واستحضر لطفه عند قولك الرحمن الرحيم وعظمته عند قولك
مالك يوم الدين وكذلك في جميع ما تتلوا وقد روينا عن زرارة بن ابي اوفى انه قراء في
صلاته فاذا نقر في الناقور فخر ميتا وماذاك الا لانه صور تلك الحال فاثرت عنده
التلف واستشعر في ركوعك التواضع وفي سجودك زيادة الذل لانك وضعت النفس
موضعها ورددت الفرع الي اصله بالسجود على التراب الذي خلقت منه وتفهم معنى الاذكار
بالذوق واعلم ان اداء الصلاة بهذه الشروط الباطنة سبب لجلاء القلب من الصدي
وحصول الانوار فيه التي بها تلمح عظمة المعبود وتطلع على اسراره ومايعقلها الا
العالمون فاما من هو قايم بصورة الصلاة دون معانيها فانه لايطلع على شئ من ذلك
بل ينكر وجوده فصل في اداب تتعلق بصلاة الجمعة ويوم الجمعة وهي نحو من
خمسة عشر احدها ان يستعد لها من يوم الخميس وفي ليلة الجمعة بالتنظف وغسل الثياب
واعداد مايصلح لها الثاني الاغتسال في يومها كما جاء في الاحاديث في الصحيحين وغيرهما
والافضل في الاغتسال ان يكون قبل الرواح اليها الثالث التزين بتنظيف البدن وقص
الاظفار والسواك وغير ذلك مما تقدم من ازالة الفضلات ويتطيب ويلبس احسن
ثيابه الرابع التبكير اليها ماشيا وينبغي للساعي الي الجامع ان يمشي بسكون وخشوع وينوي
الاعتكاف في المسجد الي وقت خروجه الخامس ان لايتخطى رقاب الناس ولايفرق
بين اثنين الا ان يرى فرجة فيتخطا اليها السادس ان لايمر بين يدي المصلي السابع
ان يطلب الصف الاول الا ان يرى منكرا او يسمعه فيكون له التاخر عنه الثامن ان
يقطع التنفل من الصلاة والذكر عند خروج الامام ويشتغل ما جاوبه المؤذن ثم
بسماع الخطبة التاسع ان يصلي السنة بعد الجمعة ان شاء ركعتين وان شاء اربعا
وان شاء ستا العاشر ان يقيم في المسجد حتى يصلي العصر وان اقام الي المغرب فهو افضل
الحادي عشر ان يراقب الساعة الشريفة التي في يوم الجمعة باحضار القلب وملازمة الذكر
واختلف في هذه الساعة ففي افراد مسلم من حديث ابي موسى انها ما بين ان يجلس
الامام الي ان تقضى الصلاة وفي حديث اخر هي ما بين فراغ الامام من الخطبة الى ان
يقضي الصلاة وفي حديث جابر انها اخر ساعة بعد العصر وفي حديث انس قال
التمسوها ما بين صلاة العصر الي غروب الشمس وقال ابو بكر الاثرم لا تخلوا

هذه الاحاديث من وجهين اما ان يكون بعضها اصح من بعض واما ان يكون هذه الساعة
تنتقل في الاوقات لتنقل ليلة القدر في ليالي العشر الثاني عشر ان يكثر من الصلاة على النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم في هذا اليوم فقد روي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال من صلى علي
في يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة وان احب زاد في الصلاة عليه الدعاء له
كقوله اللهم ات محمدا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته
اللهم اجز نبينا عنا ما هو اهله وليضف الى الصلاة الاستغفار فانه مستحب في ذلك اليوم
الثالث عشر ان يقرا سورة الكهف فقد جاء في حديث من رواية عايشة رضي الله عنها
انها قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا احدثكم بسورة ملا عظمها ما بين
السماء والارض ولكاتبها من الاجر مثل ذلك ومن قراها يوم الجمعة غفر له ما بينها وبين
الجمعة الاخرى وزيادة ثلثة ايام ومن قرا الخمس الاواخر منها عند نومه بعثه الله اي
الليل شاء قالوا بلى يا رسول الله قال سورة الكهف وروي في حديث اخر انه من قراه في
يوم الجمعة او ليلة الجمعة وقي الفتنة ويستحب ان يكثر من قراءة القران في يوم الجمعة وان
يختم فيه او في ليلة الجمعة ان قدر الرابع عشر ان يتصدق في يوم الجمعة بما امكن ولتكن
صدقته خارج المسجد ويستحب ان يصلي صلاة التسبيح في يوم الجمعة الخامس عشر يستحب
ان يجعل يوم الجمعة لاعمال الاخرة ويكف عن جميع اشغال الدنيا فصل في ذكر
النوافل اعلم ان ما عدا الفرايض من الصلوات ثلثة اقسام سنن ومستحبات وتطوعات
ونعني بالسنة ما نقل عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المواظبة عليه كالرواتب عقيب
الفرايض والوتر والضحى ونعني بالمستحب ما ورد الخبر بفضله ولم ينقل المواظبة عليه كالصلاة
عند دخول المنزل والخروج منه ونعني بالتطوعات ما وراء ذلك مما لم يرد به خبر لكن العبد
يتطوع بفعله وتسمى هذه الاقسام الثلثة نوافل لان النفل هو الزيادة وهذه زيادة على الفرايض
واعلم ان افضل تطوعات البدن الصلاة واقسام النوافل وفضايلها مشهورة مذكورة
في كتب الفقه وغيرها لكن نذكر منها صلاة التسبيح لانها قد تخفى صفتها على بعض الناس فروى
عكرمة عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال للعباس يا عماه الا اعطيك
الا اعلمك وذكر الحديث الى ان قال تصلي اربع ركعات تقرا في كل ركعة بفاتحة الكتاب و
سورة فاذا فرغت من القراءة في اول ركعة وانت قايم قلت سبحان الله والحمد لله ولا اله
كلم

اله الا الله والله اكبر خمس عشرة مرة قبل الفاتحة ثم عشرا بعد القراءة ثم تركع فتقولها وانت راكع
عشرا ثم ترفع راسك من الركوع فتقولها عشرا ثم تهوي ساجدا فتقولها وانت ساجد
عشرا ثم ترفع راسك من السجود فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها وانت ساجد عشرا
فذلك خمس وسبعون تفعل ذلك في اربع ركعات ان استطعت ان تصليها في كل يوم
مرة فافعل فان لم تفعل ففي كل جمعة مرة فان لم تفعل ففي كل شهر مرة فان لم تفعل ففي
كل سنة مرة فان لم تفعل ففي عمرك مرة فصل ولا يتطوع في اوقات النهي
بصلاة لا سبب لها كصلاة التسبيح لان النهي موكد فيها عن الصلاة وهذه الاسباب
ضعيفة فلا تقاومه واما ما له سبب كتحية المسجد وصلاة الكسوف والاستسقاء
ونحوها ففعلها روايتان واعلم ان النهي عن الصلاة في الاوقات الثلثة له ثلثة اسرار
احدها ترك التشبه بعباد الشمس الثاني التحذير من السجود لقرن الشيطان
فان الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا ارتفعت فارقها فاذا استوت قارنها
فاذا زالت الشمس فارقها فاذا تضيفت للغروب قارنها فاذا غربت فارقها
الثالث ان سالكي طريق الاخرة مواظبون على العبادات والمواظبة على نمط واحد
يورث الملل فاذا اوقع المنع زاد النشاط لان النفس حريصة على ما منعت منه فمنع
الانسان من الصلاة في اوقات النهي ولم يمنع من نوع اخر من التعبد كالقراءة و
التسبيح لتنقل العابد من حال الى حال كما جعلت الصلاة متنوعة بين قيام وقعود
وركوع وسجود والله اعلم كتاب الزكوة واسرارها وما يتعلق بها
الصلاة احد مباني الاسلام وقد قرنها الله سبحانه وتعالى بالزكوة فقال تعالى و
اقيموا الصلاة واتوا الزكاة اما انواع الزكاة واقسامها واسباب وجوبها فظاهر
مشهور في مظانه من كتب الفقه وانما نذكر هاهنا بعض الشروط والاداب فمن
الشروط ان يخرج المنصوص عليه ولا يخرج القيمة في الصحيح فان من اجاز اخراج
القيمة انما تلمح سد الخلة فقط وسد الخلة ليس هو كل المقصود بل بعضه فان
واجبات الشرع ثلثة اقسام قسم تعبد كرمي الجمار فمقصود الشرع فيه الابتلاء
بالعمل لتظهر عبودية العبد بفعل ما لا يعقل له معنى محض لان ما يعقل معناه يساعد عليه
الطبع ويدعو اليه فلا يظهر خلوص العبودية به بخلاف ما ذكرنا القسم الثاني

عكس فى ذلك وقسم ما لا يقصد منه التعبد بل المقصود منه حظ محض كقضاء دين الادميين
ورد المغصوب ونحو ذلك ولذلك لا تعتبر فيه النية ولا الفعل بل كيف ما وصل
الحق الى مستحقه حصل المقصود وسقط خطاب الشرع فهذان قسمان لا تركيب فيهما
واما القسم الثالث فهو المركب وهو ان يقصد منه الامران جميعا امتحان المكلف وحظ
العباد فيجتمع فيه تعبد رمي الجمار وحظ رد الحقوق فلا ينبغي ان ينسى ادق المعنيين
وهو التعبد ولعل الادق هو الاهم والزكاة من هذا القبيل فحظ الفقير مقصود فى
سد الخلة وحق التعبد مقصود الشرع فى اتباع التفاصيل وبهذا الاعتبار صارت الزكاة
قرينة الصلاة والحج والله اعلم فصل فى دقايق الاداب الباطنة فى الزكاة اعلم ان على
مريد الاخرة فى زكاته وظائف الاولى ان يفهم المراد من الزكاة وهو ثلاثة اشياء ابتلاء مدعى
محبة الله تعالى باخراج محبوبه والتنزه عن صفة البخل المهلك وشكر نعمة المال الوظيفة الثانية
الاسرار باخراجها لكونه ابعد من الرياء والسمعة وفى الاظهار اذلال للفقير ايضا فان
خاف ان يتهم بعدم الاخراج اعطى من لا يبالي من الفقراء بالاخذ بين الجماعة علانية
واعطى غيره سرا الوظيفة الثالثة ان لا يفسدها بالمن والاذى وذلك ان الانسان
اذا راى نفسه محسنا الى الفقير منعما عليه بالاعطاء ربما حصل منه ذلك ولو حقق
النظر لراى الفقير محسنا اليه بقبول حق الله الذى هو طهرة له واذا استحضر مع ذلك ان
اخراجه للزكاة شكر لنعمة المال فلا يبقى بينه وبين الفقير معاملة ولا ينبغي ان يحتقر الفقير
لفقره لان الفضل ليس بالمال ولا النقص بعدمه الرابعة ان يستصغر العطية فان
المستعظم للفعل معجب به وقد قيل لا يتم المعروف الا بثلث تصغيره وتعجيله وستره الخامسة
ان ينتقي من ماله احله واجوده واحبه اليه اما الحل فان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا واما
الاجود فقد قال الله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وينبغي ان يلاحظ فى ذلك امرين
احدهما حق الله سبحانه وتعالى بالتعظيم له فانه احق من اختير له ولو ان انسانا قدم الى
ضيفه طعاما رديا لاوغر صدره والثاني حق نفسه فان الذى يقدمه هو الذى يلقاه
غدا فى القيامة فينبغي ان يختار الاجود لنفسه واما احبه اليه فلقوله تعالى لن تنالوا
البر حتى تنفقوا مما تحبون وكان ابن عمر رضي الله عنه اذا اشتد حبه لشىء من ماله
قربه لله عز وجل وروي انه نزل الجحفة وهو شاك فقال انى لاشتهى حيتانا

نا فالتمسوا له فلم يجدوا الا حوتا فاخذته امراته فصنعته ثم قربته اليه فاتى مسكين فقال
ابن عمر خذه فقال له اهله سبحان الله وقد عنيتنا ومعنا زاد نعطيه فقال ان عبد الله
يحبه وروي ان سائلا وقف بباب الربيع بن خثيم فقال اطعموه السكر فان الربيع يحب السكر
الوظيفة السادسة ان يطلب لصدقته الاولى التقي فليخص بصدقته المتقين
فانه يرد بها همهم الى الله تعالى وقد كان عامر بن عبد الله بن الزبير يتحرى العباد وهم
سجود فياتيهم بالصرة فيها الدنانير والدراهم فيضعها عند نعالهم بحيث يحسون بها
ولا يشعرون بمكانه فيقال له ما يمنعك ان ترسل بها اليهم فيقول اكره ان يتمعر وجه احدهم
اذا نظر الى رسولي او لقيني الصفة الثانية العلم فان فى اعطاء العالم اعانة على
العلم ونشر الدين وذلك تقوية للشريعة الثالثة ان يكون ممن يرى الانعام
من الله وحده ولا يلتفت الى الاسباب الا بقدر ما ندب اليه من شكرها فاما الذى
عادته المدح عند العطاء فانه سيذم حين المنع الرابعة ان يكون صاينا لفقره ساترا
لحاجته كاتما للشكوى كما قال تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وهولاء لا
يحصلون فى شبكة الطالب الا بعد البحث عنهم وسؤال اهل كل محلة عن هذه صفته
الخامسة ان يكون ذا عائلة او محبوسا بمرض او دين فهذا من المحصرين والتصدق
عليه اطلاق لحصره السادسة ان يكون من الاقارب وذوي الارحام فان الصدقة
عليهم صدقة وصلة وكل من جمع من هذه الخلال خلتين او اكثر كان اعطاؤه افضل
على قدر ما جمع فصل فى اداب القابض لا بد ان يكون اخذ الزكاة من الاصناف
الثمانية وعليه فى ذلك وظائف الاولى ان يفهم ان الله تعالى انما اوجب صرف الزكاة
اليه ليكفيه ما اهمه ويجعل همومه هما واحدا فى طلب رضى الله عز وجل الثانية
ان يشكر المعطي ويدعو له ويثني عليه وليكن ذلك بقدر شكر السبب فان من لم
يشكر الناس لم يشكر الله كما ورد فى الحديث ومن تمام الشكر ان لا يحتقر العطاء وان
قل ولا يذمه ويغطي ما فيه من عيب وكما ان وظيفة المعطي الاستصغار فوظيفة
المعطى الاستعظام وكل ذلك لا يناقض رؤية النعمة من الله عز وجل فان من لا يرى
الواسطة واسطة فهو جاهل وانما المنكر ان يرى الواسطة اصلا الوظيفة الثالثة ان
ينظر فيما يعطاه فان لم يكن من حل لم ياخذه اصلا لان اخراج مال الغير ليس بزكاة وان كان

بكر فقال لو اطعمتموه خبزا كان انفع
فقال ان ربيع يحب السكر اطعموه سكرا فان ح
من زكوته بدوهم خصوصين من عموم
الاصناف الثمانية ولهم صفات ح

من شبهة تورّع عنه الا ان يضيق عليه الامر فمن كان اكثر كسبه حراما فاخرج الزكاة ولم يعرف لما اخرجه مالك معين كانت الفتوى فيه ان يتصدق به فيجوز لهذا الفقير ان ياخذ قدر حاجته عند ضيق الامر عليه وعجزه عن الصافي **الرابعة** ان يتوقى مواقع الشبه في قدر ما ياخذ فياخذ القدر المباح له ولا ياخذ اكثر من حاجته فان كان غارما لم يزد على مقدار الدين او غازيا لم ياخذ الا مقدار ما يحتاج اليه وان اخذ بالمسكنة اخذ قدر حاجته دون ما يستغني عنه وكل ذلك موكول الى اجتهاده والورع ترك ما يريب واختلف العلماء في قدر الغنى المانع من الزكاة والصحيح فيه ان يكون له كفاية على الدوام اما من تجارة او صناعة او اجرة عقار او غير ذلك وان كان له بعض الكفاية اخذ ما يتمها وان لم يكن له ذلك اخذ ما يكفيه وليكن ما ياخذه بقدر ما يكفي سنته ولا يزيد على ذلك وانما اعتبر بالسنة لانها اذا ذهبت جاء وقت الاخذ واذا اخذ الاكثر منها ضيق على الفقراء **فصل** في صدقة التطوع وفضلها وادابها اما فضايل الصدقة فهي كثيرة مشهورة منها ما روى البخاري من حديث ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله تعـ عليه وسلم ايكم مال وارثه احب اليه من ماله قالوا يا رسول الله ما منا احد الا ماله احب اليه قال فان ماله ما قدم ومال وارثه ما اخر وفي الصحيحين من رواية ابي هريرة ان رسول الله صلى الله تعـ عليه وسلم قال من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد الى الله الا الطيب فان الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي احدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل وفي حديث اخر ان الصدقة لتطفي غضب الرب وتقي ميتة السوء وفي حديث اخر تصدقوا فان الصدقة فكاككم من النار وعن بريدة قال قال رسول الله صلى الله تعـ ما يخرج احد شيا من الصدقة حتى يفك عن لحيي سبعين شيطانا وروى ان راهبا تعبد في صومعة ستين سنة ثم نزل يوما ومعه رغيف فعرضت له امراة فتكشفت فوقع عليها فادركه الموت وهو على تلك الحال وجاء سائل فاعطاه الرغيف ومات فجي بعمل ستين سنة فوضع في كفة وخطيته في كفة فرجحت بعمله حتى جي بالرغيف فوضع مع عمله فرجح بخطيته وفي افراد مسلم من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله تعـ عليه وسلم انه قال ما نقصت صدقة من مال وروي عن عائشة انهم ذبحوا شاة فقال النبي

صلى الله تعـ عليه وسلم ما بقي منها فقالت ما بقي منها الا كتفها فقال بقي كلها الا كتفها واما ادابها فنحو ما تقدم في الزكاة واختلفوا ايما افضل للفقير ان ياخذ من الزكاة او من الصدقة فقال قوم من الزكاة افضل وقال اخرون من الصدقة افضل واما افضل الصدقة فعن ابي هريرة قال سئل رسول الله صلى الله تعـ اي الصدقة افضل قال ان تصدق وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتامل الغنا ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان اخرجاه في الصحيحين **كتاب الصوم واسراره ومهماته وما يتعلق به** اعلم ان في الصوم خصيصة ليست في غيره وهي اضافته الى الله عز وجل حيث يقول سبحانه الصوم لي وانا اجزي به فكفى بهذه الاضافة شرفا كما شرف البيت باضافته اليه في قوله وطهر بيتي وانما فضل الصوم لمعنيين **احدهما** انه سر وعمل باطن لا يراه الخلق ولا يدخله رياء **والثاني** انه قهر لعدو الله لان وسيلة العدو الشهوات وانما تقوى الشهوات بالاكل والشرب وما دامت ارض الشهوات مخصبة فالشياطين يترددون الى ذلك المرعى وبترك الشهوات تضيق عليهم المسالك وفي الصوم اخبار كثيرة تدل على فضله وهي مشهورة **فصل** في سنن الصوم يستحب السحور وتاخيره وتعجيل الافطار وان يفطر على التمر ويستحب الجود في رمضان وفعل المعروف وكثرة الصدقة اقتداء برسول الله صلى الله تعـ عليه وسلم ويستحب دراسة القران والاعتكاف في رمضان لا سيما في العشر الاواخر وزيادة الاجتهاد فيه وفي الصحيحين من حديث عائشة قالت كان النبي صلى الله تعـ عليه وسلم اذا دخل العشر شد مئزره واحيا الليل وايقظ اهله وذكر العلماء في معنى شد المئزر وجهين احدهما انه الاعراض عن النساء الثاني انه كناية عن الجد والتشمير في العمل قالوا وكان سبب اجتهاده في العشر طلب ليلة القدر **بيان** اسرار الصوم وادابه وللصوم ثلث مراتب صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص فاما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة واما صوم الخصوص فهو كف البطن والفرج واللسان واليد والرجل والسمع والبصر وسائر الجوارح عن الاثام واما صوم خصوص الخصوص فهو صوم القلب عن الهمم الدنية والافكار المبعدة عن

الله تعالى وكفه عما سوى الله تعالى بالكلية وهذا الصوم له شروح تاتي في غير هذا
الموضع فمن اداب صوم المخصوص غض البصر وحفظ اللسان عما يوذي من كلام
محرم او مكروه او ما لا يفيد وحراسة باقي الجوارح وفي الحديث من رواية البخاري
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة
في ان يدع طعامه وشرابه ومن ادابه ان لا يمتلئ من الطعام في الليل بل ياكل بمقدار
فانه ما ملا ابن ادم وعاء شرا من بطن ومتى شبع اول الليل لم ينتفع بنفسه في باقيه
وكذلك اذا شبع وقت السحر لم ينتفع بنفسه الى قريب من الظهر لان كثرة الاكل تورث
الكسل والفتور ثم يفوت المقصود من الصيام بكثرة الاكل لان المراد منه ان يذوق
طعم الجوع ويكون تاركا للمشتهى فاما صوم المتطوع فاعلم ان استحباب الصوم
يتاكد في الايام الفاضلة وفواضل الايام بعضها يوجد في كل سنة كصيام ستة ايام من شوال
بعد رمضان وكصيام يوم عرفة ويوم عاشوراء وعشر ذي الحجة والمحرم وبعضها يتكرر
في كل شهر كاول الشهر واوسطها واخرها فمن صام اول الشهر واوسطه واخره
فقد احسن غير ان الافضل ان يجعل الثلثة ايام البيض وبعضها يتكرر في كل اسبوع وهو
يوم الاثنين ويوم الخميس وافضل صوم التطوع صوم داود عليه السلام كان يصوم يوما
ويفطر يوما وذلك يجمع ثلثة معان احدها ان النفس تعطى يوم الفطر حظها و
تستوفي يوم الصوم تعبدها وفي ذلك جمع بين ما لها وما عليها وهو العدل والثاني
ان يوم الاكل يوم شكر ويوم الصوم يوم صبر والايمان نصفان شكر وصبر والثالث
انه اشق على النفس في المجاهدة لانها كلما انست بحالة نقلت عنها فاما صوم الدهر
ففي افراد مسلم من حديث ابي قتادة ان عمر سال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال
كيف بمن يصوم الدهر كله فقال لا صام ولا افطر او لم يصم ولم يفطر وهذا محمول
على من سرد الصوم في الايام المنهي عن صيامها فاما اذا افطر يومي العيدين وايام
منى فلا باس بذلك فقد روي عن هشام بن عروة ان اباه كان يسرد الصوم وكانت
عايشة تسرد وقال انس بن مالك سرد ابو طلحة الصوم بعد رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم اربعين عاما واعلم ان من رزق فطنة علم مقصود
الصوم فحمل نفسه قدر ما لا يعجزه عما هو افضل منه فقد كان ابن مسعود قليل الصوم

ينبغي له اذا صمت ضعفت عن الصـ... الصلاة واختار الصـ... علا الصوم وكان م

م وكان بعضهم اذا صام ضعف عن قراة القران فكان يكثر الفطر حتى يقدر على التلاوة
وكل انسان اعلم بحاله وما يصلحه **كتاب الحج واسراره وفضائله
وادابه ونحو ذلك** ينبغي لمن اراد الحج ان يبداء بالتوبة ورد المظالم وقضاء
الديون واعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته الى وقت الرجوع ويرد ما عنده
من الودايع ويستصحب من المال الحلال ما يكفيه لذهابه ورجوعه من غير
تقتير على وجه يمكنه معه التوسع في الزاد والرفق بالفقراء ويستصحب ما
يصلحه كالسواك والمشط والمراة والمكحلة ويتصدق بشي قبل خروجه واذا
اكترى فليظهر للجمال كلما يريد ان يحمله من قليل وكثير وقد قال رجل لابن المبارك
احمل لي هذه الرقعة الى فلان فقال حتى استاذن الجمال وينبغي ان يلتمس رفيقا
صالحا محبا للخير معينا عليه ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وان ضاق صدره صبره
وليوم الرفقاء عليهم احسنهم خلقا وارفقهم بالاصحاب وانما احتيج الى التامير لان الاراء
تختلف فلا ينتظم التدبير وعلى الامير الرفق بالقوم والنظر في مصالحهم وان يجعل
نفسه وقاية لهم وينبغي للمسافر تطييب الكلام واطعام الطعام واظهار محاسن
الاخلاق فان السفر يخرج خبايا الباطن ومن كان في السفر الذي هو
مظنة الضجر حسن الخلق كان في الحضر احسن خلقا وقد قيل اذا اثني على
الرجل معاملوه في الحضر ورفقاؤه في السفر فلا تشكوا في صلاحه وينبغي له
ان يودع رفقاءه واخوانه المقيمين ويلتمس ادعيتهم ويجعل خروجه بكرة
يوم الخميس وليصل في منزله ركعتين قبل الخروج منه ويستودع الله اهله
وماله ويستعمل الادعية والاذكار الماثورة عند خروجه من منزله وفي ركوبه
ونزوله وهي مشهورة في كثير من الكتب في مناسك الحج وكذلك جميع المناسك
من الاحرام والطواف والسعي والوقوف بعرفة وغير ذلك من اعمال الحج
ياتي فيها بما ذكر من الاذكار والدعوات والاداب وكل ذلك مستوفي في كتب
الفقه وغيرها فليطلب هناك **فصل** في الاداب الباطنة والاشارة
الى اسرار الحج اعلم انه لا وصول الى الله تعالى الا بالتجرد والانفراد لخدمته وقد كان
الرهبان ينفردون في الجبال طلبا للانس بالله فجعل الحج رهبانية لهذه الامة

مطلب استحباب ... خروج السفر ...

فمن الاداب المذكورة ان يكون خاليا في حجه من تجارة تشغل قلبه وتفرق همه ليجتمع
على طاعة الله تعالى وان يكون اشعث اغبر رث الهيئة غير مستكثر في الزينة وينبغي
ان يجتنب ركوب المحمل الا لعذر لكن لا يستمسك على الزاملة فان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم حج على راحلة وتحته رحل رث وفي حديث جابر عن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم ان الله عز وجل يباهي بالحاج الملائكة فيقول انظروا الى عبادي اتوني
شعثا غبرا من كل فج عميق اشهدكم اني قد غفرت لهم وقد شرف الله تعالى بيته
وعظمه ونصبه مقصدا لعباده وجعل ما حوله حرما لتفخيم امره وتعظيما
لشانه وجعل عرفة كالميدان على فنائه واعلم ان في كل واحد من افعال الحج تذكرة
للمتذكر وعبرة للمعتبر فمن ذلك ان يتذكر بتحصيل الزاد زاد الاخرة من الاعمال و
ليحذر ان تكون اعماله فاسدة من الرياء والسمعة فلا تصحبه ولا تنفعه كالطعام الرطب (اعمالهم)
الذي يفسد في اول منازل السفر فيبقى صاحبه وقت الحاجة متحيرا فاذا فارق
وطنه ودخل البادية وشاهد تلك العقاب فليتذكر بذلك خروجه من
الدنيا بالموت الى ميقات القيامة وما بينهما من الاهوال ومن ذلك ان
يتذكر وقت احرامه وتجرده عن ثيابه اذا لبس المحرم لبس كفنه وانه يلقى
ربه على زي مخالف لزي اهل الدنيا واذا لبى فليستحضر بتلبيته اجابة الله تعالى
اذ قال واذن في الناس بالحج وليرج القبول وليخش عدم الاجابة وكذلك اذا
وصل الى الحرم ينبغي ان يرجو الامن من العقوبة وان يخشى ان لا يكون من اهل
القرب غير انه ينبغي ان يكون الرجاء غالبا لان الكرم عميم وحق الزائر مرعي
وذمام المستجير لا يضيع ومن ذلك اذا راى البيت الحرام استحضر عظمته في قلبه
وشكر الله تعالى على تبليغه رتبة الوافدين اليه وليستشعر عظمة الطواف به
فانه صلاة ويعتقد عند استلام الحجر انه مبايع الله تعالى على طاعته ويضم الى
ذلك عزيمته على الوفاء بالبيعة وليتذكر بالتعلق باستار الكعبة والانصراف
الى الملتزم لجاء المذنب الى سيده وقرب المحب وانشد بعضهم في ذلك

ستور بيتك نيل الامن منك وقد علقتها مستجيرا ايها الباري
وما اظنك لما ان علقت بها خوفا من النار تدنيني من النار

وها

وها انا جار بيت انت قلت لنا حجوا اليه وقد اوصيت بالجار
ومن ذلك اذا سعى بين الصفا والمروة ينبغي ان يمثلهما بكفتي الميزان وتردده بينهما
في عرصات القيامة او تردد العبد الى باب دار الملك اظهارا للخلوص في خدمته ورجاء
للملاحظة بعين رحمته وطمعا في قضاء حاجته واما الوقوف بعرفة فاذكر بما
ترى من ازدحام الخلق وارتفاع اصواتهم واختلاف لغاتهم موقف القيامة و
اجتماع الامم في ذلك الموطن واستشفاعهم فاذا رميت الجمار فاقصد بذلك الانقياد
للامر واظهارا للرق والعبودية ومجرد الامتثال من غير حظ النفس واما
المدينة فاذا لاحت لك فتذكر انها البلدة التي اختارها الله تعالى لنبيه صلى الله تعالى
عليه وسلم وشرع اليها هجرته وجعل فيها تربته ثم مثل في نفسك مواضع اقدام
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عند تردده فيها وتصور خشوعه وسكينته فاذا
قصدت زيارة القبر فاحضر قلبك لتعظيمه والهيبة له ومثل صورته الكريمة في
خيالك واحضر عظيم مرتبته في قلبك ثم سلم عليه واعلم انه عالم بحضورك وتسليمك
كما ورد في الحديث

كتاب اداب تلاوة القران وذكر فضله

اعظم فضائل القران انه كلام الله عز وجل وقد مدحه الله تعالى في ايات كثيرة
لقوله تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم
لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وفي افراد البخاري من حديث عثمان
بن عفان ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال خيركم من تعلم القران وعلمه
وعن انس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان لله عز وجل اهلين من
الناس قيل من هم يا رسول الله قال اهل القران هم اهل الله وخاصته رواه
النسائي وفي حديث اخر ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال يقال لصاحب القران
اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند اخر اية تقرؤها صححه
الترمذي وعن بريدة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان القران يلقى
صاحبه يوم القيمة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول هل تعرفني
فيقول ما اعرفك فيقول انا صاحبك القران الذي اظماتك في الهواجر واسهرت
ليلك وان كل تاجر من وراء تجارته واني لك اليوم من وراء كل تجارة فيعطى

وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يعذب قلبا وعى القران

الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على راسه تاج الوقار ويكسى والديه حلتين لاتقوم لهما الدنيا فيقولان كيف هذا فيقال باخذ ولدكما القران ثم يقال اقرا واصعد في درج الجنة وغرفها فهو في صعود ما كان يقرا هذا او ترتيلا قال بن مسعود رضي ينبغي لحامل القران ان يعرف بليله اذا الناس نايمون وبنهاره اذا الناس مفطرون وبحزنه اذا الناس يفرحون وببكائه اذا الناس يضحكون وبصمته اذا الناس يخوضون وبخشوعه اذا الناس يختالون ولا ينبغي ان يكون جافيا ولا غافلا ولا صخابا ولا حديدا وقال الفضيل حامل القران حامل راية الاسلام لا ينبغي ان يلغوا مع من يلغوا ولا يسهوا مع من يسهوا ولا يلهوا مع من يلهوا تعظيما لله تعالى ولا ينبغي ان يكون له الى احد حاجة بل ينبغي ان تكون حوايج الناس اليه وقال الامام احمد بن حنبل رايت رب العزة في المنام فقال بكلامي يا احمد فقلت يا رب بفهم او بغير فهم فقال بفهم وبغير فهم

فصل في اداب التلاوة ينبغي لقارئ القران ان يكون على وضوء مستعملا للادب مطرقا غير متربع ولا متكئ ولا جالس على هيئة المتكبر وافضل الاحوال ان يقرا في الصلاة قائما وان يكون في المسجد فاما مقدار القراءة فقد اختلفت فيها عادات السلف فمنهم من كان يختم كل يوم وليلة ختمة ومنهم من كان يختم في اليوم والليلة اكثر من ذلك ومنهم من كان يختم في ثلاث ومنهم من كان يختم في اسبوع ومنهم من كان يختم في كل شهر اشتغالا بالتدبر او بنشر العلم او بنوع من التعبد او بتعليمه غير القراءة او بفن من اكتساب الدنيا واولى الامور ما لا يمنع الانسان من اشغاله المهمة ولا يوذيه في بدنه ولا يفوته معه الترتيل والفهم قال ابن عباس لان اقرا البقرة وال عمران وارتلهما واتدبرهما احب الي من ان اقرا القران كله هذرمة ومن وجد جلسة في وقت فليغتنم كثرة القراءة ليفوز بكثرة الثواب فقد كان عثمان يقرا القران في ركعة يوتر بها وكان الشافعي يختم في رمضان ستين ختمة واما الدوام فليكن على قدر الامكان كما اشرنا اليه واستحب بعضهم اذا ختم بالنهار ان يختم في ركعتي الفجر او بعدهما واذا ختم بالليل ان يختم في ركعتي المغرب او بعدهما ليستقبل بالختمة اول الليل واول النهار وقال ابن مسعود من ختم القران فله دعوة

دعوة مستجابة وكان انس اذا ختم القران جمع اهله ودعا فصل ويستحب تحسين القراءة وان لم يكن حسن الصوت حسنه ما استطاع فاما القراءة بالالحان فقد كرهها السلف ويستحب الاسرار بالقراءة وقد جاء في حديث فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية الا انه ينبغي ان يسمع نفسه ولا باس بالجهر في بعض الاوقات لمقصود صحيح اما لتجويد الحفظ او ليصرف عن نفسه الكسل والنوم او ليوقظ الوسنان فاما حكم القراءة في الصلاة ومقدار ما يقرا في صلاة الفرض وموضع الجهر والاسرار فذلك معروف مشهور في كتب الفقه ومن كان عنده مصحف ينبغي له ان يقرا فيه كل يوم ايات يسيرة لئلا يكون مهجورا وينبغي للتالي القران العظيم ان ينظر كيف لطف الله تعالى بخلقه في ايصال معاني كلامه الى افهامهم وان يعلم ان ما يقراه ليس من كلام البشر وان يستحضر عظمة المتكلم سبحانه ويتدبر كلامه فان التدبر هو المقصود من القراءة وان لم يحصل التدبر الا بترداد الاية فليرددها فقد روى ابو ذر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قام ليلة باية يرددها ان تعذبهم فانهم عبادك الاية وقام تميم الداري باية وهي قوله ام حسب الذين اجترحوا السيات وكذلك قام بها الربيع بن خثيم ليلة وينبغي للتالي ان يستوضح من كل اية ما يليق بها ويتفهم ذلك فاذا تلى قوله تعالى خلق السموات والارض فليعلم عظمته ويتلمح قدرته في كل ما يراه واذا تلى افرايتم ما تمنون فليتفكر في نطفة متشابهة الاجزاء كيف تنقسم الى لحم وعظم وعرق وعصب واشكال مختلفة من راس ويد ورجل ثم الى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة كالسمع والبصر والعقل وغير ذلك فتامل هذه العجايب واذا تلى احوال المكذبين فليستشعر الخوف من السطوة ان غفل عن امتثال الامر وليتخل التالي من موانع الفهم مثل ان يخيل الشيطان اليه انه ما حقق تلاوة الحرف ولا اخرجه من مخرجه فيكرره التالي فيصرف همه الى فهم المعنى ومن ذلك ان يكون التالي مصرا على ذنب او متصفا بكبر او مبتلى بهوى مطاع فان ذلك سبب ظلمة القلب وصداه فهو كالجرب على المراة يمنع من تجلي الحق فالقلب مثل المراة والشهوات مثل الصدا ومعاني القران مثل الصور التي تتراءى في المراة والرياضة للقلب باماطة الشهوات مثل الجلاء للمراة وينبغي

وقال سالم بن الجعد ان الصدقة لتدفع سبعين بابا من السوء وفضل الله سرها على علانيتها بسبعين ضعفا روض الفايق م

لتالى القران ان يعلم ان المقصود بخطاب القران ووعيده وان القصص لم يرد بها
السمر بل العبر فليتنبه لذلك فمن يتلوا تلاوة عبد كاتبه سيده بمقصود ليتامل الكتاب
ويعمل بمقتضاه فان مثل العاصى اذا قرا القران وكرره كمثل من كرر كتاب الملك
واعرض عن عمارة مملكته وما امر به فى الكتاب فهو مقتصر على دراسته مخالف اوامره
فلو ترك الدراسة مع المخالفة كان ابعد من الاستهزاء واستحقاق المقت وينبغى
ان يتبرا من حوله وقوته وان لا يلتفت الى نفسه بعين الرضاء والتزكية
فان من راى نفسه بصورة التقصير كان ذلك سبب قربه **كتاب الاذكار
والدعوات وغيرها** اعلم انه ليس بعد تلاوة القران عبادة تودى باللسان
افضل من ذكر الله سبحانه وتعالى ورفع الحوايج بالادعية الخالصة اليه ويدل
على فضل الذكر قوله تعالى فاذكرونى اذكركم وقوله الذين يذكرون الله قياما و
قعودا وعلى جنوبهم وقوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات وعن النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل يقول انا مع عبدى ما ذكرنى وتحركت شفتاه
وفى افراد مسلم عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لا يقعد قوم يذكرون
الله الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن
عنده وفى ذلك احاديث كثيرة مذكورة فى فضايل الاعمال وعن ابى هريره عن النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله عز وجل الا تفرقوا عن غير ذكر
تفرقوا عن مثل جيفة الحمار وكان ذلك المجلس عليهم حسرة يوم القيمة وفى
حديث اخر لا يجلس قوم مجلسا لا يذكرون الله عز وجل ولا يصلون على النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم الا كان عليهم حسرة يوم القيمة واما فضيلة
الدعاء فقد روى ابو هريرة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال
ليس شى اكرم على الله عز وجل من الدعاء واشرف العبادة الدعاء ومن لا يسال
الله يغضب عليه وفى حديث اخر سلوا الله تعالى من فضله فان الله يحب ان
يسال وللدعاء اداب من ذلك ان يتوخا له الاوقات الشريفة كيوم عرفة
من السنة ورمضان من الشهور ويوم الجمعة من الاسبوع والسحر من الليل
ومن الاوقات الشريفة بين الاذان والاقامة وعقيب الصلوات وعند

عند نزول الغيث وعند القتال فى سبيل الله وعند ختم القران وفى السجود وعند
الافطار وعند حضور القلب ووجله وعلى الحقيقة فان شرف الاوقات يرجع
الى شرف الحالات فان وقت السحر وقت صفاء القلب وفراغه وحالة السجود
وحالة الذل **ومن اداب** الدعاء ان يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه
ثم يمسح بهما وجهه وان يخفض صوته حال الدعاء ومن ادابه ان يبدا بذكر
الله تعالى ثم يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولا يتكلف السجع فى الدعاء و
من ادابه وهو الادب الباطن وهو الاصل فى الاجابة التوبة ورد المظالم
فصل فى الاوراد وفضلها وتوزيع العبادات على مقادير الاوقات اعلم
انه اذا حصلت المعرفة لله سبحانه والتصديق به علم والعلم بقصر العمر وجب
ترك التقصير فى هذا العمر القصير والنفس متى وقفت على فن واحد حصل لها
ملكة فمن التلطف نقلها من فن الى فن وقد قال الله تعالى واذكر اسم ربك
بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا فهذا ونحوه مما ذكر من الايات
فى ذلك تدل على ان الطريق الى الله تعالى مراقبة الاوقات وعمارتها بالاوراد على
الدوام وقال الله تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد
شكورا اى يخلف احدهما الاخر ليتدارك فى احدهما ما فات فى الاخر **بيان عدد اوراد
الليل والنهار** وترتيبها اوراد النهار سبعة واوراد الليل ستة فلنذكر فضيلة كل ورد ووظيفته
وما يتعلق به الورد الاول من اوراد النهار ما بين طلوع الفجر الثانى الى طلوع الشمس
وهو وقت شريف قد اقسم الله تعالى به فقال والصبح اذا تنفس فينبغى للمريد اذا انتبه
من النوم ان يذكر الله سبحانه وتعالى فيقول الحمد لله الذى احيانا بعد ما اماتنا واليه
النشور روى ذلك عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من افراد البخارى وفى افراد مسلم من
حديث ابن مسعود قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا امسى قال امسينا
وامسى الملك لله والحمد لله ولا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو
على كل شى قدير رب اسالك خير ما فى هذه الليلة وخير ما بعدها واعوذ بك من شر
هذه الليلة وشر ما بعدها رب اعوذ بك من الكسل وسوء الكبر رب اعوذ بك
من عذاب فى النار وعذاب فى القبر واذا اصبح قال ذلك ايضا اصبحنا واصبح الملك لله الى اخره

ويقول بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شي في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم
ثلث مرات رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم نبيا فاذا صلى
الفجر قال وهو ثان رجله قبل ان يتكلم لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
يحيي ويميت وهو على كل شي قدير عشر مرات ويذكر سيد الاستغفار اللهم انت
ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت
اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر
الذنوب الا انت ويقول اصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص ودين نبينا
محمد عليه السلام وملة ابينا ابرهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين ويدعوا اللهم اصلح
لي ديني الذي هو عصمة امري واصلح لي دنياي التي فيها معاشي واصلح اخرتي فيها معادي
واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر ويدعوا بدعاء ابي
الدرداء اللهم انت ربي لا اله الا انت عليك توكلت وانت رب العرش العظيم
اعلم ان الله على كل شئ قدير وان الله قد احاط بكل شئ علما اللهم اني اعوذ بك من
شر نفسي ومن شر كل دابة انت اخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم فهذه
الادعية لا يستغني المريد عن حفظها وينبغي له قبل خروجه الى صلاة الفجر ان يصلي
السنة في منزله ثم يخرج متوجها الى المسجد ويقول اللهم اني اسالك بحق السائلين
عليك وبحق ممشاي هذا فاني لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت
اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك اسالك ان تنقذني من النار وان تغفر لي
ذنوبي انه لا يغفر الذنوب الا انت فاذا دخل المسجد فليقل ما روى مسلم
في صحيحه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا دخل احدكم المسجد فليقل
اللهم افتح لي ابواب رحمتك واذا خرج فليقل اللهم اني اسالك من فضلك
ثم يطلب الصف الاول منتظرا للجماعة داعيا بنحو ما تقدم من الاذكار و
الادعية فاذا صلى الفجر استحب ان يمكث في مكانه الى طلوع الشمس فقد
روى انس عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال من صلى الفجر في جماعة
ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كاجر حجة
وعمرة تامة تامة ولتكن وظايف وقته اربعا الدعاء والذكر والقراة والفكر

الفكر وليات بما امكنه وليتفكر في قطع القواطع وشغل الشواغل عن الخير ليودي
وظايف يومه وليتفكر في نعم الله تعالى ليوفر شكره الورد الثاني ما بين طلوع
الشمس الى الضحى وذلك بمضي ثلث ساعات من النهار اذا فرض النهار اثنى
عشر ساعة وهذا وقت شريف وفيه وظيفتان احدهما صلاة الضحى
والثانية ما يتعلق بالناس من عيادة مريض او تشييع جنازة او حضور
مجلس علم او قضاء مسلم وان لم يفعل شيا من ذلك تشاغل بالقراءة
والذكر الورد الثالث من وقت الضحى الى الزوال والوظيفة في هذا الوقت
الاقسام الاربعة وزيادة امرين احدهما الاشتغال بالكسب والمعاش و
حضور السوق فان كان تاجرا فليتجر بصدق وامانة وان كان صاحب صنعة
فنصح وشفقة ولا ينسى ذكر الله تعالى في جميع اشغاله وليقنع بالقليل و
الثاني القيلولة فانها مما تعين على قيام الليل كما يعين السحور على صيام النهار
فان نام فليجتهد في الانتباه قبل الزوال بقدر الاستعداد للصلاة قبل دخول
الوقت واعلم ان الليل والنهار اربع وعشرون ساعة فالاعتدال ان ينام
من ذلك الثلث وهو ثماني ساعات فمن نام اقل من ذلك لم يومن اضطراب
بدنه ومن نام اكثر من ذلك كسل فاذا نام اكثر من ذلك في الليل فلا وجه لنومه
في النهار بل من نقص منه استوفى ما نقص في النهار الورد الرابع ما بين الزوال
الى الفراغ من صلاة الظهر وهو اقصر اوراد النهار وافضلها فينبغي له في
هذا الوقت اذا اذن المؤذن ان يجيبه بمثل قوله ثم يقوم فيصلي اربع ركعات
ويستحب ان يطيلهن فان ابواب السماء تفتح حينئذ ثم يصلي الظهر وسنتها ثم
يتطوع بعدها باربع الورد الخامس ما بعد ذلك الى العصر فيستحب له
في هذا الوقت الاشتغال بالذكر والصلاة وفنون الخير ومن افضل الاعمال
انتظار الصلاة بعد الصلاة السادس اذا دخل وقت العصر الى ان تصفر
الشمس وليس في هذا الوقت صلاة سوى اربع ركعات بين الاذانين
لاقامه
ثم فرض العصر ثم تشاغل بالاربعة التي سبق ذكرها في الورد الاول والافضل
فيه تلاوة القران بالتدبر والتفهم الورد السابع من اصفرار الشمس الى ان

تغرب وهو وقت شريف قال الحسن البصري كانوا اشد تعظيما للعشي من
اول النهار فيحب في هذا الوقت التسبيح والاستغفار خاصة وبالمغرب تنتهي
اوراد النهار فينبغي ان يلاحظ العبد احواله ويحاسب نفسه فقد انقضت من
طريقه مرحلة وليعلم ان العمر ايام تنقضي جملتها بانقضاء احادها قال الحسن يا ابن
ادم انما انت ايام اذا مضى يومك بعض يومك وليتفكر هل ساوي يومه امسه
فان راى انه قد توفر على الخير في نهاره فليشكر الله سبحانه وتعالى على التوفيق وان
تكن الاخرى فليتب وليعزم على تلافي ما سبق من التفريط في الليل فان الحسنات
يذهبن السيات وليشكر الله تعالى على صحة جسمه وبقاء بقية من عمره
يمكن فيها استدراك التقصير وقد كان جماعة من السلف يستحيون ان لا ينقضي
يوم الا عن صدقة ويجتهدون فيما امكن من كل خير ذكر اوراد الليل
الورد الاول اذا غربت الشمس الى وقت العشاء فاذا غربت صلى المغرب
واشتغل باحياء ما بين العشائين فقد روي عن انس في قوله تعالى تتجافى
جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون
ان هذه الاية نزلت في اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كانوا يصلون
بين المغرب والعشاء وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن له بعبادة
ثنتي عشرة سنة الورد الثاني الى غيبوبة الشفق الاحمر الى وقت النوم
يستحب ان يصلي بين الاذانين ما امكنه وليكن في قراءته الم تنزيل السجدة
وتبارك الذي بيده الملك فقد كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا ينام
حتى يقراهما وفي حديث اخر عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من قرا سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة الورد الثالث الوتر قبل
النوم الا من كان عادته القيام بالليل فان تاخيره في حقه افضل قالت عائشة
رضي الله عنها من كل الليل قد اوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم من اول
الليل واوسطه واخره فانتهى وتره الى السحر ثم ليقل بعد الوتر سبحان الملك
القدوس ثلث مرات الورد الرابع النوم وانما عددناه في الاوراد لانه اذا روعيت

فيه ادابه وحسن المقصود به احتسب عبادة وقد قال معاذ رضي اني لاحتسب
في نومتي كما احتسب في قومتي فمن اداب النوم ان ينام على طهارة لما روت
عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد ان ينام توضا وضوءه
للصلاة وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ان الارواح تعرج بها في منامها الى السماء
فتومر بالسجود عند العرش فما كان منها طاهرا سجد عند العرش وما كان ليس
بطاهر سجد بعيدا من العرش ومن ادابه ان يتوب قبل نومه لانه ينبغي
لمن طهر ظاهره ان يطهر باطنه لانه ربما مات في نومه ومنها ان يزيل كل غش في
قلبه لمسلم ولا ينوي ظلمه ولا يعزم على خطيئة اذا استيقظ ومنها ان لا يبيت
من له شيء يوصي فيه الا ووصيته مكتوبة عنده لان في الصحيحين من حديث ابن
عمر رضي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ما حق امرء مسلم له شيء يوصي
فيه يبيت ليلتين الا ووصيته مكتوبة عنده وينبغي له ايضا ان لا يبالغ في
تمهيد الفراش متنعما بذلك فانه يزيد في النوم فان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ثني له فراشه فقال منعتني وطائته صلاتي الليلة وينبغي ان لا ينام حتى
يغلبه النوم فقد كان السلف لا ينامون الا غلبة ومن ادابه ان يستقبل
القبلة وان يدعو بما ورد من الاحاديث في ذلك وان ينام على جنبه الايمن
فمما جاء في ذلك ما روى ابو هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال اذا
اوى احدكم الى فراشه فلينفضه بداخلة ازاره فانه لا يدري ما حدث بعده فاذا وضع
جنبه فليقل باسمك ربي وضعت جنبي وبك ارفعه ان امسكت نفسي فاغفر لها
وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين اخرجاه في الصحيحين وفي الصحيحين
ايضا من حديث عائشة ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا اوى الى فراشه في
كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما وقرا فيهما قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق
وقل اعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدا بهما على راسه ووجهه
وما اقبل من جسده يفعل ذلك ثلث مرات وفيهما من حديث البراء بن عازب ان رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا اتيت مضجعك فتوضا وضوءك للصلاة ثم اضطجع
على شقك الايمن ثم قل اللهم اسلمت نفسي اليك ووجهت وجهي اليك وفوضت امري

اليك والجات ظهري اليك رغبة ورهبة اليك لا ملجا ولا منجا منك الا
اليك امنت بكتابك الذى انزلت ونبيك الذى ارسلت فانك ان مت في
ليلتك مت على الفطرة وان اصبحت اصبت خيرا وعن علي ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم قال له ولفاطمة اذا اخذتما مضاجعكما او اويتما الى فراشكما فسبحا
الله ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين وكبرا اربعا وثلاثين فهو خير لكما
من خادم متفق عليه وحديث ابي هريرة في حفظ زكاة رمضان مشهور وفيه
ان شيطانا قال له اذا اويت الى فراشك فاقرا اية الكرسي فانه لن يزال عليك
من الله حافظ ولا يقربك شيطان فاخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال
اما انه قد صدقك وهو كذوب وفي افراد مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
اذا اوى الى فراشه قال الحمد لله الذى اطعمنا وسقانا وكفانا واوانا فكم من لا كافي
له ولا موى فاذا استيقظ للتهجد فليدع بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم
ربنا لك الحمد انت قيم السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد انت نور السموات
والارض ومن فيهن ولك الحمد انت ملك السموات والارض ومن فيهن ولك
الحمد انت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنبيون
حق ومحمد حق والساعة حق اللهم لك اسلمت وبك امنت وعليك توكلت
واليك انبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما اخرت
وما اسررت وما اعلنت وفي رواية وما انت اعلم به مني انت المقدم وانت
المؤخر لا اله الا انت متفق عليه وليجتهد ان يكون اخر كلامه عند النوم ذكر الله
تعالى واول ما يجري على لسانه عند التيقظ ذكر الله تعالى فهاتان علامتان على الايمان

الورد الخامس من اوراد الليل يدخل بمضي النصف الاول الى ان يبقى من
الليل سدسه وذلك وقت شريف **قال** ابو ذر سالت رسول الله صلى الله
عليه وسلم اى صلاة الليل افضل فقال نصف الليل وقليل فاعله وروى ان
داود عليه السلام قال يا رب اية ساعة اقوم لك فاوحى الله تعالى اليه يا داود
لا تقم اول الليل ولا اخره ولكن قم في شطر الليل حتى تخلو بي واخلو بك وارفع
بك وارفع الي حوائجك فاذا قام الى التهجد قرا العشر ايات من اخر سورة ال

ال عمران كما روي في الصحيحين عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فعل ذلك وليدع بما سبق
من دعائه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك وليدع عند قيامه من الليل ثم يستفتح صلاته بركعتين
خفيفتين لما روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا قام احدكم يصلي بالليل
فليبدا بركعتين خفيفتين رواه مسلم ثم يصلي مثنى مثنى واكثر ما روي عن النبي عليه السلام
انه كان يصلي من الليل ثلثة عشر ركعة مع الوتر واقلهن سبع **الورد السادس** من الليل
السدس وهو وقت السحر قال الله تعالى وبالاسحار هم يستغفرون وفي الحديث ان قراءة
الرجل اخر الليل محضورة وجاء طاوس الى رجل وقت السحر فقالوا هو نائم فقال ما كنت
ارى ان احدا ينام وقت السحر فاذا فرغ المريد من صلاة السحر فليستغفر الله عز وجل روي
عن ابن عمر انه كان يفعل ذلك **فصل** في اختلاف الاوراد باختلاف الاحوال
اعلم ان السالك لطريق الاخرة لا يخلو من ست احوال اما ان يكون عابدا او عالما
او متعلما او واليا او محترفا او مستغرقا بمحبة الله عز وجل مشغولا عن غيره **الاول**
العابد وهو المنقطع عن الاشغال كلها الى التعبد فهذا يشتغل بما ذكرنا من الاوراد وقد
يختلف وظايفه فقد كانت احوال المتعبدين من السلف مختلفة فمنهم من كان يغلب عليه
حالة التلاوة حتى يختم في كل يوم ختمة وختمتين وثلثا وكان فيهم من يكثر التسبيح ومنهم من
يكثر الصلاة ومنهم من يكثر الطواف بالبيت **فان** قيل فما الاولى ان يصرف اليه اكثر الاوقات
من هذه الاوراد **فاعلم** ان قراءة القران في الصلاة قايما مع التدبر يجمع الجميع ولكن ربما
عسرت المواظبة على ذلك والافضل يختلف باختلاف حال الشخص ومقصود الاوراد
تزكية القلب وتطهيره فلينظر المريد ما يراه اشد تاثيرا فيه فليواظب عليه فاذا
احس بملل انتقل عنه الى غيره **قال** ابو سليمان الداراني اذا وجدت قلبك في
القيام فلا تركع واذا وجدته في الركوع فلا ترفع **الثاني** العالم الذي ينفع الناس
بعلمه في فتوى او تدريس او تصنيف او تذكير فترتيبه في الاوراد يخالف ترتيب العابد
فانه يحتاج الى المطالعة في الكتب والتصنيف والافادة فان استغرق الاوقات في
ذلك فهو افضل ما يشتغل به بعد المكتوبات وانما نعني بالعلم المقدم على العبادة العلم
الذي يرغب في الاخرة ويعين على سلوك طريقها والاولى بالعالم ايضا ان يقسم اوقاته
لان استغراق الاوقات في العلم لا تحتمله النفس فينبغي ان يخص ما بعد الصبح الى طلوع

طلوع الشمس بالاذكار والاوراد على ما ذكرنا ثم بعد طلوع الشمس الى الضحى في
الافادة والتعليم فان لم يكن عنده من يتعلم صرف ذلك الزمان الى التفكر في العلوم
فان صفا القلب بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال بهموم الدنيا يعين على التفطن
للمشكلات ثم من ضحوة النهار الى العصر للتصنيف والمطالعة لا يترك ذلك
الا في وقت اكل او طهارة او مكتوبة او قيلولة ومن العصر الى اصفرار الشمس
يشتغل بسماع ما يقرأ عليه من تفسير او حديث او علم نافع ومن الاصفرار الى
الغروب يشتغل بالاستغفار والتسبيح فيكون ورده الاول في عمل اللسان والثاني
في عمل القلب بالتفكر والثالث في عمل العين واليد فانه المطالعة والنسخ بعد
العصر ربما اضر بالعين واما الليل فاحسن قسمة غير قسمة الشافعي فانه
كان يقسمه ثلثة اجزاء الثلث الاول لكتابة العلم والثاني للصلاة والثالث
للنوم فاما الصيف فربما لا يحتمل ذلك الا اذا كان اكثره بالاذكار والنوافل وحكم
المتعلم حكم العالم في ترتيب لكنه يشتغل بالاستفادة حين يشتغل العالم بالافادة
وبالتعليق والنسخ حين يشتغل العالم بالتصنيف فان كان من العوام فان حضوره
مجالس الذكر والعلم والوعظ افضل من اشتغاله بالاوراد المتطوع بها الرابع
الوالي مثل الامام والقاضي او المتولي للنظر في امر من امور المسلمين واغراضهم
على وفق الشرع وقصد الاخلاص افضل من الاوراد المذكورة لانه عبادة يتعدى
نفعها فينبغي ان يقتصر في النهار على المكتوبات ثم يستفرغ باقي الزمان في ذلك ويقتنع
باوراد الليل الخامس المحترف وهو المحتاج الى الكسب له ولعياله فليس له
ان يستغرق الزمان في التعبد بل يجتهد في الكسب مع دوام الذكر فاذا حصل له
ما يكفيه عاود الاوراد السادس المستغرق بحب الله سبحانه فهذا ورده
بعد المكتوبات حضور القلب مع الله تعالى وهو يحركه الى ما يريد من ورده
وينبغي ان يداوم على الاوراد لقول النبي صلى الله عليه وسلم احب العمل الى
الله ادومه وان قل وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عمله ديمة

باب في قيام الليل وفضله والاسباب الميسرة لقيامه و

نحو ذلك قال الله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقال النبي صلى الله عليه وسلم

الاوراد

عليكم بقيام الليل فانه داب الصالحين قبلكم وهو قربة الى ربكم ومكفرة للسيات
ومنهاة عن الاثم وفي فضله احاديث كثيرة وقال الحسن البصري لم اجد من العبادة
شيئا اشد من الصلاة في جوف الليل وقيل له ما بال المتهجدين احسن الناس وجوها
فقال لانهم خلوا بالرحمن فالبسهم من نوره فصل في الاسباب الميسرة لقيام الليل
اعلم ان قيام الليل صعب الا على من وفق للقيام بشروطه الميسرة له فمن الاسباب
ظاهر ومنها باطن فاما الظاهر بان لا يكثر الاكل كان بعضهم يقول يا معشر المريدين
لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فتناموا كثيرا فتخسروا كثيرا ومنها ان لا يتعب نفسه في
النهار بالاعمال الشاقة ومنها ان لا يترك القيلولة بالنهار فانها تعين على قيام الليل و
منها ان لا يحتقب الاوزار قال الثوري حرمت قيام الليل خمسة اشهر بذنب اذنبته
واما الميسرات الباطنة فمنها سلامة القلب للمسلمين وخلوه من البدع واعراضه
عن فضول الدنيا ومنها ان يعرف فضل قيام الليل ومن اشرف البواعث على ذلك
الحب لله تعالى وقوة الايمان بانه اذا قام ناجى ربه وانه حاضره ومشاهده فيحمله المناجاة
على طول القيام قال ابو سليمن اهل الليل في ليلهم الذ من اهل اللهو في لهوهم
ولولا الليل ما احببت البقاء في الدنيا وفي صحيح مسلم عن النبي عليه السلام انه قال
ان في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسال الله تعالى فيها خيرا الا اتاه اياه وذلك كل
ليلة واحياء الليل مراتب احدها ان يحيي الليل كله روي ذلك عن جماعة من السلف
الثانية انه يقوم نصف الليل وهو مروي ايضا عن جماعة من السلف واحسن
الطريق في هذا ان ينام الثلث الاول من الليل والسدس الاخير منه المرتبة الثالثة
ان يقوم ثلث الليل فينبغي ان ينام النصف الاول والسدس الاخير وهو قيام
داود عليه السلام ففي الصحيحين احب الصلاة الى الله تعالى صلاة داود وكان ينام نصف
الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ونوم اخر الليل حسن لانه يذهب باثار النعاس
من الوجه بالغداة ويقلل صفرته المرتبة الرابعة ان يقوم سدس الليل او خمسه
والافضل من ذلك ما كان في النصف الاخر وبعضهم يقول افضله السدس الاخير
المرتبة الخامسة ان لا يراعي التقدير فان مراعاة ذلك صعب ثم فيما يفعله طريقان
احدهما ان يقوم اول الليل الى ان يغلبه النوم فينام فاذا انتبه قام فاذا غلبه النوم نام

وهذا اشد المكابدة وهو طريق جماعة من السلف وفي الصحيحين من حديث انس ما
كنا نشاء ان نرى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مصليا من الليل الا رايناه وما كنا نشاء
ان نراه نايما الا رايناه وكان عمر رضي الله يصلي من الليل ما شاء الله حتى اذا كان من اخر
الليل ايقظ اهله فيقول الصلاة الصلاة وقال الضحاك ادركت اقواما يستحيون من
الله في سواد الليل من طول الضجعة الطريق الثاني ان ينام اول الليل فاذا
اخذ حظه من النوم وانتبه قام الباقي قال سفين الثوري انما هي اول نومة
فاذا انتبهت لم اقلها المرتبة السادسة ان يقوم مقدار اربع ركعات او
ركعتين فقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال صلوا من الليل صلوا
اربعا صلوا ركعتين الحديث وفي سنن ابي داود قال قال رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم من استيقظ من الليل وايقظ امراته فصليا جميعا ركعتين
كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وكان طلحة بن مصرف يامر اهله بقيام
الليل ويقول صلوا ركعتين فان الصلوة في جوف الليل تحط الاوزار فهذه طرف
قسمة الليل فليتخير المريد لنفسه ما يسهل عليه فان صعب القيام عليه في وسط
الليل فلا ينبغي ان يخل باحياء ما بين العشائين وورد السحر ليكون قايما في الطرفين
وهذه مرتبة سابعة فصل فاما من صعبت عليه الطهارة بالليل وثقلت
عليه الصلاة فليجلس مستقبل القبلة وليذكر الله تعالى وليدع ما قدر فان لم
يجلس فليذكر وهو مضطجع ومن كان له ورد فغلبه النوم وفاته فليات به
بعد صلاة الضحى فقد ورد ذلك في الحديث وليحذر من له عادة بقيام الليل
ان يتركها ففي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن عمر
لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل فصل في بيان الليالي والايام
الفاضلة اما الليالي المخصوصات بمزيد الفضل اللواتي يستحب احياؤها
فخمس عشرة ليلة ولا ينبغي للمريد ان يغفل عنهن لانه اذا غفل التاجر عن موسم
الربح فمتى يربح فمن هذه الليالي سبع في رمضان الليلة السابعة عشر وهي الليلة
التي كانت من صبيحتها وقعة بدر والست الباقية هن اوتار العشر اذ فيهن تطلب
ليلة القدر واما الثمان الاخر فاول ليلة من المحرم وليلة عاشوراء واول ليلة
ليلة من رجب وليلة النصف منه وليلة سبع وعشرين منه فانها ليلة المعراج
وليلة النصف من شعبان وليلة عرفة وليلتا العيدين وقد وردت صلوات
لبعض هذه الليالي وليس فيها ما يثبت واما الايام الفاضلة فتسعة عشر يوما
يوم عرفة ويوم عاشوراء ويوم سبع وعشرين من رجب وهو اول يوم
هبط فيه جبرائيل على النبي عليه السلام ويوم سبع عشرة من رمضان كان فيه
وقعة بدر ويوم النصف من شعبان ويوم الجمعة ويوما العيدين والايام
المعلومات وهي عشر ذي الحجة والايام المعدودات وهي ايام التشريق ومن
فواضل الايام في الاسبوع يوم الاثنين والخميس وايام البيض وفيها فضل كثير
مذكور في فضايل الصوم اخر كتاب الاوراد وهو اخر ربع العبادات

الربع الثاني من الكتاب ربع العادات وفيه ابواب باب في

اداب الاكل والاجتماع عليه والضيافة ونحو ذلك واداب الاكل منها ما هو قبله
ومنها ما هو مع الاكل ومنها ما هو بعد الاكل فمن القسم الاول غسل اليد قبل
الاكل بما ورد في الحديث فلانها لا تخلوا من درن ومن ذلك ان يوضع الطعام
على السفرة الموضوعة على الارض فانه اقرب الى فعل رسول الله عليه السلام من رفعه
على المائدة وهو ادنا الى التواضع ومن ذلك ان يجلس الجلسة على السفرة فينصب
رجله اليمنى ويجلس يعتمد على اليسرى وينوى باكله ان يتقوى على طاعة الله تعالى
ليكون مطيعا بالاكل ولا يقصد التنعم فقط وعلامة صحة هذه النية اخذ البلغة
دون الشبع قال النبي صلى الله عليه وسلم ما ملا ابن ادم وعاء شرا من بطن حسب
ابن ادم اكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث طعام وثلث شراب وثلث
لنفسه ومن ضرورة هذه النية ان لا يمد يده الى الطعام الا وهو جايع وان يرفع
يده قبل الشبع ومن فعل ذلك لم يكد يحتاج الى طبيب ومن ذلك ان يرضى بالموجود
من الرزق ولا يحقر اليسير منه وان يجتهد في تكثير الايدي على الطعام ولو من اهله
وولده القسم الثاني في الاداب حالة الاكل وهو ان يبدا باسم الله تعالى
في اوله والحمد لله تعالى في اخره ومن ذلك ان ياكل باليمين ويصغر اللقمة ويجود مضغها
وان لا يمد يده الى اخرى حتى يبتلع الاولى ولا يذم ماكولا ومن ذلك ان ياكل مما يليه الا

ان يكون الطعام متنوعا كالفاكهة وليأكل بثلث اصابع واذا وقعت لقمة اخذها
ومن ذلك ان لا ينفخ في الطعام الحار ولا يجمع بين التمر والنوى في طبق ولا يجمعه
في كفه بل يضعه من فيه على ظهر كفه ثم يلقيه وكذا كل ماله عجم وثفل ولا يشرب الماء في
اثناء الطعام فانه اجود في باب الطب ومن اداب الشرب ان يتناول
الاناء بيمينه وينظر فيه قبل الشرب ويمص مصا لا عبا فقد روي عن علي مصوا الماء
مصا ولا تعبوه عبا فان الكباد من العب ولا يشرب قائما ويتنفس في شربه ثلثا
ففي الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتنفس في شربه من الاناء بان يباعد
الاناء عنه ويتنفس لا ان يكون التنفس في الماء القسم الثالث من اداب الاكل
ما يستحب بعد الطعام وهو ان يمسك قبل الشبع ويلعق اصابعه وان يسلت القصعة
وليحمد الله ففي الحديث عن النبي عليه السلام انه قال ان الله ليرضى عن العبد ان يأكل
الاكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها وليغسل يده من الغمر فصل
فيما يزيد من الاداب بسبب الاجتماع والمشاركة في الاكل من ذلك ان لا يبتدى
بالاكل اذا كان معه من يستحق التقدم لكبر سن او زيادة فضل الا ان يكون هو المتبوع
ومنها ان لا يسكتوا على الطعام بل يتكلمون بالمعروف ويتحدثون بحكايات الصالحين
في الاطعمة وغيرها ومن ذلك ان يقصد كل منهم الايثار لرفيقه ولا يحوج رفيقه
الى ان يقول له كل بل ينبسط ولا يتصنع بالانقباض ومن ذلك ان لا ينظر الى اصحابه
حالة الاكل لئلا يستحيوا ومن ذلك ان لا يفعل ما يستقذره من غيره فلا ينفض يده
في القصعة ولا يقدم اليها راسه عند وضع اللقمة التي اكل منها في المرفهة فصل و
يستحب تقديم الطعام الى الاخوان روي عن علي رضي الله عنه انه قال لان اجمع
اخواني على صاع من طعام احب الي من ان اعتق رقبة وكان خيثمة يصنع
الخبيص والطعام الطيب فيدعو ابراهيم والاعمش ويقول كلوا فما صنعته الا لكم
ويقدم ما حضر من غير تكلف ولا يستاذنهم في التقديم بل يقدم من غير استيذان
ومن التكلف ان يقدم جميع ما عنده ومن اداب الزاير ان لا يقترح طعاما بعينه
وان خير بين طعامين اختار ايسرهما الا ان يعلم ان مضيفه يسر باقتراحه ولا
يقصر عن تحصيل ذلك فقد نزل الشافعي على الزعفراني وكان الزعفراني يكتب كل يوم

يوم رقعة بما يطبخ من الالوان ويسلمها الى الجارية فاخذ الشافعي الرقعة والحق
فيها لونا اخر فلما علم الزعفراني اشتد فرحه فصل ولا ينبغي لاحد اذا علم
ان قوما ياكلون ان يدخل عليهم فان صادفهم من غير قصد فسالوه الاكل نظر
فان علم انهم انما سالوه حياء منه فلا ياكل وان علم انهم يحبون اكله معهم جاز له
ان ياكل ومن دخل دار صديقه فلم يجده وكان واثقا به عالما انه اذا اكل من طعامه
سر بذلك جاز له ان ياكل فصل ومن اداب الضيافة ان يقصد بدعوته
الاتقياء دون الفساق قال بعض السلف لا تاكل الا طعام تقي ولا ياكل طعامك الا تقي
وينبغي ان يقصد الفقراء دون الاغنياء وينبغي ان لا يهمل اقاربه في ضيافتهم
فان اهمالهم يوجب الايحاش وقطيعة الرحم وكذلك يراعي الترتيب في اصدقائه
ومعارفه ولا يقصد بدعوته المباهاة والتفاخر بل استمال السنة في اطعام
الطعام واستمالة قلوب الاخوان وادخال السرور على قلوب المؤمنين ولا يدعوا
من يعلم انه يشق عليه الاجابة واذا حضر تاذى بالحاضرين بسبب من الاسباب
واما اداب الاجابة فان كان دعوة عرس فالاجابة اليها واجبة اذا دعاه
المسلم في اليوم الاول وان كانت لغيره فهي جايزة ثم ينبغي ان لا يخص الغني
بالاجابة دون الفقير ولا يمتنع من الدعوة لكونه صايما بل يحضر فان كان تطوعا
وعلم ان فطره يسر اخاه المسلم فليفطر فاما ان كان الطعام حراما فليمتنع من
الاجابة وكذلك اذا كان منكر من فرش محرمة او اناء محرم او مزمار او صور
وكذلك اذا كان الداعي ظالما او فاسقا او مبتدعا او مفاخرا بدعوته وينبغي
ان لا يقصد بالاجابة الى الدعوة نفس الاكل بل ينوي به الاقتداء بالسنة واكرام
اخيه المؤمن وينوي صيانة نفسه عن سوء الظن فربما قيل عنه انه اذا
امتنع هذا متكبر وينبغي ان يتواضع في مجلسه اذا حضر ولا يتصدر وان عين
له صاحب الدار مكانا لم يتعده ولا يكثر النظر الى المكان الذي يخرج منه الطعام
فانه دليل على الشره فصل واما احضار الطعام فله خمسة اداب الاول
تعجيله فذلك من اكرام الضيف الثاني تقديم الفاكهة اولا قبل غيرها وذلك
اصلح في باب الطب وقد قال الله تعالى وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون

ثم افضل مايقدم بعد الفاكهة اللحم خصوصا المشوي ثم افضل الطعام بعد اللحم الثريد
ثم الحلوا وتتم هذه الطيبات بشرب الماء البارد وتكملة الامر صب الماء الفاتر على اليد
عند الغسل **الثالث** ان يقدم جميع الالوان الحاضرة **الرابع** ان لا يبادر الى
رفعها بل يمكنهم من الاستيفاء حتى يرفعوا ايديهم **الخامس** ان يقدم من الطعام
قدر الكفاية فان التقليل من الكفاية نقص في المروة وينبغي ان يعزل لاهل البيت
نصيبهم قبل تقديم الطعام فاذا اراد الضيف الانصراف ينبغي ان يخرج معه الى باب
الدار فانه سنة وذلك من اكرام الضيف ومن تمام الاكرام طلاقة الوجه وطيب الحديث
عند الدخول والخروج وعلى المائدة **واما الضيف** فينبغي ان تخرج طيب النفس
وان جرى في حقه تقصير فذلك من حسن الخلق والتواضع ولا يخرج الا برضى صاحب
المنزل واذنه ويراعي قلبه في قدر الاقامة **كتاب النكاح وادبه وما
يتعلق به** لا يختلف العلماء في ان النكاح مستحب مندوب اليه كثير الفضايل وفيه
فوايد منها الولد لان المقصود بقاء النسل وفيه موافقة محبة الله تعالى بالسعي في ذلك
ليبقى جنس الانسان وفيه طلب محبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في تكثير من
به مباهاته وفيه طلب التبرك بدعاء الولد الصالح والشفاعة بموت الولد الصغير
ومن فوايد النكاح التحصين من الشيطان بدفع غوايل الشهوة وفيه ترويح النفس
وايناسها بمخالطة الزوجة **ومنها** تفريغ القلب عن تدبير المنزل والتكفل بشغل
الطبخ والكنس والفرش وتنظيف الاواني وتهيئة اسباب العيش فان الانسان
يتعذر عليه اكثر ذلك مع الوحدة ولو تكفل به لضاع اكثر اوقاته ولم يتفرغ للعلم وللعمل
فالمراة الصالحة عون على الدين بهذه الطريق اذ اختلاف هذه الاسباب شواغل
للقلب **ومن** فوايده ايضا مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية و
القيام بحقوق الاهل والصبر على اخلاقهن واحتمال الاذى منهن والسعي في
اصلاحهن وارشادهن الى طريق الدين والاجتهاد في كسب الحلال لاجلهن و
القيام بتربية الاولاد وكل هذه اعمال عظيمة الفضل فانها رعاية وولاية وفضل
الرعاية عظيم وانما يحترز منها من يخاف من القصور عن القيام بحقها ومقاساة
الاهل والولد بمنزلة الجهاد في سبيل الله عز وجل **وفي** افراد مسلم عن النبي صلى الله عليه

وسلم انه قال دينار انفقته في سبيل الله ودينار انفقته في رقبة ودينار تصدقت به
على مسكين ودينار انفقته على اهلك افضلها الدينار الذي انفقته على اهلك

فصل وفي النكاح افات اقواها العجز عن طلب الحلال فان ذلك يصعب
فربما امتدت يد المتزوج الى ما ليس له **الافة الثانية** القصور عن القيام بحقوق
النساء والصبر على اخلاقهن واذاهن وفي ذلك خطر لان الرجل راع ومسؤول عن رعيته
الافة الثالثة ان يكون الاهل والولد يشغلونه عن ذكر الله عز وجل فيقضي ليله
ونهاره بالتمتع بذلك فلا يتفرغ القلب للفكر في الاخرة والعمل لها فهذه مجامع الافات
والفوايد فالحكم على شخص واحد بان الافضل له النكاح او العزوبة مطلقا قصور
على الاحاطة بمجامع هذه الامور بل ينبغي للمريد ان يعرض نفسه على هذه الاحوال
فان انتفت عنه الافات واجتمعت له الفوايد بان كان له مال حلال وحسن خلق
وهو مع ذلك شاب يحتاج الى تسكين الشهوة ومنفرد يحتاج الى تدبير المنزل فلا شك
ان النكاح افضل وان انتفت هذه الفوايد فتركه افضل وهذا في حق من لم يحتج الى النكاح
فان احتاج اليه فانه يلزمه **فصل** ويعتبر في المراة لطيب العشرة امور
احدها الدين وهو الاصل لقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عليك بذات الدين فاذا
لم يكن لها دين افسدت دين زوجها وازرت به وان سلك سبيل الغيرة لم يزل في بلاء وتكدير
عيش **الثاني** حسن الخلق فان سيئة الخلق ضررها اكثر من نفعها **الثالث** حسن الخلق و
هو مطلوب اذ به يحصل التحصن ولهذا امر بالنظر الى المخطوبة **وقد** كان اقوام لا ينظرون
في الحسن ولا يقصدون التمتع كما روي ان الامام احمد اختار امراة عوراء على اختها
الا ان هذا يندر والطباع على ضده **الرابع** خفة المهر وقد زوج سعيد بن المسيب ابنته
بدرهمين **وقال** عمر لا تغالوا في مهور النساء وكما تكره المغالاة في المهر من جهة المراة يكره السؤال
عن مالها من جهة الرجل **قال** الثوري اذا تزوج الرجل وقال اي شيء للمراة فاعلم انه
لص **الخامس** البكارة لان الشارع ندب الى ذلك ولانها تحب الزوج وتالفه اكثر
من الثيب فيوجب ذلك الود فان الطباع مجبولة على الانس باول مالوف وهو
ايضا اكمل المودة لها لان الطبع ينفر من التي مسها غيره **السادس** ان تكون ولودا
السابع النسب وهو ان تكون من بيت دين وصلاح **الثامن** ان تكون اجنبية وكما

ينبغي للرجل ان ينظر في المراة ينبغي للولي ان ينظر للمراة في دين الرجل واخلاقه واحواله
لانها تصير بالنكاح موفقه ومتى زوجها من فاسق او مبتدع فقد جنى عليها وعلى نفسه
قال رجل للحسن من ازوج ابنتي قال ممن يتقي الله فانه ان احبها اكرمها وان بغضها
لم يظلمها **فصل** في اداب المعاشرة والنظر فيما على الزوج وفيما على الزوجة
اما الزوج فعليه مراعاة الاعتدال والادب في اثني عشر امرا **الاول** الوليمة فانها
مستحبة **الثاني** حسن الخلق مع الزوجات واحتمال الاذى منهن لقصور عقلهن وفي
الحديث الصحيح استوصوا بالنساء خيرا فانهن خلقن من ضلع وان اعوج ما في الضلع
اعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل اعوج ما في الضلع اعلاه فان فاستوصوا
بالنساء خيرا واعلم انه ليس حسن الخلق مع المراة كف الاذى عنها بل احتمال الاذى منها
والحلم على طيشها وغضبها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ففي الصحيحين من حديث
عمر ان ازواج النبي صلى الله تعالى كن يراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل والحديث
مشهور **الثالث** ان يداعبها ويمازحها وقد سابق النبي صلى الله عليه وسلم عايشة
وكان يداعب نساه صلى الله عليه وسلم وقال لجابر هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك
الرابع ان يكون ذلك بقدر ولا ينبسط في الدعابة الى ان تسقط هيبته بالكلية عند
المراة بل ينبغي ان يسلك طريق الاقتصاد وقد روينا عن عمر انه عتب على بعض
عماله فكلمته امراة عمر فيه فقالت يا امير المومنين فيم وجدت عليه قال يا عدوة الله
وفيما انت وهذا انما انت لعبة يلعب بك ثم تتركين **الخامس** الاعتدال في الغيرة
وهو ان لا يتغافل عن مبادي الامور التي تخشى غوائلها ولا يبالغ في اساة الظن و
قد نهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يطرق الرجل اهله ليلا **السادس** الاعتدال في
النفقة والقصد دون الاسراف والتقصير ولا ينبغي للرجل ان يستاثر عن اهله
بالطعام الطيب فان ذلك مما يوغر الصدر **السابع** ان يتعلم المتزوج من علم
الحيض واحكامه ما يدري به كيف معاشرة الحايض ويلقنها الاعتقاد الصحيح ويزيل
عن قلبها كل بدعة ان كانت ويعلمها احكام الصلاة والحيض والاستحاضة فيعرفها
انها اذا انقطع دمها قبل المغرب بمقدار ركعة فعليها الظهر والعصر واذا انقطع
قبل الصبح بمقدار ركعة فعليها قضاء المغرب والعشاء وهذا لا يكاد الناس يراعيه

يراعيه **الثامن** اذا كانت له نسوة ينبغي ان يعدل بينهن والعدل في المبيت والعطاء
لا في الحب والوطي فان ذلك لا يملكه فان سافر واراد استصحاب احداهن اقرع بينهن
فايتهن خرج سهمها خرج بها معه **التاسع** النشوز فاذا كان النشوز من المراة فله ان
يؤدبها ويحملها على الطاعة قهرا ولكنه ينبغي ان يتدرج في تاديبها بتقديم الوعظ و
التخويف فان لم ينفع هجرها في المضجع فولاها ظهره وانفرد عنها بالفراش وهجرها
في الكلام فيما دون ثلثة ايام فان لم ينفع ضربها ضربا غير مبرح وهو ان لا يدمي لها جسما
ولا يضرب وجهها **العاشر** في اداب الجماع يستحب البداية بالتسمية والانحراف عن
القبلة وان يتغطاهو واهله بثوب ولا يكونا متجردين وان يبدا بالمداعبة والضم
والتقبيل ومن العلماء من استحب الجماع يوم الجمعة ثم اذا قضى وطره فليتمهل لتقضي
وطرها فان انزالها ربما تاخر ومن الادب ان تاتزر الحايض بازار من حقويها الى
ما فوق الركبة اذا اراد الاستمتاع بها ولا يجوز وطيها في الحيض ولا في الدبر ومن اراد
ان يجامع مرة ثانية فليغسل فرجه ويتوضا ومن الاداب ان لا يحلق شعره
ولا يقلم اظفاره ولا يخرج دما وهو جنب واما العزل فهو مباح مع الكراهة **الحادي
عشر** في اداب الولادة وهي ستة **الاول** ان لا يكثر فرحه بالذكر وحزنه بالانثى فانه
لا يدري في ايهما الخيرة **الثاني** ان يوذن في اذن المولود حتى يولد **الثالث** ان يسميه
اسما حسنا وفي افراد مسلم من احب اسمائكم الى الله عز وجل عبد الله وعبد الرحمن
ومن كان له اسم مكروه استحب له تبديله فقد غير النبي صلى الله عليه وسلم اسماء جماعة
وقد كره من الاسماء افلح ونافع ويسار ورباح وبركة لانه يقال اهو ثم فيقال لا
الرابع العقيقة عن الذكر شاتان وعن الانثى شاة **الخامس** ان يحنكه بتمرة او
حلاوة **السادس** الختان **الامر الثاني عشر** مما يتعلق بالزوج الطلاق وهو
ابغض المباحات الى الله تعالى فيكره للرجل ان يبتدي المراة من غير ذنب ولا يجوز
للمراة ان تلجيه الى طلاقها فاذا اراد فليراع فيه اربعة اشياء **الاول** ان يطلقها في طهر
لم يصبها فيه لئلا تطول عليها العدة **الثاني** ان يقتصر على طلقة واحدة ليستفيد بها
الرجعة ان ندم **الثالث** ان يتلطف في الامر في الطلاق باعطائها ما تمتع به ليتجبر
الفاجع **فقد** روي عن الحسن بن علي انه طلق امراة وبعث اليها بعشرة الاف درهم

فقالت متاع قليل من حبيب مفارق الرابع ان لا يفشي سرها وفي الحديث الصحيح
من افراد مسلم انه من شر الناس عند الله منزلة يوم القيمة الرجل يفضي الى المراة
وتفضي اليه ثم ينشر سرها وروي عن بعض الصالحين انه اراد طلاق امراته
فقيل له ما الذي يريبك منها فقال العاقل لا يهتك سرا فلما طلقها قيل له لم طلقتها
فقال مالي ولامراة غيري فهذا كله من بيان ما على الزوج القسم الثاني من
اداب المعاشرة ما على الزوجة لزوجها عن ابي امامة قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لو جاز لاحد ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد
لزوجها لعظم حقه عليها وفي هذا القسم احاديث كثيرة تدل على تاكيد حق
الزوج على زوجته وحقوقه عليها كثيرة واهمها امران احدهما الستر والصيانة
والقناعة وعلى هذا كان النساء في السلف كان الرجل اذا خرج من منزله تقول
له اهله اياك وكسب الحرام فانا نصبر على الجوع ولا نصبر على النار ومن الواجبات
عليها ان لا تفرط في ماله فان اطعمت عن رضاه كان له مثل اجرها وان كان بغير
رضاه كان له الاجر وعليها الوزر وينبغي لوالديها تاديبها قبل نقلها الى الزوج لتعرف
اداب العشرة وينبغي للمراة ان تكون قاعدة في بيتها لازمة لمغزلها قليلة الكلام
لجيرانها كثيرة الانقباض في حال غيبة زوجها تحفظه غايبا وحاضرا وتطلب مسرته
في جميع الاحوال ولا تخونه في نفسها ولا في ماله ولا توطي فراشه من يكره ولا باذن
في بيته الا باذنه ولكن همتها اصلاح شانها وتدبير بيتها قايمة بخدمة الدار في كل
ما امكنها ولكن مقدمة لحق زوجها على حق نفسها وحق جميع اقاربها اخر
كتاب النكاح كتاب اداب الكسب والمعايش وفضله وصحة
المعاملة وما يتعلق بذلك اعلم ان الله سبحانه وتعالى بلطيف حكمته جعل
الدنيا دار تسبب واكتساب تارة للمعاش وتارة للمعاد ونحن نورد اداب
التجارات والصناعات وضروب الاكتساب واسبابها ونشرحها فصل
في فضل الكسب والحث عليه قال الله تعالى وجعلنا النهار معاشا فذكره في معرض
الامتنان وقال تعالى وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون فجعلها نعمة و
طلب الشكر عليها وقال تعالى ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم وفي الحديث

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال طلب الحلال جهاد وان الله يحب العبد المحترف
وفي افراد البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اكل احد طعاما قط خيرا
من ان ياكل من عمل يده وان نبي الله داود كان ياكل من عمل يده وفي حديث
اخر ان زكريا عليه السلام كان نجارا قال ابن عباس كان ادم عليه السلام
حراثا ونوح نجارا وادريس خياطا وابرهيم ولوط زراعين وصالح تاجرا
وداود زرادا وموسى وشعيب ومحمد صلى الله عليهم وسلم رعاة واما الاثار
فروي ان لقمن الحكيم قال لابنه يا بني استعن بالكسب الحلال فانه ما افتقر
احد قط الا اصابه ثلث خصال رقة في دينه وضعف في عقله وذهاب
مروته واعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به وقيل لاحمد بن حنبل
ما تقول في رجل جلس في بيته او مسجده وقال لا اعمل شيا حتى ياتيني رزقي
فقال احمد هذا رجل جهل العلم اما سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله
جعل رزقي تحت ظل رمحي وقال حين ذكر الطير تغدو خماصا وتروح بطانا
وكان اصحاب رسول الله عليه السلام يتجرون في البر والبحر ويعملون
في نخلهم والقدوة بهم وقال ابو سليمن الداراني ليس العبادة عندنا
ان تصف قدميك وغيرك يتعب لك ولكن ابدا برغيفيك فاحرزهما ثم تعبد
فان قيل فقد قال ابو الدرداء زاولت التجارة والعبادة فلم يجتمعا فاخترت
العبادة فالجواب انا لا نقول ان التجارة تراد لذاتها بل الاستغناء عن الناس
واغناء العايلة وافاضة الفضل على الاخوان فاما ان كان المقصود نفس المال
وجمعه والتفاخر به ونحو ذلك فهو مذموم ولكن العقد الذي به الاكتساب
جامع لامور اربعة الصحة والعدل والاحسان والشفقة على الدين الامر الاول
في الصحة فان كان العقد بيعا فله ثلثة اركان العاقد والمعقود عليه واللفظ
اما العاقد فينبغي للتاجر ان لا يعامل المجنون لانه غير مكلف فلا يصح بيعه و لا
يعامل العبد الا ان يعلم انه ماذون له وكذلك الصبي لا يعامل الا ان يكون
قد اذن له الاب او الوصي فيصير بمنزلة العبد الماذون له وعند الشافعي لا تصح

عقود الصبي ومعاملة الاعمى عندنا
صحيحة بيعه وشراؤه وعند الشافعي
لا يصح

واما الظلمة ومن اكثر ماله حرام فلا ينبغي ان يعامل الا في شيء يعرف ان عينه حلال
الركن الثاني المعقود عليه وهو المال المقصود نقله ولا يجوز بيع الكلب لانه نجس
العين فاما البغل والحمار فيجوز بيعهما سواء قلنا انهما طاهران او نجسان ولا
يجوز بيع الحشرات ولا بيع العود والمزمار والصور المصنوعة من الطين و
نحوه ولا يجوز بيع ما لا يقدر على تسليمه حسا ولا شرعا اما الحس فكالطير في الهواء
والعبد الابق ونحوهما واما الشرع فكالمرهون وبيع الام دون الولد الصغير
او الولد دون الام فهذا لم تسلم شرعا الركن الثالث اللفظ وهو الايجاب و
القبول فان تقدم القبول للايجاب لم يصح في احدى الروايتين ويصح في الاخرى
سوى كان بلفظ الماضي او بلفظ الطلب فان تبايعا بالمعاطاة فظ كلام احمد
صحة البيع وقال القاضي ابو يعلى لا يصح ذلك الا في الاشياء اليسيرة وهذا اصلح
الاقوال اعني ان تكون المعاطاة في الاشياء المحقرة دون الاشياء النفيسة لجريان
العادات بذلك وينبغي من طريق الورع ان لا يترك الايجاب والقبول ليخرج
عن شبه الخلاف وقد شدد الله تعالى في امر الربا فينبغي ان يحذر من الوقوع
فيه وهو قسمان ربا الفضل وربا النسيئة فينبغي ان يعرف ذلك وما يجري فيه من
الربا ويحتاج ايضا ان يعرف شروط السلم والاجارة والمضاربة والشركة
فان المكاسب لا ينفك عن هذه العقود المذكورة فصل في الامر الثاني
وهو العدل واجتناب الظلم في المعاملة ونعني بالظلم ما يستضر به الغير وهو
ينقسم الى ما يعم ضرره وما يخص الاول الاحتكار وهو منهي عنه لما فيه من غلاء
السعر وتضييق الاقوات على الناس وصفته ان يستكثر من ابتياع الغلات
في الغلاء ويتربص بها زيادة الاسعار فاما اذا دخلت له غلة من ضيعته فحبسها
فليس محتكرا وكذلك اذا كان الشراء في حال الاتساع والرخص على صفة
لا يضيق على الناس وفي الجملة تكره التجارة في القوة لانه قوام الادمي القسم
الثاني ما يخص ضرره نحو ان يثني على السلعة بما ليس فيها او يكتم بعض
عيوبها فيضر بذلك المشتري وقد قال النبي عليه السلام من غشنا فليس منا و

واعلم ان الغش حرام في البيوع وفي الصناعات ايضا وقد سئل الامام احمد عن
رفو الثوب حتى لا يبين فقال لا يجوز لمن يبيعه ان يخفيه وينبغي للتاجر ان
يحقق الوزن ولا يتخلص في هذا حتى يرجح اذا اعطى وينقص اذا اخذ ومتى
خلط العلاف الطعام ترابا ثم كاله فهو مطفف وكذلك القصاب اذا خلط
عظما لم تجر العادة بمثله وقد نهى عن النجش وهو ان يزيد في السلعة من
لا يريد شراها ليغر المشتري ونهى عن التصرية فصل الامر الثالث في الاحسان
بالمعاملة وقد امر الله تعالى بالعدل والاحسان فمن الاحسان المسامحة في البيع
وان لا يغبنه في الربح بما لا يتغابن به في العادة فاما اصل المغابنة فماذون فيه لان
البيع للربح ولكن يراعي فيه التقريب فان بذل المشتري زيادة على الربح المعتاد
لشدة رغبته وحاجته فينبغي ان يمتنع البائع من قبول ذلك فان ذلك من
الاحسان ومن ذلك انه اذا اراد استيفاء الثمن او الدين فيحسن تارة بالمسامحة
وتارة بحط البعض وتارة بالانظار وتارة بالتساهل في جودة النقد ومن
الاحسان ان يقيل من يستقيله فانه لا يستقيل الا متضرر بالبيع والاحاديث تشهد
بفضل هذه الامور المذكورة وما لصاحبها من الاجر والثواب فصل الامر
الرابع شفقة التاجر على دينه فيما يخصه ويعم اخرته لا ينبغي للتاجر ان يشغله
معاشه عن معاده بل يراعي دينه وانما تتم شفقته على دينه بمراعاة ستة
اشياء الاول حسن النية في التجارة فلينو بها الاستعفاف عن السؤال وكف
الطمع عن الناس والقيام بكفاية العيال ليكون بذلك من جملة المجاهدين
ولينو النصح للمسلمين الثاني ان يقصد القيام في صناعته او تجارته بفرض من
فروض الكفايات فان الصناعة والتجارة لو تركت بطل المعاش الا ان من
الصناعة ما هو مهم ومنها ما يستغنى عنه لكونه متعلقا بالزينة او طلب التنعم
فليشتغل بصناعة مهمة ليكون في قيامه بها كافيا عن المسلمين مهما وليجتنب صناعة
الصياغة والنقش وتشييد البنيان بالجص وجميع ما يزخرف به فانه مكروه
ومن المعاصي خياطة الخياط القباء الديباج للرجل ويكره ان يكون جزارا لانه
يوجب قساوة القلب او حجاما او كناسا لما فيه من مباشرة النجاسة وفي معناه الدباغ

ولايجوز اخذ الاجرة على تعليم القران والعبادات وفروض الكفايات الثالث ان لا يمنعه
سوق الدنيا عن سوق الاخرة وسوق الاخرة المساجد فينبغي ان يجعل اول النهار
الى وقت دخول السوق لاخرته فيواظب على الاوراد وقد كان صالحوا السلف
من التجار يجعلون اول النهار واخره للاخرة ووسطه للتجارة واذا سمع اذان
الظهر والعصر فينبغي ان يترك المعاش اشتغالا باداء الفرض الرابع ان يلازم
ذكر الله تعالى في السوق ويشتغل بالتسبيح والتهليل الخامس ان لا يكون
شديد الحرص على السوق والتجارة فلا يكون اول من يدخل السوق ولا اخر
من يخرج منها السادس ان يقتصر على اجتناب الحرام بل يتوقى مواقع الشبه
ومواضع الريب ولا يقف مع الفتاوى بل يستفتي قلبه فيجتنب ما حك في القلب

كتاب الحلال والحرام

اعلم ان طلب الحلال فرض على كل مسلم وقد ادعى
كثير من الجهال عدم الحلال وقالوا لم يبق منه الا الماء الفرات والحشيش النبات
وما عدا ذلك فقد افسدته المعاملات الفاسدة فلما وقع لهم هذا وعلموا انه
لابد لهم من الاقوات توسعوا في الشبه والحرام وهذا من الجهل وقلة العلم فان
في الصحيحين من حديث النعمن ابن بشير ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الحلال
بين والحرام بين وبينهما مشتبهات ولما كانت هذه الدعوى من هولاء الجهال
بدعة قد عم ضررها واستطار في الدين شررها وجب كشف الغطاء عن فسادها
بالارشاد الى مدرك الفرق بين الحلال والحرام والشبهة ونحن نوضح ذلك في اقسام
الاول في فضيلة طلب الحلال وذم الحرام ودرجات الحلال والحرام قال الله تعالى
يا ايها الذين امنوا كلوا من الطيبات واعملوا صالحا والطيبات الحلال فامر
بذلك قبل العمل وقال في ذم الحرام ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الى غير ذلك من
الايات وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس ان
الله طيب لا يقبل الا طيبا وذكر الحديث الى قوله ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث
اغبر يمد يديه الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام
وغذي بالحرام فانى يستجاب لذلك رواه مسلم وروي في ذلك غير حديث وروي
ان سعدا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تستجاب دعوته فقال اطب طعمتك

طعمتك تستجب دعوتك وقد كان السلف ينظرون في الحلال ويدققون فيه
فاكل ابو بكر شيا من شبهة ثم قاءه

فصل في درجات الحلال والحرام

اعلم
ان الحلال كله طيب ولكن بعضه اطيب من بعض والحرام كله خبيث ولكن بعضه
اخبث من بعض كما ان الطبيب يحكم على كل حلو بالحرارة ولكنه يقول هذا حار
في الدرجة الاولى وهذا في الدرجة الثانية وهذا في الثالثة وهذا في الرابعة
مثال ذلك في الحرام الماخوذ بعقد فاسد حرام ولكنه ليس في درجة المغصوب
على سبيل القهر بل المغصوب اغلظ اذ فيه ايذاء الغير وترك طريق الشرع
في الاكتساب وليس في العقود الفاسدة الا ترك طريق التعبد فقط وكذلك
الماخوذ ظلما من فقير او صالح او يتيم اخبث واغلظ من الماخوذ من قوي
او غني او فاسق

فصل

والورع له درجات اربع الدرجة الاولى
وهي درجة العدول عن كل ما تقتضي الفتوى تحريمه وهذا لا يحتاج الى امثلة
الدرجة الثانية الورع عن كل شبهة لا يجب اجتنابها لكن يستحب كما ياتي
في قسم الشبهات ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك
الدرجة الثالثة الورع عن بعض الحلال مخافة الوقوع في الحرام الدرجة
الرابعة الورع عن ~~بعض الحلال مخافة الوقوع في الحرام~~ كل ما ليس لله تعالى وهو
ورع الصديقين مثال ذلك ما روي عن يحيى بن يحيى النيسابوري انه شرب دواء
فقالت له امراته لو مشيت في الدار قليلا حتى يعمل الدواء فقال هذه مشية لا
اعرفها وانا احاسب نفسي منذ ثلثين سنة فهذا رجل لم تحضره نية في هذه المشية
تتعلق بالدين فلم يقدم عليها فهذا من دقائق الورع والتحقيق فيه ان الورع له اول
وغاية وبينهما درجات في الاحتياط فكلما كان الانسان اشد تشديدا كان اسرع
جوازا على الصراط واخف ظهرا وتتفاوت المنازل في الاخرة بحسب تفاوت هذه
الدرجات في الورع كما تتفاوت دركات النار في حق الظلمة بحسب درجات الحرام
فان شئت فزد في الاحتياط وان شئت فترخص فلنفسك تحتاط وعليها تترخص

القسم الثاني

في مراتب الشبهات وتميزها عن الحلال والحرام وحديث النعمن بن
بشير نص في هذه الاقسام الثلثة وهي الحلال والحرام وما بينهما والمشكل فيها هو المتوسط

الذي لا يعرفه كثير من الناس وهو الشبهة ونحن نكشف الغطاء عنها فنقول الحلال
المطلق الذي لا يتعلق بذاته صفة توجب تحريم العين ولا يتعلق باسبابه ما
يطرق اليه تحريما او كراهية مثاله الماء الذي ياخذه الانسان من المطر قبل
ان يقع على ملك احد والحرام المحض ما فيه صفة محرمة كالشدة في الخمر والنجاسة
في البول او حصل بسبب منهي عنه كالمتحصل بالظلم والربا فهذان الطرفان معلومان
ظاهر انه يلتحق بهما ما تحقق امره ولكن يحتمل تغيره ولم يكن لذلك الاحتمال
سبب ظاهر يدل عليه فان صيد البر والبحر حلال الا انه من صاد ظبية او سمكة
فانه يحتمل ان يكون قد ملكها صياد ثم افلتت وهذا الاحتمال لا يتطرق
الى ماء المطر المختطف من الهواء فما كان ذلك الاحتمال في الصيد ورع الموسوسين
لانه وهم مجرد لا دلالة عليه فلو دل عليه دليل مثل ان يجد في الظبية جرحا لا
يقدر عليه الا بعد الضبط كالكي ويحتمل ان يكون غيره فهذا موضع الورع
وحد الشبهة ما تعارض فيه اعتقادان صدرا عن شيئين مقتضيين للاعتقادين
ومثارات الشبهة كثيرة والمهم منها مثاران الاول الشك في السبب المحلل او
المحرم وينقسم اربعة انواع الاول ان لا يكون الحل معلوما من قبل ثم يقع
الشك في المحلل فهذه شبهة يجب اجتنابها ويحرم الاقدام عليها مثاله ان
يرمي صيدا فيجرحه ويقع في الماء فيصادفه ميتا ولا يدري هل مات
بالغرق او بالجرح فهذا حرام لان الاصل التحريم النوع الثاني ان يعرف الحل و
يشك في المحرم فيكون الاصل الحل والحكم له كما لو طار طائر فقال رجل ان كان
هذا غرابا فامراته طالق وقال اخر ان لم يكن غرابا فامراته طالق ثم التبس الامر
فانا لا نقضي بالتحريم في واحدة منهما ولكن الورع اجتنابها وتطليقها النوع
الثالث ان يكون الاصل التحريم ولكن طرا ما يوجب التحليل بظن غالب فهو
مشكوك فيه والغالب حله مثاله ان يرمي الى صيد فيغيب عنه ثم يدركه ميتا
وليس عليه اثر سوى سهمه فهذا الظاهر فيه الحل لان الاحتمال اذا لم يستند
الى دليل التحق بالوسوسة فاما ان ظهر عليه اثر صدمة او جراحة اخرى التحق
بالنوع الاول النوع الرابع ان يكون الحل معلوما ولكن يغلب على الظن طريان المحرم

م بسبب معتبر في غلبة الظن شرعا مثاله ان يودي اجتهاده الى نجاسة احد
الانائين بالاعتماد على علامة معينة توجب عليه الظن فيوجب تحريم شربه كما
اوجب منع الوضوء به المثار الثاني ان يختلط الحرام بالحلال ويشتبه الامر
فيه وذلك على اضرب احدها اذا اختلطت ميتة بمذكاة او بعشرة من المذكيات
ونحو ذلك من العدد المحصور ومثله ان تشتبه اخته باجنبيات فهذه شبهة
يجب اجتنابها الثاني ان يختلط حرام محظور بحلال غير محظور كما لو اشتبهت
اخته او عشرة رضائع بنسوة بلد كبير فلا يلزم بهذا اجتناب نكاح اهل البلد
بل له ان ينكح من شاء منهن لان في تحريمهن حرجا كثيرا وكذلك من علم ان مال
الدنيا خالطه حرام قطعا لم يلزمه ترك الشرى والاكل لان في ذلك حرجا وقد
علم رسول الله عليه السلام واصحابه ان في الناس من يربي وما تركوا الدراهم
بالكلية وان مجنا سرق في زمانه وما تركوا شرى مجن فاجتناب هذا من ورع
الوسوسة
الثالث ان يختلط حرام لا يحصر بحلال لا يحصر كحكم الاموال في زماننا هذا فلا يحرم بهذا الاختلاط
تناول شيء بعينه الا ان يقترن بتلك العين علامة تدل على انه من الحرام نحو ان ياخذه
من يد سلطان ظالم فان لم يكن له علامة فتركه ورع ولا يحرم ذلك لانه قد علم في
زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده ان اثمان الخمار ودراهم الربا
وغلول الغنيمة اختلطت بالاموال وقد ادركت الصحابة نهب المدينة و
تصرف الظلمة ولم يمتنعوا من الشرى في السوق ولو لا صحة ذلك لانسد باب
جميع التصرفات فان الفسق يغلب على الناس لكن الاصل في الاموال الحل واذا
تعارض اصل وغالب ولا امارة على الغالب حكم بالاصل كما قلنا في طين الشوارع
واواني المشركين فقد توضا عمر من جر نصرانية مع ان شربهم الخمر ومطعمهم الخنزير
ولا يحترزون من نجاسة وكانت الصحابة تلبس الفرا المدبوغة والثياب
المصبوغة ومن تامل احوال الدباغين والصباغين علم غلبة النجاسة عليهم فيدل
ذلك على انهم لم يكونوا يحترزون الا من نجاسة مشاهدة او يكون عليها علامة
فاما الظن الذي يستار من رداء الوهم الى مجاري الاحوال فلم يعتبره فان قيل
قد كانوا يتوسعون في امور الطهارة ويحترزون من شبهات الحرام فما الفرق قلنا

ان اردت انهم كانوا يصلون مع النجاسة فباطل وان اردت انهم احترزوا من كل
نجاسة يجب اجتنابها فصحيح واما تورعهم عن الشبه فكان بطريق كف النفس
عما ليس به باس مخافة ما به باس والنفس تميل الى الاموال كيف كانت بخلاف
الانجاس وقد كانوا يتنعون ما يشغل قلوبهم من الحلال والله اعلم القسم
الثالث من الكتاب في الحلال والحرام البحث و السوال والهجوم والاهمال
ومظانهما اعلم انه لو قدم لك طعام او اهديت لك هدية او اردت
ان يشتري شيا من شخص فليس لك ان تقول هذا مما لا اتحقق حله فاريد
ان افتش عنه وليس لك ان تترك البحث مطلقا بل السوال واجب مرة وحرام
مرة ومندوب مرة ومكروه مرة والقول الشافي فيه ان مظنة السوال الريبة
وهي تحصل اما من امر يتعلق بالمال او بصاحب المال اما ما يتعلق بصاحب
المال فنحو ان يكون مجهولا وهو الذي ليس عليه قرينة تدل على ظلمه كزي
الاجناد ولا على صلاحه كثياب اهل العلم والزهد فها هنا لا يجب السوال
ولا يجوز لان فيه هتك المسلم وايذاءه ولا يقال لهذا انه مشكوك فيه لان
المشكوك فيه هو الذي يحصل فيه الريبة بدلالة مثل ان يكون على خلقة الاتراك
واهل البوادي المعروفين بالظلم وقطع الطريق فهذا يجوز معاملته لان
اليد تدل على الملك وهذه الدلالات ضعاف الا ان الترك من الورع واما
ما يتعلق بالمال فنحو ان يختلط الحرام بالحلال كما اذا طرح في السوق احمال
من طعام مغصوب فاشتراها اهل السوق فانه لا يجب على من يشتري في
تلك البلدة من السوق ان يسال عما يشتريه الا ان يظهر ان اكثر ما في ايديهم
حرام فعند ذلك يجب السوال فان لم يكن الاكثر كان التفتيش ورعا غير واجب
وكذلك تقول في رجل له مال حلال خالطه حرام مثل ان يكون تاجرا يعامل
معاملات صحيحة ويربي فهذا ان كان الاكثر من ماله حراما لم يجز قبول ضيافته
ولا هديته الا بعد التفتيش فان ظهر ان الماخوذ من وجه حلال جاز والا ترك
وان كان الحرام اقل فالماخوذ شبهة والورع تركه واعلم ان السوال انما
يقع لاجل الريبة فلا ينقطع الا من حيث تنقطع الريبة المقتضية له بان لا يكون

المسؤول متهما فان كان متهما او علمت ان له غرضا في حضورك او قبول هديته
فلا ثقة بقوله وينبغي ان يسال غيره القسم الرابع في باب الحلال والحرام وكيفية خروج
التائب عن المظالم المالية اعلم ان من تاب وفي يده مال مختلط فعليه تمييز الحرام
واخراجه فان كان معلوم العين فامره سهل وان كان ملتبسا مختلطا فان كان
من ذوات الامثال كالحبوب والنقود والادهان وكان معلوم القدر ميز ذلك القدر
فان اشكل فله طريقان احدهما الاخذ بغالب الظن والثاني الاخذ باليقين وهو الورع
فاذا اخرج المال الحرام فان كان له مالك معين وجب صرفه اليه او الى وارثه وان كان
لذلك المال زيادة ومنفعة جمع ذلك كله وصرفه اليه وان يايس من معرفة المالك
ولم يدر امات عن وارث ام لا فليتصدق به وان كان ذلك من مال الفي والاموال
المرصدة لمصالح المسلمين صرف ذلك الى القناطر والمساجد ومصالح طريق
مكة وما ينتفع به كل من يمر من المسلمين مسئلة اذا كان في يده مال حلال
وشبهة فليخص نفسه بالحلال وليقدم قوته وكسوته على اجرة الحجام والزيت و
اشعال التنور واصل هذا قوله صلى الله عليه وسلم في كسب الحجام اعلفه ناضحك
ولو كان في يد ابويه حرام فليمتنع من مواكلتهما فان كان شبهة داراهما فان لم
يقبلا تناول اليسير وقد روي ان ام بشر الحافي ناولته تمرة فاكلها ثم صعد
الغرفة فقاءها القسم الخامس فيما درار السلاطين وصلاتهم وما يحل
من مخالطة السلاطين الظلمة ونحو ذلك اعلم ان من اخذ مالا من السلطان فلابد
ان ينظر في مدخل ذلك الى السلطان من اين هو وفي صفته التي يستحق بها الاخذ
وفي المقدار الذي ياخذه هل يستحقه وقد تورع جماعة عن ذلك وكان فيهم
من ياخذه فيتصدق به واما في هذا الزمان فالاحتراز عنه اولى لانه قد علم
طريق الاخذ ثم لا ينال الا بالذل والسوال والسكوت على الانكار وقد كان
بعض السلف لا ياخذ ويعلل بان باقي المستحقين لم ياخذوا وهذا ليس بشيء
لانه ياخذ حقه ويبقى اولئك في مقام مظلوم وليس المال مشتركا ٥
فصل اعلم ان لك مع الامراء والعمال والظلمة ثلثة احوال الحالة الاولى
ان تدخل عليهم وهي شرها فقد روي عن النبي عليه السلام انه قال من اتى ابواب

السلاطين افتتن وما ازداد عبد من السلطان قربا الا ازداد من الله بعدا وقال
حذيفة اياكم ومواقف الفتن فقيل وما مواقف الفتن قال ابواب الامراء يدخل
احدكم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه وقال بعض الامراء لبعض
الزهاد الا تاتينا فقال اخاف ان ادنيتني فتنتني وان اقصيتني حرمتني وليس في
يدك ما اريده ولا في يدي ما اخافك عليه وانما اتاك من اتاك ليستغني بك عن
من سواك وقد استغنيت عنك بمن اغناك عني فهذه الاثار تبين كراهية
مخالطة السلاطين وايضا فان الداخل على السلطان معرض لان يعصي الله
عز وجل اما بفعله او قوله او سكوته اما الفعل فان الدخول عليهم في غالب
الاحوال يكون اما الى اماكن مغصوبة ولو فرض انه في موضع غير مغصوب ففي
الغالب يكون ملتحفا او ما يظله من خيمة او نحوها من ماله الحرام والانتفاع
بذلك حرام ولو فرض ذلك حلالا فربما يقع في غيره من المحذورات اما ان يسجد له
او يتمثل له قائما او يخدمه ويتواضع له بسبب ولايته التي هي آلة ظلمه والتواضع
للظالم معصية بل من تواضع لغني لاجل غناه لا لمعنى اخر يقتضي التواضع ذهب
ثلثا دينه فكيف اذا تواضع للظالم وتقبيل اليد له معصية الا ان يكون عند خوف
او لامام عادل او عالم يستحق ذلك فاما من ذكرنا فلا يباح في حقهم الا ان مجرد
السلام واما القول فهو ان يدعوا للظالم او يثني عليه او يصدقه فيما يقول
من باطل بصريح قوله او بتحريك راسه او باستبشار في وجهه او يظهر له الحب
والموالاة والاشتياق الى لقائه والحرص على طول بقائه فانه في الغالب لا
يقتصر على السلام بل يتكلم ولا يعدو كلامه هذه الاقسام وقد جاء في الاثر من
دعا الظالم بطول البقاء فقد احب ان يعصى الله ولا يجوز دعاءه له الا ان
يقول اصلحك الله او وفقك الله او نحو ذلك واما السكوت فهو ان يرى
في مجالسهم من الفرش الحرير واواني الفضة والملبوس الحرير على غلمانهم
من الحرير ونحو ذلك فيسكت وكل من راى شيا من ذلك وسكت فهو شريك
فيه وكذلك اذا سمع في كلامهم ما هو فحش وكذب وشتم وايذاء فان السكوت
عن ذلك كله حرام لانه يجب عليه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان قلت انه

انه يخاف على نفسه فهو معذور في السكوت قلنا صدقت الا انه مستغن عن ان يعرض نفسه
لارتكاب ما لا يباح الا بعذر لانه لو لم يدخل ويشاهد لم يجب عليه الامر والنهي وكل من
علم بفساد مكان وعلم انه اذا حضر لم يقدر على ازالته لم يجز له ان يحضر فصل فان
سلم مما ذكرناه كله وهيهات ان يسلم من فساد يتطرق الى قلبه لما يرى من توسعهم في
النعم فيزدري نعمة الله عليه ثم يقتدي به غيره في الدخول ويكون مكثرا سواد الظلمة وروى
ان سعيد بن المسيب دعي الى البيعة للوليد وسليمان ابني عبد الملك فقال لا ابايع اثنين
ما اختلف الليل والنهار فقالوا ادخل من هذا الباب واخرج من الاخر قال لا والله لا
يقتدي بي احد من الناس فجلد مائة والبس المسوح فعلى ما بينا لا يجوز الدخول
على الامراء الظلمة الا بعذرين احدهما الزام من جهتهم يخاف من الخلاف فيه الاذى
والثاني ان يدخل ليرفع ظلما عن مسلم فيجوز بشرط ان لا يكذب ولا يثني ولا يدع نصيحة
يتوقع لها قبولا فهذا حكم الدخول الحال الثاني ان يدخل عليه السلطان زائرا
فجواب السلام لا بد منه واما القيام والاكرام فلا يحرم مقابلة له على اكرامه
فانه باكرام العلم والدين مستحق للحمد كما انه بالظلم مستحق للذم فان دخل عليه وحده
وقد راى ان لا يقوم اعزازا للدين فهو اولى وان كان دخوله عليه في جمع فمراعاة
حشمة ارباب الولايات فيما بين الرعايا اولى وامثل ولا باس بالقيام على
هذه النية وان علم ان ذلك لا يورث فسادا في الرعية ولا يناله اذى من
غضبه فترك الاكرام بالقيام اولى ثم يجب عليه ان ينصحه ويعرفه تحريم ما
يفعله مما لا يدري انه محرم فاما اعلامه بتحريم الظلم وشرب الخمر فلا فائدة فيه
بل عليه ان يخوفه من ركوب المعاصي مهما ظن ان التخويف يؤثر في قلبه
وعليه ان يرشده الى المصالح ومتى عرف طريقا للشرع يحصل به غرض الظالم
عرفه اياه الحال الثالث ان يعتزل عنهم فلا يراهم ولا يرونه والسلامة في
ذلك ثم ينبغي ان يعتقد بغضهم على ظلمهم فلا يحب بقاهم ولا يثني عليهم ولا
يستخبر عن احوالهم ولا يتقرب الى المتصلين بهم ولا يتاسف على ما يفوته
بسبب مفارقتهم كما قال بعضهم انما بيني وبين الملوك يوم واحد اما يوم
مضى فلا يجدون لذته واني واياهم في غد على وجل وانما هو اليوم فما عسى ان يكون اليوم

مسئلة اذا بعث اليك السلطان مالا لتفرقه على الفقراء وكان له مالك معين
لم يحل اخذه وان لم يكن كان حكمه ان يتصدق به كما سبق بيانه ويتولى تفرقته على
الفقراء ومن العلماء من امتنع من اخذه واذا كان اكثر اموالهم الحرام حرمت
معاملتهم وما بنته الظلمة من القناطر والمساجد والسقايات ينبغي ان ينظر فيه
فان كانت تلك الاعيان التي بنيت بها لمالك معين لم يجز العبور عليها الا للضرورة
وان لم يعرف مالكها جاز العبور عليها والورع الامتناع والله اعلم

كتاب اداب الصحبة والاخوة ومعاشرة الخلق ونحو ذلك اعلم ان
الالفة ثمرة حسن الخلق والتفرق ثمرة سوء الخلق لان حسن الخلق يوجب التحاب
والتوافق وسوء الخلق يثمر التباغض والتدابر ولا يخفى ما في حسن الخلق
من الفضل والاحاديث دالة على ذلك فقد روي من حديث ابي الدرداء
عن النبي عليه السلام انه قال ما شيء اثقل في ميزان المؤمن يوم القيمة من
خلق حسن رواه الترمذي وصححه وفي حديث اخر ان احبكم الي واقربكم
مني مجلسا يوم القيمة احاسنكم اخلاقا وان ابغضكم الي وابعدكم مني مجلسا
يوم القيمة مساويكم اخلاقا وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن اكثر ما يدخل
الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق واما المحبة في الله تعالى
ففي الصحيحين من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله فذكر منهم ورجلان تحابا
في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه وفي حديث اخر يقول الله عز وجل
حقت محبتي للمتحابين في وحقت محبتي للمتباذلين في وحقت محبتي
للمتزاورين وفي حديث اخر اوثق عرى الايمان ان تحب في الله وتبغض
في الله والاحاديث في ذلك كثيرة واعلم ان من يحب في الله يبغض في الله
فانك اذا احببت انسانا لكونه مطيعا لله فاذا عصى الله ابغضته في الله
لان من احب لسبب ابغض لوجود ضده ومن اجتمعت فيه خصال محمودة
ومكروهة فانك تحبه من وجه وتبغضه من وجه فينبغي ان تحب المسلم
لاسلامه وتبغضه لمعصيته فيكون معه على حالة متوسطة بين الانقباض

ض والاسترسال فاما ما يجري منه مجرى الهفوة التي يعلم انه نادم عليها فالاولى حينئذ
الاغماض والستر فاذا اصر على المعصية فلا بد من اظهار اثر البغض بالاعراض عنه و
التباعد وتغليظ القول على حسب غلظ المعصية وخفتها واعلم ان المخالف
لامر الله تعالى على اقسام احدها ان يكون كافرا فان كان حربيا فهو مستحق القتل
والارقاق وليس بعد هذين اهانة وان كان ذميا فلا يجوز ايذاؤه الا بالاعراض
عنه والتحقير له بالاضطرار له الى اضيق الطرق وترك البداءة بالسلام فان سلم قيل له
وعليك والاولى والكف عن مخالطته ومعاملته ومواكلته ومن المكروه الاسترسال
اليه والانبساط كما يفعل بالاصدقاء القسم الثاني المبتدع فان كان ممن يدعوا
الى بدعته وكانت البدعة بحيث يكفر بها فامره اشد من الذمي لانه لا يقر بجزية ولا
يسامح بعقد ذمة وان كان ممن لا يكفر بها فامره بينه وبين الله تعالى اخف من امر
الكافر لا محالة ولكن الامر في الانكار عليه اشد منه على الكافر لان شر الكافر غير متعد لانه
لا يلتفت الى قوله بخلاف المبتدع الذي يدعوا الى بدعته لانه يزعم ان ما يدعوا اليه
حق فيكون سببا لغواية الخلق فشره متعد فاظهار بغضه والانقطاع عنه و
معاداته وتحقيره والتشنيع عليه ببدعته وتنفير الناس عنه اشد فاما المبتدع
العامي الذي لا يقدر ان يدعو ولا يخاف الاقتداء به فامره اهون والاولى ان
يتلطف به في النصح فان قلوب العوام سريعة التقلب فان لم ينفع النصح وكان
في الاعراض عنه تقبيح لبدعته في عينه تاكد به استحباب الاعراض عنه وان علم
ان ذلك لا يؤثر لجمود طبعه ورسوخ اعتقاده في قلبه فالاعراض اولى لان البدعة
اذا لم يبالغ في تقبيحها شاعت بين الخلق وعم فسادها القسم الثالث العاصي
بفعله لا باعتقاده فان كان بحيث يتاذى به غيره كالظلم والغصب وشهادة الزور
والغيبة والنميمة ونحو ذلك فالاولى الاعراض عنه وترك مخالطته والانقباض
عن معاملته وكذلك الحكم فيمن يدعوا غيره الى الفساد كالذي يجمع بين الرجال
والنساء ويهيئ اسباب الشرب لاهل الفساد فهذا ينبغي اهانته ومقاطعته
والاعراض عنه فاما الذي يفسق في نفسه بشرب خمر او زنا او سرقة او
ترك واجب فالامر فيه اخف ولكنه في وقت مباشرته ان صودف وجب منعه

بما يمتنع به فان كان النصح يرده وكان انفع له نصح والاغلظ له فصل في بيان
الصفات المشروطة فيمن تختار صحبته روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل واعلم انه لا يصلح للصحبة كل احد ولا بد
من ان يتميز المصحوب بصفات وخصال يرغب بسببها في صحبته ويشترط تلك
الخصال بحسب الفوايد المطلوبة من الصحبة وهي اما دنيوية كالانتفاع بالمال
والجاه او بمجرد الاستيناس بالمشاهدة والمجاورة وليس ذلك غرضنا واما
دينية ويجتمع فيها اغراض مختلفة منها الاستفادة في العلم والعمل ومنها الاستفادة
من الجاه تحصنا عن ايذاء من يكدر القلب ويصد عن العبادة ومنها استفادة
المال للاكتفاء عن تضييع الاوقات في طلب القوة ومنها الاستعانة في المهمات فتكون
عدة في المصايب وقوة في الاحوال ومنها انتظار الشفاعة في الاخرة كما قال بعض السلف
استكثروا من الاخوان فان لكل مومن شفاعة فهذه فوايد تستدعي كل فايدة شروطا
لا تحصل الا بها وفي الجملة ينبغي ان يكون فيمن تؤثر صحبته خمس خصال ان يكون عاقلا
حسن الخلق غير فاسق ولا مبتدع ولا حريص على الدنيا اما العقل فهو راس المال
ولا خير في صحبة الاحمق لانه يريد ان ينفعك فيضرك ونعني بالعاقل الذي يفهم الامور
على ما هي عليه اما بنفسه واما ان يكون بحيث اذا فهم فهم واما حسن الخلق فلا بد
منه اذ رب عاقل يغلبه غضب او شهوة فيطيع هواه فلا خير في صحبته واما الفاسق
فانه لا يخاف الله ومن لا يخاف الله تعالى لا تؤمن غايلته ولا يوثق واما المبتدع
فيخاف من صحبته سراية بدعته قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه عليك باخوان
الصدق يعيش في اكنافهم فانهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء وضع امر اخيك على
احسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه واعتزل عدوك واحذر صديقك الا الامين
ولا امين الا من يخشى الله ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك
واستشر في امرك الذين يخشون الله تعالى قال يحيى بن معاذ بئس الصديق صديق
تحتاج ان تقول له اذكرني في دعائك وان تعيش معه بالمداراة او تحتاج ان تعتذر اليه
ودخل جماعة على الحسن وهو نائم فجعل بعضهم ياكل من فاكهة في البيت فقال رحمك الله
هذا والله فعل الاخوان وقال ابو جعفر لاصحابه ايدخل احدكم يده في جيب اخيه فياخذ منه

منه ما يريد قالوا لا قال فلستم باخوان كما تزعمون ويروى ان فتحا الموصلي جاء الى صديق له
يقال له عيسى التمار فلم يجده في المنزل فقال للخادم اخرجي لي كيس اخي فاخرجته فاخذ منه
درهمين وجاء عيسى الى منزله فاخبرته الجارية بذلك فقال ان كنت صادقة فانت حرة
فنظر فاذا هي قد صدقت فعتقت فصل في بيان ما على الانسان لاخيه من الحقوق
الحق الاول قضاء الحاجات والقيام بها وذلك درجات ادناها القيام بالحاجة عند
السوال والقدرة لكن مع البشاشة والاستبشار واوسطها القيام بالحوايج من غير
سوال واعلاها تقديم حوايجه على حوايج النفس وقد كان بعض السلف يتفقد
عيال اخيه بعد موته اربعين سنة فيقضي حوايجهم الحق الثاني على اللسان بالسكوت
تارة وبالنطق اخرى اما السكوت فهو ان يسكت عن ذكر عيوبه في حضوره وغيبته
وعن الرد عليه ومماراته ومناقشته وعن السوال عما يكره ظهوره من احواله و
لا يسال اذا لقيه الى اين فربما لا يريد اعلامه بذلك وان يكتم سره ولو بعد القطيعة
ولا يقدح في احبابه واهله ولا يبلغه قدح غيره فيه وينبغي ان يسكت عن كل ما يكرهه
الا اذا وجب عليه النطق في امر بمعروف او نهي عن منكر ولم يجد رخصة في السكوت
فان مواجهته بذلك احسان اليه في المعنى واعلم انك ان طلبت منزها
عن كل عيب لم تجد ومن غلبت محاسنه على مساويه فهو الغاية قال ابن المبارك
المومن يطلب المعاذير والمنافق يطلب الزلات وقال الفضيل الفتوة
الصفح عن زلات الاخوان وينبغي ان تترك اساءة الظن باخيك و
ان تحمل فعله على الحسن مهما امكن وقد قال النبي عليه السلام اياكم
والظن فان الظن اكذب الحديث واعلم ان سوء الظن يدعوا
الى التجسس المنهي عنه وان ستر العيوب والتغافل عنها سيمة اهل الدين واعلم
انه لا يكمل ايمان المرء حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه واقل درجات الاخوان
يعامل اخاه بما يحب ان يعامله به ولا شك انك تنتظر من اخيك ان يستر عورتك
وان يسكت عن مساويك فلو ظهر لك منه ضد ذلك اشتد عليك فكيف تنتظر منه
ما لا تعزم عليه له ومتى التمست من الانصاف ما لا تسمح به دخلت في قوله تعالى الذين
اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون ومنشاء التقصير

في ستر العورة والمغري بكشفها الحقد والحسد واعلم ان من اشد الاسباب لاثارة
الحقد بين الاخوان المماراة ولا يبعث عليها الا اظهار التمييز بزيادة الفضل و
العقل واحتقار المردود عليه ومن مارى اخاه فقد نسبه الى الجهل والحمق او
الى الغفلة والسهو عن فهم الشيء على ما هو عليه وكل ذلك استحقار وهو يوغر
الصدر ويوجب المعاداة وهو ضد الاخوة الحق الرابع على اللسان بالنطق
فان الاخوة كما تقتضي السكوت عن المكروه تقتضي النطق بالمحبوب بل هو اخص
بالاخوة لان من قنع بالسكوت صحب اهل القبور وانما يراد الاخوان ليستفاد
منهم لا ليتخلص منهم لان السكوت معناه كف الاذى فعليه ان يتودد اليه
بلسانه ويتفقده في احواله ويسال عما عرض له ويظهر شغل قلبه بسببه و
يبدي السرور بما يسر به وفي الصحيح من رواية الترمذي اذا احب احدكم
اخاه فليعلمه ومن ذلك ان يدعوه باحب اسمائه قال عمر بن الخطاب رضي
ثلث يصفين لك ودّ اخيك تسلم عليه اذا لقيته وتوسع له في المجلس
وتدعوه باحب اسمائه اليه ومن ذلك ان تثني عليه بما تعرف من محاسن
احواله عند من يوثر هو الثناء عنده وكذلك الثناء على اولاده واهله و
افعاله حتى في خلقه وعقله وهيائته وخطه وتصنيفه وجميع ما يفرح به
من غير افراط ولا كذب وكذلك ينبغي ان تبلغه ثناء من اثنى عليه مع اظهار
الفرح به فان اخفاء ذلك محض الحسد ومن ذلك ان تشكره على صنيعه
في حقك وان تذب عنه في غيبته اذا قصد بسوء فحق الاخوة التشمير في الحماية
والنصرة وفي الحديث الصحيح المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومتى اهمل
الذب عن عرضه يكون قد اسلمه ولك في ذلك معياران احدهما ان تقدر
ان الذي قيل فيه قد قيل فيك وهو حاضر فتقول ما تحب ان يقوله الثاني ان
تقدر انه حاضر وراء جدار يستمع عليك فما تحرك في قلبك من نصرته في حضوره
ينبغي ان يتحرك في غيبته ومن لم يكن مخلصا في اخائه فهو منافق ومن ذلك
التعليم والنصيحة فليس حاجة اخيك الى العلم باقل من حاجته الى المال واذا
كنت غنيا بالعلم فواسه وارشده وينبغي ان يكون نصحك اياه سرا والفرق

ق بين التوبيخ والنصيحة الاعلان والاسرار كما ان الفرق بين المداراة والمداهنة
بالغرض الباعث على الاغضاء فان اغضيت لسلامة دينك ولما ترى فيه من صلاح
اخيك بالاغضاء فانت مدار وان اغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك
وسلامة جاهك فانت مداهن ومن ذلك العفو عن الزلات فان كانت زلته
في دينه فتلطف في نصحه بما امكن ولا تترك زجره ووعظه فان ابى فالمصارمة
الحق الخامس الدعاء للاخ في حياته وبعد موته بكل ما تدعو به لنفسك وفي
افراد مسلم من حديث ابي الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال دعوة
المرء المسلم لاخيه بظهر الغيب مستجابة عند راسه ملك موكل كلما دعا لاخيه
بخير قال الملك الموكل به امين ولك بمثل وكان ابو الدرداء يدعو الخلق كثير
من اخوانه يسميهم باسمائهم وكان احمد بن حنبل يدعو في السحر لستة نفر واما
الدعاء بعد الموت فقال عمرو بن حارث اذا دعا العبد لاخيه الميت اتى بها
ملك قبره فقال يا صاحب القبر الغريب هذه هدية من اخ شفيق الحق السادس
الوفاء والاخلاص ومعنى الوفاء الثبات على الحب الى الموت وبعد موت الاخ
مع اولاده واصدقائه وقد اكرم النبي عليه السلام عجوزا وقال انها كانت تغشانا
في ايام خديجة وان حسن العهد من الايمان ومن الوفاء ان لا يتغير على
اخيه في التواضع وان ارتفع شانه واتسعت ولايته وعظم جاهه واعلم
انه ليس من الوفاء موافقة الاخ فيما يخالف الدين فقد كان الشافعي اخا
محمد بن الحكم وكان يقربه ويقبل عليه فلما احتضر قيل له الى من نجلس بعدك
يا ابا عبد الله فاستشرف له محمد بن عبد الحكم وهو عند راسه ليومي اليه
فقال الى ابي يعقوب البويطي فانكسر لها محمد مع ان محمدا كان قد حمل عنه
مذهبه لكن البويطي كان اقرب الى الزهد والورع فنصح الشافعي المسلمين و
ترك المداهنة فانقلب ابن عبد الحكم عن مذهبه وصار من اصحاب مالك
ومن الوفاء ان لا يسمع بلاغات الناس على صديقه ولا يصادق عدو
صديقه الحق السابع التخفيف وترك التكليف وذلك بان لا يكلف اخاه
ما يشق عليه بل يروح سره عن مهماته وحاجاته ولا يستمد من جاهه ولا ماله و

لا يكلفه التفقد لاحواله والقيام بحقوقه والتواضع له بل يكون قصده بمحبة الله تعالى
وحده والتبرك بدعائه والاستيناس بلقائه والاستعانة على دينه والتقرب
الى الله تعالى بالقيام بحقوقه وتمام التحقيق طي بساط الاحتشام حتى لا يستحيي
منه فيما لا يستحيي منه من نفسه قال جعفر بن محمد اثقل اخواني علي من
يتكلف لي واتحفظ منه واخفهم على قلبي من اكون معه كما اكون وحدي
وقال بعض الحكماء من سقطت كلفته دامت الفته ومن تمام هذا الامر
ان ترى الفضل لاخوانك عليك لا لنفسك عليهم فتنزل نفسك معهم منزلة
الخادم فصل ولنذكر في اخر هذا الباب جملة من اداب المعاشرة للخلق
فمن حسن المعاشرة ان تتوقر في غير كبر وتتواضع في غير ذلة وان تلقى الصديق
والعدو بوجه الرضا من غير ذل لهم ولا خوف منهم وتحفظ في مجالسك
من تشبيك اصابعك وادخال اصبعك في انفك وكثرة بصاقك والتثاوب
واصغ الى من حدثك ولا تسال الاعادة ولا تحدث باعجابك بولدك و
جاريتك ولا تتصنع تصنع المراة في التزين ولا تتبذل تبذل العبد و
خوف اهلك في غير عنف ولن لهم من غير ضعف ولا تهازل امتك وعبدك
فيسقط وقارك ولا تكثر الالتفات الى ورائك ولا تجالس السلطان
فان فعلت فاحذر الذنوب والغيبة وصن سره واحذر الدعابة عنده
وتحفظ من الجشاء بحضرته والتخلل وان قربك فكن منه على حذر وان
استرسل اليك فلا تامن انقلابه عليك وارفق به رفقك بالصبي وكلمه
بما يشتهيه ولا تدخل بينه وبين اهله وحشمه واياك وصديق العافية
ولا تجعل مالك اكرم من عرضك واذا دخلت مجلسا فاجلس فيما هو
اقرب للتواضع ولا تجلس على الطريق فان جلست فغض البصر وانصر
المظلوم وارشد الضال ولا تبصق في جهة القبلة ولا عن يمينك لكن
عن يسارك تحت قدمك اليسرى واحذر مجالسة العوام فان فعلت
فعليك بالتغافل عما يجري من سوء اخلاقهم وترك الخوض في حديثهم و
احذر كثرة المزاح فان اللبيب يحقد عليك في المزاح والسفيه يجترئ عليك

عليك باب في حقوق المسلم والرحم والجوار والملك ونحو ذلك
فمن حقوق المسلم ان تسلم عليه اذا لقيته وتجيبه اذا دعاك وتشمته اذا
عطس وتعوده اذا مرض وتشهد جنازته اذا مات وتبر قسمه وتنصح له
اذا استنصحك وتحفظه بظهر الغيب اذا غاب وتحب له ما تحب لنفسك
وجميع هذا منقول في الاثار ومنها ان لا تؤذي احدا من المسلمين بقول
ولا فعل وان تتواضع للمسلمين فلا تتكبر عليهم ولا تسمع بلاغات الناس
بعضهم في بعض ولا تبلغ بعضهم ما تسمع من بعض ومنها ان لا تزيد في الهجرة
على ثلثة ايام لمن تعرفه للحديث المشهور في ذلك وفي حديث اخر عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يحل لمؤمن ان يهجر مؤمنا فوق ثلثة ايام
فاذا مرت به ثلثة ايام فليلقه فليسلم عليه فان رد عليه السلام فقد اشتركا
في الاجر وان لم يرد عليه فقد برئ المسلم من الهجرة واعلم ان هذه الهجرة انما
هي فيما يتعلق بالدنيا اما في حق الدين فان هجران اهل البدع والاهواء والمعاصي
ينبغي ان تدوم ما لم تظهر منهم التوبة والرجوع الى الحق ومنها ان يحسن الى
كل من قدر ان يحسن اليه من المسلمين ما استطاع وان لا يدخل على احد منهم
الا باذنه ويستاذن ثلثا فان لم ياذن انصرف ومنها ان يخالق الناس بخلق حسن
وذلك ان يعامل كلا على حسب طريقته فانه متى لقي الجاهل بالعلم واللاهي
بالفقه والغبي بالبيان اذى وتاذى ومنها ان يوقر المشايخ ويرحم الصبيان و
ان يكون مع الخلق كافة طلق الوجه رفيقا وان يفي لهم بالوعد وينصف الناس
من نفسه ولا ياتي اليهم الا ما يحب ان يؤتى اليه قال الحسن اوحى الله تعالى الى ادم
عليه السلام اربع كلمات وقال فيهن جماع الخير لك ولولدك واحدة لي وواحدة
لك وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك وبين الخلق فاما التي لي فتعبدني لا
تشرك بي شيا واما التي لك فعملك اجزيك به افقر ما تكون اليه واما التي
بيني وبينك فعليك الدعاء وعلي الاجابة واما التي بينك وبين الناس
فتصحبهم بالذي تحب ان يصحبوك به ومنها زيادة توقير ذوي الهيات ومنها
اصلاح ذات البين وستر عورات المسلمين واعلم انه من تامل ستر الله على

العصاة في الدنيا اقتدى بلطفه فانه جعل الشهادة في الزنا ان يشهد اربعة من العدول
انهم شاهدوا ذلك كالميل في المكحلة وهذا لا يتفق ومن هذا اثر كرمه في الدنيا
يرجى منه ذلك في الاخرة ومنها ان يتقي مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء
الظن والسنتهم عن غيبته ومنها ان يشفع لكل من له حاجة من المسلمين الى من عنده
منزلة ويسعى في قضا حوايجهم ومنها ان يبدا بالسلام كل مسلم قبل ان يكلم ومن
السنة المصافحة فقد روي عن انس عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ما من
مسلمين التقيا فاخذ احدهما بيد صاحبه الا كان حقا على الله عز وجل ان يحضر
دعائهما ولا يفرق بين ايديهما حتى يغفر لهما وفي حديث اخر اذا تصافح المؤمن
المؤمن نزلت عليهما مائة رحمة تسعة وتسعين لابشهما واحسنهما خلقا
ولا باس بتقبيل يد المعظم في الدين تبركا به ولا باس بالمعانقة واما الاخذ بالركاب
لتوقير العلماء فقد فعل ذلك ابن عباس بزيد بن ثابت والقيام على سبيل الاكرام
لاهل الفضل حسن واما الانحناء فمنهي عنه ومنها ان يصون عرض اخيه المسلم
ونفسه وماله عن ظلم الغير ويناضل دونه وينصره ومنها انه اذا بلي بذي
شر فينبغي الاجمال وتقيه بحديث عائشة وقال محمد بن الحنفية ليس بحكيم
من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله عز وجل له فرجا
ومنها ان يجتنب مخالطة الاغنياء ويختلط بالمساكين ويحسن الى الايتام
ومنها عيادة مرضاهم ومن ادب العائد ان يضع يده على المريض ويساله
كيف هو ويخفف الجلوس ويظهر الرقة ويدعو له بالعافية ويغض البصر عن
عورات المكان ويستحب للمريض ان يفعل ما اخرجه مسلم في افراده من حديث
عثمان بن ابي العاص انه شكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعا يجده في
جسده منذ اسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ضع يدك على الذي يالم من
جسدك وقل بسم الله ثلثا وقل سبع مرات اعوذ بعزة الله وقدرته من
شر ما اجد واحاذر وجملة ادب المريض حسن الصبر وقلة الشكوى والتضجر
والفزع الى الدعاء والتوكل على الله سبحانه ومنها ان يشيع جنايزهم ويزور
قبورهم والمقصود من التشييع قضاء حق المسلمين والاعتبار قال

الاعمش كنا نحضر الجنايز فلا ندري من نعزي لحزن القوم كلهم والمقصود من
زيارة القبور الدعاء والاعتبار وترقيق القلب ومن اداب تشييع الجنايز المشي
ولزوم الخشوع وترك الحديث وملاحظة الميت والتفكر في الموت والاستعداد
له واما حقوق الجار فاعلم ان الجوار يقتضي حقا وراء ما يقتضيه اخوة
الاسلام فيستحق ما يستحقه كل مسلم وزيادة وجاء في الحديث ان الجيران ثلثة
جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلثة حقوق فالجار الذي له ثلثة
حقوق الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم واما الذي
له حق واحد فالجار المشرك واعلم انه ليس حق الجوار كف الاذى فقط بل
احتمال الاذى والرفق واسداء الخير وان يبدا جاره بالسلام ولا يطيل معه
الكلام ويعوده في المرض ويعزيه في المصيبة ويهنيه في الفرح ويصفح عن زلاته
ولا يطلع الى داره ولا يضايقه في وضع الخشب على جداره ولا في صب الماء في
ميزابه ولا في طرح التراب في فنائه ولا يتبع النظر فيما يحمله الى داره ويستر ما
ينكشف له من عورته ولا يستمع عليه كلامه ويغض طرفه عن حرمته ويلاحظ حوايج
اهله فصل واما حقوق الاقارب والرحم ففي الحديث الصحيح من
رواية عايشة ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال الرحم معلقة بالعرش تقول
من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله وفي حديث اخر من افراد
البخاري ليس الواصل بالمكافي ولكن الواصل الذي اذا قطعت رحمه وصلها وفي
حديث اخر من افراد مسلم ان رجلا قال يا رسول الله ان لي قرابة اصلهم و
يقطعوني واحسن اليهم ويسيئون الي واحلم عنهم ويجهلون علي قال لان كنت
كما تقول فكانما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك
والمعنى انك منصور عليهم وقد انقطع احتجاجهم عليك بحق القرابة كما ينقطع
كلام من سف المل وهي الرماد الحار والاحاديث في ذلك كثيرة مشهورة في
صلة الرحم وفي حقوق الوالدين وفي تاكد حق الام واما حقوق الولد فاعلم
انه لما كانت الطباع تميل الى الولد لم يحتج الى تاكيد الوصية به الا انه قد يغلب هوى
الوالد للولد فيترك تعليمه وتاديبه وقد قال الله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا قال المفسرون

له حقان فالجار المسلم له حق الاسلام وحق الجوار واما الذي

معناه علومهم وادبوهم وينبغي للوالد ان يحسن اسم ابنه ويعق عنه فاذا بلغ سبع سنين
امره بالصلوة وختنه فاذا بلغ زوجه واما حقوق المملوك بان يطعمه و يكسوه
ولا يكلفه ما لا يطيق ولا ينظر اليه بعين الازدراء وان يعفو عن زلله وليتذكر عند الله
زلل نفسه فيعفو رجاء ان يعفو الله تعالى عنه **باب العزلة** اختلف الناس في العزلة
والمخالطة ايتهما افضل مع ان كل واحدة منهما لا تنفك عن فوايد وغوايل واكثر الزهاد
اختاروا العزلة وممن ذهب الى اختيار العزلة سفين الثوري وابرهيم بن ادهم
وداود الطائي والفضيل وبشر الحافي في اخرين وممن ذهب الى استحباب المخالطة سعيد
بن المسيب وشريح والشعبي وابن المبارك في اخرين ولكل طائفة فيما ذهبت اليه حجج
ونحن نشير الى ذلك اما حجة الاولين فقد روي في الصحيحين من حديث ابي سعيد
قال قيل يرسول الله اي الناس خير قال رجل يجاهد بنفسه وماله ورجل في
شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره وفي حديث عقبة بن عامر
قال قلت يرسول الله ما النجاة قال املك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك
وقال عمر بن الخطاب خذوا بحظكم من العزلة وقال سعد بن ابي وقاص لوددت
ان بيني وبين الناس بابا من حديد لا يكلمني احد ولا اكلمه حتى القى الله سبحانه
وقال ابن مسعود كونوا ينابيع العلم مصابيح الليل احلاس البيوت جدد القلوب
خلقان الثياب تعرفون في اهل السماء وتخفون على اهل الارض وقال ابو الدردا
نعم صومعة المرء المسلم بيته يكف لسانه وفرجه وبصره واياكم ومجالس الاسواق
فانها تلهي وتلغي وقال داود الطائي فر من الناس كما تفر من الاسد وقال ابو مهلهل
اخذ بيدي سفين الثوري واخرجني الى الجبانة فاعتزلنا ناحية فبكا ثم قال يا
مهلهل ان استطعت ان لا تخالط في زمانك احدا فافعل وليكن همك مرمة
جهازك واما حجة من اختار المخالطة فمن ذلك قول النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم خير من الذي لا يخالطهم
ولا يصبر على اذاهم واحتجوا باشياء غير ذلك ضعيفة لا تقوم بها حجة على ذلك منها
قوله تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا وهذا ضعيف لان المراد تفرق الاراء
والمذاهب في اصل الشريعة واحتجوا ايضا بقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة فوق ثلث

ثلث قالوا والعزلة هجرة بالكلية وهذا ضعيف لان المراد به قطع الكلام والسلام والمخالطة
المعتادة **فصل في ذكر فوايد العزلة وغوائلها** وكشف الحق في فضلها اعلم ان
اختلاف الناس في هذا ايضا هو اختلافهم في فضيلة النكاح والعزوبة وقد ذكرنا ان ذلك
يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص وكذلك نقول فيما نحن فيه فلنذكر اولا فوايد
العزلة وهي ست الاولى الفراغ للعبادة والاستيناس بمناجاة الله سبحانه
فان ذلك يستدعي فراغا ولا فراغ مع المخالطة فالعزلة وسيلة الى ذلك خصوصا
في البداية قيل لبعض الحكماء الى اي شيء افضى بهم الزهد والخلوة فقال الى
الانس بالله وقال اويس رضي الله عنه ما كنت اري ان احدا يعرف ربه فيانس بغيره
واعلم ان من تيسر له بدوام الذكر الانس بالله او بدوام الفكر تحقيق معرفة
الله فالتجريد لذلك افضل من كل ما يتعلق بالمخالطة **الفائدة الثانية**
التخلص بالعزلة عن المعاصي التي يتعرض لها الانسان غالبا بالمخالطة وهي
اربعة احدها الغيبة فان عادة الناس التمضمض بالاعراض والتفكه بها فان
خالطتهم ووافقتهم اثمت وتعرضت لسخط الله تعالى وان سكت كنت شريكا
فان المستمع احد المغتابين وان انكرت ابغضوك واغتابوك فازدادوا
غيبة الى الغيبة وربما خرجوا الى الشتم **الثانية** الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
فان من خالط الناس لم يخل عن مشاهدة المنكرات فان سكت عصى الله
وان انكر تعرض لانواع من الضرر وفي العزلة سلامة من هذا **الثالثة**
الرياء وهو الداء العضال الذي يعسر الاحتراز منه واول ما في مخالطة الناس
اظهار التشوق اليهم ولا يخلو ذلك عن الكذب اما في الاصل واما في الزيادة
وقد كان السلف يحترزون في جواب قول القائل كيف اصبحت وكيف امسيت
كما قال بعضهم وقد قيل له كيف اصبحت قال اصبحنا ضعفاء مذنبين نأكل
ارزاقنا وننتظر اجالنا واعلم انه اذا كان سؤال السائل لاخيه كيف اصبحت
لا يبعثه عليه شفقة ولا محبة كان تكلفا ورياء وربما سأله وفي القلب ضغن
وحقد يؤثر ان يعلم فساد حاله وفي العزلة الخلاص عن هذا لان من لقي الخلق ولم
يخالقهم باخلاقهم مقتوه واستثقلوه واغتابوه ويذهب دينهم فيه ويذهب دينه

ودنياه في الانتقام منهم الرابعة مسارقة الطبع من اخلاقهم الردية وهو داء دفين
فلما تتنبه له العقلاء فضلا عن الغافلين وذلك انه قل ان يجالس الانسان فاسقا
مدة كونه منكرا عليه في باطنه الا ولو قاس نفسه الى ما قبل مجالسته وجد فرقا في النفور مع
عن الفساد لان الفساد يصير بكثرة المباشرة هينا على الطبع ويسقط وقعه و
استعظامه ومهما طالت مشاهدة الانسان الكباير من غيره واحتقر الصغاير
من نفسه كما ان الانسان اذا لاحظ احوال السلف في الزهد والتعبد احتقر نفسه
واستصغر عبادته فيكون ذلك داعية الى الاجتهاد وبهذه الدقيقة يعرف سر
قول القائل عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ومما يدل على سقوط وقع الشي بسبب
تكريره ومشاهدته ان اكثر الناس اذا راوا مسلما افطر في رمضان استعظموا ذلك
حتى يكاد يفضي الى اعتقادهم فيه الكفر وقد يشاهدون من يوخر الصلاة عن
اوقاتها فلا ينفرون عنه نفورهم عن تاخير الصوم مع ان ترك صلاة واحدة تخرج الى
الكفر ولا سبب لذلك الا ان الصلاة تتكرر والتساهل فيها يكثر وكذلك لو لبس الفقيه
ثوبا من حرير او خاتما من ذهب لاشتد انكار الناس لذلك وقد يشاهدونه يغتاب
فلا يستعظمون ذلك والغيبة اشد من لبس الحرير لكن بكثرة سماعها ومشاهدة المغتابين
سقط عن القلوب وقعها فافطن لهذه الدقايق واحذر مجالسة الناس فانك لا
تكاد ترى منهم الا ما يزيد في حرصك على الدنيا وفي غفلتك عن الاخرة وتهون عليك
المعصية وتضعف رغبتك في الطاعة فان وجدت مجلسا يذكر الله فيه فلا تفارقه
فانه غنيمة المومن الفائدة الثالثة الخلاص من الفتن والخصومات وصيانة الدين
عن الخوض فيها فانه قل ما تخلوا البلاد من العصبية والخصومات والمعتزل عنها في
سليم وقد روى ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الفتن ووصفها وقال اذا
رايت الناس قد مرجت عهودهم وخفت اماناتهم فكانوا هكذا وشبك بين اصابعه
فقلت ما تامرني فقال الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما
تنكر وعليك بامر الخاصة ودع امر العامة وقد روى غير ذلك من الاحاديث في
معناه الفائدة الرابعة الخلاص من شر الناس فانهم يوذونك مرة بالغيبة ومرة
بالنميمة ومرة بسوء الظن ومرة بالتهمة ومرة بالاطماع الكاذبة ومن خالط الناس

لبعضهم
اطلب الغنى [illegible] الناس حلى
وذق [illegible]
واترك الاصحاب [illegible]

لم ينفك عن حاسد وعدو وغير ذلك من انواع الشر التي يلقاها الانسان من معارفه
وفي العزلة خلاص من ذلك كما قال بعضهم ٥ عدوك من صديقك مستفاد ٥
فلا تستكثرن من الصحاب ٥ فان الداء اكثر ما تراه ٥ يكون من الطعام او الشراب ٥
وقال عمر رضي في العزلة راحة من خلطاء السوء وقال ابرهيم بن ادهم لا تتعرف
الى من لا تعرف وانكر من تعرف وقال رجل لاخيه اصحبك الى الحج فقال دعنا نعش في
ستر الله فانا نخاف ان يرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه وهذه فائدة اخرى
في العزلة وهي بقاء الستر على الدين والمروة وساير العورات الفائدة الخامسة ان
ينقطع طمع الناس عنك وطمعك عنهم اما طمعهم فان رضاهم غاية لا تدرك
فالمنقطع عنهم قاطع لطمعهم في حضور ولايمهم واملاكاتهم وغير ذلك وقد قيل من عم
الناس بالحرمان رضوا عنه كلهم واما انقطاع طمعك فان من نظر الى زهرة الدنيا
تحرك حرصه وانبعث بقوة الحرص طمعه ولا يرى الا الخيبة في اكثر المطامع فيتاذى و
في الحديث انظروا الى من دونكم ولا تنظروا الى من فوقكم فانه اجدر ان لا تزدروا
نعمة الله عليكم وقال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة
الدنيا الفائدة السادسة الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى ومقاساة اخلاقهم
واذا تاذى الانسان بالثقلاء لم يلبث ان يغتابهم فان اذوه بالقدح فيه كافاهم
فانجر الامر الى فساد الدين وفي العزلة سلامة من ذلك فصل في افات
العزلة اعلم ان المقاصد الدينية والدنيوية ما يستفاد من الاستعانة بالغير ولا يحصل
ذلك الا بالمخالطة ومن فوائد المخالطة التعلم والتعليم والنفع والانتفاع والتاديب و
التادب والاستيناس والايناس ونيل الثواب في القيام بالحقوق واعتياد
التواضع واستفادة التجارب من مشاهدة الاحوال والاعتبار بها فهذه فوايد
الخلطة ولنفصلها الفائدة الاولى التعليم والتعلم وقد ذكرنا فضلهما في كتاب
العلم فامامن تعلم الفرض وراى انه لا يتاتى منه الخوض في العلوم وراى الاشتغال
بالعبادة فليعتزل وان كان يقدر على التبرز في علوم الشرع فالعزلة في حقه قبل التعلم
غاية الخسران ولهذا قال الربيع بن خثيم تفقه ثم اعتزل والعلم اصل الدين والاخير في
عزلة العوام سئل بعض العلماء ما تقول في عزلة الجاهل فقال خبال ووبال فقيل له

فالعالم فقال مالك ولها دعها معها غذاؤها وسقاؤها ترد الماء وتاكل الشجر حتى يلقاها ربها واما التعليم ففيه ثواب عظيم اذا صحت النية فيه ومتى كان القصد اقامة الجاه والاستكثار من الاتباع فهو هلاك الدين وقد سبق ذلك في كتاب العلم والغالب في هذا الزمان القصد من المتعلمين فيقتضي الدين الاعتزال عنهم فان صودف طالب لله ومتقرب بالعلم اليه لم يجز الاعتزال عنه ولا يحل كتمان العلم ولا ينبغي ان يغتر بقول من قال تعلمنا العلم لغير الله فابى ان يكون الا لله فانه اشار بهذا الى علوم القران والحديث ومعرفة سير الانبياء والصحابة وذلك يتضمن التخويف والتحذير وهو سبب لاثارة الخوف من الله تعالى فان لم يؤثر في الحال اثر في المال فاما الكلام وعلم الخلاف فانه لا يرد الراغب في الدنيا الى الله تعالى بل لا يزال صاحبه متماديا في حرصه الى اخر عمره الفايدة الثانية النفع والانتفاع اما الانتفاع بالناس فبالكسب والمعاملة والمحتاج الى ذلك مضطر الى ترك العزلة واما ان كان معه ما يقنعه فالعزلة افضل الا ان يقصد التصدق بكسبه فذلك افضل من العزلة الا ان تكون العزلة مفيدة له معرفة الله تعالى والانس به لا عن اوهام وخيالات فاسدة واما النفع فهو ان ينفع الناس اما بماله او ببدنه لقضاء حوائجهم ومن قدر على ذلك مع القيام بحدود الشرع فهو افضل من العزلة ان كان لا تشتغل في عزلته الا بنوافل الصلوات والاعمال البدنية وان كان ممن انفتح له طريق العمل بالقلب بدوام ذكر او فكر فذلك الذي لا يعدل به البتة الفائدة الثالثة التاديب والتادب ونعني به الارتياض بمقاساة الناس والمجاهدة في تحمل اذاهم وكسر النفس وقهر الشهوات وذلك افضل من العزلة في حق من لم تتهذب اخلاقه وينبغي ان يفهم ان الرياضة لا تراد لنفسها كما لا يراد ذلك من رياضة الدابة بل المراد منها ان تتخذ مركبا تقطع عليه المراحل والبدن مطية يسلك بها طريق الاخرة وفيها شهوات ان لم تكسر جمحت براكبها في الطريق فمن اشتغل طول عمره بالرياضة كان كمن اشتغل طول عمره برياضة الدابة ولم يركبها ولا يستفيد الا الخلاص من عضها ورفسها وهي لعمري فائدة ولكن ليست معظم المقصود كما قيل لراهب يا راهب فقال لست براهب انما انا كلب عقور حبست نفسي حتى لا اعقر الناس وهذا حسن بالاضافة الى من يعقر لكن لا ينبغي ان يقتصر عليه واما

سوء ح

واما التاديب فهو ان يودب غيره ويتطرق اليه من دقايق الافات ما يتطرق الى نشر العلم على ما ذكر الفائدة الرابعة الاستيناس والايناس وقد يكون مستحبا كالاستيناس باهل التقوى وقد يقصد به ترويح القلوب من كرب الوحدة فينبغي ان يكون الاستيناس في بعض الساعات بحيث لا يفسد بقيتها وليحرص ان يكون حديثه عند الاستيناس في امور الدين الفائدة الخامسة في نيل الثواب وانالته اما الاول فبحضور الجنائز وعيادة المرضى وحضور الاملاكات والدعوات ففيها ثواب من جهة ادخال السرور على المؤمن واما الثاني فهو ان يفتح بابه للناس ليعزوه او يهنوه او يعودوه فانهم ينالون بذلك ثوابا وكذلك ان كان من العلماء فاذن لهم في زيارته ولكن ينبغي ان يزن ثواب هذه المخالطات بافاتها فترجح العزلة او المخالطة وقد كان اكثر السلف يؤثرون العزلة عليها الفائدة السادسة التواضع ولا يقدر الانسان على ذلك في الوحدة فقد يكون الكبر سببا في اختياره العزلة ويمنعه من المحافل التقصير في اكرامه وتقديمه وربما ترفع عن مخالطتهم لارتفاع محله عند نفسه او نحو ذلك وعلامة من هذه صفته ان يحب ان يزار ولا يحب ان يزور ويفرح بتقرب السلاطين والعوام اليه واجتماعهم على بابه وتقبيل يده فالعزلة بهذا السبب جهل لان التواضع لا يغض من منصب الكبير فاذا عرفت فوايد العزلة وغوائلها تحققت ان الحكم عليها مطلقا بالتفضيل نفيا واثباتا خطا بل ينبغي ان ينظر الى الشخص وحاله والى الخليط وحاله والى الباعث على مخالطته والى الفايت بسبب مخالطته من الفوايد ويقاس الفايت بالحاصل فعند ذلك يتبين الحق ويتضح الافضل فقد قال الشافعي رحمه الله الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط اليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين القبض والبسط ومن ذكر سوى هذا فهو قاصر وانما هو اخبار عن حاله فلا يجوز ان يحكم بها على غيره المخالف له في الحال فان قيل فما اداب العزلة قلنا ينبغي للمعتزل ان ينوي بعزلته كف شره عن الناس ثم طلب السلامة من شر الاشرار ثم الخلاص من افة القصور عن القيام بحقوق المسلمين ثم تجريد الهمة لعبادة الله تعالى ابدا فهذا ادب نيته ثم ليكن في خلوته مواظبا على العلم والعمل والذكر والفكر فيجتني ثمرة العزلة وليمنع الناس عن ان يكثروا غشيانه وزيارته ليصفو وقته وليكف عن

السؤل عن اخبارهم وعن الاصغاء الى اراجيف البلاد وما الناس مشغولون
به فان جميع ذلك ينغرس في القلب حتى ينبعث في اثناء الصلاة فوقوع الاخبار
في السمع كوقوع البذر في الارض وليقنع باليسير من المعيشة والا اضطره التوسع الى
مخالطة الناس وليكن صبورا على ما يلقاه من اذى الناس ولا يصغى الى الثناء عليه
بالعزلة ولا القدح فيه بترك المخالطة فان ذلك يوثر في القلب فيقف عند السير في طريق
الاخرة وليكن له جليس صالح يستريح اليه ساعة عن كد المواظبة ففي ذلك عون
على بقية الساعات ولا يتم الصبر في العزلة الا بقطع الطمع عن الدنيا ولا ينقطع
طمعه الا بقصر امله فيقدر انه اذا اصبح لا يمسي واذا امسى لا يصبح فيسهل عليه صبر
يوم وليكن كثير الذكر للموت ووحدة القبر متى ضاق عليه قلبه من الوحدة وليتحقق
ان من لم يحصل قلبه من ذكر الله ومعرفته ما يانس به لم يطق وحشة الوحدة بعد الموت
وان من انس بذكر الله ومعرفته لم يزل الموت انسه لان الموت لا يهدم محل الانس
والمعرفة كما قال تعالى في حق الشهداء بل احياء عند ربهم يرزقون وكل متجرد لله تعالى
في جهاد نفسه فهو شهيد كما ورد عن بعض الصحابة انه قال رجعنا من الجهاد الاصغر
الى الجهاد الاكبر **كتاب اداب السفر** السفر وسيلة الى الخلاص من مهروب
عنه او الوصول الى مرغوب اليه والسفر سفران سفر بظاهر البدن عن الوطن
وسفر بسير القلب عن اسفل سافلين الى ملكوت السموات وهذا اشرف السفرين
فان الواقف على الحالة التي نشا عليها عقيب الولادة الجامد على ما بلغه بالتقليد
من الاباء لازم درجة القصور قانع برتبة النقص ومستبدل بمتسع عرض السموات
والارض ظلمة السجن وضيق الحبس ❁ ولم ار في عيوب الناس شيا ❁
كنقص القادرين على التمام ❁ الا ان هذا السفر لما كان مقتحمه في خطب خطير اندرست
مسالكه فاما سفر البدن فهو اقسام وله فوايد وافات فانه يضاهي النظر في العزلة
والمخالطة وقد ذكرنا منها في ذلك فالفوايد الباعثة عليه لا تخ من هرب او طلب فالمهروب
اما من امر له نكاية في الامور الدنيوية كالطاعون اذا ظهر ببلد او لخوف فتنة
وخصومة او غلاء سعر واما امر له نكاية في الدين كمن ابتلى في بلده بجاه ومال واتساع
اسباب قصده عن التجرد لله فيوثر الغربة والخمول ويجتنب السعة والجاه وكمن يدعى

الى بدعة او الى ولاية عمل لا يحل مباشرته فيطلب الفرار منه **واما** المطلوب فهو
اما دنيوي كالمال والجاه او ديني كالعلم بامور دينه او باخلاق في نفسه او بايات
الله في الارض وقل مذكور بالعلم محصل من زمان الصحابة الى زماننا الا وحصل العلم
بالسفر وسافر لاجله **واما** علمه بنفسه واخلاقه فذلك ايضا مهم فان سلوك الاخرة
لا يمكن الا بتحسين الخلق وتهذيبه وانما سمى السفر سفرا لانه يسفر عن الاخلاق
وفي الجملة فالنفس في الوطن لا تظهر خبايث اخلاقها لاستيناسها بما يوافق
طبعها من المالوفات المعهودة فاذا احملت وعثاء السفر وصرفت عن
مالوفاتها المعتادة فاذا احملت وعثاء السفر وصرف عن مالوفاتها المعتادة
وامتحنت بمشاق الغربة انكشفت غوايلها ووقع الوقوف على عيوبها واما
ايات الله في ارضه ففي مشاهدتها فوايد للمستبصر ففيها قطع متجاورات
وفيها الجبال والبراري والقفار والبحار وانواع الحيوان والنبات وما من شيء
الا وهو شاهد لله بالوحدانية ومسبح بلسان ذلق لا يدركه الا من القى السمع
وهو شهيد وانما نعني بالسمع سمع الباطن فيه يدرك نطق لسان الحال و
ما من ذرة في السموات والارض الا ولها انواع شاهدات لله سبحانه بالوحدانية
وقد ذكرنا ان من فوايد السفر الهرب من الولاية والجاه وكثرة العلايق لان
الدين لا يتم الا بقلب فارغ عن غير الله ولا يتصور فراغ القلب في الدنيا
عن مهمات الدنيا والحاجات الضرورية ولكن يتصور تخفيفها وتقليلها
وقد نجا المخفون وهلك المثقلون والمخف الذي ليست الدنيا اكبر همه
فصل ومن اقسام السفر ان يكون مباحا كسفر التفرج والتنزه فاما
السياحة في الارض لا لمقصود ولا الى مكان معروف فانه منهي عنه فقد روينا
من حديث طاوس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا رهبانية ولا تبتل
ولا سياحة في الاسلام **و**قال الامام احمد بن حنبل ما السياحة من الاسلام
في شيء ولا من فعل النبيين ولا الصالحين ولان السفر يشتت القلب فلا ينبغي للمريد
ان يسافر الا في طلب علم او مشاهدة شيخ يقتدي به في سيرته **و**للسفر اداب
معروفة مذكورة في مناسك الحج وغيرها من ذلك ان يبدا برد المظالم وقضا

الديون واعداد النفقة لمن تلزمه نفقته ورد الودايع ومنها ان يختار رفيقا
صالحا ويودع الاهل والاصدقا، ومنها ان يصلي صلاة الاستخارة وان يكون
سفره يوم الخميس بكرة ومنها ان لا يمشي منفردا وان يكون اكثر سيره بالليل
ولا يهمل الاذكار والادعية اذا وصل منزلا او علا نشزا او هبط واديا
ومنها ان يستصحب معه ما فيه مصلحة كالسواك والمشط والمراة والمكحلة ونحو
ذلك **فصل فيما لابد** للمسافر منه ينبغي له ان يتزود للدنيا والاخرة اما زاد
الدنيا فالمطعم والمشرب وما يحتاج اليه ولا ينبغي ان يقول اخرج متوكلا فلا
احمل زادا فهذا جهل فان حمل الزاد لا يناقض التوكل واما زاد الاخرة فهو العلم الذي
يحتاج اليه في طهارته وصلاته وعباداته وتعلم رخص السفر كالقصر والجمع
والفطر ومدة مسح السفر على الخفين والتيمم والتنفل للماشي وكل ذلك مذكور
في كتب الفقه بشروطه ولابد للمسافر من معرفة ما يتجدد بسبب السفر وهو
علم القبلة والاوقات فان ذلك في السفر اكد من الحضر ويستدل على القبلة
بالنجوم والشمس والقمر والرياح والمياه والجبال والمجرة على ما هو مبين في
موضعه ويعتبر الجبال بان وجوهها جميعها مستقبلة البيت واما المجرة فتكون
اول الليل ممتدة على كتف المصلي اليسرى الى القبلة ثم يلتوي راسها حتى يصير في
اخر الليل على كتفه اليمنى وتسمى المجرة سرج السماء واما معرفة اوقات
الصلوة فلابد منها ووقت الظهر يدخل بزوال الشمس فلينصب المسافر
عودا مستقيما فلابد وليعلم على راس الظل ولينظر فان راه في النقصان علم انه
لم يدخل وقت الظهر فاذا اخذ في الزيادة علم انه قد زالت الشمس ودخل الوقت
وهو اول وقت الظهر واخره اذا صار ظل كل شيء مثله ثم يدخل اول وقت العصر
اخره الى ان يصير ظل كل شيء مثليه وعن الامام احمد ان اخره ما لم تصفر الشمس ثم يذهب
وقت الاختيار ويبقى وقت الجواز الى غروب الشمس وباقي الاوقات معروفة انشاء الله تعالى

كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

اعلم ان الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر هو القطب الاعظم في الدين وهو المهم الذي ابتعث الله به النبيين ولو
طوي بساطه لاضمحلت الديانة وظهر الفساد وخربت البلاد قال الله تعالى ولتكن منكم

منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون هذه
الاية بيان انه فرض على الكفاية لا فرض عين لانه قال ولتكن منكم امة ولم يقل كونوا كلكم
امرين بالمعروف فاذا قام به من يكفي سقط عن الباقين واختص الفلاح بالقايمين
المباشرين له وفي القران العظيم ايات كثيرة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعن
النعمن بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثل القايم على حدود
الله والواقع فيها والمدهن فيها مثل قوم ركبوا سفينة فاصاب بعضهم اسفلها
واوعرها وشرها واصاب بعضهم اعلاها فكان الذين في اسفلها اذا استقوا الماء
مروا على من فوقهم فاذوهم فقالوا لو خرقنا في نصيبنا خرقا فاستقينا منه ولم نوذ من
فوقنا فان تركوهم وامرهم هلكوا جميعا وان اخذوا على ايديهم نجوا جميعا **فصل**
في مراتب الانكار وبعض ما ورد فيه قد جاء في الحديث المشهور من رواية مسلم ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع
فبقلبه وذلك اضعف الايمان وفي حديث اخر افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان
جائر وفي حديث اخر اذا رايت امتي تهاب الظالم ان تقول له انت ظالم فقد تودع
منهم وقام ابو بكر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس انكم تقرؤن هذه الاية
يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان الناس اذا راوا المنكر فلم يغيروه اوشك ان يعمهم الله تعالى
بعذاب وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن
الله شراركم على خياركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم **فصل** في اركانه و
شروطه ودرجاته واادابه ونحو ذلك اعلم ان اركان الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر **احدها** ان يكون المنكر مكلفا مسلما قادرا وهذا شرط لوجوب الانكار
فان الصبي المميز له انكار المنكر ويثاب على ذلك لكن لا يجب عليه واما عدالة
المنكر فاعتبرها قوم وقالوا ليس للفاسق ان يحتسب وربما استدلوا بقوله تعالى
اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وليس لهم في ذلك حجة واشترط قوم كون
المنكر ماذونا فيه من جهة الامام والوالي ولم يجوزوا لاحاد الرعية الحسبة وهذا فاسد
لان الايات والاخبار عامة تدل على ان كل من راى منكرا فسكت عنه عصى فالتخصيص

باذن الامام تحكم ومن العجب ان الروافض زادوا على هذا فقالوا لا يجوز الامر بالمعروف
ما لم يخرج الامام المعصوم وهؤلاء اخس رتبة من ان يكلموا لكن جوابهم ان يقال لهم
اذا جاؤا الى القاضي طالبين حقوقهم نصرتكم امر بالمعروف واستخراج حقوقكم من يد
من ظلمكم نهي عن المنكر ولم يجئ زمان ذلك الامام لان الامام لم يخرج بعد فان
قيل في الامر بالمعروف اثبات سلطنة وولاية على المحكوم عليه ولذلك لم يثبت
للكافر على المسلم مع كونه حقا فينبغي ان لا يثبت لاحاد الرعية الا بتفويض من
السلطان قلنا اما الكافر فممنوع من ذلك لما فيه من السلطنة والعز واما
احاد المسلمين فيستحقون هذا العز بالدين والمعرفة واعلم ان الحسبة لها
خمس مراتب التعريف والوعظ بالكلام اللطف والثالثة السب والتعنيف
ولسنا نعني بالسب الفاحش بل بقوله يا جاهل يا احمق الا تخاف من الله تعالى
ونحو ذلك والرابعة المنع بالقهر ككسر الملاهي واراقة الخمر والخامسة التخويف
والتهديد بالضرب او مباشرة الضرب له حتى يمتنع عما هو عليه فهذه الرتبة
تحتاج الى الامام دون ما قبلها لانه ربما جر الى فتنة واستمرار عادات السلف
على الحسبة على الولاة قاطع باجماعهم على الاستغناء عن التفويض فان قيل فهل
تثبت الحسبة للولد على الوالد والعبد على السيد والزوجة على الزوج والرعية على
الوالي قلنا اصل الولاية ثابت للكل وقد رتبنا للحسبة خمس مراتب فللولد من
ذلك الحسبة بالتعريف ثم بالوعظ والنصح باللطف وله من الرتبة الخامسة ان
يكسر العود ويريق الخمر ونحو ذلك وهذا الترتيب ينبغي ان يجري في العبد
والزوجة واما الرعية مع السلطان فالامر فيها اشد من الولد فليس معه
الا التعريف والنصح ويشترط كون المنكر قادرا على الانكار فاما العاجز فليس عليه
انكار الا بقلبه ولا يقف سقوط الوجوب على العجز الحسي بل يلتحق به خوف
مكروه يناله فذلك في معنى العجز وكذلك اذا علم ان انكاره لا ينفع فينقسم الى اربعة
احوال احدها ان يعلم ان المنكر يزول بقوله او فعله من غير مكروه يلحقه فيجب
عليه الانكار ففي الخبر عن الصادق المصدوق صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال
ياتي على الناس زمان يذوب فيه قلب المؤمن كما يذوب الملح في الماء قيل مم ذاك

ذاك يا رسول الله قال مما يرى من المنكر لا يستطيع تغييره او كما قال الحالة الثانية
ان يعلم ان كلامه لا ينفع وانه ان تكلم ضرب فيرتفع الوجوب عنه الثالثة ان يعلم
ان انكاره لا يفيد لكنه لا يخاف مكروها فلا يجب عليه الامر لعدم الفائدة لكن
يستحب لاظهار شعار الاسلام والتذكير بالدين الرابعة ان يعلم انه يصاب
بمكروه ولكن يبطل المنكر بفعله مثلا ان يكسر العود ويريق الخمر ويعلم انه يضرب
عقيب ذلك فيرتفع الوجوب عنه ويبقى مستحبا لقوله في الحديث افضل الجهاد
كلمة حق عند سلطان جائر ولا خلاف انه يجوز للمسلم الواحد ان يهجم على
صف الكفار ويقاتل وان علم انه يقتل لكن ان علم انه لا نكاية له في الكفار
كالاعمى يطرح نفسه على الصف حرم ذلك وكذلك لو راى فاسقا وحده
وعنده قدح خمر وبيده سيف وعلم انه لو انكر عليه لشرب الخمر ضرب عنقه
لم يجز له الاقدام على ذلك لان هذا لا يؤثر في الدين انه يفديه بنفسه و
انما يستحب له الانكار اذا قدر على ابطال الانكار وظهر لفعله فائدة لمن حمل
في صف الكفار ونحوه فان علم المنكر الا بافضائه الى منكر اخر وليس ذلك
من القدرة في شيء ولسنا نعني بالعلم في هذه المواضع الا غلبة الظن فمتى
غلب على ظنه انه يصيبه مكروه لم يجب عليه الانكار وان غلب على ظنه
انه لا يصيبه وجب ولا اعتبار بحالة الجبان ولا بالشجاع المتهور بل الاعتبار
بالمعتدل الطبع السليم المزاج ونعني بالمكروه الضرب والقتل وكذلك
نهب المال والاشهار في البلد مع تسويد الوجه فاما السب والشتم فليس
بعذر في السكوت الركن الثاني ان يكون ما فيه الحسبة منكرا موجودا
في الحال ظاهرا فمعنى كونه منكرا ان يكون محذورا الوقوع في الشرع والمنكر
اعم من المعصية اذ من راى صبيا او مجنونا يشرب الخمر فعليه ان يريق خمره
ويمنعه فكذلك لو راى مجنونا يزني بمجنونة او بهيمة فعليه ان يمنعه و
قولنا موجودا في الحال احتراز عمن شرب الخمر وفرغ من شربها ونحو
ذلك فان ذلك ليس الى الاحاد وفيه ايضا احتراز عما سيوجد في ثاني
الحال كمن يعلم بقرينة حاله انه عازم على الشرب الليلة فلا حسبة عليه

النكاية ايصال القتل والجراحة على الاعداء

انه يضرب بمعنى غيره من اصحاب المنكر لم يجز له الحسبة لانه عجز عن دفع المنكر

الا بالوعظ وقولنا ظاهرا احترازعن من تستر بالمعصية في داره واغلق بابه فانه لا يجوز
ان يتجسس عليه الا ان يظهر ما يعرفه من هو خارج الدار كاصوات المزامير والعيدان فلمن
سمع ذلك ان يدخل ويكسر الملاهي فاحت رايحة الخمر فالاظهر جواز الانكار ويشترط في انكار
المنكر ان يكون معلوما كونه منكرا بغير اجتهاد فكل ما هو في محل الاجتهاد فلا حسبة فيه فليس للحنفي
ان ينكر على الشافعي اكله متروك التسمية ولا للشافعي ان ينكر على الحنفي شربه يسير النبيذ
الذي ليس بمسكر الركن الثالث في المنكر عليه ويكفي في صفته ان يكون انسانا ولا يشترط
كونه مكلفا كما بينا قبل من انه ينكر على الصبي والمجنون الركن الرابع نفس الاحتساب
وله درجات واداب الدرجة الاولى تعرف المنكر فلا ينبغي له ان يسترق السمع على دار غيره
ليستمع صوت الاوتار ولا يتعرض للشم ليدرك رايحة الخمر ولا ان يمس ما قد ستر
بثوب ليعرف شكل المزمار ولا ان يستخبر جيرانه ليخبروه بما جرى بل لو اخبره عدلان
ابتداء ان فلانا يشرب الخمر فله اذ ذاك ان يدخل وينكر الدرجة الثانية التعريف فان
الجاهل يقدم على الشي لا يظنه منكرا فاذا عرف اقلع عنه فيجب تعريفه باللطف
فيقال له ان الانسان لا يولد عالما ولقد كنا جاهلين بامور الشرع حتى علمنا العلما فلعل قريتك
خالية من اهل العلم فهكذا يتلطف به ليحصل التعريف من غير ايذاء ومن اجتنب محذور
السكوت عن المنكر واستبدله عنه محذور الايذاء للمسلم مع الاستغناء عنه فقد غسل
الدم بالبول الدرجة الثالثة النهي بالوعظ والنصح والتخويف بالله ويورد عليه الاخبار
الواردة بالوعيد ويحكي له سيرة السلف ويكون ذلك بشفقة ولطف من غير عنف
وغضب وههنا افة عظيمة ينبغي ان يتوقاها وهو ان العالم يرى عند التعريف
عز نفسه بالعلم وذل غيره بالجهل ومثال ذلك من يخلص غيره من النار باحراق نفسه
وهو غاية الجهل ومزلة عظيمة وغرور من الشيطان وكذلك محك ومعيار ينبغي ان
يمتحن به المحتسب نفسه وهو ان يكون امتناع ذلك الانسان عن المنكر بنفسه او باحتساب
غيره احب اليه من امتناعه باحتسابه فان كانت الحسبة شاقة عليه ثقيلة على نفسه
وهو يود ان يكفى بغيره فليحتسب فان باعثه هو الدين وان كان الامر بالعكس فهو
متبع هوى نفسه متوسل الى اظهار جاهه بواسطة انكاره فليتق الله وليحتسب
اولا على نفسه وقيل لداود الطائي ارايت رجلا دخل على هولاء الامراء فامرهم

هم عن المنكر قال اخاف عليه السوط قيل هو يقوى على ذلك قال اخاف عليه السلف قيل هو
يقوى على ذلك قال اخاف عليه الداء الدفين العجب الدرجة الرابعة السب و
التعنيف بالقول الغليظ الخشن وانما يعدل الى هذا عند العجز عن المنع باللطف وظهور
مبادي الاصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح ولسنا نعني بالسب الفحش والكذب بل
يقول له يا فاسق يا احمق يا جاهل الا تخاف الله قال الله تعالى حكاية عن ابرهيم عليه السلام
اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون الدرجة الخامسة التغيير باليد
ككسر الملاهي واراقة الخمر واخراجه من الدار المغصوبة وفي هذه الدرجة ادبان احدهما
ان لا يباشر التغيير ما لم يعجز عن تكليف المنكر عليه ذلك فاذا امكنه ان يكلفه الخروج
عن الارض المغصوبة فلا ينبغي ان يجره ولا يدفعه ويكسر الملاهي كسرا يبطل صلاحيتها
للفساد ولا يزيد على ذلك ويتوقى في اراقة الخمور كسر الاواني ان وجد اليه سبيلا وان
لم يقدر الا بان يرمي ظروفها بحجر او نحوه فله ذلك وتسقط قيمة الظروف ولو ستر الخمر
ببدنه لكنا نقصد بدنه بالضرب لنتوصل الى اراقة الخمر ولو كانت الخمر في قوارير
ضيقة الرووس بحيث انه اذا اشتغل باراقتها طال الزمان وادركه الفساق
فمنعوه فله كسرها لان هذا عذر وكذلك ان كان يضيع الزمان في صبها وتتعطل
اشغاله فله كسرها ولو لم يحذر من الفساق فان قيل فهلا يجوز الكسر زجرا
وكذلك الجر بالرجل في الاخراج من الدار المغصوبة زجرا قلنا انما يجوز مثل ذلك
لمولاه ولا يجوز لاحاد الرعية لخفاء وجه الاجتهاد فيه الدرجة السادسة
التهديد والتخويف كقوله دع عنك هذا والا فعلت بك كذا وكذا وينبغي
ان يقدم هذا على تحقيق الضرب اذا امكن تقديمه والادب في هذه الرتبة
ان لا يتهدد بوعيد لا يجوز تحقيقه كقوله لانهبن دارك او لاسبين زوجتك
لانه ان قال ذلك عن عزم فهو حرام وان قاله عن غير عزم فهو كذب الدرجة
السابعة مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه اشهار سلاح
وذلك جائز للاحاد بشرط الضرورة والاقتصار على قدر الحاجة فاذا اندفع
المنكر فينبغي ان يكف الدرجة الثامنة ان لا يقدر على الانكار بنفسه ويحتاج
الى اعوان يشهرون السلاح فانه ربما يستمد الفاسق ايضا باعوانه ويودي الى

القتال فالصحيح ان ذلك يحتاج الى اذن الامام لانه يؤدي الى الفتن وهيجان الفساد وقيل لا يشترط في ذلك اذن الامام **فصل** وقد ذكرنا اداب المحتسب مفصلة وجملتها ثلث صفات في المحتسب العلم بمواقع الحسبة وحدودها ومواقعها ليقتصر على حد الشرع والثاني الورع فانه قد يعلم شيا ولا يعمل به لغرض من الاغراض والثالث حسن الخلق وهو اصل ليتمكن من الكف فان الغضب اذا هاج لم يكف بمجرد العلم والورع في قمعه ما لم يكن في الطبع خلق حسن قال بعض السلف لا يامر بالمعروف الا رفيق فيما يامر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يامر به حليم فيما ينهى عنه فقيه فيما يامر به فقيه فيما ينهى عنه ومن الادب تقليل العلايق وقطع الطمع عن الخلق لتزول المداهنة فقد حكي عن بعض السلف انه كان له سنور وكان ياخذ لسنوره في كل يوم من قصاب في جواره شيا من الغدد فراي على القصاب منكرا فدخل الدار فاخرج السنور ثم جاء فانكر على القصاب فقال لا اعطيك بعد هذا شيا لسنورك فقال ما انكرت عليك الا بعد اخراج السنور وقطع الطمع منك وهذا صحيح فان من لم يقطع الطمع من الناس من شيين لم يقدر على الانكار احدهما من لطف ينالونه به والثاني من رضاهم عنه وثناهم عليه واما الرفق في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فمتعين قال الله تعالى فقولا له قولا لينا وروى ان ابا الدرداء مر على رجل قد اصاب ذنبا والناس يسبونه فقال ارايتم لو وجدتموه في قليب الم تكونوا مستخرجيه قالوا بلى قال فلا تسبوا اخاكم واحمدوا الله الذي عافاكم فقالوا افلا تبغضه فقال انما ابغض عمله فاذا تركه فهو اخي ومر فتى يجر ثوبه فهم اصحاب صلة بن اشيم ان ياخذوه بالسنتهم اخذا شديدا فقال صلة دعوني اكفكم امره ثم قال يا ابن اخي ان لي اليك حاجة قال ما هي قال احب ان ترفع ازارك قال نعم ونعمى عين فرفع ازاره فقال صلة لاصحابه هذا كان امثل مما اردتم فانكم لو شتمتموه واذيتموه لشتمكم ودعي الحسن الى عرس فجي بجام من فضة فيه خبيص فتناوله فقلبه على رغيف واصاب منه فقال رجل هذا نهي في سكون

باب المنكرات المالوفة في العادات وفي الانكار على الامراء والسلاطين وامرهم بالمعروف ولنذكر في ذلك فصلين **الفصل** الاول اعلم ان المنكرات المالوفة في العادات لا يمكن حصرها لكنا نشير الى جمل يستدل بها على امثالها فمن ذلك

لك **منكرات المساجد** مما يشاهد كثيرا في المساجد اساة الصلاة بترك الطمانينة في الركوع والسجود وكذلك كل ما يقدح في صحة الصلاة من نجاسة ثوب المصلي لا يراها وانحراف عن القبلة بسبب عمي او ظلام ومن ذلك اللحن في القراة واشتغال المعتكف بانكار هذه الاشياء وتعريفها افضل له من نافلة يقتصر عليها ومن ذلك تراسل المؤذنين في الاذان وتطويلهم مد كلماته ومن ذلك ان يكون على الخطيب ثوب حرير او بيده سيف مذهب ومن ذلك ما يجري من القصاص في المساجد من الكذب والاشيا المنهي عنها كالخوض في الكلام الموجب للفتن ونحو ذلك ومن ذلك ان يكون الرجال مختلطين بالنساء فينبغي انكار ذلك عليهم ومنها الحلق يوم الجمعة لبيع الادوية والاطعمة والتعويذات وقيام السؤال وانشادهم الاشعار ونحو هذا فهذه منها ما هو حرام ومنها ما هو مكروه **منكرات الاسواق** من ذلك الكذب في المرابحة واخفا العيب فمن قال اشتريت هذه السلعة بعشرة واربح فيها درهما وكان كاذبا فهو فاسق ويجب على من عرف ذلك ان يخبر المشتري بكذبه فان سكت مراعاة للبايع كان شريكا له في الخيانة وكذلك اذا علم العيب لزمه ان يبينه للمشتري وكذلك التفاوت في الميزان والذرع يجب على كل من عرفه تغييره اما بنفسه او يرفعه الى الوالي حتى يغيره ومنها الشروط الفاسدة واستعمال الربا وبيع الملاهي والصور المجسمة ونحو ذلك **منكرات الشوارع** من ذلك بناء دكان متصل بالابنية المملوكة واخراج الاجنحة وغرس الاشجار اذا كان يؤدي الى تضييق الطريق والاضرار بالمارة فاما وضع الحطب والطعام في الطريق بمقدار ما ينقل الى البيوت فجائز فان ذلك يشترك الكافة في الحاجة اليه ومن المنكرات ربط الدواب على الطريق بحيث تضيق وتؤذي الناس يجب المنع من ذلك الا اذا كان بمقدار الحاجة للنزول والركوب ومن ذلك تحميل الدواب من الاحمال ما لا تطيق وكذلك طرح الكناسة على جواد الطريق وتبديد قشور البطيخ او رش الماء بحيث يخشى منه الزلق والماء الذي يجتمع في ميزاب معين فاما ان كان من المطر فذلك على الولاة وليس للاحاد في ذلك الا الوعظ **منكرات الحمامات** من صور الحيوانات على باب الحمامين او داخله ويكفي في زوال ذلك ان يشوه وجوه الصور بحيث يبطل به تصويرها ومن لم يقدر

قال الشيخ الامام العالم العامل الزاهد العابد الاوحد العلامة نجم الدين ابو العباس احمد ابن الشيخ الامام
العالم العامل الزاهد العابد عز الدين ابي عبد الله محمد ابن الشيخ الامام العالم العامل الزاهد العابد
العلامة شيخ الاسلام مفتي الانام سيد العلما والحكام شمس الدين ابي محمد عبد الرحمن ابن الشيخ الامام
العالم العامل الزاهد العابد العارف الورع شيخ الاسلام ابي عمر محمد بن احمد بن محمد بن قدامة
المقدسي الحنبلي رحمه الله الحمد لله الذي عم برحمته جميع العباد وخص اهل طاعته بالهداية الى سبيل
الرشاد ووفقهم بلطفه لصالح الاعمال ففازوا ببلوغ المراد احمده حمد معترف بجزيل الارفاد واعوذ
به من وبيل الطرد والابعاد واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة اذخرها ليوم المعاد
واشهد ان محمدا عبده ورسوله موضح طريق الهدى والسداد قامع الجاحدين والملحدين من اهل
الزيغ والعناد صلى الله عليه وعلى اله الاكرمين الاجواد صلاة تبلغه بها نهاية الامل والمراد وبعد
فاني كنت وقفت مرة على كتاب منهاج القاصدين للشيخ الامام العالم الاوحد جمال الدين ابن الجوزي
رحمه الله تعا فرايته من اجل الكتب وانفعها واجمعها واكثرها فوايد فحصل عندي بموقع ورغبت
في تحصيله ومطالعته فلما تاملته ثانيا وجدته فوق ما كان في نفسي فحصل عندي (بموقع) تقديره بموقع عظيم
لكن هذا يسمى محذوف الصفة لكن رايته كتابا مبسوطا فاحببت ان اعلق منه هذا المختصر الذي
قد احتوى على اكثر مقاصده وجل مهماته وفوايده سوى ما ذكر في اوايله من مسايل ظاهرة تتعلق
بالفروع فانها مشهورة في كتب الفقه المستفيضة بين الناس اذ كان المقصود من الكتاب غير ذلك
ولم التزم فيه المحافظة على ترتيبه وذكر الفاظها بعينها بل ذكرت بعضها بالمعنى قصدا للاختصار وربما
ذكرت فيه حديثا او شيئا يسيرا من غيره اذا كان مناسبا له والله اعلم واسال الله الكريم ان
ينفعنا به ومن قراه او سمعه او نظر فيه وان يجعله خالصا لوجهه وان يختم لنا بخير ويوفقنا لما
يرضيه من القول والعمل والنية وان يسامحنا في تقصيرنا وتفريطنا وان لا يكلنا الى انفسنا طرفة
عين ولا الى احد من خلقه فانه حسبنا ونعم الوكيل قال المصنف رحمه الله بعد فراغه من الخطبة

على الانكار لم يجز له الدخول الا للضرورة وليعدل الى حمام اخر ومن ذلك كشف العورات
والنظر اليها وكشف المدلك عن الفخذ وما تحت السرة لتنحية الوسخ او مس العورة
ومنها غمس اليد والاواني النجسة في المياه القليلة فان فعل ذلك مالكي لم ينكر عليه بل
يتلطف به ويقول له يمكنك ان لا توذيني بتفويت الطهارة علي **منكرات الضيافة**
من ذلك فرش الحرير للرجال والبخور في مجمر فضة او ذهب والشرب فيهما واستعمال ماء الورد
منهما وكذلك تعليق الستور وفيها الصور وسماع القينات والاوتار واطلاع
النساء على الشباب الذين تخاف فتنتهم فكل ذلك منكر يجب تغييره ومن عجز عن تغييره
لزمه الخروج واما الصور على النمارق والبسط فليس بمنكر وكذلك الفرش الحرير والذهب
للنساء فانه جايز ولا رخصة في تثقيب اذان الصبية لاجل تعليق الذهب فان
ذلك جرح مولم لا يجوز وفي المخانق والاسورة كفاية عن ذلك والاستيجار على ذلك
غير صحيح والاجرة الماخوذة عليه حرام ومن ذلك ان يكون في الضيافة مبتدع يتكلم
في بدعته فلا يجوز الحضور معه الا لمن يقدر على الرد عليه وان لم يتكلم جاز الحضور مع
اظهار الكراهة له والاعراض عنه وان كان هناك مضحك بالفحش والكذب لم يجز
الحضور ووجب الانكار فان كان ذلك مزح لا كذب فيه ولا فحش ابيح ما يقل من ذلك
فاما اتخاذه صناعة وعادة فيمنع منه **المنكرات العامة** من تيقن ان في
السوق منكر يجري على الدوام او في وقت معين وهو قادر على تغييره لم يجز له ان
يسقط ذلك عنه بالقعود في بيته بل يلزمه الخروج فان قدر على تغيير البعض لزمه
وحق على كل مسلم ان يبدا بنفسه فيصلحها بالمواظبة على الفرايض وترك المحرمات
ثم يعلم ذلك اهله واقاربه ثم يتعدا الى جيرانه واهل محلته ثم الى اهل بلده ثم الى السواد
كذلك الى اقصى العالم فان قام بذلك الاقرب سقط عن الابعد والا حرج به كل قادر
عليه **الفصل الثاني** في امر الامراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر
قد ذكرنا درجات الامر بالمعروف والجائز من ذلك مع السلاطين القسمان الاولان
وهما التعريف والوعظ فاما تخشين القول نحو يا ظالم يا من لا يخاف الله فان
كان ذلك يحرك فتنة يتعدى شرها الى الغير لم يجز وان لم يخف الا على نفسه فهو
جايز عند جمهور العلماء والذي اراه المنع من ذلك لان المقصود ازالة المنكر وحمل

حمل السلطان بالانبساط عليه على فعل المنكر اكبر من المنكر الذي قصد ازالته وذلك ان قوت
السلاطين التعظيم فاذا سمعوا من احاد الرعية يا ظالم يا فاسق رووا غاية الذل فلم يصبروا
على ذلك **قال** الامام احمد لا تتعرض بالسلطان فان سيفه مسلول فاما ما جرى للسلف
من التعرض لامرائهم فانهم كانوا يهابون العلماء فاذا انبسطوا عليهم احتملوهم في الاغلب
وقد جمعت مواعظ السلف للخلفاء والامراء في كتاب المصباح المضي وانا انتخب منه
ههنا **حكايات** قال سعد بن عامر لعمر بن الخطاب رضي الله عنه اني موصيك بكلمات
من جوامع الاسلام ومعالمه اخش الله في الناس ولا تخش الناس في الله
ولا تخالف قولك فعلك فان خير القول ما صدقه الفعل واحب لقريب المسلمين
وبعيدهم ما تحب لنفسك واهل بيتك وخض الغمرات الى الحق حيث علمته
ولا تخف في الله لومة لائم قال ومن يستطيع ذلك يا ابا سعيد قال من ركب
في عنقه مثل الذي ركبت في عنقك **وقال** قتاده خرج عمر بن الخطاب من المسجد
ومعه الجارود فاذا امراة برزة على ظهر الطريق فسلم عليها فردت عليه او سلمت
عليه فرد عليها فقالت هيه يا عمر عهدتك وانت تسمى عميرا في سوق عكاظ تصارع
الصبيان فلم تذهب الايام حتى سميت عمر ثم لم تذهب الايام حتى سميت امير المومنين
فاتق الله في الرعية **واعلم** انه من خاف الموت خشي الفوت فبكا عمر فقال الجارود
هيه قد اجترت على امير المومنين وابكيته فقال عمر دعها اما تعرف هذه هذه خولة بنت حكيم التي سمع الله قولها من فوق سماواته فعمر والله احرى ان يسمع
كلامها **و**دخل شيخ من الازد على معاوية فقال اتق الله يا معاوية **و**اعلم انك في كل
يوم يخرج عنك وفي كل ليلة تاتي عليك لا تزداد من الدنيا الا بعدا ومن الاخرة الا قربا
وعلى اثرك طالب لا تفوته وقد نصب لك علم لا تجوزه فما اسرع ما تبلغ العلم وما اوشك
ان يلحقك الطالب وانا وما نحن فيه وانت زايل والذي نحن صايرون اليه باق
ان خيرا فخير وان شرا فشر **ودخل** سليمان بن عبد الملك المدينة فاقام بها ثلاثا
فقال ما ههنا رجل ممن ادرك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا فقيل له
ههنا رجل يقال له ابو حازم فبعث اليه فجاء فقال سليمان يا ابا حازم ما هذا الجفاء
فقال له ابو حازم واي جفاء رايت مني فقال له اتاني وجوه المدينة كلهم ولم تاتني
فقال ما جرى بيني وبينك معرفة اتيك عليها قال صدق الشيخ يا ابا حازم ما لنا نكره

الموت قال لانكم عمرتم دنياكم واخربتم اخرتكم فانتم تكرهون ان تنقلوا من العمران الى
الخراب قال صدقت يا ابا حازم فكيف القدوم على الله تعالى قال اما المحسن فكالغايب يقدم
على اهله فرحا مسرورا واما المسي فكالابق يقدم على مولاه خايفا محزونا قال فبكا سليمان
وقال ليت شعري ما لنا عند الله يا ابا حازم فقال ابا حازم اعرض نفسك على
كتاب الله فانك تعلم ما لك عند الله قال يا ابا حازم واني اصيب تلك المعرفة
من كتاب الله قال عند قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم قال يا ابا حازم
فاين رحمة الله قال قريب من المحسنين قال يا ابا حازم من اعقل الناس قال
من تعلم الحكمة وعلمها الناس قال فمن احمق الناس قال حط في هوى رجل وهو
ظالم فباع اخرته بدنيا غيره قال يا ابا حازم فما اسمع الدعا قال دعاء المخبتين قال
فما ازكا الصدقة قال جهد المقل قال يا ابا حازم ما تقول فيما نحن فيه قال اعفني
من هذا قال سليمان نصيحة تلقاها قال ابو حازم ان ناسا اخذوا هذا الامر عنوة
من غير مشاورة للمسلمين ولا اجماع من رايهم فسفكوا فيه الدماء على طلب الدنيا
ثم ارتحلوا عنها فليت شعري ما قالوا وما قيل لهم فقال بعض جلسائه بئس ما قلت
يا شيخ فقال ابو حازم كذبت ان الله تعالى اخذ ميثاق العلماء ليبيننه للناس ولا
يكتمونه قال سليمان يا ابا حازم اصحبنا تصيب منا ونصيب منك قال اعوذ بالله من ذلك
قال ولم قال اخاف ان اركن اليكم شيا قليلا فيذيقني ضعف الحياة وضعف الممات قال
فاشر علي قال اتق الله ان يراك حيث نهاك او يفقدك حيث امرك قال يا ابا حازم
ادع لنا بخير فقال اللهم ان كان سليمن وليك فيسره للخير وان كان غير ذلك فخذ الى الخير
بناصيته فقال يا غلام هات مائة دينار ثم قال خذ هذا يا ابا حازم قال لا حاجة لي به
لي ولغيري في هذا المال اسوة فان واسيت بيننا والا فلا حاجة لي فيها اني اخاف ان يكون
لما سمعت من كلامي فكان سليمان اعجب بابي حازم فقال الزهري انه لجاري منذ ثلثين
سنة ما كلمته قط فقال ابو حازم انك نسيت الله فنسيتني قال الزهري اتشتمني قال
سليمان بل انت شتمت نفسك اما علمت ان للجار على الجار حقا قال ابو حازم ان
بني اسرائيل لما كانوا على الصوانيف كانت الامراء تحتاج الى العلماء وكانت العلماء تفر بدينها
منهم فلما راى ذلك قوم من اذلة الناس تعلموا ذلك العلم واتوا به الى الامراء واجتمع قوم

قوم على العصبية فسقطوا وانتكسوا ولو كان العلماء يصونون علمهم لم تزل الامراء
تهابهم قال الزهري كانك اياي تريد وبي تعرض قال هو ما تسمع وحكي ان اعرابيا
دخل على سليمان ابن عبد الملك فقال يا امير المؤمنين اني مكلمك بكلام فاحتمله وان كرهته
فان وراءه ما تحب ان قبلته فقال قل قال يا امير المؤمنين انه قد اكتنفك رجال ابتاعوا
دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوه فيك حربوا الاخرة
وعمروا الدنيا فهم حرب للاخرة سلم للدنيا فلا تامنهم على ما ايتمنك الله عليه فانهم لم
يالوا الامانة تضييعا والامة عسفا وانت مسول عما اجترحوا وليسوا بمسولين عما اجترحت
فلا يصلح دنياهم بفساد اخرتك فان اعظم الناس غبنا بايع اخرته بدنيا غيره فقال سليمن
اما انت فقد سللت لسانك وهو اقطع من سيفك فقال اجل يا امير المؤمنين لك
لا عليك قال فهل من حاجة في ذات نفسك قال اما خاصة دون عامة فلا ثم قام فخرج
فقال سليمن لله دره ما اشرف اصله واجمع قلبه واذرب لسانه واصدق نيته
واورع نفسه هكذا فليكن الشرف والعقل وقيل قال عمر بن عبد العزيز
لابي حازم عظني فقال اضطجع ثم اجعل الموت عند راسك ثم قال انظر ما تحب
ان يكون فيك تلك الساعة فخذ فيه الان وما تكره ان يكون فيك تلك الساعة فدعه الان
وقال محمد بن كعب لعمر بن عبد العزيز يا امير المومنين انما الدنيا سوق من الاسواق
الاسواق خرج الناس بما يضرهم وما ينفعهم وكم من قوم غرهم منها مثل الذي منهاج
اصبحنا فيه حتى اتاهم الموت فاستوعبهم فخرجوا منها ملومين لم ياخذوا منها لما
احبوا من الاخرة عدة ولا لما كرهوا جنة واقتسموا ما جمعوا من لم يحمدهم وصاروا
الى من لا يعذرهم فنحن محقوقون يا امير المؤمنين ان ننظر الى تلك الاعمال التي نغبطهم
بها فنخلفهم فيها والى الاعمال التي نتخوف عليهم فيها فنكف عنها فاتق الله وافتح الابواب
وسهل الحجاب وانصر المظلوم ورد الظالم ثلث من كن فيه استكمل الايمان بالله
عز وجل اذا رضي لم يدخله في الباطل واذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق واذا قدر رضاه و
لم يتناول ما ليس له ودخل عطا بن ابي رباح على هشام فرحب به وقال ما حاجتك
يا ابا محمد وكان عنده اشراف الناس يتحدثون فسكتوا فذكره عطاء بارزاق اهل الحرمين
واعطياتهم فقال نعم يا غلام اكتب لاهل المدينة واهل مكة بعطاء ارزاقهم ثم قال

يا ابا محمد هل من حاجة غيرها فقال نعم فذكره باهل الحجاز واهل نجد واهل الثغور ففعل مثل
ذلك حتى ذكره باهل الذمة ان لا يكلفوا ما لا يطيقون فاجابه الى ذلك ثم قال له في اخر ذلك هل
من حاجة غيرها قال نعم يا امير المومنين اتق الله في نفسك فانك خلقت وحدك وتموت وحدك
وتحشر وحدك وتحاسب وحدك لا والله ما معك مما ترى احد قال فاكبت هشام
يبكي وقام عطا فلما كان عند الباب اذا رجل قد تبعه بكيس ما ندري فيه ادراهم
ام دنانير وقال ان امير المؤمنين قد امر لك بهذا فقال لا اسالكم عليه اجرا ان اجري الا على
رب العالمين ثم خرج ولا والله ما شرب عندهم حسوة ماء فما فوقها وعن محمد بن علي قال
اني لحاضر مجلس المنصور وفيه ابن ابي ذيب وكان والي المدينة الحسن بن زيد فاتا
الغفاريون فشكوا الى ابي جعفر المنصور شيا من امر الحسن بن زيد فقال الحسن يا امير
المؤمنين سل عنهم ابن ابي ذيب قال فساله عنهم فقال اشهد انهم اهل تحطم في اعراض
الناس فقال ابو جعفر قد سمعتم فقال الغفاريون يا امير المؤمنين فسله عن الحسن
ابن زيد فساله فقال اشهد انه يحكم بغير الحق فقال قد سمعت يا حسن قال يا امير المؤمنين
سله عن نفسك فقال ما تقول في قال او يعفني امير المؤمنين فقال والله لتخبرني فقال
اشهد انك اخذت هذا المال من غير حقه وجعلته في غير اهله فوضع يده في قفاء
ابن ابي ذيب وجعل يقول له اما والله لولا انا لاخذت ابناء فارس والروم
والديلم والترك بهذا المكان منك فقال ابن ابي ذيب قد ولي ابو بكر وعمر فاخذا بالحق
وقسما بالسوية واخذا باقفاء فارس والروم فخلاه ابو جعفر وقال والله لولا اني
اعلم انك صادق لقتلتك فقال والله يا امير المؤمنين اني لانصح لك من ابنك المهدي
وعن الاوزاعي قال بعث الي المنصور وانا بالساحل فاتيته فلما وصلت اليه وسلمت
عليه استجلسني ثم قال ما الذي بطا بك عنا يا اوزاعي قلت وما الذي تريد يا امير المومنين
قال اريد لاخذ عنكم واقبس منكم قلت فانظر يا امير المؤمنين ان تسمع شيا ثم لا
تعمل به فصاح بي الربيع واهوى بيده الى السيف فانتهره المنصور وقال هذا مجلس
مثوبة لا مجلس عقوبة فطابت نفسي وانبسطت في الكلام فقلت يا امير المومنين
حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما وال بات
غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة يا امير المومنين كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك

نفسك عن عامة الناس الذين اصبحت تملكهم احمرهم واسودهم ومسلمهم وكافرهم و
كل له عليك نصيب من العدل فكيف بك اذا انبعث منهم قيام ليس منهم احد الا وهو
يشكو بلية ادخلتها عليه او ظلامة سقتها اليه يا امير المؤمنين حدثني مكحول عن
زياد بن حارثة عن حبيب بن مسلمة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دعى الى
القصاص نفسه في خدش خدشه اعرابيا لم يتعمده فاتاه جبرائيل فقال يا محمد ان الله
تعالى لم يبعثك جبارا متكبرا فدعى النبي صلى الله عليه وسلم الاعرابي فقال اقتص مني فقال
الاعرابي قد احللتك بابي انت وامي وما كنت لافعل ذلك ابدا ولو اتيت على نفسي
فدعا له بخير يا امير المؤمنين ان الملك لو بقي لمن قبلك لم يصل اليك وكذلك لا يبقى لك
كما لم يبق لغيرك يا امير المؤمنين جاء في تاويل هذه الاية عن جدك ما لهذا الكتاب لا
يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فالصغيرة التبسم والكبيرة الضحك فكيف بما عملته
الايدي وحصدته الالسن يا امير المؤمنين بلغني ان عمر بن الخطاب قال لو ماتت سخلة
على شاطي الفرات ضيعة لخشيت ان اسال عنها فكيف بمن حرم عدلك وهو في سلطانك
يا امير المومنين جاء في تاويل هذه الاية عن جدك يا داود انا جعلناك خليفة في الارض
فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى قال اذا قعد الخصمان بين يديك وكان لك
في احدهما هوى فلا تتمنين في نفسك ان يكون الحق له فيفلج على صاحبه فامحوك من نبوتي
ثم لا تكون خليفتي يا داود انما جعلت رسلي الى عبادي رعاة كرعاة الابل لعلمهم بالرعاية
ورفقهم بالسياسة ليجبروا الكسير ويدلوا الهزيل على الكلاء والماء يا امير المؤمنين انك
قد بليت بامر لو عرض على السموات والارض والجبال لابين ان يحملنه واشفقن منه
يا امير المومنين حدثني يزيد بن جابر عن عبد الرحمن بن ابي عمرة الانصاري ان عمر بن
الخطاب استعمل رجلا من الانصار على الصدقة فراه بعد ايام مقيما فقال له ما منعك
من الخروج الى عملك اما علمت ان لك مثل اجر المجاهدين في سبيل الله قال لا قال وكيف
ذلك قال لانه بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من وال يلي شيا من امور
الناس الا اتى يوم القيمة مغلولة يده الى عنقه يوقف على جسر جهنم ينتفض به ذلك
الجسر انتفاضة تزيل كل عضو منه عن موضعه ثم يعاد فيحاسب فان كان محسنا
نجا باحسانه وان كان مسيا انخرق به ذلك الجسر فهوى به في النار سبعين خريفا فقال له من

سمعت هذا فقال من ابي ذر وسلمان فارسل اليهما عمر فسالهما فقالا نعم سمعناه من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال عمر واعمراه من يتولاها بما فيها فقال ابو ذر من سلت الله انفه والصق خده بالارض فاخذ المنديل يعني المنصور فوضعه على وجهه ثم بكا وانتحب حتى ابكاني فقلت يا امير المؤمنين قد سال جدك العباس رسول الله صلى الله عليه وسلم امارة على مكة والطايف واليمن فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عم نفس تحييها خير من امارة لا تحصيها نصيحة منه لعمه وشفقة منه عليه وانه لا يغني عنه من الله شيا اذ اوحي اليه وانذر عشيرتك الاقربين فقال يا عباس ويا صفية ويا فاطمة اني لست اغني عنكم من الله شيا لي عملي ولكم عملكم وقد قال عمر بن الخطاب لا يقيم امر الناس الا حصيف العقل لا تاخذه في الله لومة لايم وذكر تمام كلامه للمنصور ثم قال فهي نصيحتي والسلام عليك ثم نهض فقال الى اين فقال الى الوطن باذن امير المؤمنين فقال قد اذنت لك وشكرت لك نصيحتك وقبلتها بقبولها والله الموفق للخير والمعين عليه وبه استعين وعليه اتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل فلا تخلني من مطالعتك اياي بمثلها فانك المقبول القول غير المتهم في النصيحة قلت افعل ان شاء الله فامر له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقال انا في غنى عنه وما كنت لابيع نصيحتي بعرض الدنيا كلها وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه في رده ولما حج الرشيد قيل له يا امير المؤمنين قد حج شيبان قال اطلبوه لي فاتوه به فقال يا شيبان عظني قال يا امير المؤمنين انا رجل الكن لا افصح بالعربية فجئني بمن يفهم كلامي حتى اكلمه فاتي برجل يفهم كلامه فقال له بالنبطية قل له يا امير المؤمنين ان الذي يخوفك قبل ان تبلغ المامن انصح لك من الذي يومنك قبل ان تبلغ المخوف فقال له اي شي تفسير هذا قال قل له الذي يقول لك اتق الله فانك رجل مسؤل عن هذه الامة استرعاك الله عليها وقلدك امورها وانت مسؤل عنها فاعدل في الرعية واقسم بالسوية وانفذ في السرية واتق الله في نفسك هذا الذي يخوفك فاذا بلغت المامن امنت هذا انصح لك ممن يقول انتم اهل بيت مغفور لكم وانتم قرابة نبيكم وفي شفاعته فلا يزال يومنك حتى اذا بلغت المخوف عطبت قال فبكى هرون حتى رحمه من حوله ثم قال زدني قال حسبك وعن علقمة بن ابي مرثد قال لما قدم عمر بن هبيرة العراق ارسل الى الحسن والى الشعبي فامر لهما ببيت فكانا فيه نحوا

نحوا من شهر ثم دخل عليهما وجلس معظما لهما فقال ان امير المؤمنين يزيد بن عبد الملك يكتب الي كتبا اعرف ان في انفاذها الهلكة فان اطعته عصيت الله وان عصيته اطعت الله فهل تريان في متابعتي اياه فرجا فقال الحسن يا ابا عمرو اجب الامير فتكلم الشعبي فانحط من امر ابن هبيرة كانه عذره فقال ما تقول انت يا ابا سعيد قال ايها الامير قد قال الشعبي ما قد سمعت فقال ما تقول انت قال اقول يا عمر بن هبيرة يوشك ان ينزل بك ملك من ملائكة الله تعالى فظ غليظ لا يعصي الله ما امره فيخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك يا عمر بن هبيرة ان تتق الله يعصمك من يزيد بن عبد الملك ولن يعصمك يزيد بن عبد الملك من الله يا عمر بن هبيرة لا تامن ان ينظر الله اليك على اقبح ما تعمل في طاعة يزيد بن عبد الملك من الله فيغلق باب المغفرة دونك يا عمر ابن هبيرة لقد ادركت ناسا من صدر هذه الامة كانوا عن الدنيا وهي مقبلة عليهم اشد ادبارا من اقبالكم عليها وهي مدبرة عنكم يا عمر بن هبيرة اني اخوفك مقاما خوفكه الله تعالى فقال ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد يا عمر بن هبيرة ان تك مع الله في طاعته كفاك يزيد بن عبد الملك وان تك مع يزيد بن عبد الملك على معاصي الله وكلك الله اليه فبكى عمر بن هبيرة وقام بعبرته فلما كان من الغد ارسل اليهما باذنهما وجوايزهما واكثر فيها للحسن وكان في جايزة الشعبي بعض الاقتار فخرج الشعبي الى المسجد فقال ايها الناس من استطاع منكم ان يوثر الله على خلقه فليفعل فوالذي نفسي بيده ما علم الحسن شيا منه فجهلته ولكني اردت وجه ابن هبيرة فاقصاني الله منه ودخل محمد بن واسع على بلال في يوم حار وبلال في خيشه وعنده الثلج فقال له يا ابا عبد الله كيف ترى بيتنا هذا قال ان بيتك لطيب والجنة اطيب منه وذكر النار يلهي عنه قال ما تقول في القدر قال جيرانك اهل القبور ففكر فيهم فان فيهم شغلا عن القدر قال ادع لي قال وما تصنع بدعائي وعلى بابك كذا وكذا يقولون انك ظلمتهم يرفع دعاؤهم قبل دعايي لا تظلم ولا تحتاج الى دعايي هذا مختصر من اخبار من وعظ من الامراء فمن اراد الزيادة فلينظر في المصباح المضي وهذه كانت سيرة العلماء وعادتهم في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطوات السلاطين كانوا عرفوا ايثارا لاقامة حق الله تعالى على تقاتهم

الا ان السلاطين كانوا يعرفون حق العلم وفضله فيصبرون على مضض مواعظ هؤلاء والذي
اراه الان ان الهرب من السلاطين فهو الاولى فان قدر لقاء اقتنع بلطف الموعظة
حب وكذلك ثنيان احدهما يتعلق بالواعظ وهو سوء قصده وميله الى الدنيا والرياء
فلا تخلص له وعظه والثاني يتعلق بالموعوظ فان حب الدنيا قد شغل الاكثرين عن
ذكر الاخرة وتعظيم الدنيا انساهم تعظيم العلماء. وليس للمؤمن ان يذل نفسه
اخر كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وذكر المصر قبل ذلك كتابا في السماع و
الوجد فلنذكر شيا منه هاهنا **فصل** اعلم ان السماع الذي يعني به الغناء
من اكبر ما يتطرق به ابليس الى افساد القلوب وغر به خلقا لا يحصون من العلماء و
الزهاد فضلا عن العوام حتى ادعوا حضور القلب مع الله عند سماع الاغاني
المطربة وظنوا ان ما اوجبه السماع من طرب القلوب وانزعاجها وجد يتعلق
بالاخرة واذا اردت ان تعرف الحق فانظر في السرب الاول هل فعل رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم من ذلك او اصحابه ثم انظر الى اقوال التابعين وتابعيهم وفقهاء الامة
كمالك وابي حنيفة والشافعي واحمد فكل القوم ذموا الغناء حتى قال مالك اذا اشترى
جارية فوجدها مغنية كان له ردها **وسئل** عن الغناء فقال انما يفعله عندنا الفساق
وسئل الامام احمد عن رجل مات وخلف ولدا وجارية مغنية فاحتاج الصبي
الى بيعها فقال تباع على انها ساذجة لا مغنية فقيل له انها تساوي ثلثين الفا واذا
بيعت ساذجة ربما سويت عشرين دينارا فقال لا تباع الا على انها ساذجة **وقد**
اطبق الفقهاء على الزجر عن الغناء ومن المتاخرين ابو الطيب الطبري من كبار
اصحاب الشافعي وصف كتابا وبالغ في النهي عنه وانما تعلق باباحته قوم مفتونون
وقالوا قد اجازه قوم من السلف **وقد** سمع احمد بن حنبل قوالا فقال لا باس
بهذا فينبغي ان يتامل الذي افتى بجوازه ما هو وليس الا الاشعار الزهدية وما
يشبهها من غير ضرب بقضيب او آلة تطرب ولا ضم الى ذلك تصفيق ولا رقص
وعلى هذا يحمل حديث عايشة في الجاريتين لما غنتا بما تقاولته الانصار يوم
بعاث فان ذلك لا يطرب ومعلوم انه لم يكن للاوايل ما احدثه الاواخر من الدف
بالصنج والشبابة والشعر الرقيق فان هذه الاشياء تثير دقايق الهوى الكامنة في النفوس

س وتزعج فيحسب الجاهل هذا الانزعاج متعلقا بالاخرة وهيهات ولئنهم قالوا ان هذا
مباح من اللهو فيتريح اليه وانما يظنونه قربة ويسمون الطرب المخرج عن حد العقل
وجدا ودعا او وجد الطرب ما لا يحل من تمزيق الثياب والتخبط وكل هذا بمعزل عن
طريق السلف وغير خاف انه ضلال عن الجادة فلا ينبغي للانسان ان يغالط نفسه
وانما الوجد الصحيح وجد القلب عند سماع القران والوعظ فيثور من الباطن
خوف من الوعيد وشوق من الوعد وندم على التفريط وجميع هذه الحركات الباطنة
توجب سكون الظاهر الا التخبط والتصفيق ولم يضيق علينا القران والوعظ واشعار
الزهد حتى نحتاج في احضار القلوب الى باب الله تعالى ان نذكر سلمى وسعدى ولا ننكر
انه قد يتفق في بعض تلك الاشعار ما يصلح ان يوجد اشارة الى ان الاغلب منها امالة
القلوب الى الهوى الدنيوي ومثل من اراد ان ياخذ منها للاخرة كمثل من قال انا انظر الى
الامرد المستحسن لانجو من صنعة القادر فانه اخطا الطريق لان ما تستلبه الشهوة — بيان النظر الى الامرد
والطبع عند النظر يكدر طريق الفكر ويشغل عنه فلذلك نمنعه ونقول انظر الى ما لا يكدر
فيه اولم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومن قال انه لا يوثر عندي ما
يوثر عند غيري من انجذاب الطبع الى الهوى كان مدعيا ما يخالف الجبلة فلا يلتفت الى
دعواه وقد بالغت في الكشف عن هذا كله في كتابي المسمى بتلبيس ابليس فلم ارد التطويل
هاهنا والله اعلم **باب اداب المعيشة واخلاق النبوة** اعلم ان
اداب الظواهر عنوان اداب البواطن وحركات الجوارح ثمرات الخواطر والاعمال
نتايج الاخلاق والاداب رشح المعارف وسراير القلوب هي مغارس الافعال ومنابعها
وانوار السراير هي التي تشرق على الظواهر فتزينها وتحليها ومن لم يخشع قلبه لم تخشع
جوارحه ومن لم يكن صدره مشكاة الانوار الالهية لم يفض على ظاهره جمال الاداب النبوية
وقد اسلفنا جملة من الاداب بما يغني عن اعادتها هاهنا لكن نقتصر في هذا الباب على شيء
من اداب رسول الله صلى الله عليه وسلم واخلاقه لنجمع من جمع الادب تاكيد الايمان
بمشاهدة اخلاقه الكريمة التي يشهد احادها بانه اكرم الخلق واعلاهم رتبة واجلهم
قدرا فكيف بمجموعها سئلت عايشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
خلقه القران يغضب لغضبه ويرضى لرضاه ولما كمل الله تعالى خلقه اثنى عليه فقال وانك لعلى خلق

عظيم فيجى من اعطى ثم اثنى وهذه جملة من محاسن اخلاقه عليه الصلاة والسلام وصفته
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احلم الناس واسخا الناس واعطف الناس وكان
يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة اهله وكان اشد حيا من العذراء في خدرها
وكان يجيب دعوة المملوك ويعود المرضى ويمشى وحده ويردف خلفه ويقبل الهدية
وياكلها ويكافى عليها ولا ياكل الصدقة ولا يجد من الدقل ما يملا بطنه ولم يشبع من
خبز ثلثة ايام تباعا وكان يعصب على بطنه الحجر من الجوع وكان ياكل ما حضر وما عاب
طعاما وكان لا ياكل متكيا وياكل مما يليه وكان احب الطعام اليه اللحم ومن الشاة الكتف
ومن البقول الدبا ومن الصباغ الخل ومن التمر العجوة وكان يلبس ما وجد مرة برد
حبرة ومرة جبة صوف ويركب تارة بعيرا وتارة بغلة وتارة حمارا ويمشى مرة حافيا
وكان يحب الطيب ويكره الريح الخبيثة ويكرم اهل الفضل ويتالف اهل الشرف
لا يجفو على احد ويقبل معذرة المعتذر اليه يمزح ولا يقول الا حقا يضحك من غير
قهقهة لا يمضى عليه وقت في غير عمل لله تعالى او فيما لا بد منه من صلاح نفسه وما لعن
امراة ولا خادما قط وما ضرب احدا بيده قط الا ان يجاهد في سبيل الله وما انتقم
لنفسه الا ان تنتهك حرمات الله وما خير بين شيين الا اختار ايسرهما الا ان يكون
ماثما او قطيعة رحم فيكون ابعد الناس منه وقال انس خدمته عشر سنين فما قال
لى اف قط ولا قال لشى فعلته لم فعلته ولا لشى لم افعله الا فعلته كذا ومن صفته في التوراة
محمد رسول الله عبدى المختار ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يجزى
بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وكان من خلقه ان يبدا بالسلام من لقيه ومن
قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف وما اخذ احد يده فارسل يده حتى
يرسلها الاخذ وكان يجلس حيث ينتهى به المجلس مختلطا باصحابه كانه احدهم
فياتى الغريب فلا يدرى ايهم هو حتى يسال عنه وكان طويل السكوت فاذا تكلم لم
يسرد كلامه بل يتثبت فيه ويكرره ليفهم وكان يعفو مع القدرة ولا يواجه احدا
بما يكره وكان اصدق الناس لهجة واوفاهم ذمة والينهم عريكة واكرمهم عشرة
من راه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه وكان اصحابه اذا تكلموا في امر الدنيا
تحدث معهم وكانوا يتذاكرون امر الجاهلية فيضاحكون ويتبسم وكان اشجع الناس

البديهة بمعنى فجاة

حتى قال بعض اصحابه كنا اذا احمر الباس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير كان ربعة من القوم وكان ازهر اللون ولم يكن
بالادم وكان رجل الشعر ليس بالسبط ولا الجعد القطط وكان شعره الى شحمة
اذنه وكان واسع الجبهة ازج الحواجب ادعج العينين اهدب الاشفار اقنى العرنين
سهل الخدين كث اللحية طويل الزندين كفه الين من الحرير صلى الله عليه وسلم وكرم
ورضى الله عن اصحابه اجمعين واما ذكر معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فان
من شاهد احواله وسمع اخباره المشتملة على اخلاقه وافعاله وادابه وبدايع
تدبيره لمصالح الخلق ومحاسن اشاراته في تفصيل ظاهر الشرع الذى تعجز العقلاء
والفقهاء عن ادراك اوايل دقايقها في طول اعمارهم لم يبق عنده ريب في ان ذلك
لم يكن مكتسبا بحيلة وانه لا يتصور ذلك الا بالاستمداد من تاييد سماوى وقوة
الهية وان ذلك لا يصح لملبس ولا كذاب بل كانت شمايله واحواله شواهد قاطعة
بصدقه ومن اعظم معجزاته واوضح دلالاته القران العزيز الذى عجز الخلايق عن
الاتيان بمثله ومعجز كل نبى انقضا بذهابه وهذا المعجز باق ابدا ومن معجزاته
انشقاق القمر ونبع الماء من بين اصابعه واطعامه الخلق الكثير من الطعام اليسير
ورميه بحصيات يسيرة فوصلت الى اعين الخلق الكثير وحنين الجذع اليه كما يحن
العشار واخباره بالغايبات فكانت كما قال ورد عين قتادة بيده فكانت احسن
عينيه وتفل في عين على وهو ارمد فصح من وقته الى غير ذلك من المعجزات التى
شاعت ولم يوجد سبيل الى كتمانها نسال الله ان يوفقنا للاقتداء باخلاقه وصفاته
انه كريم مجيب والحمد لله وحده اخر الربع الثانى

باب شرح عجايب القلب

وهو الاول من ربع المهلكات اعلم ان اشرف ما في الانسان قلبه فانه العالم بالله العامل له
الساعى اليه المقرب المكاشف بما عنده وانما الجوارح اتباع وخدم له يستخدمها استخدام
الملوك للعبيد ومن عرف قلبه عرف ربه واكثر الناس جاهلون بقلوبهم ونفوسهم
والله يحول بين المرء وقلبه وحيلولته ان يمنعه من معرفته ومراقبته فمعرفة القلب
وصفاته اصل الدين واساس طريق السالكين **فصل** اعلم ان القلب باصل
فطرته قابل للهدى وبما وضع فيه من الشهوة والهوى مايل عن ذلك والتطارد فيه

كان عنقه جيد دمية عريض الصدر مستوى البطن والصدر رحب الراحة

بين جندي الملائكة والشياطين دائم الى ان ينفتح القلب لاحدهما فيتمكن ويستوطن ويكون اجتياز الثاني اختلاسا ولذا قال تعالى من شر الوسواس الخناس وهو الذي اذا ذكر الله تعالى خنس واذا وقعت الغفلة انبسط ولا يطرد جند الشيطان من القلب الا ذكر الله تعالى فانه لا قرار له مع الذكر واعلم ان مثل القلب كمثل حصن والشيطان عدو يريد ان يدخل الحصن ويملكه ويستولي عليه ولا يمكن حفظ الحصن الا بحراسة ابوابه ولا يقدر على حراسة ابوابه من لا يعرفها ولا يتوصل الى دفع الشيطان الا بمعرفة مداخله ومداخل الشيطان وابوابه صفات العبد وهي كثيرة الا انا نشير الى الابواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان فمن ابوابه العظيمة الحسد والحرص فمتى كان العبد حريصا على شيء اعماه حرصه واصمه وغطا نور بصيرته التي تعرف مداخل الشيطان وكذلك اذا كان حسودا فيجد الشيطان الفرصة فيحسن عند الحريص كلما يوصله الى شهوته وان كان منكرا او فاحشا ومن ابوابه العظيمة الغضب والشهوة والحدة فان الغضب غول العقل واذا ضعف جند العقل هجم الشيطان فلعب بالانسان وقد روي ان ابليس يقول اذا كان العبد حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة ومن ابوابه حب التزين في المنزل والثياب والاثاث فلا يزال يدعو الى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها والتزين بالثياب فيخسر الانسان طول عمره في ذلك ومن ابوابه الشبع فانه يقوي الشهوة ويثقل عن الطاعة ومنها الطمع في الناس فان من طمع في شخص بالغ بالثناء عليه بما ليس فيه وداهنه ولم يامره بالمعروف ولم ينهه عن المنكر ومن ابوابه العجلة وترك التثبت وقد قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم العجلة من الشيطان والتأني من الله تعالى ومن ابوابه حب المال ومتى تمكن من قلب افسده وحمله على الطلب للمال من غير وجهه واخرجه الى البخل وخوفه الفقر فمنع الحقوق اللازمة ومن ابوابه حمل العوام على التعصب في المذاهب دون العمل بمقتضاها ومن ابوابه ايضا حمل العوام على التفكر في ذات الله تعالى وصفاته وفي امور لا تبلغها عقولهم حتى يشككهم في اصل الدين ومن ابوابه سوء الظن بالمسلمين فان من حكم على مسلم بسوء ظنه احتقره واطلق فيه لسانه ورأى نفسه خيرا منه وانما يترشح سوء الظن بخبث الظان لان المؤمن يطلب المعاذير للمؤمن والمنافق يبحث عن عيوبه وينبغي للانسان الاحتراز عن مواقف التهم

التهم لئلا ينشأ به الظن فهذا طرف من ذكر مداخل الشيطان وعلاج هذه الآفات سد المداخل بتطهير القلب من الصفات المذمومة وسيأتي الكلام على هذه الصفات ان شاء الله تعالى مفصلا واذا قلعت عن القلب اصول هذه الصفات بقي للشيطان بالقلب خطرات واجتيازات من غير استقرار فيمنعه من ذلك ذكر الله تعالى وعمارة القلب بالتقوى ومثل الشيطان كمثل كلب جائع يقرب منك فان لم يكن بين يديك لحم وخبز فانه ينزجر بان تقول له اخسأ وان كان بين يديك شيء من ذلك وهو جائع لم يندفع عنك بمجرد الكلام فكذلك القلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر فاما القلب الذي غلب عليه الهوى فانه يدفع الذكر الى حواشيه فلا يتمكن الذكر من سويدائه فيستقر الشيطان في السويداء واذا اردت مصداق ذلك فتامل هذا في صلاتك وانظر الى الشيطان كيف يحدث قلبك في مثل ذلك الموطن بذكر السوق وحساب المعاملين وتدبير امر الدنيا واعلم انه قد عفي عن حديث النفس ويدخل في ذلك ما همت به ومن ترك ذلك خوفا من الله تعالى كتب له حسنة وان تركه لعائق رجونا له المسامحة الا ان يكون عزما فان العزم على الخطيئة خطيئة بدليل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل ما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه وكيف لا تقع المؤاخذة بالعزم والاعمال بالنية وهل الكبر والرياء الا امور باطنة ولو ان انسانا راى على فراشه اجنبية ظنها زوجته لم ياثم بوطئها ولو راى زوجته وظنها اجنبية اثم بوطئها وكل هذا معلق بعقد القلب

فصل وقد ورد في الحديث ان النبي صلى الله تعالى عليه كان يقول يا مثبت القلوب ثبت قلوبنا على دينك يا مصرف القلوب اصرف قلوبنا الى طاعتك وفي حديث اخر مثل القلب كمثل ريشة بارض فلاة تقلبها الرياح واعلم ان القلب في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلثة الاول قلب عمر بالتقوى وزكي بالرياضة وطهر عن خبائث الاخلاق فينفرج به خواطر الخير من خزائن الغيب فيمده الملك بالهدى القلب الثاني قلب مخذول مشحون بالهوى مدنس بالخبائث ملوث بالاخلاق الذميمة فيقوى فيه سلطان الشيطان لاتساع مكانه فيضعف سلطان الايمان ويمتلئ القلب بدخان الهوى فيعدم

النور ويصير كالعين الممتلئة بالدخان لا يمكنها النظر ولا يوثر عنده زجر ولا وعظ **والقلب الثالث** قلب يبتدي فيه خاطر الهوى فيدعوه الى الشر فيلحقه خاطر الايمان فيدعوه الى الخير مثاله ان يحمل الشيطان حملة على العقل ويقوى داعي الهوى ويقول اما ترى فلانا وفلانا كيف يطلقون انفسهم في هواها حتى يعد جماعة من العلماء فتميل النفس الى الشيطان فيحمل الملك حملة على الشيطان ويقول هل هلك الا من نسي العاقبة فلا تغتر بغفلة الناس عن انفسهم ارايت لو وقفوا في الصيف في الشمس ولك بيت بارد اكنت توافقهم ام تطلب المصلحة افتخالفهم في حر الشمس ولا تخالفهم فيما يؤول الى النار فتميل النفس الى قول الملك ويقع التردد بين الجندين الى ان يغلب على القلب ما هو اولى به فمن خلق للخير يسر له ومن خلق للشر يسر له فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء

كتاب رياضة النفس وتهذيب الخلق

ومعالجة امراض القلب وذلك في فصول اعلم ان الخلق الحسن صفة الانبياء والصديقين وان الاخلاق السيئة سموم قاتلة تنخرط بصاحبها في سلك الشيطان وامراض القلب تفوت حياة الابد فينبغي تعرف العلل ثم التشمير في معالجتها ونحن نشير الى جمل من الامراض وكيفية معالجتها في الجملة من غير تفصيل فان ذلك ياتي مبينا ان شاء الله تعالى **الفصل الاول** في فضيلة حسن الخلق وذم سوء الخلق وقد ذكرنا شيئا من ذلك في اداب الصحبة واعلم ان الناس قد تكلموا في حسن الخلق متعرضين لثمرته لا لحقيقته ولم يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل منهم ما حضر في ذهنه وكشف الحقيقة في ذلك انه يقال كثيرا ما يستعمل حسن الخلق مع الخلق فيقال فلان حسن الخلق والخلق اي حسن الظاهر والباطن فالمراد بالخلق الصورة الظاهرة والمراد بالخلق الصورة الباطنة وذلك ان الانسان مركب من جسد ونفس فالجسد مدرك بالبصر والنفس مدركة بالبصيرة ولكل واحد منهما هيئة وصورة اما جميلة او قبيحة والنفس المدركة بالبصيرة اعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ولذلك عظم الله سبحانه وتعالى امره فقال اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فنبه على ان الجسد منسو

ب الى الطين والروح منسوب اليه سبحانه وتعالى فالخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الافعال جميلة سميت خلقا حسنا وان كانت قبيحة سميت خلقا سيئا وقد زعم بعض من غلبت عليه البطالة فاستثقل الرياضة ان الاخلاق لا يتصور تغييرها كما لا يتصور تغير صورة الظاهر والجواب انه لو كانت الاخلاق لا تقبل التغير لم يكن للمواعظ والوصايا معنى وكيف ينكر تغير الاخلاق ونحن نرى الصيد الوحشي يستانس والكلب يعلم ترك الاكل والفرس يتعلم حسن المشي وجودة الانقياد الا ان بعض الطباع سريعة القبول للصلاح وبعضها مستصعبة واما خيال من اعتقد ان ما في الجبلة لا يتغير فاعلم انه ليس المقصود قمع هذه الصفات بالكلية وانما المطلوب من الرياضة رد الشهوة الى الاعتدال الذي هو وسط بين الافراط والتفريط واما قمعها بالكلية فلا كيف والشهوة انما خلقت لفائدة ضرورية في الجبلة ولو انقطعت شهوة الطعام لهلك الانسان او شهوة الوقاع لانقطع النسل ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه وقد قال تعالى اشداء على الكفار ولا تصدر الشدة الا عن الغضب ولو بطل الغضب لامتنع جهاد الكفار وقال تعالى والكاظمين الغيظ ولم يقل والفاقدين الغيظ وكذلك المطلوب في شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والتقلل قال الله تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا الا ان الشيخ المرشد للمريد اذا راى له ميلا الى الغضب والشهوة حسن ان يبالغ في ذمهما على الاطلاق ليرده الى التوسط ومما يدل على ان المراد من الرياضة الاعتدال ان السخاء خلق مطلوب شرعا وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير وقد اثنى الله عليه بقوله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما **واعلم** ان هذا الاعتدال تارة يحصل بكمال في الفطرة منحة من الخالق فكم من صبي يخلق صادقا سخيا حكيما وتارة يحصل بالاكتساب وذلك بالرياضة وهو حمل النفس على الاعمال الجالبة للخلق المطلوب فمن اراد تحصيل خلق الجود فليتكلف فعل الجواد من البذل ليصير ذلك طبعا له وكذلك من اراد التواضع تكلف افعال المتواضعين وكذلك جميع الاخلاق المحمودة فان للعادة اثرا في ذلك كما ان من اراد ان يكون كاتبا يتعاطى فعل الكتابة او فقيها تعاطى فعل

الفقهاء من التكرار حتى يعطف على قلبه صفة الفقه الا انه لا ينبغي ان يطالب تاثير ذلك
في يومين وثلثة وانما يوثر مع الدوام كما لا يطلب النمو على القامة في يومين وثلثة و
انما يوثر مع الدوام تاثير عظيم وكما لا ينبغي ان يستهان بتقليل الطاعات فان دوامها
يوثر كذلك لا يستهان بقليل الذنوب وكما ان تعاطي اسباب الفضايل يوثر في النفس
ويغير طبعها فكذلك مساكنة الكسل ايضا يصير عادة فيحرم بسببه كل خير وقد تكتسب
الاخلاق الحسنة بمصاحبة اهل الخير فان الطبع لص يسرق الخير والشر قلت ويويد
ذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل
الفصل الثاني في بيان الطريق الى تهذيب الاخلاق قد عرفت ان الاعتدال
في الاخلاق وهو صحة في النفس والميل عن الاعتدال سقم ومرض فاعلم ان مثال
النفس في علاجها كالبدن في علاجه فكما ان البدن لا يخلق كاملا وانما يكمل بالتربية
بالغذاء كذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وانما تكمل بالتزكية وتهذيب الاخلاق
والتغذية بالعلم وكما ان البدن اذا كان صحيحا فشان الطبيب العمل على حفظ
الصحة وان كان مريضا فشانه جلب الصحة اليه كذلك النفس ان كانت زكية
طاهرة مهذبة الاخلاق فينبغي ان يسعى لحفظها وجلب مزيد قوة اليها وان كانت
عديمة الكمال فينبغي ان يسعى لجلب ذلك اليها وكما ان العلة الموجبة لمرض البدن
لا تعالج الا بضدها ان كانت من حرارة فالبرودة وان كانت من البرودة فبالحرارة
فكذلك الاخلاق الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل
بالعلم ومرض البخل بالسخاء ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن المشتهى
وكما انه لا بد من احتمال مرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات لصلاح الابدان
المريضة فكذلك لا بد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر على مداواة مرض القلب بل اولى
فان مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب عذاب يدوم بعد الموت ابدا وينبغي
للذي يطب نفوس المريدين ان لا يهجم عليهم بالرياضة في فن مخصوص حتى يعرف
اخلاقهم وامراضهم اذ ليس علاج كل المرضى واحدا فاذا راى جاهلا بالشرع علمه و
اذا راى متكبرا حمله على ما يوجب التواضع او شديد الغضب الزمه الحلم واشد حاجة
الرايض لنفسه قوة العزم فمتى كان مترددا بعد فلاحه ومتى احس من نفسه ضعف العزم

العزم يصبر فان نقضت عزيمتها عاقبها لئلا تعاود كما قال رجل لنفسه تكلمني
فيما لا يعنيك لاعاقبنك بصوم سنة **الفصل الثالث** في علامات مرض القلب
وعوده الى الصحة وبيان الطريق الى معرفة الانسان عيوب نفسه اعلم ان كل عضو
خلق لفعل خاص فعلامة مرضه ان يتعذر منه ذلك الفعل او يصدر منه مع
نوع من الاضطراب فمرض اليد تعذر البطش ومرض العين تعذر الابصار
ومرض القلب يتعذر عليه فعله الخاص به الذي خلق لاجله وهو العلم والحكمة و
المعرفة وحب الله تعالى وعبادته وايثار ذلك على كل شهوة فلو ان الانسان عرف كل
شيء ولم يعرف الله سبحانه كان كانه لم يعرف شيا وعلامة المعرفة الحب فمن عرف الله احبه
وعلامة المحبة ان لا يوثر عليه شيا من المحبوبات فمن اثر عليه شيا من المحبوبات
فقلبه مريض كما ان المعدة التي تؤثر اكل الطين على اكل الخبز او قد سقطت عنها
شهوة الخبز مريضة ومرض القلب خفي قد لا يعرفه صاحبه فلذلك يغفل عنه
وان عرفه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه لان دواءه مخالفة الهوى وان وجد الصبر
لم يجد طبيبا حاذقا يعالجه فان الاطباء هم العلماء والمرض قد استولى عليهم والطبيب
المريض قلما يلتفت الى علاجه فلهذا صار الداء عضالا واندرس هذا العلم و
انكر طب القلوب ومرضها بالكلية واقبل الناس على اعمال ظاهرها عبادات
وباطنها عادات فهذه علامة اصل المرض **واما عافيته** وعوده الى الصحة
بعد المعالجة فهو ان ينظر الى العلة فان كان يعالج داء البخل فعلاجه بذل المال
ولكن لا يسرف ويصير الى حد التبذير فيحصل داء اخر فيكون كمن يعالج البرودة بالحرارة
الغالبة حتى تغلب الحرارة فيكون داء ايضا بل المطلوب الاعتدال واذا اردت
ان تعرف الوسط فانظر الى نفسك فان كان امساك المال وجمعه الذ عندك
وايسر عليك من بذله لمستحقه فاعلم ان الغالب عليك خلق البخل فعالج نفسك
على البذل وان صار البذل المستحق عندك الذ عندك واخف عليك من الامساك
فقد غلب عليك التبذير فارجع الى المواظبة على الامساك ولا تزال تراقب نفسك
وتستدل على خلقك بتيسر الافعال وتعسرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن
المال فلا تميل الى بذله ولا امساكه بل يصير عندك كالماء فلا تطلب فيه الامساك لحاجة

محتاج او بذله بحاجة محتاج فكل قلب صار كذلك فقد جاء الله سليما في هذا المقام ويجب
ان يكون سليما عن ساير الاخلاق حتى لا تكون علاقة بشئ من الدنيا حتى ترتحل النفس
عن الدنيا منقطعة العلايق منها غير ملتفتة اليها ولا متشوقة الى اسبابها فحينئذ ترجع
الى ربها رجوع النفس المطمئنة ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض
بل هو ادق من الشعر واحد من السيف فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم
في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في الاخرة ولاجل عز الاستقامة امر العبد ان يقول في كل يوم
مرات اهدنا الصراط المستقيم ومن لم يقدر على الاستقامة فليجتهد على القرب من
الاستقامة فان النجاة بالعمل الصالح ولا تصدر الاعمال الصالحة الا عن الاخلاق
الحسنة فليتفقد كل عبد صفاته واخلاقه وليشتغل بعلاج واحد بعد واحد وليصبر
ذو العزم على مضض هذا الامر فانه يستحلو كما تحل الفطام للطفل بعد كراهته له
فلو رد الى الثدي لكرهه ومن عرف قصر العمر بالاضافة الى مدة حياة الاخرة حمل
مشقة سفر ايام لتنعم الابد فعند ذلك يحمد القوم السرى **واعلم** ان الله تعالى اذا
اراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كملت بصيرته لم تخف عليه عيوبه واذا عرف
العيوب امكنه العلاج ولكن اكثر الناس جاهلون بعيوبهم يرى احدهم القذى في
عين اخيه ولا يرى ذلك في عينه فمن اراد الوقوف على عيب نفسه فله في ذلك اربع طرق
الطريق الاول ان يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس يعرف عيوب
نفسه وطريق علاجها وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده فمن وقع به فقد وقع
بالطبيب الحاذق فلا ينبغي ان يفارقه **الطريق الثانية** ان يطلب صديقا
صدوقا بصيرا متدينا وينصبه رقيبا على نفسه لينبهه على المكروه من اخلاقه و
افعاله **وقد** كان عمر رضي الله تعالى عنه يقول رحم الله امرئ اهدى الينا عيوبنا
وسال سلمان لما قدم عليه عن عيوبه فقال سمعت انك جمعت بين ادمين على
مائدة وان لك حلتين حلة بالليل وحلة بالنهار فقال هل بلغك غير هذا قال لا قال
اما هذان فقد كفيتهما **وكان** عمر يسال حذيفة هل انا من المنافقين وهذا لان
كل من علت مرتبته في اليقظة زاد اتهامه لنفسه الا انه قد عز في هذا الزمان
وجود صديق على هذه الصفة لانه قل في الاصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب

بالعيب او يترك الحسد فلا نزيد على قدر الواجب **وقد** كان السلف يحبون من
ينبههم بعيوبهم ونحن الان في الغالب ابغض الناس الينا من يعرفنا عيوبنا
وهذا دليل على ضعف الايمان فان الاخلاق السيئة كالعقارب ولو ان منبها نبهنا
على ان تحت ثوب احدنا عقربا لتقلدنا المنة واشتغلنا بقتلها والاخلاق الرديئة
اعظم ضررا من العقرب على ما لا يخفى **الطريق الثالثة** ان يستفيد معرفة
عيوب نفسه من السنة اعدائه فان عين السخط تبدي المساوي وانتفاع
الانسان بعدو مشاجر يذكر عيوبه اكثر من انتفاعه بصديق مداهن يخفي
عنه عيوبه **الطريق الرابعة** ان يخالط الناس فكل ما يراه مذموما فيما بينهم
يجتنبه **فصل** وقد ذكرنا ان شهوات النفوس لم توضع الا لفايدة
اذ لولا شهوة المطعم ما حصل تناول الغذا ولولا شهوة الجماع لانقطع النسل
وانما المذموم فضول الشهوات وطغيانها وثم قوم لم يفهموا هذا القدر فاخذوا
يتركون ما تشتهيه النفس وهذا ظلم لها باسقاط حقها فان لها حقا بدليل
قوله عليه السلام ان لنفسك عليك حقا حتى ان قايلا منهم يقول لي كذا وكذا سنة
اشتهي كذا فلا اتناوله وهذا انحراف عن الحق وخلاف سنة رسول الله صلى
الله عليه وسلم فانه كان يتناول المشتهى من الحلوا والعسل وغيرهما فلا يلتفت
الى زاهد قل علمه فحرم على نفسه حظها من المشتهى على الاطلاق فانه الى الظلم
اقرب منه الى العدل وانما يترك المشتهى اذا اصعبت الطريق اليه مثل ان لا
يحصل الا بوجه مكروه او يخاف من تناوله الحلال عزم فقطع النفس في ابتدائه
او يحذر من ذلك زيادة شبع فيثقل عن عبادة فاما تناوله في بعض الاوقات
لتقوية النفس فذلك كالطب للمريض يمدح ولا يذم ولا باس بالرفق بالنفس
لتقوى على السلوك **بيان علامة حسن الخلق** ربما جاهد المريد نفسه
حتى ترك الفواحش والمعاصي ثم ظن انه قد هذب خلقه واستغنى عن المجاهدة
وليس كذلك فان حسن الخلق هو مجموع صفات المومنين وقد وصفهم الله تعالى
فقال انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله اولئك هم المومنون
حقا وقال التائبون العابدون الى قوله وبشر المومنين وقال قد افلح المومنون

الى قوله اولئك هم الوارثون وقال عباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا
الى اخر السورة فمن اشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الايات فوجود جميع
هذه الصفات علامة حسن الخلق وفقد جميعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها
دون البعض يدل على البعض دون البعض فليشتغل بحفظ ما وجده وتحصيل ما فقده
وقد وصف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المؤمن بصفات كثيرة واشار
بها الى محاسن الاخلاق ففي الصحيحين من حديث انس ان النبي صلى الله تعالى عليه
قال والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وفيهما
ايضا من حديث ابي هريرة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال من كان يؤمن
بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره
ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت وفي حديث اخر
اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم اخلاقا ومن حسن الخلق احتمال الاذى ففي الصحيحين
ان اعرابيا جبذ رداء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اثرت حاشيته في عاتقه
صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت اليه رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ضحك ثم امر له بعطاء وكان اذا اذاه قومه قال اللهم
اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وكان اويس القرني اذا رماه الصبيان بالحجارة
يقول يا اخوتاه ان كان ولا بد فارموني بالصغار لئلا تدموا ساقي فتمنعوني من
الصلاة وخرج ابرهيم بن ادهم الى بعض البراري فاستقبله جندي فقال اين
العمران فاشار له الى المقبرة فضرب راسه فشجه فلما اخبر انه ابرهيم جعل يقبل
يده ورجله فقال انه لما ضرب راسي سالت الله له الجنة لاني علمت اني اوجر
بضربه اياي فلم احب ان يكون نصيبي منه الخير ونصيبه مني الشر واجتاز
بعضهم في سكة فطرح عليه رماد من سطح فجعل اصحابه يتكلمون فقال من
استحق النار فصولح على الرماد ينبغي له ان لا يغضب فهذه نفوس
ذللت بالرياضة فاعتدلت اخلاقها ونقيت عن الغش بواطنها فاثمرت
الرضاء بالقضاء ومن لم يجد من نفسه بعض هذه العلامات التي وجدها
هؤلاء فينبغي ان يداوم الرياضة بعد ما وصل فصل في رياضة الصبيا

ن في اول النشوء اعلم ان الصبي امانة عند والديه وقلبه جوهرة ساذجة و
هي قابلة لكل نقش فان عود الخير نشأ عليه وشاركه ابواه ومؤدبه في ثوابه
وان عود الشر نشأ عليه وكان الوزر في عنق وليه فينبغي ان يصونه ويؤدبه و
يهذبه ويعلمه محاسن الاخلاق ويحفظه من قرناء السوء ولا يعوده التنعم ولا يحبب
اليه اسباب الزينة واسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها اذا كبر بل ينبغي
ان يراقبه من اول عمره فلا يستعمل في رضاعه وحضانته الا امراة صالحة متدينة
تاكل الحلال فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فاذا بدت فيه مخايل التمييز واولها
الحياء وذلك علامة النجابة وهي مبشرة بكمال العقل عند البلوغ فهذا يستعان
على تاديبه بحيائه واول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغي ان يعلم
اداب الاكل ويعوده اكل الخبز وحده في بعض الاوقات لئلا يالف الادام فيراه
كالحتم ويقبح عنده كثرة الاكل بان يشبه الكثير الاكل بالبهائم ويحبب اليه الثياب
البيض دون الملونة والابريسم ويقرر عنده ان ذلك من شان النساء والمخنثين
ويمنعه من مخالطة الصبيان الذين عودوا التنعم ثم يشغله في المكتب بتعليم القران
واحاديث الاخيار ليغرس في قلبه حب الصالحين ولا يحفظ من الاشعار التي
فيها ذكر العشق ومتى ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي ان يكرم عليه
ويجازى بما يفرح به ويمدح بين اظهر الناس فان خالف ذلك في بعض الاحوال
تغوفل عنه ولا يكاشف فان عاد عوتب سرا وخوف من اطلاع الناس عليه
ولا يكثر عليه العتاب لان ذلك يهون عليه سماع الملامة وليكن حافظا هيبة
الكلام معه وينبغي للام ان تخوفه بالاب وينبغي ان يمنع النوم نهارا فانه يورث
الكسل ولا يمنع النوم ليلا ولكن يمنع الفرش الوطية لتتصلب اعضاؤه
ويتعود الخشونة في المفرش والملبس والمطعم ويعود المشي والحركة والرياضة
لئلا يغلب عليه الكسل ويمنع ان يفتخر على اقرانه بشيء مما يملكه ابواه او بمطعمه
او ملبسه ويعود التواضع والاكرام لمن يعاشره ويمنع ان ياخذ شيئا من صبي
مثله ويعلم ان الاخذ دناءة وان الرفعة في الاعطاء ويقبح عنده حب الذهب
والفضة ويعود ان لا يبصق في مجلسه ولا يتمخط ولا يتثاءب بحضرة غيره ولا يضع

رجلا على رجل ويمنع من كثرة الكلام ويعود ان لا يتكلم الا جوابا وان يحسن الاستماع
اذا تكلم غيره ممن هو اكبر منه وان يقوم لمن هو فوقه ويجلس بين يديه ويمنع من
فحش الكلام ومن مخالطة من يفعل ذلك فان اصل حفظ الصبيان حفظهم من قرناء
السوء ويحسن ان يفسح له بعد خروجه من المكتب في لعب جميل يستريح به من
تعب التاديب كما قيل روحوا القلوب تعي الذكر وينبغي ان يعلم طاعة والديه
ومعلمه وتعظيمهم واذا بلغ سبع سنين امر بالصلاة ولم يسامح في ترك الطهارة
ليعتاد ويخوف من الكذب والخيانة واذا قارب البلوغ القيت اليه الامور
واعلم ان الاطعمة ادوية ومقصودها تقوية البدن على طاعة الله تعالى
وان الدنيا لا بقاء لها وان الموت يقطع نعيمها وهو منتظر في كل ساعة وان
العاقل من تزود لاخرته فان كان نشوه صالحا ثبت هذا في قلبه كما يثبت النقش
في الحجر قال سهل بن عبد الله كنت ابن ثلث سنين وانا اقوم بالليل انظر
الى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي خالي يوما الا تذكر الله الذي خلقك قلت
كيف اذكره قال قل بقلبك ثلث مرات من غير ان تحرك لسانك الله معي
الله ناظر الى الله شاهدي فقلت ذلك ليالي ثم اعلمته فقال قلها في كل ليلة احدى
عشرة مرة فقلت ذلك فوقع في قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة قال لي خالي احفظ
ما علمتك ودم عليه الى ان تدخل قبرك فلم ازل على ذلك سنين فوجدت له حلاوة
في سري ثم قال خالي يا سهل من كان الله معه وهو ناظر اليه وشاهده يعصيه
اياك والمعصية ومضيت الى المكتب وحفظت القران وانا ابن ست
سنين او سبع ثم كنت اصوم الدهر وقوتي من خبز الشعير ثم بعد ذلك
كنت اقوم الليل كله فصل واعلم ان من شاهد الاخرة بقلبه مشاهدة
يقين اصبح بالضرورة مريدا لها زاهدا في الدنيا فان كان معه خرزة فراى جوهرة
نفيسة لم يبق له رغبة في الخرزة فاذا قيل له بعها بالجوهرة اسرع الى ذلك واعلم
ان من رزقه الله تعالى الانتباه لذلك فان عليه لسلوك الرياضة شرطا لا بد من
تقديمه ومعتصما لا بد من التمسك به وحصنا لا بد من التحصن به فاما
الشرط فهو رفع الحجاب بترك الذنوب واما المعتصم فشيخ يدله على الطريق لئلا

تختطفه الشياطين في السبل واما الحصن فالخلوة وعليه من الوظائف
مخالفة الهوى وكثرة الذكر والاقتصاد في الاوراد ومنتهى الرياضة ان يجد قلبه
مع الله ابدا ولا يمكن ذلك الا بان يخلو من غيره ولا يخلو الا بطول المجاهدة فهذا
منهاج رياضة المريد وتربيته في التدريج فاما تفصيل الرياضة في كل صفة
فسياتي بيانه ان شاء الله تعالى كتاب كسر الشهوتين شهوة البطن
وشهوة الفرج شهوة البطن من اعظم المهلكات وبها اخرج ادم من الجنة
ومن شهوة البطن تحدث شهوة الفرج والرغبة في المال ويتبع ذلك افات
كثيرة كلها من بطر الشبع وفي الحديث ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال المؤمن
ياكل في معا واحد والكافر ياكل في سبعة امعاء وفي حديث اخر ما ملا ابن ادم
وعاء شرا من بطن حسب ابن ادم اكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث
طعام وثلث شراب وثلث لنفسه وقال عقبة الراسبي دخلت على الحسن
وهو يتغدى فقال هلم فقلت اكلت لا استطيع فقال سبحان الله او ياكل
المسلم حتى لا يستطيع ان ياكل وقد بالغ جماعة من الزهاد في التقلل من الاكل و
الصبر على الجوع وقد بينا عيب ما سلكوا في غير هذا الكتاب ومقام العدل في
الاكل رفع اليد مع بقاء شيء من الشهوة ونهاية المقام الحسن قوله صلى الله تعالى
عليه وسلم ثلث طعام وثلث شراب وثلث لنفسه والاكل في مقام العدل
يصح البدن وينفي المرض وذلك ان لا يتناول الطعام حتى يشتهيه ثم يرفع يده
وهو يشتهيه والدوام على التقلل من الطعام يضعف القوى وقد قلل اقوام
مطاعمهم حتى عجزوا عن الفرائض وظنوا بجهلهم ان ذلك فضيلة وليس كذلك
ونحن لا نمدح الجوع فانها اشارة الى الحالة المتوسطة التي ذكرناها وطريق الرياضة
في كسر شهوة البطن ان من تعود استدامة الشبع فينبغي له ان يقلل من مطعمه
يسيرا يسيرا مع الزمان الى ان يقف على حد التوسط الذي اشرنا اليه وخير الامور
اوساطها فالاولى تناول ما لا يمنع من العبادة ويكون سببا لبقاء القوة فلا يحس
المتناول بجوع ولا شبع فحينئذ يصح البدن ويجتمع الهم ويصفو الفكر ومتى زاد
ذلك في الاكل اورثه كثرة النوم وبلادة الذهن وذلك بتكثير البخار في الدماغ

اراد به ان المؤمن يعقل حصه ويزهد
على الطعام ويبارك له في ماكله ومن يد
يشبع من قليل وكلها في شدة الحرص
لا مطمح لنظره الا الى المطاعم وان كان
كالانعام فمثل ما بينهما من التفاوت
في الشره بما بين من ياكل في معاء
واحد او متى يا في سبعة امعاء و
هذا باعتبار الاعم الاغلب ولعله
ان وجدت ما اكولا فلو فحصت
وخوت من الكفار من تفضيله
نمت اضعافا فاضعافا عنه
فاحفظ لسطا وق
على الصانع

حتى يغطي مكان الفكر وموضع الذكر ويجلب امراضا اخر وليحذر من ترك
شيا من الشهوات ان يتطرق اليه افة الريا وقد كان بعضهم يشتري الشهوة
ويعلقها في بيته وهو زاهد فيها يشتريها زهدة وهذا هو الزهد في الزهد ناظرا رضه
وهو عمل الصديقين لانه يجرع نفسه كاس الصبر مرتين والثانية امر واما
شهوة الفرج فاعلم ان شهوة الوقاع سلطت على الادمي لفايدتين احدهما بقاء
النسل والثانية ليدرك لذة يقيس عليها لذات الاخرة فانما لم يدرك جنسه
بالذوق لا يعظم اليه الشوق الا انه اذا لم ترد هذه الشهوة الى الاعتدال جلبت افات
كثيرة ومحنا ولولا ذلك ما كان النساء حبايل الشيطان وفي الحديث ان النبي صلى الله تعا
عليه وسلم قال ما تركت في الناس بعدي فتنة اضر على الرجال من النساء وقال
بعض الصالحين لو ايتمنني رجل على بيت مال لظننت ان اودي اليه الامانة
ولو ايتمنني على زنجية اخلو بها ساعة واحدة ما ائتمنت نفسي عليها وعن النبي
صلى الله تعا عليه وسلم قال لا يخلون رجل بامراة فان ثالثهما الشيطان وقد
ينتهي الافراط في هذه الشهوة حتى تصرف همة الرجل الى كثرة التمتع بالنساء فيشغل
عن ذكر الاخرة وربما ال الى الفواحش وقد تنتهي بصاحبها الى العشق وهي
اقبح الشهوات واجدرها ان يستحي منه وقد يقع عند كثير من الناس عشق
المال والجاه واللعب بالنرد والشطرنج والطيور ونحو ذلك فتستولي هذه الاشياء
على القلوب فلا يصبرون عنها ويسهل الاحتراز عن ذلك في بدايات الامور
فان اخرها يفتقر الى علاج شديد وقد لا ينجع ومثال من يصرف عنان الدابة
عند توجهها الى باب تريد دخوله فما اهون منعها بصرف عنانها ومثال من يعالج
بعد استحكامه مثال من يتركها حتى يدخل الباب ويتجاوزه ثم ياخذ بذنبها يجرها
الى وراء وما اعظم التفاوت بين الامرين **كتاب افات اللسان**
وافاته كثيرة متنوعة ولها في القلب حلاوة ولها بواعث من الطبع ولا نجاة
من خطرها الا بالصمت فلنذكر اولا فضيلة الصمت ثم نتبعه بذكر الافات
مفصلة ان شاء الله اعلم ان الصمت يجمع الهم ويفرغ الفكر وفي الحديث
ان النبي صلى الله تعا عليه وسلم قال من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه

جليه اضمن له الجنة وفي حديث اخر لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم
قلبه حتى يستقيم لسانه وفي حديث معاذ في اخره كف عليك هذا فقلت يا رسول
الله وانا لمواخذون بما نتكلم به قال ثكلتك امك يا معاذ وهل يكب الناس في
النار على وجوههم او قال على مناخرهم الا حصايد السنتهم وفي حديث اخر من
كف لسانه ستر الله عورته ما شيء احوج الى طول سجن من لسان وقال ابو الدرداء
انصف اذنك من فيك فانما جعلت لك اذنان وفم واحد لتسمع اكثر
مما تتكلم به وقال مخلد بن الحسين ما تكلمت منذ خمسين سنة بكلمة اريد
ان اعتذر منها **ذكر افات الكلام** الافة الاولى الكلام فيما لا يعني واعلم
ان من عرف قدر زمانه وانه راس ماله لم ينفقه الا في فايدة وهذه المعرفة
توجب حبس اللسان عن الكلام فيما لا يعني لانه من ترك ذكر الله تعا واشتغل
بمباح لا يعنيه كان كمن قدر على اخذ جوهرة فاخذ عوضها مدرة وهذا
خسران العمر وفي الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من حسن اسلام
المرء تركه ما لا يعنيه وقيل للقمان الحكيم ما بلغ من حكمتك قال لا اسال عما
كفيت ولا اتكلف ما لا يعنيني وقد روي انه دخل على داود عليه السلام
وهو يسرد درعا فجعل يتعجب مما راى فاراد ان يساله عن ذلك فمنعته حكمته
فامسك فلما فرغ داود قام ولبس الدرع ثم قال نعم الدرع للحرب فقال
لقمان الصمت حكم وقليل فاعله **الافة الثانية** الخوض في الباطل وهو
الكلام في المعاصي كذكر مجالس الخمر ومقامات الفساق وانواع الباطل
كثيرة وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان العبد ليتكلم
بالكلمة يزل بها في النار ابعد ما بين المشرق والمغرب وقريب من ذلك
الجدال والمراء وهو كثرة الملاحاة للشخص لبيان غلطه او افحامه والباعث على ذلك
الترفع فينبغي للانسان ان ينكر المنكر من القول ويبين الصواب فان قبل منه والا
ترك المماراة هذا اذا كان الامر متعلقا بالدين فاما اذا كان في امور الدنيا فلا وجه
للمجادلة فيه وعلاج هذه الافة بكسر الكبر الباعث على اظهار الفضل واعظم
من المراء الخصومة فانها امر زايد على المراء وعن النبي صلى الله تعا عليه وسلم

انه قال ابغض الرجال الى الله الالد الخصم وهذه الخصومة نعني بها الخصومة بالباطل او بغير
علم فامامن له حق فالاولى انه يصدق على الخصومة مهما امكن لانها توغر في الصدر
وتهيج الغضب وتورث الحقد وتخرج الى تناول العرض الافة الثالثة التقعر في
الكلام وذلك يكون بالتشدق وتكلف السجع وعن ابي ثعلبة قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ان ابغضكم الي وابعدكم مني يوم القيمة مساويكم اخلاقا
الثرثارون المتشدقون المتفيهقون ولا يدخل في كراهة السجع والتصنع الفاظ
الخطيب والتذكر من غير افراط ولا اغراب لان المقصود من ذلك تحريك القلوب
وتشويقها ورشاقة اللفظ ونحو ذلك الافة الرابعة الفحش والسب والبذا
فان ذلك ونحوه مذموم منهي عنه ومصدره الخبث واللوم وفي الحديث اياكم
والفحش فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش الجنة حرام على كل فاحش وفي حديث
اخر ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي واعلم ان
الفحش والبذا هو التعبير عن الامور المستقبحة بالعبارات الصريحة واكثر ما يكون
ذلك في الفاظ الجماع وما يتعلق به فان اهل الخير يتحاشون عن تلك العبارات
ويكنون عنها ومن الافات الغنى وقد سبق فيه كلام في غير هذا الموضع الافة
الخامسة المزاح اما اليسير منه فلا ينهى عنه اذا كان صدقا فان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم كان يمزح ولا يقول الا حقا فانه قال لرجل يا ذا الاذنين وقال لاخر
انا حاملوك على ولد الناقة وقال لعجوز انه لا يدخل الجنة عجوز ثم قرا انا انشاناهن
انشاء وقال لاخرى زوجك الذي في عينيه بياض فقد اتفق في مزاحه صلى الله
تعالى عليه وسلم ثلثة اشيا احدها كونه حقا والثاني كونه مع النساء والصبيان ومن
يحتاج الى تاديبه من ضعفاء الرجال الثالث كونه نادرا فلا ينبغي ان يحتج به من
يريد الدوام عليه فان حكم النادر ليس كحكم الدايم ولو ان انسانا دار مع الحبشة ليلا
ونهارا ينظر الى لعبهم واحتج بان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقف لعايشة
واذن لها ان تنظر الى الحبشة لكان غالطا لندور ذلك فالافراط في المزاح والمداومة
عليه منهي عنه لانه يسقط الوقار ويوجب الضغاين والاحقاد واما اليسير كما
تقدم من نحو مزح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فان فيه انبساطا وطيب نفس

نفس الافة السادسة السخرية والاستهزاء ومعنى السخرية الاحتقار والاستهانة
والتنبيه على العيوب والنقايض على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكاة في
الفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايماء وكل ذلك محرم في الشرع وورد النهي عنه في
الكتاب والسنة الافة السابعة افشاء السر واخلاف الوعد والكذب في القول
واليمين وكل ذلك منهي عنه الا ما رخص فيه من الكذب فان ذلك يباح وضابطه
ان كل مقصود محمود لا يمكن التوصل اليه الا بالكذب فهو فيه مباح ان كان ذلك المقصود
مباحا وان كان المقصود واجبا فهو واجب وينبغي ان يحترز عن الكذب مهما امكن وانما تصلح
المعاريض عند الحاجة اليها فاما مع غير الحاجة فمكروهة لانه تشبه الكذب فمن المعاريض
ما روينا عن عبد الله بن رواحة انه اصاب جارية له فعلمت امراته فاخذت شفرة
ثم اتته فوافقته وقد قام عنها فقالت افعلتها فقال ما فعلت شيا قالت لتقران
القران او لابعجنك بها فقال وفينا رسول الله يتلو كتابه اذا انشق معروف
من الفجر ساطع يبيت يجافي جنبه عن فراشه اذا استثقلت بالكافرين المضاجع
ارانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات ان ما قال واقع فقالت امنت بالله
وكذبت بصري وكان النخعي اذا طلب قال للجارية قولي اطلبوه في المسجد الافة
الثامنة الغيبة وقد ورد الكتاب العزيز بالنهي عنها وشبه صاحبها باكل الميتة
وفي الحديث ان دماكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام وعن ابي برزة الاسلمي
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر من امن بلسانه ولم يدخل الايمان
قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورة يتبع الله عورته
ومن يتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته وفي حديث اخر اياكم والغيبة
فان الغيبة اشد من الزنا ان الرجل قد يزني ويشرب ويتوب الله عليه
وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه وقال علي بن الحسين
اياك والغيبة فانها ادام كلاب الناس والاحاديث والاثار في ذلك كثيرة
مشهورة ومعنى الغيبة ان تذكر اخاك الغايب بما يكرهه اذا بلغه سواء كان نقصا
في بدنه كالعمش والعور والحول والقرع والطول والقصر ونحو ذلك وفي نسبه كقولك
ابوه نبطي او هندي او فاسق او خسيس ونحو ذلك او في خلقه كقولك

مهما امكن وتباح المعاريض لقوله صلى الله عليه وسلم ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب

هو سيء الخلق بخيل متكبر ونحو ذلك او في ثوبه كقولك هو طويل الذيل واسع الكم
وسخ الثياب والدليل على ذلك ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سئل عن الغيبة قال ذكر
اخاك بما يكره قال ارايت ان كان في اخي ما اقول يا رسول الله قال ان كان في اخيك ما
تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته **واعلم** ان كل ما يفهم منه
مقصود الذم فهو داخل في الغيبة سواء كان بكلام او غيره كالغمز والاشارة والكتابة
بالقلم فان القلم احد اللسانين واقبح انواع الغيبة غيبة المتزهدين المرائين مثل
ان يذكر عندهم انسان فيقولون الحمد لله الذي لم يبتلينا بالدخول على السلطان والتبذل
في طلب الحطام او يقولون نعوذ بالله من قلة الحياء ونسال الله العافية فانهم يجمعون
بين ذم المذكور ومدح انفسهم وربما قال احدهم عند ذكر انسان ذلك المسكين
قد بلي بافة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو يظهر الدعاء له ويخفي قصده **واعلم**
ان المستمع للغيبة شريك فيها ولا يتخلص من اثم سماعها الا ان ينكر بلسانه فان خاف
فبقلبه وان قدر على القيام او قطع الكلام بكلام اخر لزمه ذلك **و**قد روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من اذل عنده مؤمن وهو يقدر ان ينصره فلم ينصره اذله الله عز وجل
على رؤس الخلايق **وقال** صلى الله عليه وسلم من حمى مؤمنا من منافق يعيبه بعث الله
ملكا يحمي لحمه يوم القيمة من نار جهنم **و**راى عمرو بن عتبة مولاه مع رجل وهو يقع في اخر
فقال له ويلك نزه سمعك عن استماع الخنا كما تنزه نفسك عن القول به فان المستمع
شريك القائل وانما نظر الى شر ما في وعائه فافرغه في وعائك ولو ردت كلمة سفيه
في فيه لسعد بها رادها كما شقي بها قائلها وقد وردت احاديث في حق المسلم على
المسلم تقدمت في كتاب الصحبة **فصل في بيان الاسباب الباعثة على الغيبة
وذكر علاجها** اما الاسباب التي تبعث على الغيبة فكثيرة منها تشفي الغيظ بان يجري
من انسان في حق اخر سبب يوجب غيظه فكلما هاج غضبه تشفى بغيبة صاحبه
السبب الثاني من البواعث على الغيبة موافقة الاقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم
فانهم اذا كانوا يتفكهون في الاعراض راى هذا انه اذا انكر عليهم او قطع كلامهم
استثقلوه ونفروا عنه فساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة **الثالث** اراده
رفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك ونحو ذلك وغرضه ان

ان يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويريهم انه اعلم منه وكذلك الحسد في ثناء الناس
على شخص وحبهم له واكرامهم فيقدح فيه ليقصد زوال ذلك **الرابع** اللعب و
الهزل فيذكر غيره بما يضحك الناس به على سبيل المحاكاة حتى ان بعض الناس يكون
كسبه من هذا **واما** علاج الغيبة فليعلم المغتاب انه بالغيبة متعرض لسخط الله
ومقته وان حسناته تنقل الى المغتاب وان لم يكن له حسنات نقل اليه من سيات
خصمه فمن استحضر ذلك لم يطلق لسانه بالغيبة وينبغي اذا عرضت له الغيبة ان يتفكر
في عيوب نفسه ويشتغل باصلاحها ويستحي ان يغيب وهو معيب كما قال بعضهم

فان عبت قوما بالذي فيك مثله فكيف يعيب الناس من هو اعور
وان عبت قوما بالذي ليس فيهم فذالك عند الله والناس اكبر

وان ظن انه سليم من العيوب فليشتغل بالشكر على نعم الله عليه ولا يلوث نفسه
باقبح العيوب وهو الغيبة وكما لا يرضى لنفسه بغيبة غيره له فينبغي ان لا يرضاها
لغيره من نفسه ولينظر في السبب الباعث على الغيبة فيجتهد على قطعه فان
علاج العلة يكون بقطع سببها وقد ذكرنا بعض اسبابها فيعالج الغضب بما سياتي
في كتاب الغضب ويعالج موافقة الجلاس بان يعلم ان الله يغضب على من طلب
رضى المخلوقين بسخطه بل ينبغي ان يغضب على رفقائه وعلى نحو هذا معالجة
البواقي **فصل** وقد تحصل الغيبة بالقلب وذلك سوء الظن بالمسلمين و
الظن ما تركن اليه النفس ويميل اليه القلب فليس لك ان تظن بالمسلم
شرا الا اذا انكشف امر لا يحتمل التاويل فان اخبرك بذلك عدل فمال قلبك
الى تصديقه كنت معذورا لانك لو كذبته كنت قد اسات الظن بالمخبر فلا
ينبغي ان يحسن الظن بواحد ويسيئه باخر بل ينبغي ان تبحث هل بينهما عداوة
وحسد فتتطرق التهمة بسبب ذلك ومتى خطر لك خاطر بسوء على مسلم
فينبغي ان تزيد في مراعاته وتدعو له بالخير فان ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك
فلا يلقي اليك خاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء له والمراعات واذا
تحققت هفوة مسلم فانصحه في السر **واعلم** ان من ثمرات سوء الظن
التجسس فان القلب لا يقنع بالظن بل يطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وذلك

وقال سفين بن حسين كنت جالسا عند اياس بن معوية فقلت من انسان فقال لي اغزوت العام الترك والروم فقلت لا فقال سلم منك الترك والروم وما سلم منك اخوك المسلم وقيل يعطي الرجل كتابه فيرى فيه حسنات لم يعملها فيقال الدعا اغتابك الناس وانت لا تشعر ذكره في باب العسه م

وقال يحيى بن معاذ ليكن حظ المؤمن منك ثلث خصال ان لم تنفعه فلا تضره وان لم تسره فلا تغمه وان لم تمدحه فلا تذمه [illegible]

منهى عنه لانه يوصل الى هتك ستر المسلم ولو لم ينكشف لك كان قلبك اسلم للمسلم
بيان الاعذار المرخصة في الغيبة وكفارة الغيبة اعلم ان المرخص في ذكر
مساوي الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل اليه الا به وذلك بدفع
اثم الغيبة وهو امور احدها التظلم فان للمظلوم ان يذكر الظالم اذا استدعاه
الى من يستوفي حقه الثاني الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى منهاج
الصلاح الثالث الاستفتاء مثل ان يقول للمفتي ظلمني فلان او اخذ حقي فكيف
طريقي في الخلاص فالتعيين مباح والاولى التعريض وهو ان يقول ما تقول
في رجل ظلمه ابوه او اخوه ونحو ذلك والدليل على اباحة التعيين حديث هند
حين قال ان ابا سفين رجل شحيح ولم ينكر عليها النبي صلى الله عليه وسلم
الامر الرابع تحذير المسلمين مثل ان ترى متفقها يتردد الى مبتدع او فاسق
وتخاف ان يتعدى اليه ذلك فلك ان تكشف له الحال وكذلك اذا عرفت من عبدك
السرقة او الفسق فتذكر ذلك للمشتري وكذلك المستشار في التزويج وايداع
الامانة له ان يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير لا على قصد الوقيعة اذا
علم انه لا ينزجر الا بالتصريح الخامس ان يكون معروفا بلقب كالاعرج
والاعمش فلا اثم على من يذكره به وان وجد عن ذلك معدلا كان اولى السادس
ان يكون مجاهرا بالفسق ولا يستنكف ان يذكر به وقد روى عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال من القى جلباب الحياء فلا غيبة له وقيل للحسن الفاجر
المعلن بفجوره ذكري له بما فيه غيبة قال لا ولا كرامة واما كفارة الغيبة فاعلم ان
المغتاب قد جنا جنايتين احداهما على حق الله تعالى اذ فعل ما نهاه عنه فكفارة
ذلك التوبة والندم والجناية الثانية على عرض المخلوق فان كانت الغيبة قد بلغت
الرجل جاء اليه واستحله واظهر له الندم على فعله وقد روى ابو هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال من كانت عنده مظلمة لاخيه من مال او عرض فليأته
فليستحلها منه قبل ان يوخذ وليس عنده درهم ولا دينار فان كانت له حسنات
اخذ من حسناته فاعطيها هذا والا اخذ من سيئات هذا فالقي عليه وان كانت
الغيبة لم تبلغ الرجل جعل مكان استحلاله الاستغفار له لئلا يخبره بما لا يعلم فيوغر

صدره وقد ورد في الحديث كفارة من اغتبت ان تستغفر له وقال مجاهد كفارة
اكلك لحم اخيك ان تثني عليه وتدعو له بخير وكذلك ان كان قد مات الافة التاسعة
من افات اللسان النميمة وفي الحديث ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يدخل الجنة
قتات وهو النمام واعلم ان النميمة تطلق في الغالب على نقل قول انسان مثل
ان يقول قال فيك فلان كذا وكذا وليست مخصوصة بهذا بل حدها كشف ما يكره
كشفه سواء كان من الاقوال او الاعمال حتى لو راه يدفن مالا لنفسه فذكره فهو نميمة
وكل من نقلت اليه النميمة مثل ان يقال له قال فيك فلان كذا وكذا او فعل في حقك
كذا ونحو ذلك فعليه ستة اشياء الاول ان لا يصدق الناقل لان النمام فاسق
مردود الشهادة الثاني ان ينهاه عن ذلك وينصحه الثالث ان يبغضه في الله
فانه بغيض عند الله والرابع ان لا يظن باخيه الغايب السوء الخامس ان لا
يحمله ما حكي له على التجسس والبحث لقوله تعالى ولا تجسسوا السادس ان لا يرضى لنفسه
ما نهى النمام عنه فلا يحكي نميمته يروى ان سليمن بن عبد الملك قال لرجل بلغني
انك وقعت في وقلت كذا وكذا فقال الرجل ما فعلت فقال سليمان ان الذي اخبرني
صادق فقال الرجل لا يكون النمام صادقا فقال سليمن صدقت اذهب بسلام
قال يحيى بن ابي كثير يفسد النمام في ساعة ما لا يفسد الساحر في شهر وقد
حكي ان رجلا ساوم بعبد فقال مولاه اني ابرا اليك من النميمة والكذب فقال نعم
انت بريء منهما فاشتراه فجعل يقول لمولاه ان امراتك تبغي وتفعل وانها تريد ان
تقتلك ويقول للمراة ان زوجك يريد ان يتزوج عليك ويتسرى فان اردت
ان اعطفه عليك فلا يتزوج ولا يتسرى فخذي الموسى واحلقي شعره من حلقه
اذا نام وقال للزوج انها تريد ان تقتلك اذا نمت قال فذهب فتناوم لها فجاءت
بموسى لتحلق شعره من حلقه فاخذ بيدها فقتلها فجاء اهلها فاستعدوا عليه فقتلوه
الافة العاشرة كلام ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين وينقل كلام كل
واحد بكلام يوافقه او يعده انه ينصره او يثني على الواحد في وجهه ويذمه عند
الاخر وفي الحديث ان شر الناس ذو الوجهين الذي ياتي هولاء بوجه وهولاء بوجه
واعلم ان هذا فيمن لم يضطر الى ذلك فاما اذا اضطر الى مداراة الامراء جاز قال

ابو الدرداء انا لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم ومتى قدر انه لا يظهر موافقتهم لم يجز له

الافة الحادية عشر المدح وله افات منها ما يتعلق بالمادح ومنها ما يتعلق بالممدوح فاما افات المادح فقد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل الى الاطلاع عليه مثل ان يقول انه ورع زاهد وقد يفرط في المدح فينتهي الى الكذب وقد يمدح من ينبغي ان يذم وقد روي في حديث ان الله تعالى يغضب اذا مدح الفاسق **وقال** الحسن من دعا الظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله **واما** الممدوح فانه يحدث فيه كبرا واعجابا وهما مهلكان ولهذا قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما سمع رجلا يمدح رجلا ويلك قطعت عنق صاحبك الحديث وهو مشهور **و**قد روينا عن الحسن قال كان عمر رضي الله عنه قاعدا ومعه الدرة والناس حوله اذ اقبل الجارود فقال رجل هذا سيد ربيعة فسمعها عمر ومن حوله وسمعها الجارود فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال ما لي ولك يا امير المؤمنين قال ما لي ولك اما لقد سمعتها قال سمعتها فمه قال خشيت ان يخالط قلبك منها شيء فاحببت ان اطاطئ منك ولان الانسان اذا اثني عليه بالخير رضي عن نفسه وظن انه قد بلغ المقصود فيفتر عن العمل ولهذا قال قطعت عنق الرجل فاما اذا سلم المدح من هذه الافات لم يكن به باس فقد اثنى النبي صلى الله عليه وسلم على ابي بكر وعمر وغيرهما من اصحابه رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وعلى الممدوح ان يكون شديد الاحتراز من افة الكبر والعجب والفتور عن العمل ولا ينجوا من هذه الافات الا ان يعرف نفسه ويتفكر في ان المادح لو عرف منه ما يعرف من نفسه ما مدحه **وقد** روي ان رجلا من الصالحين اثني عليه فقال اللهم ان هؤلاء لا يعرفوني وانت تعرفني

الافة الثانية عشرة الخطاء في فحوى الكلام فيما يرتبط في امور الدين لا سيما فيما يتعلق بالله تعالى ولا يقدر على تقويم اللفظ بذلك الا العلماء الفصحاء فمن قصر في علم او فصاحة لم يخل كلامه عن الزلل لكن يعفو الله عنه لجهله مثال ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقل احدكم ما شاء الله وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت وذلك لان في العطف المطلق تشريكا وتسوية وقريب من ذلك انكاره على الخطيب قوله ومن يعصهما فقد غوى وقال قل ومن يعص الله ورسوله وقال عليه الصلاة والسلام لا يقل احدكم عبدي وامتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي **و**قال النخعي اذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيمة ارايتني خلقته حمارا ارايتني خلقته خنزيرا فهذا وامثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن حصره ومن تامل ما اوردنا في افات اللسان علم انه اذا اطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف سر قوله صلى الله عليه وسلم من صمت نجا لان هذه الافات مهالك وهي على طريق المتكلم فان سكت سلم

فصل ومن افات العوام سؤالهم عن صفات الله سبحانه وتعالى وكلامه اعلم ان الشيطان يخيل الى العامي انك بخوضك في العلم تكون من العلماء واهل الفضل فلا يزال يحبب اليه ذلك حتى يتكلم بما هو كفر وهو لا يدري قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يوشك الناس ان يسالوا حتى يقولوا هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله فسؤال العوام عن غوامض العلم اعظم الافات وبحثهم عن معاني الصفات مما يفسدهم لا مما يصلحهم اذ الواجب عليهم التسليم فالاولى بالعامي الايمان بما ورد به القران ثم التسليم لما جاء به الرسول من غير بحث واشتغالهم بالعبادات فان اشتغالهم بالبحث عن اسرار العلم كبحث سايسة الدواب عن اسرار الملك

كتاب ذم الغضب والحقد والحسد

اعلم ان الغضب شعلة من النار وان الانسان ينزع فيه عند الغضب عرق الى الشيطان اللعين حيث قال خلقتني من نار وخلقته من طين فان شان الطين السكون والوقار وشان النار التلظي والاشتعال والحركة والاضطراب ومن نتايج الغضب الحقد والحسد ومما يدل على ذم الغضب قول النبي صلى الله عليه وسلم للرجل الذي قال له اوصني قال لا تغضب فردد عليه مرارا قال لا تغضب **وفي** حديث اخر ان ابن عمر سال النبي صلى الله عليه وسلم ماذا يبعدني من غضب الله عز وجل قال لا تغضب وفي المتفق عليه من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب **وعن** في قوله تعالى وسيدا وحصورا قال السيد الذي لا يغلبه غضبه وروينا ان ذا القرنين لقي ملكا من الملائكة فقال علمني علما ازداد به ايمانا ويقينا قال لا تغضب فان الشيطان اقدر ما يكون على ابن ادم حين يغضب فرد الغضب بالكظم

وقال الاصمعي رايت اعرابيا اتى عليه مائة وعشرون سنة فقلت ما اطول عمرك فقال تركت الحسد فبقيت

وقال ابن المبارك الحمد لله الذي لم يجعل في قلب اميري ما جعل في قلب حاسدي

وسكنه بالتودة واياك والعجلة فانك اذا عجلت اخطات حظك وكن سهلا
لينا للقريب والبعيد ولا تكن جارا عنيدا وروينا ان ابليس لعنه الله تبدا
لموسى عليه السلام فقال يا موسى اياك والحدة فاني العب بالرجل الحديد كما يلعب
الصبيان بالكرة واياك والنساء فاني لم انصب فخا قط اثبت في نفسي من فخ انصبه
بامراة واياك والشح فانه افسد على الشحيح الدنيا والاخرة وكان يقال اتقوا
الغضب فانه يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل والغضب عدو العقل وحقيقة
الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام فمتى غضب الانسان ثارت نار الغضب ثورانا
يغلي به دم القلب وينتشر في العروق ويرتفع الى اعالي البدن كما يرتفع الماء الذي يغلي
في القدر ولذلك يحمر الوجه والعين والبشرة وكل ذلك يحكي لون ما وراءه من حمرة
الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها وانما ينبسط الدم اذا غضب على من دونه واستشعر
القدرة عليه فان كان الغضب صدر ممن فوقه وكان معه ياس من الانتقام تولد منه
انقباض الدم من ظاهر الجلد الى جوف القلب فصار حزنا ولذلك يصفر اللون
وان كان الغضب على نظير يشك فيه تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر و
يصفر ويضطرب فالانتقام هو قوت لقوة الغضب والناس في قوة الغضب
على درجات ثلث افراط وتفريط واعتدال فلا يحمل الافراط فيها لانه يخرج العقل والدين
عن سياستهما فلا يبقى للانسان نظر ولا فكر ولا اختيار والتفريط في هذه القوة ايضا
مذموم لانه يبقى لا حمية له ولا غيرة ومن فقد الغضب بالكلية عجز عن رياضة
نفسه اذ الرياضة انما تتم بتسليط الغضب على الشهوة فيغضب على نفسه عند
الميل الى الشهوات الخسيسة ففقد الغضب مذموم فينبغي ان يطلب الوسط بين
الطريقين واعلم انه متى قويت نار الغضب يرتفع الى الدماغ فيغطي على معادن
الفكر وربما تعدى الى معادن الحس فتظلم عينه حتى لا يرى بعينه وتسود الدنيا في وجهه
ويكون دماغه على مثال كهف اضطرمت فيه نار فاسود جوفه وحمي مستقره وامتلأ
بالدخان وكان فيه سراج ضعيف فانطفا فلا يثبت فيه قدم ولا تسمع فيه كلمة ولا
ترى فيه صورة ولا تقدر على اطفاء النار فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ
وربما زاد الغضب فقتل صاحبه ومن آثار الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة

عدة في الاطراف وخروج الافعال عن الترتيب واستحالة الخلقة وتعاطي فعل المجانين ولو
راى الغضبان صورته في حال غضبه وقبحها لانف لنفسه من تلك الحالة ومعلوم ان قبح الباطن
اعظم **فصل** في بيان الاسباب المهيجة للغضب وذكر علاج الغضب قد عرفت ان
علاج كل علة بحسم مادتها وازالة اسبابها فمن اسبابه العجب والمدح والمماراة والمضادة
والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهذه اخلاق ردية مذمومة شرعا فينبغي
ان يقابل كل واحد من هذه بما يضاده فيجتهد على حسم مواد الغضب وقلع اسبابه
واما اذا هاج الغضب فيعالج بامور احدها ان يتفكر في الاخبار الواردة في فضل كظم
الغيظ والعفو والحلم والاحتمال كما جاء في البخاري من حديث بن عباس ان رجلا
استاذن على عمر رضي فاذن له فقال له يا ابن الخطاب والله ما تعطينا الجزل و
لا تحكم بيننا بالعدل فغضب عمر حتى هم ان يوقع به فقال الحر يا امير المومنين ان الله
عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن
الجاهلين وان هذا من الجاهلين فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقافا
عند كتاب الله عز وجل **الثاني** ان يخوف نفسه عقاب الله تعالى وهو ان يقول
قدرة الله علي اعظم من قدرتي على هذا الانسان فلو امضيت فيه غضبي لم آمن
ان يمضي الله عز وجل غضبه علي يوم القيمة احوج ما اكون الى العفو وقد قال الله تعالى
في بعض الكتب يا ابن ادم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب ولا امحقك
فيمن امحق **والثالث** ان يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو في هدم
اعراضه والشماتة بمصايبه فان الانسان لا يخلو عن المصايب فيخوف نفسه ذلك
في الدنيا ان لم يخف من الاخرة وهذا هو تسليط شهوة على غضب ولا ثواب عليه
لانه تقديم لبعض الحظوظ على بعض الا ان يكون محذوره ان يتغير عليه امر يعينه على
الاخرة فيثاب على ذلك **الرابع** ان يتفكر في قبح صورته عند الغضب على ما تقدم
وانه يشبه الكلب الضاري والسبع وانه يكون مجانبا لاخلاق الانبياء والعلماء
في عاداتهم لتميل نفسه الى الاقتداء بهم **الخامس** ان يتفكر في السبب الذي يدعوه
الى الانتقام مثل ان يكون سبب غضبه ان يقول له الشيطان ان هذا يحمل منك على
العجز والذلة والمهانة وصغر النفس وتصير حقيرا في اعين الناس فليقل لنفسه تانفين

من الاحتمال الان ولا تانفين من خزي يوم القيمة والافتضاح اذا اخذ هذا بيدك
وانتقم منك وتحذرين من ان تصغري في اعين الناس ولا تحذرين ان تصغري
عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين وينبغي ان يكظم غيظه فذلك يعظمه عند الله تعالى
فاله وللناس افلا يحب ان يكون هو القايم اذا نودي ليقم من وقع اجره على الله
فلا يقوم الا من عفى فهذا وامثاله ينبغي ان يقرره على قلبه السادس ان يعلم ان
غضبه انما كان من شي جرى على وفق مراد الله تعالى لا على وفق مراده فكيف يقدم
مراده على مراد الله تعالى هذا ما يتعلق بالقلب واما العمل فينبغي له السكون والتعوذ
وتغير الحال فان كان قايما جلس وان كان جالسا اضطجع وقد امرنا بالوضوء ايضا
عند الغضب فهذه الامور وردت في الاحاديث اما الحكمة في الوضوء عند الغضب فقد
بينها في الحديث كما روى ابو وايل قال كنا عند عروة بن محمد فكلمه رجل بكلام فغضب غضبا
شديدا فقام فتوضا ثم جاء فقال حدثني ابي عن جدي عطية وكانت له صحبة قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق
من النار وانما تطفا النار بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضا واما الجلوس والاضطجاع
فيمكن ان يكون انما امر بذلك ليقرب من الارض التي منها خلق فيذكر اصله فيذل
ويمكن ان يكون ليتواضع بذله لان الغضب ينشا عن الكبر بدليل ما روى ابو
سعيد عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه ذكر الغضب وقال من وجد شيا من ذلك
فليلصق خده بالارض وقيل غضب المهدي على رجل فدعا بالسياط فلما راى شبيب
شدة غضبه واطرق الناس فلم يتكلموا بشي قال يا امير المؤمنين لا تغضبن لله
باشد مما غضب لنفسه فقال خلوا سبيله **فصل** كظم الغيظ قال الله تبارك
وتعالى والكاظمين الغيظ فذكر ذلك في معرض المدح وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من كظم غيظا وهو قادر على ان ينفذه دعاه الله على رؤس الخلايق حتى يخيره من
اي الحور شاء وروي عن عمر رضه انه قال من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف
الله لم يفعل ما يريد ولولا يوم القيمة لكان غير ما ترون **فصل** الحلم روى ابو
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم اطلبوا العلم
واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب

خصلتين

فيغلب جهلكم علمكم وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لاشج عبد القيس ان فيك خلتين
يحبهما الله ورسوله الحلم والاناة وشتم رجل ابن عباس رضي الله عنهما فلما قضى مقالته
قال يا عكرمة انظر هل للرجل حاجة فنقضيها فنكس الرجل راسه واستحيى واسمع رجل
معوية كلاما شديدا فقيل له لو عاقبته فقال اني لاستحيي ان يضيق حلمي عن ذنب احد
من رعيتي وقسم معاوية نطفا فبعث منها الى شيخ من اهل دمشق فلم يعجبه فجعل عليه
يمينا ان يضرب راس معاوية فاتا معاوية فاخبره فقال له معاوية اوف بنذرك
وارفق بالشيخ وجاء غلام لابي ذر وقد كسر رجل شاة له فقال له من كسر رجل هذه قال
انا فعلته عمدا لاغيظك فتضربني فتاثم فقال لاغيظن من حرضك على غيظي فاعتقه
وشتم رجل عدي بن حاتم وهو ساكت فلما فرغ من مقالته قال ان كان بقي عندك
شي فقل قبل ان ياتي شباب الحي فانهم ان سمعوك تقول هذا لسيدهم لم يرضوا ودخل
عمر بن عبد العزيز المسجد ليلة في الظلمة فمر برجل نايم فعثر به فرفع راسه وقال امجنون
انت فقال عمر لا فهم به الحرس فقال عمر مه انما سالني امجنون فقلت له لا ولقي رجل
علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما فسبه فثارت اليه العبيد فقال مهلا ثم اقبل
على الرجل فقال ما ستر عنك من امرنا اكثر الك حاجة نعينك عليها فاستحيى الرجل فالقى
عليه خميصة كانت عليه وامر له بالف درهم فكان الرجل بعد ذلك يقول اشهد انك من
اولاد الرسول وقال رجل لوهب بن منبه ان فلانا شتمك فقال ما وجد الشيطان
بريدا غيرك **فصل العفو والرفق** اعلم ان معنى العفو ان تستحق حقا فتسقطه
وتبرئ عنه قصاص او غرامة وهو غير الحلم والكظم قال الله تعالى والعافين
عن الناس وقال فمن عفى واصلح فاجره على الله وفي الحديث ان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم قال ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع
احد لله الا رفعه الله وعن عقبة بن عامر قال قال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يا عقبة الا اخبرك بافضل اخلاق اهل الدنيا والاخرة تصل من قطعك وتعطي من
حرمك وتعفو عمن ظلمك وروي ان مناديا ينادي يوم القيمة ليقم من وقع اجره على
الله فلا يقوم الا من عفى عن ظلمه وعن انس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف وفي الصحيحين من حديث

التحريش الاغرا بين الناس والكلاب في تحارشها

عايشة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل يحب الرفق في الامر كله وفي حديث
اخر من يحرم الرفق يحرم الخير **باب في الحقد والحسد** اعلم ان الغيظ اذا كظم لعجز
عن التشفي في الحال رجع الى الباطن فاحتقن فيه فصار حقدا وعلامته دوام بغض الشخص
واستثقاله والنفور منه فالحقد ثمرة الغضب والحسد من نتايج الحقد عن الزبير بن عوام
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضا
وفي الصحيحين عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تحاسدوا
ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا وفي حديث اخر عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الحسد
ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وفي حديث اخر انه قال يطلع عليكم من هذا الفج رجل من اهل
الجنة فطلع رجل فسئل عن عمله فقال اني لا اجد لاحد من المسلمين في نفسي غشا ولا حسدا على خير
اعطاه الله اياه وروينا ان الله تبارك وتعالى يقول الحاسد عدو نعمتي متسخط لقضاي
غير راض بقسمتي بين عبادي وابن سيرين ما حسدت احدا على شي من امر الدنيا لانه ان
كان من اهل الجنة فكيف احسده على شي من امر الدنيا وهو يصير الى الجنة وان كان من اهل
النار فكيف احسده على شي من امر الدنيا وهو يصير الى النار وقال ابليس لنوح عليه السلام
اياك والحسد فانه صيرني الى هذه الحالة واعلم ان الله تعالى اذا انعم على عبد اخيك نعمه
فلك فيها حالتان احداهما ان تكره تلك النعمة وتحب زوالها فهذا هو الحسد والحالة
الثانية ان لا تكرهه وجودها ولا تحب زوالها ولكنك تشتهي لنفسك مثلها فهذا يسمى غبطة
قال المصنف رحمه الله قلت واعلم اني ما رايت احدا حقق الكلام في هذا كما ينبغي ولا بد لي
من كشفه فاقول اعلم ان النفس قد جبلت على حب الرفعة فهي لا تحب ان يعلوها
جنسها فاذا علا عليها شق عليها وكرهته واحبت زوال ذلك ليقع التساوي وهذا
امر مركوز في الطباع وقد روى ابو هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ثلث
لا ينجو منهن احد الظن والطيرة والحسد وساحدثكم ما المخرج من ذلك اذا ظننت
فلا تحقق واذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ وعلاج الحسد تارة بالرضا بالقضا
وتارة بالزهد في الدنيا وتارة بالنظر فيما يتعلق بتلك النعم من هموم الدنيا وحساب
الاخرة فيتسلى بذلك ولا العمل بمقتضى ما في النفس اصلا ولا ينطق فاذا فعل ذلك لم
يضره ما وضع في جبلته فاما من يحسد نبيا على نبوته فيحب ان لا يكون نبيا وعالما

لما على علمه فوقه ان لا يرزق ذلك او يزول عنه فهذا لا عذر له ولا يجبل عليه الا النفوس الكافرة
او الشريرة فاما ان احب ان يسبق اقرانه ويطلع على ما لم يدركوه فانه لا ياثم بذلك كما لو استبق
عبدان الى خدمة مولاهما فاحب احدهما ان يسبق وقد قال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون
وفي الصحيحين من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لا حسد الا في
اثنتين رجل اتاه الله عز وجل القران فهو يقوم به اناء الليل والنهار ورجل اتاه الله مالا
فهو ينفقه في الحق اناء الليل والنهار وللحسد اسباب احدها العداوة والتكبر والعجب
وحب الرياسة وخبث النفس وبخلها واشدها العداوة والبغضاء فان من اذاه انسان
بسبب من الاسباب وخالفه في غرضه ابغضه قلبه ورسخ في نفسه الحقد والحقد يقتضي
التشفي والانتقام فمهما اصاب عدوه من البلاء فرح بذلك وظنه مكافاة من الله تعالى
ومهما اصابته نعمة ساءه ذلك فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما وانما غاية
التقي ان لا يبغي وان يكره ذلك من نفسه فاما ان يبغض انسانا فيستوي عنده مسرته ومساءته
فهذا غير ممكن واما الكبر فهو ان يصيب بعض نظرائه مالا او ولاية فيخاف ان يتكبر عليه
ولا يطيق تكبره او يكون من اصاب ذلك دونه فلا يحتمل ترفعه عليه او مساواته وكان
حسد الكفار لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قريبا من ذلك قال الله تعالى وقالوا لولا
نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وقال في حق المؤمنين اهؤلاء من الله
عليهم من بيننا وقال في الاية الاخرى ما انتم الا بشر مثلنا وقال ولئن اطعتم بشرا مثلكم
انكم اذا لخاسرون فتعجبوا واتقوا من ان يفوز برتبة الرسالة بشر مثلهم فحسدوهم واما
حب الرياسة والجاه فمثاله ان الرجل الذي يريد ان يكون عديم النظير في فن من الفنون
اذا غلب عليه حب الثناء واستفزه الفرح بما يمدح به من انه اوحد العصر وفريد
الدهر في فنه اذا سمع بنظير له في اقصى العالم ساءه ذلك واحب موته او زوال النعمة
التي بها يشاركه في علم او شجاعة او عبادة او صناعة او ثروة او غير ذلك وليس ذلك
الا لمحض الرياسة بدعوى الانفراد وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم ولا يومنون خوفا من ابطال رياستهم واما خبث النفس وشحها على عباد الله
فانك تجد من الناس من لا يشتغل برياسة ولا تكبر واذا وصف عنده حسن حال
عبد من عباد الله فيما انعم عليه به شق عليه ذلك واذا وصف له اضطراب امور الناس وادبارهم

وتنغيص عيشهم فرح به فهو ابدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده
كانهم ياخذون ذلك من ملكه وخزاينه **وقد** قال العلماء البخيل من يبخل بمال
نفسه والشحيح الذي يبخل بمال غيره فهذا يبخل بنعمة الله على عباده الذين ليس
بينهم وبينه عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب الا خبث النفس ورذالة
الطبع وهذا معالجته شديدة لانه ليس له سبب عارض فيعمل على ازالته بل سببه
خبث الجبلة فيعسر ازالته فهذه اسباب الحسد **فصل** واعلم انما يكثر الحسد
بين اقوام تكثر بينهم الاسباب التي ذكرناها ويقع ذلك غالبا بين الاقران والامثال
والاخوة وبني العم لان سبب التحاسد توارد الاعراض على مقاصد يحصل
التناقض فيها فيثور التنافر والتباغض وكذلك ترى العالم يحسد العالم دون
العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر والاسكاف يحسد
الاسكاف ولا يحسد البزاز الا ان يكون بسبب اخر لان مقصد كل واحد من هؤلاء
غير مقصد الاخر فاصل العداوة التزاحم على غرض واحد والغرض الواحد لا يجمع
متباعدين اذ لا رابطة بين شخصين في بلدين ولا يكون بينهما محاسدة الا من اشتد
حرصه على الجاه فانه يحسد كل من في العالم ممن يساهمه في الخصلة التي يفاخر بها و
منشا جميع ذلك حب الدنيا فان الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين واما الاخرة
فلا ضيق فيها فان من احب معرفة الله تعالى وملائكته وانبيائه وملكوت ارضه
وسمائه لم يحسد غيره اذا عرف ذلك لان المعرفة لا تضيق على العارفين بل المعلوم
الواحد يعرفه الف الف عالم ويفرح بمعرفته فلذلك لا يكون بين علماء الدين
محاسدة لان مقصودهم معرفة الله سبحانه وهو بحر واسع لا ضيق فيه وغرضهم
المنزلة عند الله ولا ضيق فيما عند الله لان اجل ما عند الله من النعيم لذة لقائه
وليس فيه ممانعة ولا مزاحمة ولا يضيق بعض الناظرين على بعض بل
يزيد الانس بكثرتهم الا انهم اذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا و
الفرق بين العلم والمال ان المال لا يحل في يد ما لم يرتحل عن يد اخرى والعلم مستقر
في قلب العالم ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير ان يرتحل عن قلبه ولانها نذله
فمن عود نفسه الفكر في جلال الله وعظمته وملكه صار ذلك عنده الذ من كل نعيم لانه

لانه لم يكن ممنوعا ولا مزاحما فيه ولا يكون في قلبه حسد لاحد من الخلق لان غيره لو عرف مثل معرفته
لم ينقص من لذته فقد عرفت انه لا حسد الا في المتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل ولهذا لا
ترى الناس يتزاحمون على النظر الى زينة السماء لانها واسعة الاقطار وافية بجميع الابصار
فعليك ان كنت شفيقا على نفسك ان تطلب نعيما لا زحمة فيه ولذة لا تتكدر ولا يوجد ذلك
في الدنيا الا في معرفة الله تعالى وعجايب ملكوته ولا ينال ذلك في الاخرة الا بهذه المعرفة ايضا
فان كنت لا تشتاق الى معرفة الله سبحانه ولم تجد لذتها وضعفت فيها رغبتك فلست بمعذور
انما هذا شان الرجل لان الشوق بعد الذوق ومن لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشتق
ومن لم يشتق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك بقي مع المحرومين **واعلم**
ان الحسد من الامراض العظيمة للقلوب ولا تداوى امراض القلوب الا بالعلم والعمل والعلم
النافع لمرض الحسد هو ان تعرف حقيقة ان الحسد ضرر عليك في الدين والدنيا وانه لا يضر
المحسود في الدين ولا في الدنيا بل ينتفع به والنعمة لا تزول عن المحسود بحسدك ولو لم تكن
مؤمنا بالبعث لكان مقتضى الفطنة ان كنت عاقلا ان تحذر من الحسد لما فيه من الم القلب
مع عدم النفع فكيف وانت تعلم ما فيه من العذاب في الاخرة وبيان قولنا ان المحسود لا ضرر
عليه في الدين ولا في الدنيا بل ينتفع بحسدك لان ما قدره الله له من نعمة لا بد ان يدفع
الى اجله الذي قدره ولا ضرر عليه في الاخرة لانه لا يأثم هو بذلك بل ينتفع به لانه مظلوم
من جهتك لا سيما اذا اخرجت الحسد الى القول والفعل **و**اما منفعته في الدنيا فهو ان من اهم
اغراض الخلق غم الاعداء ولا عذاب اعظم مما انت فيه من الحسد فاذا تاملت ما ذكرنا
علمت انك عدو نفسك وصديق عدوك فمثلك الا كمثل من يرمي حجرا الى عدوه
ليصيب مقتله فلا يصيبه ويرجع الحجر على حدقته اليمنى فيقلعها فيزيد غضبه فيعود و
يرميه بحجر اشد من الاول فيرجع الحجر على عينه الاخرى فيعميها فيزداد غضبه فيرميه الثالثة
فيعود الحجر على راسه فيشدخه وعدوه سالم يضحك به فهذه الادوية العلمية واذا تفكر الانسان
فيها اخمدت نار الحسد من قلبه **واما** العمل النافع فيه فهو ان يتكلف نقيض ما يامره به الحسد فاذا
بعثه على الحقد والقدح في المحسود كلف نفسه المدح له والثناء عليه وان حمله على الكبر الزم نفسه
التواضع له وان بعثه على كف الانعام عنه الزم نفسه الزيادة في الانعام **وقد** كان جماعة
من السلف اذا بلغهم ان شخصا اغتابهم اهدوا اليه هدية فهذه ادوية نافعة للحسد جدا

الا انها مرة وربما يسهل شربها ان يعلم انه لا يكون كلما تريد فارد ما يكون وهذا هو الدواء الكلي والله اعلم

باب ذم الدنيا الايات الواردة في القران العزيز بعيب الدنيا والتزهيد فيها وضرب الامثال لها كثيرة كقوله تعالى زين للناس حب الشهوات الى قوله ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن الماب قل اونبيكم بخير من ذلكم الاية وقوله وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وقوله انما مثل الحياة الدنيا كما انزلناه من السماء الاية وقوله انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وقوله وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين وقوله فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم **واما** الاحاديث ففي الصحيحين من رواية المستورد بن شداد قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما الدنيا في الاخرة الا كمثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بما ترجع **وفي** حديث اخر الدنيا سجن المومن وجنة الكافر رواه مسلم **وفي** حديث اخر لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقا فيها كافرا شربة ماء رواه الترمذي وصححه **و**في حديث اخر الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله منها **وروى** ابو موسى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال من احب دنياه اضر باخرته ومن احب اخرته اضر بدنياه فاثروا ما يبقى على ما يفنى **وكتب** الحسن الى عمر بن عبد العزيز في ذم الدنيا كتابا طويلا فيه اما بعد فان الدنيا دار ظعن ليست بدار مقام وانما انزل اليها ادم عقوبة فاحذرها يا امير المومنين فان الزاد منها تركها والغنى فيها فقرها تذل من اعزها وتفقر من جمعها كالسم ياكله من لا يعرفه وهو حتفه فاحذر هذه الدار الغرارة الخيالة الخداعة وكن اسر ما تكون فيها احذر ما تكون لها سرورها مشوب بالحزن وصفوها مشوب بالكدر فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت قد ايقظت النايم ونبهت الغافل فكيف **و**قد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ فما لها عند الله سبحانه وتعالى قدر ولا وزن وما نظر اليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم مفاتيحها وخزاينها لا تنقصه عند الله جناح بعوضة فابا ان يقبلها كره ان يحب ما ابغض خالقه او يرفع ما وضع مليكه زواها الله عن الصالحين اختيارا وبسطها لاعدايه اغترارا فيظن المغرور بها المقتدر عليها انه اكرم بها ونسي ما صنع الله بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم حين شد على بطنه الحجر والله ما احد من الناس بسط له في الدنيا فلم يخف ان يكون قد مكر به فيها الا كان قد نقص عقله وعجز رايه **و**قال مالك ابن دينار اتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلماء يعني الدنيا ومن امثلة الدنيا

قال يونس بن عبيد ما شبهت الدنيا الا كرجل نام فراى في منامه ما يكره وما يحب فبينا هو كذلك انتبه ومثل هذا قولهم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا والمعنى انهم ينتبهون بالموت وليس في ايديهم شيء مما ركنوا اليه وفرحوا به **قيل** ان عيسى عليه السلام راى الدنيا في صورة عجوز هتماء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قال لا احصيهم قال فكلهم مات عنك او كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت فقال عيسى بوسا لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بازواجك الماضين كيف تهلكهم واحدا واحدا ولا يكونون منك على حذر **وروي** عن ابن عباس رضي الله قال يوتى بالدنيا يوم القيمة في صورة عجوز شمطاء زرقاء انيابها بادية مشوه خلقها فتشرف على الخلق فيقال هل تعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التي تشاجرتم عليها وبها تقاطعتم الارحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم تقذف في جهنم فتقول يا رب اين اتباعي واشياعي فيقول الحقوا بها اتباعها واشياعها **و**عن ابي العلاء قال انظر في المنام الى عجوز كبيرة عليها من كل زينة والناس عكوف عليها معجبون بها ينظرون اليها فقلت لها من انت قالت اما تعرفني قلت لا قالت فانا الدنيا فقلت اعوذ بالله من شرك قالت ان احببت ان تعاذ من شري فابغض الدرهم **و**قال بعضهم رايت الدنيا في النوم عجوزا مشوهة الخلق حدبا **مثال** اخر اعلم ان احوالك ثلث حال لم تكن فيها شيا وهي قبل ان توجد وحال اخرى وهي من ساعة موتك الى ما لا نهاية له في البقاء السرمد فان لنفسك وجودا بعد خروجها من بدنك اما في الجنة او النار وهو الخلود الدايم وبين هاتين الحالتين حالة متوسطة وهي ايام حياتك في الدنيا فانظر الى مقدار ذلك وانسبه الى الحالتين تعلم انه اقل من طرفة عين في مقدار عمر الدنيا ومن راى الدنيا بهذه العين لم يركن اليها ولم يبال كيف انقضت ايامه بها في ضر وضيق او سعة ورفاهية ولهذا لم يضع رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وقال ما لي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كراكب قال تحت شجرة ثم راح وتركها **و**قال عيسى عليه السلام الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وهذا مثل واضح فان الحياة الدنيا معبر الى الاخرة والمهد هو الركن الاول على اول القنطرة واللحد هو الركن الثاني على اخر القنطرة ومن الناس من قطع نصف القنطرة ومن الناس من قطع ثلثيها ومنهم من لم يبق له الا خطوة واحدة وهو غافل عنها وكيف ما كان فلا بد من العبور فمن وقف على القنطرة وزينها وهو يستحث للعبور عليها فهو في غاية الجهل والحمق **وقيل** مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله **وكان** بعض السلف يقول

شمطاء حاجك
اعني قره سنه
قرشمق ٢١

رات في النوم عجوزا كبيرة عليها من كل زينة والناس عكوف عليها معجبون صح

يبني صح

لاصحابه انطلقوا حتى اريكم الدنيا فذهب بهم الى مزبلة فيقول انظروا الى ثمارهم ودجاجهم و
عسلهم وسمنهم **مثال** اخر روي عن الحسن قال بلغني عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال
لاصحابه انما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء حتى اذا لم يدروا ما سلكوا منها اكثر
او ما بقي انفذوا الزاد وحسروا الظهر بين ظهراني المفازة لا زاد ولا حمولة فايقنوا بالهلكة فبينما
هم كذلك اذ طلع عليهم رجل في حلة يقطر راسه فقالوا ان هذا قريب عهد بريف وما جاءكم هذا
الا من قريب فلما انتهى اليهم قال يا هؤلاء علام انتم قالوا على ما ترى قال ارايتكم ان هديتكم الى ماء
رواء ورياض خضر ما تعملون قالوا لا نعصيك شيا قال عهودكم ومواثيقكم قال فاعطوه عهودهم
ومواثيقهم بالله لا يعصونه شيا قال فاوردهم ماء ورياضا وخضرا فمكث فيهم ما شاء الله ثم قال يا هؤلاء
الرحيل قالوا الى اين قال الى ماء ليس كمائكم والى رياض ليس كرياضكم فقال اكثر القوم والله
ما وجدنا هذا حتى ظننا ان لن نجده وما نصنع بعيش خير من هذا وقالت طائفة قليلة
الم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله لا تعصوه وقد صدقكم في اول حديثه فوالله
ليصدقنكم في اخره قال فراحوا فيمن اتبعه وتخلف بقيتهم فنذر بهم عدو فاصبحوا من بين
اسير وقتيل **وفي** الصحيحين من حديث ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل اتى قومه فقال يا قوم اني رايت الجيش بعيني
واني انا النذير العريان فالنجا فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا و
كذبته طائفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم الله واجتاحهم فذلك مثل
من اطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق **فصل في**
بيان حقيقة الدنيا والمذموم منها والمحمود قد سمع خلق كثير ذم الدنيا مطلقا فاعتقدوا ان
الاشارة الى هذه الموجودات التي خلقت للمنافع فاعرضوا عما يصلحهم من المطاعم والمناز
وقد وضع الله سبحانه في الطباع توقان النفس الى ما يصلحها فكلما تاقت منعوها ظنا
منهم ان هذا هو المراد وجهلا بحقوق النفوس وعلى هذا اكثر المتزهدين وانما فعلوا ذلك
لقلة العلم ونحن نصدع بالحق من غير محاباة **فنقول** اعلم ان الدنيا عبارة عن اعيان
موجودة للانسان فيها حظ وهي الارض وما عليها فان الارض مسكن الادمي وما عليها
ملبس ومطعم ومشرب ومنكح وكل ذلك علف لراحلة بدنه السائر الى الله عز وجل فانه
لا يبقى الا بهذه المصالح كما لا تبقى الناقة في طريق الحج الا بما يصلحها فمن تناول منها ما يصلح على

بتمواج

على الوجه المامور به مدح ومن اخذ منها فوق الحاجة بكف الشره وقع في الذم فانه ليس للشره
من تناول الدنيا وجه لانه يخرج عن النفع الى الاذى ويشغل عن طلب الاخرى فيفوت المقصود
ويصير بمثابة من اقبل يعلف الناقة ويبرد لها الماء ويغير عليها الوان الثياب وينسى ان الرفقة
قد سارت فانه يبقى في البادية فريسة للسباع هو وناقته ولا وجه ايضا للتقصير في تناول
الحاجة لان الناقة لا تقوى على السير الا بتناول ما يصلحها فالطريق السليم هي الوسطى وهي ان
يوخذ من الدنيا قدر ما يحتاج اليه من الزاد للسلوك وان كان مشتهى فان اعطاء النفس
ما تشتهيه عون لها وقضاء لحقها **وقد** كان سفيان الثوري ياكل في اوقات من طيب الطعام
ويحمل معه في السفر الفالوذج **و**كان ابرهيم بن ادهم ياكل من الطيبات في بعض الاوقات ويقول
اذا وجدنا اكلنا اكل الرجال واذا فقدنا صبرنا صبر الرجال ولينظر في سيرة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وصحابته فانهم ما كان لهم افراط في تناول الدنيا ولا تفريط في حقوق النفس وينبغي
ان يتلمح حظ النفس في المشتهى فان كان في حظها حفظها وما يقيمها ويصلحها ويبسطها
للخير فلا يمنعها منه وان كان حظها بمجرد الشهوة ليست متعلقة بمصالحها المذكورة فذلك حظ
مذموم والزهد فيه يكون **باب في ذم البخل والحرص والطمع** وذم المال ومدحه
ومدح القناعة والسخاء ونحو ذلك اعلم ان المال لا يذم لذاته بل يقع الذم لمعنى
من الادمي وذلك المعنى اما شدة حرصه او تناوله من غير حله او حبسه عن حقه
او اخراجه في غير وجهه والمفاخرة به ولهذا قال الله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة
وفي صحيح الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما ذئبان جائعان ارسلا في غنم
بافسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه **وقد** كان السلف يخافون من
فتنة المال كان عمر اذا راى الفتوح يبكي ويقول ما حبس الله تعالى عن نبيه صلى الله تعالى
عليه وسلم **و**عن ابي بكر شرا اراده الله بهما واعطاه عمر ارادة الخير له **و**قال يحيى بن معاذ
الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيته فلا تاخذه فانه ان لدغك قتلك سمه قيل ما رقيته قال
اخذه من حله ووضعه في حقه وقال مصيبتان للعبد في ماله عند موته لا تسمع الخلائق بمثلهما
قيل وما هما قال يوخذ منه كله ويسال عنه كله **بيان مدح المال** قد بينا ان المال لا يذم
لذاته بل ينبغي ان يمدح لانه سبب للتوصل الى مصالح الدين والدنيا وقد سماه الله تعالى خيرا
وهو قوام الادمي قال الله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما **وقال**

سعيد بن المسيب لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حله يكف به وجهه عن الناس ويصل به رحمه
ويعطي منه حقه وقال ابو اسحق السبيعي كانوا يرون السعة عونا على الدين وقال ابو اسحق
السبيعي كانوا سفيان المال في زماننا هذا سلاح المؤمن وحاصل الامر ان المال مثل حية
فيها سم وترياق فترياقه فوايده وغوايله سمه فمن عرف فوايده وغوايله امكنه ان يحترز
من شره ويستدر من خيره اما فوايده فينقسم الى دنيوية ودينية اما الدنيوية فالخلق
يعرفونها ولذلك تهالكوا في طلبها واما الدينية فتنحصر في ثلثة انواع احدها ان ينفقه
على نفسه اما في عبادة كالحج والجهاد واما في الاستعانة على العبادة كالمطعم والملبس والمسكن و
وغيرها من ضرورات المعيشة فان هذه الحاجات اذا لم تتيسر لم يتفرغ القلب للدين
والعبادة وما لا توصل الى العبادة الا به فهو عبادة فاخذ الكفاية من الدنيا للاستعانة به
على الدين من النوافل الدينية ولا يدخل في هذا التنعم والزيادة على الحاجة فان ذلك من
حظوظ الدنيا النوع الثاني ما يصرفه الى الناس وهو اربعة اقسام احدها الصدقة و
فضايلها كثيرة مشهورة القسم الثاني المروة ونعني بها صرف المال الى الاغنياء والاشراف
في ضيافة وهدية واعانة ونحو ذلك وهذا من الفوايد الدينية اذ به يكتسب العبد الاخوان
والاصدقاء القسم الثالث وقاية العرض نحو بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء
وقطع السنتهم وكف شرهم فهو من الفوايد الدينية قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قال ما وقى به الرجل عرضه فهو صدقة وهذا لانه يمنع المغتاب من معصية الغيبة ويحترز
عما يثيره كلامه من العداوة التي تحمل في الانتقام على مجاوزة حدود الشريعة القسم الرابع
ما يعطيه اجرا على الاستخدام فان الاعمال التي يحتاج اليها الانسان لاجل اسبابها كثيرة و
لو تولاها بنفسه ضاعت اوقاته وتعذر عليه سلوك الاخرة بالفكر والذكر الذي هو
اعلى مقامات السالكين ومن لا مال له يفتقر الى خدمة نفسه بنفسه فكلما يتصور ان يقوم
به غيرك ويحصل بك غرضك فانت تشاغلك به عبث اذ احتياجك الى التشاغل بما لا يقوم
غيرك من العلم والعمل والذكر والفكر اشد النوع الثالث ما لا يصرفه الانسان الى معين لكن
يحصل به خير عام كبناء المساجد والقناطر والوقوف المؤبدة فهذه جملة فوايد المال في
الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر والعز
بين الخلق والكرامة في القلوب والوقار واما غوايل المال وافاته فتنقسم ايضا الى دينية

ودنيوية فثلث الاولى ان يجر الى المعاصي غالبا لان من استشعر القدرة على المعصية انبعث
داعية اليها والمال نوع من القدرة تحرك داعية الى المعاصي ومتى يأس الانسان من المعصية لم تتحرك داعية
اليها ومن العصمة ان لا تجد فصاحب القدرة ان اقتحم ما يشتهي هلك وان صبر لقي شدة من
معاناة الصبر مع القدرة وفتنة السراء اعظم من فتنة الضراء الثاني انه يحرك الى التنعم في المباحات
حتى يصير له عادة والفا فلا يصبر عنها وربما لم يقدر على استدامتها الا بكسب فيه شبهة فيقتحم الشبهات
ويترقى الى افات من المداهنة والنفاق لان من كثر ماله خالط الناس واذا خالطهم لم يسلم
من نفاق وعداوة وحسد وغيبة وكل ذلك من الحاجة الى اصلاح المال الثالثة وهي التي
لا ينفك عنها احد وهو انه يلهيه ماله عن ذكر الله وهذا هو الداء العضال فان اصل العبادات
ذكر الله تعالى والتفكر في جلاله وعظمته وذلك يستدعي قلبا فارغا وصاحب الضيعة يمسي و
يصبح متفكرا في خصومة الفلاح ومحاسبته وخيانته وتفكره في منازعة شركائه في الحدود
والماء واعوان السلطان في الخراج والاجراء على التقصير في العمارة ونحو ذلك وصاحب التجارة
يمسي ويصبح متفكرا في خيانة شريكه وتقصيره في العمل وتضييعه المال وكذا ساير اصناف المال
حتى صاحب المال المجموع المكنوز يفكر في كيفية حفظه وفي الخوف عليه ومن له قوت يوم
بيوم في سلامة من جميع ذلك وهذا سوى ما يقاسيه ارباب الاموال في الدنيا من الخوف
والحزن والهم والغم والتعب فاذا ترياق المال اخذ القوت منه وصرف الباقي الى الخيرات وما
عدا ذلك سموم وافات بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة واليأس اعلم
ان الفقر محمود ولكن ينبغي للفقير ان يكون قانعا منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما
في ايديهم ولا حريصا على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك الا بان يقنع بقدر الضرورة
من المطعم والملبس وقد روى في صحيح مسلم عن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال قد افلح من اسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما اتاه وقال سليمن بن داود عليهما السلام
قد جربنا العيش كله لينه من شديده فوجدناه يكفي منه ادناه وفي حديث جابر عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال القناعة مال لا ينفد وقال ابو حازم ثلث من كن فيه كمل عقله
من عرف نفسه وحفظ لسانه وقنع بما رزقه الله عز وجل وقال بعض الحكماء انت اخوا
لعزما التحفت بالقناعة واما الحرص فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال
يا ايها الناس اجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ونهى عن الطمع فقال اجمع اليأس
الناس

مما في ايدي الناس قال بعضهم لو قيل للطمع من ابوك قال الشك في المقدور ولو قيل له ما
حرفتك قال اكتساب الذل ولو قيل له ما غايتك قال الحرمان وقيل الطمع بذل الامير و
الياس بغير الفقير **بيان علاج** الحرص والطمع والدواء الذي تكتسب به صفة القناعة
اعلم ان هذا الدواء مركب من ثلثة اركان الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك خمسة امور
الاول الاقتصاد في المعيشة والرفق في الانفاق فمن اراد القناعة فينبغي ان يسد عن
نفسه ابواب الخرج ما امكنه ويرد نفسه الى ما لا بد له منه فيقنع باي طعام كان وقليل
من الادم وثوب واحد ويوطن نفسه على ذلك وان كان له عيال فيرد كل واحد الى هذا القدر
قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما عال من اقتصد **و**في حديث اخر التدبير نصف العيش
وفي حديث اخر ثلث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر
والعدل في الرضاء والغضب **الثاني** اذا تيسر له في الحال ما يكفيه فلا يكون شديد الاضطراب
لاجل المستقبل ويعينه على ذلك قصر الامل واليقين بان رزقه لا بد ان ياتيه وليعلم
ان الشيطان يعده الفقر **وعن** ابن مسعود عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه
قال ان روح القدس نفث في روعي انه ليس من نفس تموت حتى تستكمل رزقها
واجلها فاتقوا الله واجملوا في الطلب ولا يحملكم استبطاء الرزق ان تطلبوه
بمعاصي الله عز وجل فانه لا يدرك ما عند الله الا بطاعته واذا انسد عنه باب كان
ينتظر الرزق منه فلا ينبغي ان يضطرب قلبه فان في الحديث ابا الله ان يرزق عبده
المؤمن الا من حيث لا يحتسب **الثالث** ان يعرف ما في القناعة من عز الاستغناء وما
في الطمع والحرص من الذل وليس في القناعة الا الصبر عن المشتهيات والفضول مع ما
يحصل له من ثواب الاخرة ومن لا يوثر عز نفسه على شهوته فهو ركيك العقل ناقص الايمان
الرابع ان يكثر تفكره في تنعم اليهود والنصارى واراذل الناس والحمقى منهم ثم ينظر
الى احوال الانبياء والصالحين ويسمع احاديثهم ويطالع احوالهم ويخير عقله
بين مشابهة اراذل العالمين او صفوة الخلق عند الله تعالى حتى يهون عليه الصبر
على القليل والقناعة باليسير وانه ان تنعم الاكل فالبهيمة اكثر اكلا منه وان تنعم
بالوطي فالعصفور اكثر سفادا منه **السادس** ان يفهم ما في جمع المال من الخطر كما
ذكرنا في افات المال وينظر الى ثواب الفقر ويتم ذلك بان ينظر ابدا الى من دونه

في الدنيا والى من فوقه في الدين كما جاء في الحديث من رواية مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال انظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فانه اجدر ان لا تزدروا نعمة الله
عليكم وعماد الامر الصبر وقصر الامل وان يعلم ان غاية صبره في ايام قلائل لتمتع دائم فيكون كالمريض الذي
يصبر على مرارة الدواء لما يرجوا من الشفاء **فصل** ينبغي لمن فقد المال ان يستعمل القناعة كما
ذكرنا ولمن وجده ان يستعمل السخاء والايثار واصطناع المعروف فان السخاء من اخلاق الانبياء وهو
اصل من اصول النجاة **و**عن جابر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال قال جبرئيل قال الله عز وجل
الاسلام دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما صحبتموه **و**
في حديث اخر عن ابن عباس ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال تجافوا عن ذنب السخي فان الله
اخذ بيده كلما عثر **و**في حديث اخر الجنة دار الاسخياء وما جبل ولي لله الا على السخاء **و**
عن انس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان بدلاء امتي لم يدخلوا الجنة بعبادة
ولا بصيام ولكن دخلوها بسخاء الانفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين **و**في خبر
اخر عليكم باصطناع المعروف فانه يمنع مصارع السوء **و**قال ابن السماك عجبت ممن يشتري
المماليك بماله كيف لا يشتري الاحرار بمعروفه **حكايات الاسخياء** قد صح عن النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم انه كان اجود بالخير من الريح المرسلة وانه ما سئل شيا قط فقال لا و
ان رجلا ساله فاعطاه غنما بين جبلين فاتى الرجل قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمدا
يعطي عطاء من لا يخشى الفقر **و**قيل كان لعثمان على طلحة خمسون الف درهم فخرج الى
المسجد فقال له طلحة قد تهيا مالك فاقبضه فقال هو لك يا ابا محمد معونة على مروتك **و**جاء
اعرابي الى ابي طلحة فساله وتعرف اليه برحم فقال ان هذه لرحم ما سالني بها احد قبلك فاعطاه
ثلثمائة الف **و**قال عروة رايت عائشة تقسم سبعين الفا وهي ترقع درعها **و**روي انها
قسمت في يوم ثمانين ومائة الف بين الناس فلما امست قالت يا جارية علي فطوري
فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها ام درة اما استطعت فيما قسمت اليوم ان تشتري لنا بدرهم لحما
نفطر عليه فقالت لو ذكرتيني لفعلت **و**اشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة داره التي
في السوق بتسعين الف درهم فلما كان الليل سمع بكاء اهل خالد فقال لاهله ما لهؤلاء قالوا
يبكون على دارهم قال يا غلام ائتهم فاعلمهم ان الدار والمال لهم جميعا **و**بعث رجل الى عبيد الله
انه قد وصف لي لبن البقر فابعث لي ببقرة اشرب من لبنها فبعث اليه بسبع مائة بقرة ورعاتها وقال

الدنيا

القرية التي كانت ترعا فيها لك و دخل علي بن الحسين على محمد بن اسامة بن زيد في مرض فجعل يبكي
فقال ما شانك قال علي دين قال كم هو قال خمسة عشر الف دينار او بضعة عشر الف دينار قال فهي
علي وجاء رجل الى معن فساله فقال يا غلام ناقتي الفلانية والف دينار فدفعها اليه وهو لا
يعرفه وبلغنا عن معن ان شاعرا اقام ببابه مدة فلم يتهيا له لقاؤه فقال لبعض خدمه اذا
دخل الامير البستان فعرفني فلما دخل عرفه فكتب الشاعر بيتا على خشبة والقاها في الماء
الذي يدخل البستان فلما بصر معن بالخشبة اخذها فاذا فيها مكتوب ايا جود معن ناج معنا بحاجتي
فالي الى معن سواك شفيع فقال من صاحب هذه فدعي الرجل فقال له كيف قلت فقاله فامر له
بعشر بدر فاخذها ووضع الامير الخشبة تحت بساطه فلما كان اليوم الثاني اخرجها من تحت البساط
وقراء ما فيها ودعا الرجل فدفع اليه مائة الف درهم اخرى فلما اخذها الرجل خاف ان يعود
فيستعيدها منه فخرج فلما كان اليوم الثالث قراء ما فيها ودعا بالرجل فطلب ولم يوجد فقال
معن حق علي ان اعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار و مرض قيس بن سعد بن
عباده فاستبطا اخوانه فقيل له انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال اخزى الله ما
لا يمنع الاخوان من الزيارة ثم امر مناديا فنادى من كان عليه لقيس حق فهو منه في حل قال فكسرت
درجته بالعشي لكثرة من عاده وقام رجل الى سعيد بن العاص يساله فامر له بمائة الف درهم
فبكى فقال سعيد ما يبكيك قال ابكي على الارض ان تاكل مثلك فامر له بمائة الف اخرى فصل
في البخل وذمه عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يجتمعان في مومن
البخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وسلم لا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد ابدا وفي افراد
مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم اني اعوذ بك من الجبن والبخل وروي
جابر بن عبد الله قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لبني سلمة من سيدكم قالوا جد بن قيس على
انا نبخله قال واي داء ادوا من البخل بل سيدكم بشر بن البرا بن معرور وهي اصح من ذكر
عمرو بن الجموح وغلط بعض الرواة فقال البرا بن معرور والبرا مات قبل الهجرة وعن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه قال الخطابي الشح
في المنع ابلغ من البخل وقال سلمان الفارسي اذا مات السخي قالت الارض والحفظة رب تجاوز
عن عبدك بسخائه في الدنيا واذا مات البخيل قالت اللهم احجب هذا العبد عن الجنة كما حجب
عبادك عما جعلت في يديه من الدنيا وقال بعض الحكماء من كان بخيلا ورث ماله عدوه ووصف

ووصف اعرابي رجلا فقال لقد صغر في عيني لعظم الدنيا في عينه وذم اعرابي قوما فقال
يصومون عن المعروف ويفطرون على الفواحش ومن حكايات البخلاء روى عن
ابن عباس رضى الله عنهما قال كان الحباحب رجل من اهل العرب وكان بخيلا فكان لا يوقد
نار الليل كراهة ان يراها راي فينتفع بضوءها فاذا احتاج الى ايقادها فاوقد ثم بصر مستضي
بها اطفاها وقيل كان مروان بن ابي حفصة من ابخل الناس فخرج يريد المهدي فقالت له
امراته ما لي عليك ان رجعت بالجائزة قال ان اعطيت مائة الف درهم اعطيتك درهما فاعطي
ستين الف درهم فاعطاها اربعة دوانيق وقيل كان بعض البخلاء موسرا كثير المال وكان
ينظر في دقايق الاشياء فاشترى شيا من الحوايج ودعا حمالا فقال بكم تحمل هذه الحوايج
قال بحبة قال احسن قال ما اقل من حبة قال لا ادري ما اقول قال نشتري بالحبة حزرا فنجلس
جميعا فناكله في فضل الايثار وبيانه اعلم ان السخاء والبخل درجات فارفع درجات
السخاء الايثار وهو ان تجود بالمال مع الحاجة اليه واشد درجات البخل ان يبخل الانسان
على نفسه مع الحاجة فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى ويشتهي الشهوة فيمنعه
منها البخل فكم بين من يبخل على نفسه مع الحاجة وبين من يوثر على نفسه مع الحاجة فالاخلاق عطايا
يضعها الله حيث يشاء وليس بعد الايثار درجة في السخاء وقد اثنى الله تعالى على اصحاب رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالايثار فقال ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وكان
سبب نزول هذه الاية قصة ابي طلحة لما اثر الرجل المجهود بقوته وقوت صبيانه
وحكايته مشهورة رضي الله عنه واستشهد باليرموك عكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو
والحرث بن هشام وجماعة من بني المغيرة فاتوا بما وهم صرعى فتدافعوه حتى ماتوا ولم
يذوقوه اتي عكرمة بالماء فنظر الى سهيل بن عمرو ينظر اليه فقال ابدا بهذا ونظر سهيل الى
الحارث ينظر اليه فقال ابدا بهذا وكل يوثر الاخر على نفسه بالشربة فماتوا كلهم قبل ان يشربوا
فمر بهم خالد بن الوليد فقال بنفسي انتم واهدي الى رجل من الصحابة رضي الله عنهم راس شاة
فقال ان اخي احوج اليه مني فبعث به الى رجل فبعث به ذلك الى اخر حتى تداولته سبع ابيات
فرجع الى الاول وخرج عبد الله بن جعفر الى ضيعة له فنزل على نخل لقوم فيها غلام اسود
يعمل فيها اذ اتى الغلام بقوته ودخل الحايط كلب فدنا من الغلام فرمى اليه قرصا فاكله ثم رمى
اليه قرصا اخر فاكله ثم رمى اليه الثالث فاكله وعبد الله ينظر فقال يا غلام كم قوتك كل يوم

قال ما رايت قال فلم اثرت به هذا الكلب قال ما هي بارض كلاب جاء من مسافة بعيدة جايعا فكرهت
رده قال فما انت صانع قال اطوي يومي هذا فقال عبد الله بن جعفر الام على السخاء وهذا اسخى مني فاشترى
الحايط وما فيه من الالات واشترى الغلام واعتقه ووهبه له واجتمع جماعة من الفقراء في موضع لهم
وبين ايديهم ارغفة معدودة لا تكفيهم فكسروا الرغفان واطفاوا السراج وجلسوا للاكل فلما رفع
الطعام اذا هو بحاله لم ياكل احد منهم شيا ايثارا لاصحابه **فصل** وقد تكلم الناس في حد البخل
والسخاء فذهب قوم الى ان حد البخل منع الواجب وان من ادى ما يجب عليه فليس ببخيل وهذا
غير كاف فان من لم يسلم الى عياله الا القدر الذي يفرضه الحاكم ثم يضايقهم في زيادة لقمة او تمرة فانه معدود
من البخلاء فالصحيح ان البراة من البخل تحصل بفعل الواجب في الشرع واللازم بطريق المروة مع
طيب القلب بالبذل فاما الواجب بالشرع فهو الزكاة ونفقة العيال واما اللازم بطريق المروة
فهو ترك المضايقة والاستقصاء في المحقرات فان ذلك يستقبح ويختلف ذلك باختلاف الاحوال
والاشخاص فقد يستقبح من الغني ما لا يستقبح من الفقير ويستقبح من الرجل المضايقة لاهله واقاربه
وجيرانه ما لا يستقبح من الاجانب فالبخيل الذي يمنع ما لا ينبغي ان يمنع اما بحكم الشرع او بحكم المروة
ومن قام بواجب الشرع ولازم المروة فقد تبرا من البخل لكن لا يتصف بصفة الجود ما لم يبذل زيادة
على ذلك **قال** بعضهم الجواد هو الذي يعطي بلا مسالة وقيل الذي يفرح بالاعطاء **فاما**
علاج البخل فاعلم ان سبب البخل حب المال ولحب المال سببان احدهما حب الشهوات التي
لا وصول اليها الا بالمال مع طول الامل **الثاني** حب عين المال فمن الناس من معه ما يكفيه
لبقية عمره لو اقتصر على ما جرت عادته به ويفضل الاف ويكون شيخا ولا ولد له ثم لا تسمح نفسه
باخراج الواجب عليه ولا بصدقة تنفعه ويعلم انه اذا مات اخذه اعداوه او ضاع ان كان مدفونا
وهذا مرض لا يرجى علاجه **ومثال ذلك** مثال رجل احب شخصا فلما جاء رسوله احب الرسول
ونسي محبوبه واشتغل بالرسول فان الدينار رسول مبلغ الى الحاجات فمحب الدنانير لذاتها ونسي
الحاجات وهذا غاية الضلال **و**اعلم ان علاج كل علة بمضاده سببها فيعالج حب الشهوات بالقناعة
والصبر وطول الامل بكثرة ذكر الموت ويعالج التفات القلب الى الولد بان خالقه خلق معه رزقه وكم
من لم يرث شيا احسن حالا ممن ورث فليحذر ان يترك لولده الخير ويقدم على الله بشر فان ولده ان
كان صالحا فالله يتولاه وان كان فاسقا فلا يترك له ما يستعين به على المعاصي وليردد على سمعه ما
ذكرناه في ذم البخل ومدح السخاء **و**اعلم انه اذا كثرت المحبوبات في الدنيا كثرت المصايب بفقدها فمن

عرف آفة المال لم يانس به ومن لم ياخذ منه الا قدر حاجته وامسك ذلك لحاجته فليس ببخيل
والله اعلم **كتاب ذم الجاه والرياء وعلاجهما** وفضيلة الخمول ونحو ذلك روى عن
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال اخوف ما اخاف على امتي الرياء والشهوة الخفية وهذه
الشهوة الخفية يعجز عن الوقوف على غوايلها كبار العلماء فضلا عن عامة النجباء وانما يبتلى
بها العلماء والعباد المشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الاخرة فانهم لما قهروا نفوسهم
وفطموها عن الشهوات وحملوها بالقهر على اسباب العبادة لم تطمع في المعاصي الظاهرة
الواقعة على الجوارح فاستراحت الى التظاهر بالعلم والعمل ووجدت مخلصا من شدة
المجاهدة في لذة القبول عند الخلق ونظرهم اليها بعين الوقار والتعظيم فاصابت النفس في ذلك
لذة عظيمة فاحتقرت فيها ترك المعاصي فاحدهم يظن انه مخلص لله عز وجل وقد اثبت
في ديوان المنافقين وهذه مكيدة عظيمة لا يسلم منها الا المقربون وكذلك قيل اخر ما يخرج
من رووس الصديقين حب الرياسة واذا كان ذلك هو الداء الدفين الذي هو اعظم
شبكة للشياطين وجب شرح القول في سببه وحقيقته واقسامه **اعلم** ان اصل الجاه
هو حب انتشار الصيت والاشتهار وذلك خطر عظيم والسلامة في الخمول واهل الحزم لم يقصدوا
الشهرة ولم يتعرضوا لاسبابها فان وقعت من قبل الله تعالى فروا منها وكانوا يوثرون الخمول كما
روى عن ابن مسعود انه خرج من منزله فتبعه جماعة فالتفت اليهم وقال علام تتبعوني فوالله
لو علمتم ما اغلق عليه بابي ما تبعني منكم رجلان وفي لفظ اخر انه قال ارجعوا فانه ذلة للتابع
وفتنة للمتبوع وكان ابو العالية اذا جلس اليه اكثر من اربعة قام **وكان** خالد بن معدان
اذا عظمت حلقته قام وانصرف كراهة الشهرة **و**قال الزهري ما راينا الزهد في شي اقل
منه في الرياسة ترى الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال فاذا نوزع الرياسة حامى عليها
وعادى **و**قال رجل لبشر الحافي اوصني فقال اخمل ذكرك وطيب مطعمك وقال لا يجد حلاوة
الاخرة رجل يحب ان يعرفه الناس **وقد** روى في صحيح مسلم ان عمر بن سعد انطلق الى
ابيه سعد وهو في غنم له خارجا من المدينة فلما راه سعد قال اعوذ بالله من شر هذا الراكب
فلما اتاه قال يا ابه ارضيت ان تكون اعرابيا في غنمك والناس يتنازعون في الملك بالمدينة
فضرب سعد صدره وقال اسكت اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يحب
العبد التقي الغني الخفي **و**عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اغبط اوليايي

عنده لمؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة احسن عبادة ربه واطاعه في السر وكان
غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك ثم نفض بيده
فقال عجلت منيته قلت بواكيه قل تراثه حديث حسن وكان ابن مسعود يوصي اصحابه
فيقول كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى احلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب
خلقان الثياب تعرفون في السماء وتخفون على اهل الارض فان قيل هذا فضيلة
الخمول وذم الشهرة ولا شهرة اكثر من شهرة الانبيا وائمة العلماء قلنا المذموم طلب
الانسان الشهرة فاما وجودها من جهة الله تعالى من غير طلب الانسان فليس بمذموم
غير ان في وجودها فتنة على الضعفاء فان مثل الضعيف كالغريق القليل الصنعة
في الباحة اذا تعلق به احد غرق غرقه فاما السابح الخبير فان تعلق الغرقى به سبب
لنجاتهم وخلاصهم فصل واعلم ان الجاه والمال هما ركنا الدنيا ومعنى المال ملك
الاعيان المنتفع بها ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها والتصرف
فيها فالجاه هو قيام المنزلة في قلوب الناس وهو اعتقاد القلوب نعتا من نعوت
الكمال في هذا الشخص اما من علم او عبادة او نسب او قوة او حسن صورة او غير
ذلك مما يعتقده الناس كمالا فبقدر ما يعتقدون له من ذلك تذعن قلوبهم لطاعته
ومدحه وخدمته وتوقيره فهذا بين ان الجاه محبوب بالطبع وانما بلغ من حب المال
لان المال لا يتعلق الغرض بعينه بل لكونه وسيلة الى المحبوبات فاشترك الجاه والمال في السبب
اقتضى الاشتراك في المحبة والجاه في ذلك ارجح من المال واعلم ان من الجاه ما يمدح
وما يذم لان من المعلوم انه لا بد للانسان من مال لضرورة المطعم والملبس ونحوهما فكذلك
لا بد له من جاه لضرورة المعيشة مع الخلق لان الانسان لا يخلو من الحاجة الى سلطان يحرسه
ورفيق يعينه وخادم يخدمه فحب ذلك ليس بمذموم لان الجاه وسيلة الى الاغراض
كالمال والتحقيق في هذا ان لا يكون المال والجاه محبوبين لاعيانهما ومتى طلب الانسان قيام
جاهه لاجل صفة هو متصف بها لغرض صحيح كقول يوسف اجعلني على خزائن الارض
اني حفيظ عليم او قصد اخفاء عيب من عيوبه لئلا تزول منزلته كان ذلك مباحا فان
طلب المنزلة باعتقادهم فيه صفة ليست فيه كالعلم والورع والنسب فذلك محظور وكذلك
لو حسن الصلاة بين ايديهم ليعتقدوا فيه الخشوع فانه يكون مرائيا بذلك فلا يجوز تملك القلو

ب بتزوير ولا تملك المال بتلبيس بيان علاج حب الجاه اعلم ان من غلب على قلبه
حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق مشغوفا بالتردد اليهم والمراياة لهم ولا يزال في
اقواله وافعاله ملتفتا الى ما يعظم منزلته عليهم عندهم وذلك بذر النفاق واصل الفساد لان
كل من طلب المنزلة في قلوب الناس اضطر ان ينافقهم باظهار ما هو خال عنه ويجر ذلك
الى المراياة بالعبادات واقتحام المحظورات للتوصل الى اقتناص القلوب ولذلك شبه رسول الله
صلى الله عليه وسلم حب المال والشرف وافسادهما بذئبين ضاريين ارسلا في غنم فحب الجاه اذا
من المهلكات فيجب علاجه وعلاجه مركب من علم وعمل اما الاول فهو ان تعلم ان السبب الذي لاجله
احب الجاه هو كمال القدرة على اشخاص الناس وقلوبهم وذلك اذا سلم يكون اخره الموت
صفاوه
فينبغي ان يتفكر في نفسه في الاخطار والافات اللاحقة لاصحاب الجاه في الدنيا من تطرق
الحساد اليهم وقصدهم بالايذاء فتراهم خائفين على الدوام من زوال جاههم محترزين من تغير
منزلتهم في القلوب والقلوب اشد تغيرا من القدر في غليانها فالاشتغال بمراعاة ذلك غموم
عاجلة مكدرة لحفظ الجاه فلا يفي مرجو الدنيا بمخوفها فضلا عما يفوت في الاخرة فهذا من حيث
العلم واما العلاج من حيث العمل فهو اسقاط الجاه من قلوب الخلق بافعال توجب ذلك
كما روي ان بعض الملوك قصد زيارة رجل زاهد فلما قرب منه استدعى طعاما وبقلا و
لبنا وجعل ياكل بشره ويعظم اللقمة فلما نظر اليه الملك سقط من عينه ولما اريد ابرهيم
النخعي على القضاء لبس قميصا احمر وقعد في السوق واعلم ان انقطاع الزاهد عن الناس
يوجب جاهه عندهم فاذا خاف من تلك الفتنة فليخالطهم على وجه السلامة وليمش في
الاسواق وليشتر حاجته ويحملها وليقطع طمعهم من دنياهم وقد تم مراده وقد كان بشر
الحافي يجلس الى عطار وما كانوا يراعون نواميس المتزهدين اليوم فصل واعلم ان اكثر
الناس انما هلكوا لخوف مذمة الناس وحب مدحهم فصارت حركاتهم كلها على ما يوافق
رضى الناس رجاء المدح وخوفا من الذم وذلك من المهلكات فوجبت معالجته وطريق ذلك
ان تنظر الى الصفة التي مدحت بها ان كانت موجودة فيك فلا يخلو اما ان يكون مما يفرح به كالعلم و
الورع او مما لا يصلح ان يفرح بها كالجاه والمال اما الاول فينبغي ان يحذر من الخاتمة فان في الخوف
منها شغلا عن الفرح بالمدح ثم ان كنت تفرح بها على رجاء حسن الخاتمة فينبغي ان يكون فرحك بفضل
الله عليك بالعلم والتقوى لا بمدح الناس واما القسم الثاني وهو المدح بسبب الجاه والمال

فالفرح بذلك كالفرح بنبات الارض الذي يصير عن قليل هشيما فلا يفرح بذلك الا من قل عقله
وان كنت خاليا عن الصفة التي مدحت بها ففرحك بالمدح غاية الجنون وقد ذكرنا افات المدح
فيما تقدم في كتاب افات اللسان فلا ينبغي ان تفرح به بل تكرهه كما كان السلف يكرهونه ويغضبون
على فاعله وعلاج كراهية الذم يفهم من علاج حب المدح فانه ضده والقول الوجيز فيه ان من ذمك
اما ان يكون صادقا فيما قال قاصدا النصح لك فينبغي ان تقبل منه ولا تغضب فانه قد اهدى لك
عيوبك وان لم يقصد بذلك النصح فانه يكون قد جنا هو على دينه وانتفعت انت بقوله لانه
عرفك ما لم تكن تعرف وذكرك من خطاياك ما نسيت وان افترى عليك بما انت منه بري فينبغي
ان تتفكر في ثلثة اشياء احدها انك ان جعلت من ذلك العيب لم تخل من امثاله فما ستر
الله عز وجل عليك من عيوبك اكثر فاشكره اذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك فذكر ما انت عنه
بري الثاني ان ذلك كفارات لذنوبك الثالث انه جنا على دينه وتعرض لغضب الله عليه
فينبغي ان تسال الله العفو عنه كما روى ان رجلا شتم ابرهيم بن ادهم فدعا له بالمغفرة وقال صرت
ماجورا بسببه فلا اجعله معاقبا بسببي وقد تقدمت هذه الحكايات في فصل الحلم القسم الثاني
من الكتاب في بيان الرياء وحقيقته واقسامه وذمه ونحو ذلك قد ورد ذم الرياء في الكتاب
والسنة من ذلك قوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن وقوله فمن
كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا واما الاحاديث فقد روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه عز وجل انه قال من عمل عملا اشرك فيه غيري فهو للذي
اشرك وانا منه بري وفي حديث اخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اخوف ما اخاف عليكم
الشرك الاصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الاصغر قال الرياء يقول الله عز وجل لهم يوم القيمة
اذا جزى الناس باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم خيرا
وقال بشر الحافي لان اطلب الدنيا بمزمار احب الي من ان اطلبها بالدين واعلم ان الرياء مشتق
من الرؤية والسمعة مشتقة من السماع فالمرائي يري الناس ما يطلب به الحظوة عندهم وذلك
اقسام الاول الرياء في الدين وهو انواع احدها ان يكون من جهة البدن باظهار النحول
والصفار ليريهم بذلك شدة الاجتهاد وغلبة خوف الاخرة وكذلك يرائي بتشعث الشعر
ليظهر انه مستغرق في هم الدين لا يتفرغ لتسريح شعره ويقرب من هذا خفض الصوت
واغاره العينين وذبول الشفتين ليدل بذلك على انه مواظب على الصوم ولهذا قال عيسى بن

بن مريم عليه السلام اذا صام احدكم فليدهن راسه ويرجل شعره وذلك لما يخاف على الصايم من
افات الرياء فهذا الرياء من جهة البدن واما اهل الدنيا فيراؤن باظهار السمن وصفاء اللون
واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن النوع الثاني الرياء من جهة الزي لاطراق
حالة المشي وابقاء اثر السجود على الوجه وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشمير الثياب كثيرا
وتقصير الاكمام وترك الثوب مخرقا غير نظيف ومن ذلك لبس المرقعة والثياب الزرق تشبها
بالصوفية مع الافلاس من صفاتهم في الباطن ومنه التقنع فوق العمامة لتنصرف اليه الاعين
بالتميز بتلك العادة وهؤلاء طبقات فمنهم من يطلب المنزلة عند اهل الصلاح باظهار التزهد
بلبس الثياب المخرقة الوسخة الغليظة ليرائي بذلك ولو كلف هذا ان يلبس ثوبا وسطا
نظيفا مما كان السلف يلبسونه لكان عنده بمنزلة الذبح لخوفه ان يقول الناس قد بدا له من
الزهد وقد رجع عن تلك الطريقة وطبقة اخرى يطلبون القبول عند اهل الصلاح وعند
اهل الدنيا من الملوك والامراء والتجار فلو لبسوا الثياب الفاخرة لم تقبلهم القراء اهل
الصلاح ولو لبسوا المخرقة الدنية لازدرتهم الملوك والاغنياء فهم يريدون الجمع بين قبول
اهل الدين والدنيا فيطلبون الاصواف الرقيقة والاكسية الرفيعة والفوط الرفيعة فيلبسونها
واقل قيمة ثوب احدهم قيمة ثوب الغني ولونه وهيئته لون ثياب الصلحاء فيلتمسون القبول
عند الفريقين وهؤلاء لو كلفوا لبس ثوب خشن او وسخ لكان عندهم كالذبح خوفا
من السقوط في اعين الملوك والاغنياء ولو كلفوا لبس الدبيقي ورفيع الكتان الابيض
ونحو ذلك لعظم ذلك خوفا من ان تنحط منزلتهم عند اهل الصلاح وكل مراء يرى بزي مخصوص
ثقل عليه الانتقال الى دونه او فوقه خوفا من المذمة واما اهل الدنيا فمراياتهم بالثياب
النفيسة والمراكب الحسنة وانواع التجمل في الملبس والمسكن واثاث البيت وهم في بيوتهم
يلبسون الثياب الخشنة ويشتد عليهم ان يروا بتلك المنزلة النوع الثالث الرياء بالقول
ورياء اهل الدين بالوعظ والتذكير وحفظ الاخبار والاثار لاجل المحاورة واظهار
غزارة العلم والدلالة على شدة العناية باحوال السلف وتحريك الشفتين بالذكر في محضر
الناس واظهار الغضب للمنكرات بين الناس وخفض الصوت وترقيقه بقراءة القران
ليدل بذلك على الخوف والحزن ونحو ذلك واما اهل الدنيا فمراياتهم بحفظ الاشعار
والامثال والتفاصح في الكلام ونحو ذلك النوع الرابع الرياء بالعمل كمراياة المصلي

بطول القيام وتطويل الركوع والسجود واظهار الخشوع ونحو ذلك وكذلك بالصوم والغزو
والحج والصدقة ونحو ذلك واما اهل الدنيا فمراياتهم بالتبختر والاختيال وتحريك اليدين وتقريب
الخطا والاخذ باطراف الذيل وامالة العطفين ليدلوا بذلك على الحشمة النوع الخامس المراياة
بالاصحاب والزايرين كالذي يتكلف ان يستزير عالما او عابدا ليقال ان فلانا قد زار فلانا وان اهل
الدين يترددون اليه ويتبركون وكذلك من يرايي بكثرة الشيوخ ليقال لقي شيوخا كثيرا واستفاد منهم
فيباهي بذلك فهذه مجامع مايرايي به المراوون يطلبون بذلك الجاه والمنزلة في قلوب العباد ومنهم
من يطلب مجرد الجاه ومنهم من يكون قصده المال ومنهم من قصده الثناء وانتشار الصيت فان
قيل الرياء حرام ام مكروه ام مباح فالجواب ان فيه تفصيلا وهو اما ان يكون بالعبادات او بغيرها فان
كان الرياء بالعبادات فهو حرام فان المرايي بصلاته وصدقته وحجه ونحو ذلك عاص اثم لانه يقصد
بذلك غير الله تعالى المستحق للعبادة وحده فالمرايي بذلك في سخط الله واما ان كان بغير العبادات كطلب
المال على ما تقدم لا يحرم من حيث انه طلب منزلة في قلوب العباد ولكن كما يمكن كسب المال بتلبيسات
واسباب محظورة فكذلك الجاه وكما ان كسب قليل من المال وهو ما يحتاج اليه الانسان محمود
فكذلك الجاه وهو الذي طلبه يوسف عليه السلام في قوله اني حفيظ عليم ولا نقول بتحريم الجاه
وان كثر الا اذا حمل صاحبه على ما لا يجوز على نحو ما ذكر في المال واما سعة الجاه من غير حرص على
طلبه ومن غير اغتمام بزواله ان زال فلا ضرر فيه اذ لا جاه اوسع من جاه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعلماء الدين بعده ولكن انصراف الهم الى طلب الجاه نقصان في الدين ولا يوصف بالتحريم
وتحسين الثوب الذي يلبسه الانسان عند الخروج الى الناس انما هو ليراه الناس وكذلك كل تجمل
لاجلهم لا يقال انه منهي عنه وقد تختلف المقاصد بذلك فاكثر الناس يحبون ان لا يروا بعين
نقص في حال وفي افراد مسلم من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لا
يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة
فقال ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس ومن الناس ان يوثر اظهار
نعمة الله عليه وقد امر رسول الله بذلك فصل واعلم ان ابواب بعض الرياء اشد
من بعض لانه درجات اشدها واغلظها ان لا يكون مراده بالعبادة الثواب اصلا كالذي
يصلي بين الناس ولو انفرد لم يصل الدرجة الثانية ان يقصد الثواب مع الرياء قصدا ضعيفا
بحيث لو كان خاليا لم يفعله فهو قريب من القسم الاول في كونهما ممقوتين عند الله تعالى

لانقول بتحريم الجاه وان كثر

الغمط الاستهانة
والاستحقار
نهاية
الكبر بطر هو ان يجعل
ما جعل الله حقا من توحيده
وعبادته باطلا نهاية

الثالثة ان يكون قصد الرياء وقصد الثواب متساويين بحيث لو انفرد كل واحد
منهما عن الاخر لم يبعثه على العمل فهذا قد افسد مثل ما اصلح ولا يسلم من الاثم الرابعة ان يكون
اطلاع الناس عليه مقويا لنشاطه ولو لم يطلع عليه احد لم يترك العبادة فهذا يثاب
على قصده الصحيح ويعاقب على قصده الفاسد وقريب من ذلك الرياء باوصاف العبادة
لا باصلها كالذي يصلي وغرضه يخفف الركوع والسجود ولا يطيل القراءة فاذا راه الناس
احسن ذلك فهذا ايضا من الرياء المحظور لانه يتضمن تعظيم الخلق ولكنه دون الرياء
باصول العبادات بيان الرياء الخفي الذي هو اخفى من دبيب النمل اعلم ان الرياء جلي وخفي
فالجلي هو الذي يبعث على العمل ويحمل عليه واخفى منه رياء لا يبعث على العمل بمجرده لكن
يخفف العمل الذي اريد به وجه الله تعالى كالذي يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه فاذا نزل
عنده ضيف نشط له وسهل عليه واخفى من ذلك ما لا يوثر في العمل ولا في التسهيل لكنه مع
ذلك مستبطن في القلب ومتى لم يوثر في الدعاء الى العمل لم يمكن ان يعرف الا بالعلامات
واجلى علاماته انه يسر باطلاع الناس على طاعته فرب عبد يخلص العمل ولا يقصد الرياء
بل يكرهه ويتم العمل على ذلك لكن اذا اطلع الناس عليه سره ذلك وارتاح له وروح ذلك
عن قلبه شدة العبادة فهذا السرور يدل على رياء خفي منه يترشح السرور ولولا التفات القلب
الى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس فيعلم ان الرياء كان مستكنا في القلب استكنان
النار في الحجر فاظهر منه اطلاع الناس اثر الفرح والسرور ثم اذا استشعر تلك اللذة بالاطلاع
لم يقابل ذلك بكراهة بل قد يتحرك حركة خفية ويتكلف ان يطلع عليه بالتعريض لا بالتصريح
وقد يخفى فلا يدعو الى الاظهار بالنطق تعريضا ولا تصريحا ولكن بالشمايل كاظهار النحول و
الصفار وخفض الصوت ويبس الشفتين واثار الدموع وغلبة النعاس الدال على طول
التهجد واخفى من ذلك ان يختفي بحيث لا يريد الاطلاع عليه لكنه مع ذلك اذا راى الناس
احب ان يبداوه بالسلام وان يقابلوه بالبشاشة والتوقير وينشطوا في قضاء حوايجه
ويسامحوه في المعاملة ويوسعوا له المكان فان قصر في ذلك مقصر ثقل ذلك على قلبه
كان نفسه تتقاضى الاحترام على الطاعة التي اخفاها ومتى لم يكن وجود العبادة كعدمها
في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن خاليا عن شوب خفي من الرياء وكل ذلك يوشك ان ينقص
الاجر ولا يسلم منه الا الصديقون وقد روينا عن وهب ابن منبه ان رجلا من العباد

قال لاصحابه انا قد فارقنا الاموال والاولاد مخافة الطغيان وانا نخاف ان يكون قد
دخل علينا في امرنا هذا من الطغيان اكثر مما دخل على اهل الاموال في اموالهم ان احدنا
اذا لقي احب ان يعظم لمكان دينه وان كان له حاجة احب ان تقضى لمكان دينه
فبلغ ذلك ملكهم فركب في موكبه فاذا السهل والجبل قد امتلاء من الناس فقال
العابد ما هذا قيل هذا الملك فقال لصاحبه ايتني بطعام فاتاه ببقل وزيت
وقلوب الشجر فجعل يحشوا شدقيه ويأكل اكلا عنيفا فقال الملك اين صاحبكم
فقالوا هذا فقال كيف انت قال كالناس فقال الملك ما عند هذا خير و
انصرف عنه فقال الحمد لله الذي صرفه عني وهو لي لائم ولم يزل المخلصون خائفين
من الرياء الخفي يجتهدون في مخادعة الناس عن اعمالهم الصالحة ويحرصون على
اخفائها فواحشهم كل ذلك رجاء ان يخلص عملهم ليجازيهم الله تعالى في القيامة
باخلاصهم وشوائب الرياء الخفي كثيرة لا تنحصر ومتى ادرك الانسان من نفسه
تفرقة بين ان يطلع على عبادته او لا يطلع ففيه شعبة من الرياء ولكن ليس
كل شوب محبطا للاجر ومفسدا للعمل بل فيه تفصيل **فان قيل** فما نرى
احدا ينفك عن السرور اذا عرفت طاعته فهل جميع ذلك مذموم **فالجواب**
ان السرور ينقسم الى محمود ومذموم فالمحمود ان يكون قصده اخفاء الطاعة
والاخلاص لله ولكن لما اطلع عليه الخلق علم ان الله تعالى اطلعهم واظهر الجميل
من احواله فسر بحسن صنع الله ونظره له ولطفه به حيث كان يستر الطاعة
والمعصية فاظهر الله سبحانه عليه الطاعة وستر عليه المعصية ولا لطف اعظم
من ستر القبيح واظهار الجميل فيكون فرحه بذلك لا بحمد الناس وقيام المنزلة في
قلوبهم او يستدل باظهار الله الجميل وستر القبيح عليه في الدنيا انه كذلك يفعل به
في الاخرة فانه قد جاء معنى ذلك في الحديث فاما ان كان فرحه باطلاع الناس عليه
لقيام منزلته عندهم حتى يمدحوه ويعظموه ويقضوا حوائجه فهذا مكروه مذموم
فان قيل فما وجه حديث ابي هريرة قال قال رجل يا رسول الله الرجل يعمل العمل
فيسره فاذا اطلع عليه اعجبه فقال له اجران اجر السر واجر العلانية **فالجواب**
ان هذا الحديث ضعيف وقد رواه الترمذي وفسره بعض اهل العلم بان معناه ان

ان يعجبه ثناء الناس عليه بالخير لقوله عليه السلام انتم شهداء الله في الارض **وقد** روى في
افراد مسلم من حديث ابي ذر قال قيل يا رسول الله ارايت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده
الناس عليه فقال تلك عاجل بشرى المومن فاما اذا اعجبه ليعلم الناس منه الخير ويكرموه
عليه فهذا رياء **فصل** في بيان ما يحبط العمل من الرياء وما لا يحبط اذا ورد على العبد
وارد الرياء فلا يخ اما ان يكون ورد بعد فراغ من العبادة او قبله فان ورد عليه بعد
الفراغ سرور بالظهور من غير اظهار منه فهذا لا يحبط العمل لانه قديم على نعت الاخلاص
فلا ينعطف ما طرء عليه بعده لا سيما اذا لم يتكلف هو اظهاره والتحدث به فاما
ان تحدث به بعد تمامه واظهره فهذا مخوف والغالب عليه انه كان في قلبه وقت
مباشرة العمل نوع رياء فان سلم من الرياء نقص اجره فان بين عمل السر والعلانية
سبعين درجة واما اذا ورد الرياء قبل الفراغ من العبادة كالصلاة التي عقدها
على الاخلاص فان كان مجرد سرور لم يؤثر في العمل وان كان رياء باعثا على العمل
مثل ان يطيل الصلاة ليرى مكانه فهذا يحبط الاجر واما ما يقارن العبادة مثل ان
يبتدي الصلاة على قصد الرياء فان اتمها على ذلك لم يعتد بها وان ندم فيها على فعله
فالذي ينبغي له ان يبتديها والله اعلم **باب في دواء الرياء ومعالجة القلب فيه**
قد عرفت ان الرياء محبط للاعمال وسبب لمقت الله تعالى وانه من المهلكات وما هذا
حاله فجدير بالتشمير عن ساق الجد في ازالته وفي معالجته مقامان **احدهما** في قلع
عروقه واصوله التي منها انشعابه **والثاني** في دفع ما يخطر منه في الحال **المقام الاول**
اعلم ان اصل الرياء حب الجاه والمنزلة واذا فصل رجع الى ثلثة اصول وهي
حب لذة الحمد والفرار من الم الذم والطمع فيما في ايدي الناس ويشهد لذلك ما
في الصحيحين من حديث ابي موسى قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله ارايت الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء
فاي ذلك في سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله
فمعنى قوله يقاتل شجاعة اي ليذكر ويحمد ومعنى قوله يقاتل حمية انه يانف ان يقهر
او يذم ومعنى يقاتل رياء اي ليرى مكانه وهذا هو لذة الجاه والمنزلة في القلوب
وقد لا يشتهي الانسان الحمد ولكنه يحذر من الذم كالجبان بين الشجعان فانه يثبت

ولا يغتر لحلا بذم وقد يفتي الانسان بغير علم حذرا من الذم بالجهل فهذه الامور الثلثة
هي التي تحرك الى الرياء وعلاجه ان الانسان انما يقصد الشيء ويرغب فيه اذا ظن انه
خير له ونافع اما في الحال او المال فان علم انه لذيذ في الحال ضار في المال سهل عليه اجتنابه
وقطع الرغبة عنه كمن يعلم ان العسل لذيذ ولكن اذا بان له ان فيه سما اعرض عنه
فكذلك طريق هذه الرغبة ان يعلم ما فيها من المضرة فان الانسان اذا عرف مضرة الريا
وما يفوته من صلاح قلبه ومن المنزلة في الاخرة وما يتعرض له من العذاب والمقت
والخزي هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق
فان رضى الناس غاية لا تدرك فكل ما يرضى به فريق يسخط به فريق ومن طلب
رضاهم في سخط الله سخط الله عليه واسخطهم عليه ثم اي غرض له في مدحهم
وايثار ذم الله لاجل مدحهم ولا يزيده مدحهم رزقا ولا اجلا ولا ينفعه يوم فقره
وفاقته وكذلك ذمهم لم يحذر منه ولا يضره ذمهم شيا ولا يعجل اجله ولا يؤخر
رزقه فان العباد كلهم عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة
ولا نشورا فاذا قرر هذا في نفسه فترت رغبته في الرياء واقبل على الله تعالى بقلبه فان
العاقل لا يرغب فيما يضره ويقل نفعه واما الطمع فيما في ايدي الناس فيزيله بان
يعلم ان الله تعالى هو المسخر للقلوب بالمنع والاعطاء وانه لا رازق سواه ومن طمع
في الخلق لم يخل من الذل والخيبة وان وصل الى المراد لم يخل من المنة والمهانة فكيف
يترك ما عند الله برجاء كاذب ووهم فاسد ومن الدواء النافع ان يعود نفسه
اخفاء العبادات واغلاق الابواب دونها كما تغلق الابواب دون الفواحش
فانه لا دواء للرياء مثل اخفاء الاعمال وذلك يشق في بداية المجاهدة فاذا صبر عليه
مدة بالتكليف سقط عنه ثقله وامده الله بالعون فعلى العبد المجاهدة ومن الله
التوفيق المقام الثاني في دفع العارض من الرياء في اثناء العبادة وذلك لا بد
من تعلمه ايضا فان من جاهد نفسه وقلع مغارس الرياء من قلبه بالقناعة و
اسقاط نفسه من اعين الناس واحتقار مدحهم وذمهم فالشيطان لا يتركه في
اثناء العبادة بل يعارضه بخطرات الرياء فاذا خطر له معرفة الخلق بعبادته
واطلاعهم عليها دفع ذلك بان يقول ما لك وللخلق علموا او لم يعلموا والله عالم

بحالك فاي فايدة في علم غيره فان هاجت الرغبة الى لذة الحمد ذكر افات الرياء و
التعرض للمقت فيقابل تلك الرغبة بكراهة المقت فان معرفة اطلاع الناس تثير
شهوة ومعرفة افة الرياء تثير كراهة فصل في بيان الرخصة في قصد اظهار
الطاعات وبيان الرخصة في كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس على الذنب
وذمهم له اما الاول فاعلم ان في اسرار الاعمال فايدة الاخلاص والنجاة من الرياء
وفي الاظهار فايدة الاقتداء وترغيب الناس في الخير ومن الاعمال ما لا يمكن الاسرار به
كالحج والجهاد والمظهر للعمل ينبغي ان يراقب قلبه حتى لا يكون فيه حب الرياء الخفي بل
ينوي الاقتداء به ولا ينبغي للضعيف ان يخدع نفسه بذلك فان مثال الضعيف
مثال الغريق الذي يحسن سباحة ضعيفة فنظر الى جماعة من الغرقى فرحمهم واقبل
عليهم حتى يتشبثوا به فهلكوا وهلك معهم فاما من قوي وتم اخلاصه وصغر الناس
في عينه واستوى عنده مدحهم وذمهم فلا باس بالاظهار له لان الترغيب في الخير
خير وقد روي ذلك عن جماعة من السلف انهم كانوا يظهرون شيا من احوالهم
الشريفة ليقتدى بهم كما قال بعضهم لاهله حين احتضر لا تبكوا علي فاني ما تنطفت
بخطيئة منذ اسلمت وقال ابو بكر بن عياش لابنه اياك ان تعصي الله تعالى
في هذه الغرفة فاني ختمت فيها اثني عشر الف ختمة ونحو ذلك كثير في كلامهم
والله اعلم واما الرخصة في كتمان الذنوب فربما ظن ظان ان كتمان الخطايا
رياء وليس كذلك فان الصادق الذي لا يرائي اذا وقعت منه معصية كان له
سترها لان الله تعالى يكره ظهور المعاصي ويحب سترها وقد روي عن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال من ارتكب شيا من هذه القاذورات فليستتر
بستر الله عز وجل فهذا وان عصى بالذنب لم يخل قلبه عن محبة ما احبه الله عز وجل
وهذا ينشا عن قوة الايمان وينبغي ان يكره ظهور الذنب من غيره ايضا فهذا
اثر الصدق فيه ومن ذلك ان يكره ذم الناس له من حيث ان ذلك يشغل قلبه
وعقله عن طاعة الله تعالى فان الطبع يتاذى بالذم وبهذه العلة ايضا ينبغي ان يكره
المدح اذا كان يشغله عن الله تعالى ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر فان هذا
ايضا من قوة الايمان فصل فاما ترك الطاعات خوفا من الرياء فان كان

الباعث له على الطاعة غير الدين فهذا ينبغي ان يترك لانه معصية لا طاعة فيه وان كان
الباعث على ذلك الدين وكان ذلك لاجل الله تعالى خالصا فلا ينبغي ان يترك العمل
لان الباعث الدين وكذلك اذا ترك العمل خوفا من ان يقال انه مراي فلا ينبغي ذلك
لانه من مكايد الشيطان قال ابرهيم النخعي اذا اتاك الشيطان وانت في صلاة فقال
انك مرايي فزدها طولا واما ما روى عن بعض السلف انه ترك العبادة خوفا
من الرياء كما روي عن ابرهيم النخعي ان انسانا دخل عليه وهو يقرا في المصحف فاطبق
المصحف وترك القراة وقال لا يرى هذا اني اقرا كل ساعة فيحمل هذا على انهم احسوا
من نفوسهم بنوع تزين فقطعوا **فصل** في بيان ما يصح من نشاط العبد بسبب
روية الخلق وما لا يصح قد يبيت الرجل مع المتهجدين فيصلون اكثر الليل وعادته قيام
ساعة فيوافقهم او يصومون فيصوم ولولاهم ما انبعث هذا النشاط فربما ظن ظان
ان هذا رياء وليس كذلك على الاطلاق بل فيه تفصيل وهو ان كل مؤمن يرغب في عبادة
الله تعالى ولكن تعوقه العوايق وتستهويه الغفلة فربما كانت مشاهدة الغير سببا
لزوال الغفلة واندفاع العوايق فان الانسان اذا كان في منزله تمكن من النوم
على فراش وطي وتمتع بزوجته فاذا بات في مكان غريب اندفعت هذه
الشواغل وحصلت له اسباب تبعث على الخير منها مشاهدة العابدين وقد
يعسر عليه الصوم في منزله لكثرة المطاعم بخلاف غيره ففي مثل هذه الاحوال
يجتذب الشيطان للقصد عن الطاعة ويقول اذا عملت غير عادتك كنت مرائيا
فلا ينبغي ان يلتفت اليه وانما ينبغي ان ينظر الى قصده الباطن ولا يلتفت
الى وسواس الشيطان ويختبر امره بان يتمثل القوم في مكان يراهم ولا يرونه
فان راى نفسه تسخو بالتعبد فهو لله وان لم تسخ كان سخاؤها عندهم رياء و
قس على هذا فهذه جملة افات الرياء فكن بحاثا عنها وتفقد نيتك فان الرياء
اخفى من دبيب النمل وينبغي للمريد ان يلزم قلبه القناعة بعلم الله في جميع طاعته
وانما يقنع بذلك من خاف الله ورجاه ولا ينبغي ان يويس نفسه من الاخلاص
بان يقول انما يقدر على الاخلاص الاقويا وانا من المخلطين فيترك المجاهدة
في تحصيل الاخلاص لان المخلط الى ذلك احوج قال ابرهيم بن ادهم تعلمت المعرفة

من راهب يقال له سمعان دخلت عليه صومعته فقلت له منذ كم انت في صومعتك هذه
قال منذ سبعين سنة قلت ما طعامك قال في كل ليلة حمصة قلت فما الذي يهيج من قلبك
حتى تكفيك هذه الحمصة قال ترى الدير بحذائك قلت نعم قال انهم ياتوني في كل سنة يوما واحدا
فيزينون صومعتي ويطوفون حولها يعظموني بذلك فكلما تثاقلت نفسي عن العبادة
ذكرتها عز تلك الساعة فانا احتمل جهد سنة لعز ساعة فاحتمل يا حنيفي جهد ساعة
لعز الابد فوقر في قلبي المعرفة فقال ازيدك قلت نعم قال انزل عن الصومعة فنزلت
فادلى الي ركوة فيها عشرون حمصة ثم قال لي ادخل الدير فقد رأوا ما ادليت اليك فلما
دخلت الدير اجتمعت النصارى فقالوا يا حنيفي ما الذي ادلى اليك الشيخ قلت شيا
من قوته قالوا وما تصنع به نحن احق به ساومنا به قلت عشرون دينارا فاعطوني عشرين
دينارا فرجعت الى الشيخ فقال اخطات لو ساومتهم عشرين الفا لاعطوك هذا عز
من لا يعبده فانظر كيف يكون عز من يعبده يا حنيفي اقبل على ربك فقد بان بهذا
ان استشعار النفوس عن العظمة في القلوب يكون باعثا في الخلوة فهذه افة عظيمة
وعلامة سلامته فيما ان يكون الخلق عنده والبهائم بمثابة واحدة ويكون عمله عمل من
ليس على الارض غيره فاذا خطرت خطراته ضعيفة ردها والله اعلم

كتاب ذم الكبر والعجب

وفيه فصلان الاول في الكبر قال الله تعالى ساصرف عن
اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال انه لا يحب المستكبرين **وفي** الحديث الصحيح
من افراد مسلم ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه
مثقال ذرة من كبر **وفي** الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم قال قالت النار اوثرت
بالمتكبرين وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيمة
في صورة الذر يطاهم الناس لهوانهم على الله عز وجل **وقال** سفين بن عيينة
من كانت معصيته في شهوة فارج له التوبة فان ادم عليه السلام عصى مشتهيا
فغفر له فاذا كانت معصيته من كبر فاخش عليه اللعنة فان ابليس عصى مستكبرا
فلعن **وفي** الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جر ثوبه خيلاء لم
ينظر الله اليه يوم القيمة **فقال** ابو بكر يا رسول الله ان احد شقي ازاري
يسترخي الا ان اتعاهد ذلك منه فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

لست من يصعد خيلاء واعلم ان الكبر خلق باطن يصدر عنه اعمال هي ثمرته فيظهر على
الجوارح وذلك الخلق هو رؤية النفس على المتكبر عليه يعني يرى نفسه فوق الغير
في صفات الكمال فعند ذلك يكون متكبرا وبهذا ينفصل عن العجب فان العجب لا يستدعي
غير المعجب حتى لو قدر ان يخلق انسان وحده تصور ان يكون معجبا ولا يتصور ان يكون
متكبرا الا ان يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوقه فان الانسان متى راى نفسه
بعين الاستعظام حقر من دونه وازدراه وصفة هذا المتكبر ان ينظر الى العامة
كانه ينظر الى الحمير استجهالا لهم واستحقارا وافة الكبر عظيمة وفيه يهلك الخواص
وقل ما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء وكيف لا تعظم افته وقد اخبر النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم انه لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر وانما صار
حجابا دون الجنة لانه يحول بين العبد وبين اخلاق المؤمنين لان صاحبه لا يقدر
ان يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه ولا يقدر على التواضع ولا على ترك الحقد والحسد
والغضب ولا على كظم الغيظ وقبول النصح ولا يسلم من الازدراء بالناس واغتيابهم
فما من خلق ذميم الا وهو مضطر اليه ومن شر انواع الكبر ما يمنع من استفادة
العلم وقبول الحق والانقياد له وقد تحصل المعرفة للمتكبر ولا تطاوعه نفسه على الانقياد
للحق كما قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقالوا انؤمن لبشرين
مثلنا ان انتم الا بشر مثلنا وايات كثيرة نحو هذا وهذا تكبر على الله وعلى رسوله وقد
تقدم ان التكبر على العباد هو احتقارهم واستعظام نفسه عليهم وذلك ايضا يدعو
الى التكبر على امر الله تعالى كما حمل ابليس كبره على ادم ان امتنع من امتثال امر ربه في السجود
وقد شرح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال الكبر بطر الحق وغمط الناس ويعني
غمط الناس الازدراء بهم واستحقارهم وروي الكبر غمص الناس بمعنى غمط الناس
فصل واعلم ان العلماء والعباد في افة الكبر على ثلث درجات الاولى ان يكون الكبر
مستقرا في قلب الانسان منهم فهو يرى نفسه خيرا من غيره الا انه يجتهد ويتواضع فهذا
في قلبه شجرة الكبر مغروسة الا انه قد قطع اغصانها الثانية ان يظهر ذلك بافعاله
من الترفع في المجالس والتقدم على الاقران والانكار على من يقصر في حقه فترى العالم
يصعر خده للناس كانه معرض عنهم والعابد يعبس وجهه كانه مستقذر لهم وهذان

وهذان قد جهلا ما ادب الله به نبيه صلى الله عليه وسلم حين قال واخفض جناحك
لمن اتبعك من المؤمنين الدرجة الثالثة ان يظهر الكبر بلسانه كالدعاوى والمفاخر
وتزكية النفس وحكايات الاحوال في معرض المفاخرة لغيره وكذلك التكبر بالنسب
فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وان كان ارفع منه عملا قال
ابن عباس رضي الله عنهما يقول الرجل للرجل انا اكرم منك وليس احد اكرم من احد
الا بالتقوى قال الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وكذلك التكبر بالمال والجمال والقوة وكثرة
الاتباع ونحو ذلك فالكبر بالمال اكثر ما يجري بين الملوك والتجار ونحوهم والكبر بالجمال
اكثر ما يجري بين النساء ويدعوهن الى التنقص والغيبة وذكر العيوب واما التكبر
بالاتباع والانصار فيجري بين الملوك بالمكاثرة بكثرة الجنود وبين العلماء بالمكاثرة
بكثرة المستفيدين وفي الجملة فكلما يمكن ان يعتقد كمالا فان لم يكن في نفسه كمالا امكن
ان يتكبر به حتى ان الفاسق قد يفتخر بكثرة شرب الخمور والفجور لظنه ان ذلك كمال
واعلم ان التكبر يظهر في شمايل الانسان كصعر وجهه ونظره شزرا واطراق راسه
وجلوسه متربعا ومتكئا وفي اقواله حتى في صوته ونغمته وصيغة ايراده الكلام
ويظهر ذلك ايضا في مشيه وتبختره وقيامه وحركاته وسكناته وساير تقلباته
ومن خصال المتكبر ان يحب قيام الناس له والقيام على ضربين قيام على راسه

مطلب خصال المتكبر ان يحب قيام الناس

وهو قاعد فهذا منهي عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب ان يتمثل له
الرجال قياما فليتبوا مقعده من النار وهذه عادة الاعاجم والمتكبرين الثاني قيام
عند مجيء الانسان فقد كان السلف لا يكادون يفعلون ذلك قال انس لم يكن شخص
احب الينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا راوه لم يقوموا له لما يعلموا
من كراهته لذلك وقد قال العلماء يستحب القيام للوالدين والامام العادل و
فضلاء الناس وقد صار هذا كالشعار بين الافاضل فاذا تركه الانسان في حق من
يصلح ان يفعل في حقه لم يومن ان ينسب الى اهانته والتقصير في حقه فوجب ذلك
حقدا واستحباب هذا في حق القيام لا يمنع الذي يقام له ان يكره ذلك ويرى انه ليس
باهل لذلك ومن خصال المتكبر ان لا يمشي الا ومعه احد يمشي خلفه ومنها ان لا
يزور احدا تكبرا على الناس ومنها ان يستنكف من جلوس احد الى جانبه ومشيه معه

وقد روى انس رضي الله عنه قال ان كانت الامة من اهل المدينة لتاخذ بيد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به في حاجتها وقال ابن وهب جلست الى عبد الله
بن ابي رواد وان فخذي لتمس فخذه فنحيت نفسي عنه فاخذ ثيابي فجرني اليه و
قال لم تفعلون بي ما تفعلون بالجبابرة واني لا اعرف منكم رجلا شرا مني ومنها ان
لا يتعاطى بيده شغلا في بيته وهذا بخلاف ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومنها ان لا يحمل متاعه من سوقه الى بيته وقد اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم
شيا وحمله وكان ابو بكر رضي الله عنه يحمل الثياب الى السوق يتجر فيها واشترى عمر رضي
الله عنه لحما فعلقه بيده وحمله الى بيته واشترى علي رضي الله عنه تمرا فحمله في ملحفة
فقال له قائل احمل عنك قال لا ابو العيال احق ان يحمل واقبل ابو هريرة رضي الله عنه
يوما من السوق وقد حمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة مروان فقال للرجل اوسع
الطريق للامير ومن اراد ان ينفي الكبر ويستعمل التواضع فعليه بسيرة رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد سبقت الاشارة اليها في كتاب ادب المعيشة بيان
معالجة الكبر واكتساب التواضع اعلم ان الكبر من المهلكات ومداواته فرض عين وله
في معالجته مقامات الاول في استيصال اصله وقطع شجرته وذلك بان يعرف الانسان
نفسه ويعرف ربه فانه اذا عرف نفسه حق المعرفة علم انه اذل من كل ذليل ويكفيه ان ينظر
في اصل وجوده بعد العدم من تراب ثم من نطفة خرجت من مخرج البول ثم من علقة
ثم من علقة ثم من مضغة فقد صار شيا مذكورا بعد ان كان جمادا لا يسمع ولا يبصر و
لا يحس ولا يتحرك فقد ابتدا بموته قبل حياته وبضعفه قبل قوته وبفقره قبل غناه
وقد اشار الله سبحانه وتعالى الى هذا بقوله من اي شي خلقه من نطفة خلقه فقدره
ثم امتن عليه بقوله ثم السبيل يسره وبقوله فجعلناه سميعا بصيرا فاحياه بعد الموت
واحسن تصويره واخرجه الى الدنيا فاشبعه وارواه وكساه وهداه وقواه ومن
هذه بدايته فاي وجه لكبره وفخره على انه لو دام له الوجود على اختياره لكان لطغيانه
طريق بل قد سلط عليه الاخلاط المتضادة والامراض الهايلة بينما بنيانه قد تم
وهي تنهدم لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا بينما هو يذكر الشي فينساه ويستلذ
الشي فيرديه ويروم الشي فلا يناله ثم لا يامن ان يسلب حياته بغتة هذا

هذا اوسط احواله وذاك اول امره واما اخر امره فالموت الذي يعيده جمادا كما كان
ثم يلقى في التراب فيصير جيفة منتنة وتبلى اعضاوه وتنخر عظامه وتاكل الدود اجزاه
ويعود ترابا يعمل منه الكيزان ويعمر منه البنيان ثم بعد طول البلى تجمع اجزاه المتفرقة ويحضر
عرصة القيامة فيرى ارضا مبدلة وجبالا مسيرة وسما منشقة ونجوما منكدرة وشمسا
مكورة واحوالا مظلمة وجحيما تزفر وصحايف تنشر ويقال له اقرا كتابك فيقول و
ما كتابي فيقال كان قد وكل بك في حياتك التي كنت تفرح بها وتتكبر بنعيمها ملكان
يحصيان ما تنطق به وتعمل من قليل وكثير وقيام وقعود واكل وشرب وقد نسيت ذلك
واحصاه الله تعالى فهلم الى الحساب عليه واعد جوابا له والا انت تساق الى النار فما
لمن هذه حالة التكبر فان صار الى النار فالبهايم احسن حالا منه لانها تعود الى التراب
ومن هذا حاله وهو على شك من العفو عن خطاياه كيف يتكبرون ومن الذي
يسلم من ذنب يستحق به العقوبة وما مثله الا كمثل رجل جنى على ملك جناية استحق
ان يضرب لاجلها الف سوط فحبس في السجن ليخرج فيعاقب فهو منتظر ان يدعى به
لذلك افتراه يتكبر على اهل السجن ليخرج فيعاقب فهو منتظر لما يدعى به وهل الدنيا
الا سجن وهل المعاصي الا موجبة للعقاب واما معرفته ربه فيكفيه ان ينظر
في اثار قدرته وعجايب صنعته فتلوح له العظمة وتظهر له المعرفة فهذا هو العلاج
القالع لاصل الكبر ومن العلاج العملي التواضع بالفعل لله تعالى ولعباده وذلك
بالمواظبة على استعمال خلق المتواضعين وقد تقدمت الاشارة الى طريق رسول
الله صلى الله عليه وسلم وما كان عليه من التواضع والاخلاق الجميلة المقام الثاني
فيما يعرض من التكبر بالاسباب فمن اعتراه الكبر من جهة النسب فليعلم ان هذا
تعزز بكمال غيره ثم يعلم اباه وجده فان اباه القريب نطفة قذرة واباه البعيد تراب
وان اعتراه الكبر بالجمال فلينظر الى باطنه نظر العقلا ولا ينظر الى ظاهره نظر البهايم
ومن اعتراه من جهة القوة فليعلم انه لو المه عرق عاد اعجز من كل عاجز وان حمى
يوم تحلل من قوته ما لا يعود في مدة وان شوكة لو دخلت في رجله لاعجزته وبقة
لو دخلت في اذنه لاقلقته ومن تكبر بسبب الغنا فاذا تامل خلقا من اليهود وجدهم
اغنى منه فاف لشرف تسبق به اليهود ويستلبه السارق في لحظة فيعود صاحبه

ذليلا و من تكبر بسبب العلم فليعلم ان حجة الله على العالم اكد من الجاهل وليتفكر في الخطر العظيم
الذي هو بصدده فان خطره اعظم من خطر غيره كما ان قدره اعظم من قدر غيره و
ليعلم ايضا ان الكبر لا يليق الا بالله سبحانه وانه اذا تكبر صار ممقوتا عند الله تعالى بغيضا عنده
وقد احب الله منه ان يتواضع وكذلك كل سبب يعالجه بنقيضه ويستعمل التواضع واعلم
ان هذا الخلق كساير الاخلاق له طرفان ووسط فطرفه الذي يميل الى الزيادة يسمى
تكبرا وطرفه الذي يميل الى النقصان يسمى تخاسسا ومذلة والوسط يسمى تواضعا
وهو المحمود وهو ان يتواضع من غير مذلة في الامور اوساطها فمن تقدم على اقرانه
فهو متكبر ومن تاخر عنهم فهو متواضع لانه قد وضع شيا من قدره لما اما اذا دخل على
العالم اسكاف او نحوه فتنحى له عن مجلسه واجلسه فيه ثم قدم له نعله ومشى معه
الى الباب فقد تخاسس وتذلل فذلك غير محمود بل المحمود العدل وهو ان تعطى
كل ذي حق حقه لكن تواضعه للسوقة بالرفق في السؤال واللين في الكلام واجابة
الدعوة والسعي في الحاجة ولا يحقرهم ولا يستصغرهم والله اعلم الفصل الثاني في
العجب روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بينما رجل يتبختر في بردين و
قد اعجبته نفسه خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة وقال صلى الله
عليه وسلم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المراء بنفسه وروى عن
ابن مسعود انه قال الهلاك في اثنين العجب والقنوط وانما جمع بينهما لان السعادة
لا تنال الا بالطلب والتشمر والقانط لا يطلب والمعجب يظن انه قد ظفر بمراده فلا يسعى
وقال مطرف لان ابيت نايما واصبح نادما احب الى من ان ابيت قايما واصبح معجبا واعلم
ان العجب يدعوا الى الكبر لانه احد اسبابه فيتولد من العجب الكبر ومن الكبر الافات
الكثيرة هذا مع الخلق واما مع الخالق فان العجب بالطاعات ينتج استعظامها فكانه يمن
على الله سبحانه بفعلها وينسى نعمته عليه بتوفيقه لها ويعمى عن افاتها المفسدة لها وانما يتفقد
افات الاعمال من خاف ردها دون من رضيها واعجب بها والعجب انما يكون بوصف
كمال من علم او عمل فان انضاف الى ذلك ان يرى حقا له عند الله كان ادلالا فالعجب يحصل
باستعظام ما عجب به والادلال يوجب توقع الجزاء مثل من يتوقع اجابة دعائه وينكر
رده فصل في علاج العجب اعلم ان الله سبحانه هو المنعم عليك بايجادك وايجاد

داعالك واسباب اعمالك فلا معنى لعجب عامل بعمله ولا عالم بعلمه ولا جميل بجماله ولا
غني بغناه اذ كل ذلك من فضل الله تعالى وانما الادمي محل لفيض النعم عليه وكونه محلا
نعمة اخرى فان قلت ان العمل حصل بقدرتك فمن اين قدرتك ولا يتصور العمل الا
بوجودك ووجود ~~[illegible]~~ ارادتك وقدرتك وكل ذلك من الله تعالى لا منك فان
كان العمل بالقدرة فالقدرة مفتاحه وهذا المفتاح بيد الله تعالى وما لم يعط المفتاح لا
يمكنك العمل كما لو قعدت عند خزانة معلقة لم تقدر على ما فيها الا ان تعطى مفتاحها
وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لن يدخل
احدا منكم عمله الجنة قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة منه
وفضل واعلم ان العجب يكون بالاسباب التي بها يقع الكبر وقد سبق ذكرها وعلاجها
من ذلك العجب بالنسب كما يتخيل الشريف انه ينجوا بشرف اباءه وعلاجه ان يعلم
انه متى خالف اباءه وظن انه يلحق بهم فقد جهل وان اقتدى بهم فانه لم يكن العجب من اخلاقهم
بل الخوف والازراء على النفس وانما شرفوا بالطاعة والخصال المحمودة لا بنفس النسب
قال الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقال النبي صلى الله عليه وسلم يا فاطمة لا اغني
عنك من الله شيا فان قلت انما يرجوا الشريف ان يشفع فيه ذو قرابته فالجواب
ان كل المسلمين يرجون الشفاعة وقد يشفع في الشخص بعد احراقه بالنار وقد
يقوى الذنب فلا تنجي الشفاعة وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لا القين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته بعير له رغاء فيقول
يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيا قد ابلغتك ومثل المنهمك في الذنوب
اعتمادا على رجاء الشفاعة كمثل المريض المنهمك في الشهوات اعتمادا على طبيبه الحاذق
المشفق وذلك جهل فان اجتهاد الطبيب ينفع بعض الامراض لا كلها ويوضح هذا
ان سادات الصحابة كانوا يخافون من الاخرة فكيف يتكل من ليس في مثل مراتبهم
ومن ذلك العجب بالراي الخطاء كما قال تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا وعلاج
هذا اشد من علاج غيره فان هذا متى كان معجبا برايه لم يصغ الى نصح ناصح وكيف
يترك ما يعتقد نجاه وانما علاجه في الجملة ان يكون متهما لرايه ابدا لا يغتر به الا ان
يشهد له قاطع من كتاب او سنة او دليل عقلي جامع لشروط الادلة ولن يعرف ذلك

فمن اين قدرتك صح

ويسبغ فضل بكماله صح

الرغاء صوت الابل صح

الا بمجالسة اهل العلم وممارسة الكتاب والسنة والاولى لمن لا يتفرغ لاستغراق العمر في
العلم ان لا يخوض في المذاهب ولكن يقف عند اعتقاد الجمل وان الله سبحانه واحد لا شريك
له ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وان رسوله صادق فيما جاء به ويؤمن بما جاء به القرآن
من غير بحث ولا تنقير ويصرف زمنه في التقوى واداء الطاعات فمن خاض في المذاهب
وراى ما لا يصل الى معرفته هلك كتاب الغرور واقسامه ودرجاته من الناس
من غرته الدنيا فقال النقد خير من النسية والدنيا نقد والاخرة نسية وهذا محل التلبيس
فان النقد لا يكون خيرا من النسية الا اذا كان مثل النسية ومعلوم ان عمر الانسان بالاضافة
الى مدة الاخرة ليس بجزء من الف الف جزء الى ان ينقطع النفس وانما اراد من قال
النقد خير من النسية اذا كانت النسية مثل النقد وهذا غرور الكفار فاما الذين لبسوا
المعاصي مع سلامة عقايدهم فانهم قد شاركوا الكفار في هذا الغرور لانهم اثروا الدنيا
على الاخرة الا ان امرهم اسهل من جهة ان اصل الايمان يمنعهم من عقاب الابد ومن
العصاة من يغتر فيقول ان الله كريم وانا نتكل على عفوه وربما اغتروا بصلاح ابايهم
وقد قال العلماء من رجا شيا طلبه ومن خاف شيا هرب منه ومن رجاء الغفران
مع الاصرار فهو مغرور وليعلم ان الله تعالى مع سعة رحمته شديد العقاب
وقد قضى بتخليد الكفار في النار مع انه لا يضره كفرهم وقد سلط الامراض والمحن
على خلق من عباده في الدنيا وهو سبحانه قادر على ازالتها ثم خوفنا من عقابه
فكيف لا نخاف فالخوف والرجاء سايقان يبعثان على العمل وما لا يبعث على العمل
فهو غرور يوضح هذا ان رجاء اكثر الخلق يحملهم على البطالة وايثار المعاصي و
العجب ان القرن الاول عملوا وخافوا ثم اهل هذا الزمان امنوا مع التقصير و
اطمانوا اتراهم عرفوا من كرم الله تعالى ما لم يعرفه الانبياء والصالحون ولو كان
الامر يدرك بالمنى فلم تعب اولئك وكثر بكاؤهم وهل ذم اهل الكتاب بقوله
ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا الا لمثل هذه الحال واما من اغتر
بصلاح ابائه فهلا يذكر قصة نوح من ابنه وابرهيم مع ابيه محمد مع امه صلى الله
عليه وسلم وعلى ساير النبيين ويقرب من هذا الغرور غرور اقوام لهم طاعات
ومعاصي الا ان معاصيهم اكثر وهم يظنون ان حسناتهم ترجح فترى الواحد منهم يتصد

ق بدرهم ويكون قد تناول من الغصب اضعاف ذلك ولعل الذي تصدق به من
المغصوب ويتكل على تلك الصدقة وما هو الا كمن وضع درهما في كفه والفا في اخرى
ثم رجا ان يرجح الدرهم بالالف ومنهم من يظن ان طاعاته اكثر من معاصيه و
سبب ذلك انه يحفظ عدد حسناته ولا يحاسب نفسه على سيئاته ولا يتفقد
ذنوبه كالذي يستغفر الله او يسبح مائة مرة في يوم ثم يظل طول نهاره يغتاب
المسلمين ويتكلم بما لا يرضى فهو ينظر في فضايل التسبيح والاستغفار ولا
ينظر في عقوبة الغيبة والكلام المنهي عنه فصل في وقع الاغترار في الاغلب
في حق اربعة اصناف العلماء والعباد والمتصوفة والاغنياء فاما اهل العلم فالمغترون
منهم فرق فرقة احكموا العلوم الشرعية والعقلية واهملوا تفقد الجوارح وحفظها
عن المعاصي والزامها الطاعات واغتروا بعلمهم وظنوا انهم من الله بمكان ولو
نظر هؤلاء بعين البصيرة علموا ان علم المعاملة لا يراد به الا العمل ولولا العمل
لم يكن له قدر قال الله تعالى قد افلح من زكاها ولم يقل قد افلح من يعلم كيف يزكيها
فان تلى عليه الشيطان فضايل اهل العلم فليذكر ما ورد في العالم الفاجر كقوله فمثله
كمثل الحمار يحمل اسفارا ومنهم فرقة اخرى احكموا العلم والعمل الظاهر ولم يتفقدوا
قلوبهم ليمحوا الصفات المذمومة منها كالكبر والحسد والرياء وطلب العلو وطلب
الشهرة فهؤلاء زينوا ظواهرهم واهملوا بواطنهم ونسوا قوله صلى الله عليه
وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم انما ينظر الى قلوبكم واعمالكم فتعاهدوا
الاعمال ولم يتعاهدوا القلوب والقلب هو الاصل اذ لا ينجو الا من اتى الله بقلب
سليم ومثال هؤلاء كمثل رجل زرع زرعا فنبت ونبت معه حشيش يفسده فامر
بقلعه فاخذ بجز رؤسه واطرافه وترك اصوله فلم تزل اصوله تقوى وفرقة
اخرى علموا ان هذه الاخلاق الباطنة مذمومة الا انهم لعجبهم بانفسهم يظنون
انهم منفكون عنها وانهم ارفع عند الله من ان يبتليهم بذلك وانما يبتلى بذلك العوام
دون من بلغ مبلغهم من العلم فاذا ظهر عليهم مخايل الكبر والرياسة قال احدهم ما
هذا بكبر وانما هو طلب عز الدين واظهار شرف العلم وارغام المبتدعين فاني لو
لبست الدون من الثياب وجلست في الدون من المجالس شمت بي اعداء الدين وفرحوا

يدلي وفي ذلي ذل الاسلام ونسي الغرور وان ابليس الذي سول له هذا بدليل ان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا يوثرون الفقر والمسكنة وقد روينا عن عمر بن الخطاب انه لما قدم الشام عرضت له مخاضة فنزل عن بعيره ونزع خفيه وامسكهما وخاض الماء ومعه بعيره فقال له ابو عبيدة انكم لقد صنعت اليوم صنيعا عظيما عند اهل الارض فصك في صدره وقال اوه لو غيرك يقول هذا يا ابا عبيدة انكم كنتم اذل الناس واحقر الناس فاعزكم الله برسوله فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله وفي رواية عنه لما قدم الشام استقبله الناس وهو على بعيره فقيل له لو ركبت برذونا تلقاك عظماء الناس ووجوههم فقال عمر لا اراكم ههنا انما الامر من ههنا واشار بيده الى السماء خلوا سبيل جملي ثم العجب من مغرور يطلب عز الدنيا بالثياب الرفيعة والخيول الفارهة ونحو ذلك واذا خطر له خاطر الرياء قال انما غرضي بهذا اظهار العلم والعمل لاقتداء الناس بي ليهتدوا الى الدين ولو كان هذا قصده لفرح باقتداء الناس بغيره كما يفرح باقتدائهم به لان من كان قصده صلاح الخلق يفرح بصلاحهم على يد من كان وكذلك من يدخل منهم على سلطان ويتودد اليه ويثني عليه ويتواضع له ويقول انما غرضي بهذا ان اشفع في مسلم او ادفع عنه الضرر والله يعلم انه لو ظهر لبعض اقرانه قبول عند السلطان لثقل عليه ذلك وقد ينتهي غرور بعضهم الى انه ياخذ من مالهم الحرام ويقول هذا مال لا مالك له وهو لمصالح المسلمين وانت امام من ايمتهم فيغتر بهذا التلبيس من جهة نظره الى نفسه وربما كان دجالا من الدجالين ومن جهة قوله هذا مال لا مالك له وغاية الامر وقوع الاختلاط في الاموال وذلك لا يمنع كونها حراما وقد يكون عالما بمن اخذ منه المال وفرقة اخرى احكموا العلم وطهروا جوارحهم وزينوها بالطاعات وتفقدوا قلوبهم تصفيتها من الرياء والحسد والكبر ونحو ذلك ولكن بقيت في زوايا القلب خفايا من مكايد الشيطان وخدع النفس لم يفطنوا لها واهملوها فترى احدهم يسهر ليله وينصب نهاره في جمع العلوم وترتيبها وتحسين الفاظها يرى ان باعثه على ذلك الحرص على اظهار دين الله تعالى وربما كان الباعث لذلك طلب الذكر وانتشار الصيت ولعله لا يخ[لو] من تصفية الثناء على نفسه اما صريحا بالدعاوى الطويلة العريضة واما ضمنا

ضمنا بالطعن في غيره ليبين بطعنه في غيره انه افضل من ذلك الغير واعظم منه علما فهذا وامثاله من خفايا العيوب التي لا يفطن لها الا الاكياس الاقوياء ولا مطمع فيه لامثالنا من الضعفاء الا ان اقل الدرجات ان يعرف الانسان عيوب نفسه ويحرص على صلاحها ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مرجو امره بخلاف من يزكي نفسه ويظن انه من خيار الخلق فهذا غرور الذين حصلوا العلوم المهمة فكيف بالذين قنعوا من العلوم بما لا يهمهم وتركوا المهم فمنهم من اقتصر على علم الفتاوى في الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لصلاح المعايش وربما ضيعوا الاعمال الظاهرة وارتكبوا بعض المعاصي من الغيبة والنظر الى ما لا يحل والمشي الى ما لا يجوز ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والحسد والرياء وجميع المهلكات فهؤلاء مغرورون من وجهين احدهما من حيث العمل والاخر من حيث العلم ومثالهم مثال المريض اذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره وتعليمه لا بل مثلهم مثل من به علة البرسام وهو مشرف على الهلاك فاشتغل بتعليم دواء الاستحاضة وجعل يكرر ذلك وذلك غاية الغرور وسبب غروره ما سمع في النقل من تعظيم الفقه ولم يدر ان الفقه هو الفقه عن الله ومعرفة صفاته المخوفة والمرجوة ليستشعر القلب الخوف ويلازم التقوى وقد قال الله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين الاية والذي يحصل به الانذار غير هذا العلم فان مقصود هذا العلم حفظ الاموال بشروط المعاملات وحفظ الابدان بالاموال ودفع القتل والجراحات والمال في طريق الله تعالى اله والبدن مركب وانما العلم المهم معرفة سلوك الطريق وقطع عقاب القلب التي هي الصفات المذمومة فهي الحجاب بين العبد وبين الله تعالى ومثال من اقتصر على ذلك كمثل من اقتصر في سلوك طريق الحج على علم خرز الراوية والخف ولا شك انه لا بد من ذلك ولكن ليس من الحج في شيء ومن هؤلاء من اقتصر على علم الخلاف ولم يهمه الا طريق المجادلة والالزام والافحام ودفع الحق لاجل الغلبة فهم اسوء حالا ممن ذكر قبلهم وجميع دقايق الجدل في الفقه بدعة لم يعرفها السلف واما ادلة الاحكام فيشتمل عليها علم المذهب وهي كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واما حيل الجدل من الكسر والقلب وفساد الوضع والتركيب والتعدية فانها ابدع لاظهار

الغلبة والافحام وفرقة اخرى اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة في الاهواء والرد على المخالفين
ثم هولاء طائفتان ضالة ومحقة فالضالة التي تدعوا الى غير السنة والمحقة التي تدعوا الى السنة
الغرور شامل لجميعهم اما الضالة فاغترارها ظاهر واما المحقة فاغترارها من حيث انها
ظنت ان الجدل اهم الامور وافضل القربات في دين الله تعالى وزعمت انه لا يتم لاحد دينه
ما لم يبحث وان من صدق الله ورسوله من غير تحرير دليل فليس بكامل الايمان فلهذا الظن
الفاسد قطعت اعمارهم في تعلم الجدل والبحث عن المقالات وعميت بصايرهم فلم يلتفتوا
الى القرن الاول وان النبي صلى الله عليه وسلم شهد لهم بانهم خير الخلق وانهم قد ادركوا
كثيرا من البدع والهوى فلم يجعلوا اعمارهم ودينهم غرضا للخصومات والمجادلات ولم
يشتغلوا بذلك عن تفقد قلوبهم وجوارحهم بل لم يتكلموا فيه الا ضرورة رد الضال
فان راوه مصرا على بدعته هجروه من غير مماراة ولا جدل وقد روي في الحديث ما ضل
قوم قط بعد هدى الا اوتوا الجدل وفرقة اخرى اشتغلوا بالوعظ واعلاهم رتبة
من يتكلم في اخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر
والتوكل والزهد واليقين والاخلاص وهم يظنون انهم اذا تكلموا بهذه الصفات
وهم منفكون عنها انهم من اهلها هولاء يدعون الى الله وهم هاربون منه فهم اعظم
الناس غرة ومن هولاء من يعدل عن المنهاج الواجب في الوعظ الى الشطح وتلفيق
كلام خارج عن قانون الشرع والعقل طلبا للاغراب ومنهم من يستشهد باشعار
الوصال والفراق وغرضهم ان يكثر الصياح في مجالسهم والتواجد ولو على اغراض
فاسدة فهولاء شياطين الانس ومنهم فرقة اخرى استغرقوا اوقاتهم في سماع
الحديث وجمع رواياته واسانيده الغريبة والعالية فهم احدهم ان يدور البلاد
ويرى الشيوخ ليقول انا اروي عن فلان ولقيت فلانا ولي من الاسناد ما ليس
لغيري ومنهم فرقة اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وزعموا انهم من علماء الامة
واذهبوا اعمارهم في دقايق تلك العلوم ولو عقلوا لعلموا ان مضيع عمره في معرفة
لغة العرب لاجل ورود الشريعة بها فيكفي من اللغة علم الغريبين غريب القران
والحديث ومن النحو ما يقوم به اللسان فاما التعمق الى درجات لا تتناهى ففيه لك
يشتغل عما هو اجود منه والزم ومثال التعميق في ذلك مثال من ضيع عمره في تصحيح مخارج

مخارج حروف

مطلب الجاء زوجته الى ابراء ذمته لم يبرأ فيما بينه وبين الله

مطلب عدم تكليف الخلق بتحقيق مخارج حروف الا بقدر ما جرت عليه العادة تأمل

ج الحروف في القران مقتصرا على ذلك وذلك غرور لان المقصود من الحروف المعاني وانما
الحروف ظروف وادوات ومن احتاج الى شرب السكنجبين لازالة الصفراء فضيع
عمره في تحسين القدح الذي يشرب فيه فهو مغرور والسعيد من اخذ من كل شيء من هذا
حاجته المهمة لا غير وتجاوز الى العمل واجتهد فيه وفي تصفيته من الشوايب فهذا هو الحق
وفرقة اخرى عظم غرورهم فوضعوا الحيل في دفع الحقوق وظنوا ان ذلك ينفعهم بل ذلك
غرور فان الانسان اذا الجا زوجته الى ان تبرئه من حقها لم يبرأ فيما بينه وبين الله تعالى
وكذلك هبة الرجل مال الزكاة في اخر الحول لزوجته واتهابه مالها حيلة لاسقاط الزكاة
ونحو ذلك من انواع الحيل الصنف الثاني ارباب التعبد والعمل وهم فرق فرقة اهملوا
الفرايض واشتغلوا بالنوافل والفضايل وربما تعمقوا في استعمال الماء حتى خرجوا الى
الوسوسة فترى احدهم لا يرضى بالماء المحكوم له بالطهارة شرعا بل يقدر له الاحتمالات
البعيدة في التنجيس ولا يقدر ذلك في مطعمه فلو انقلب هذا الاحتياط من الماء الى المطعم
لكان اشبه بسير السلف فان عمر رضي الله عنه توضا من جرة نصرانية مع ظهور احتمال
النجاسة وكان مع هذا يدع انواعا من الحلال خوفا من الوقوع في الحرام وقد صح ان النبي
صلى الله عليه وسلم توضا من مزادة مشركة ثم منهم من يخرج الى الاسراف في صب الماء
ويطول به الامر حتى يضيع الصلاة ويخرج وقتها ومنهم من غلبت عليه الوسوسة
في تكبيرة الاحرام في الصلاة حتى ربما فاتته ركعة مع الامام ومنهم من يتوسوس في
اخراج حروف الفاتحة وساير الاذكار من مخارجها فلا يزال يحتاط في التشديدات
والفرق بين الضاد والظاء فوق الحاجة ونحو ذلك بحيث يهمه بذلك حتى لا يتفكر
فيما سواه ويذهل عن معنى القران والاتعاظ به وهذا من اقبح انواع الغرور فان
الخلق لم يكلفوا من تحقيق مخارج الحروف في تلاوة القران الا ما جرت به العادة في
الكلام ومثال هولاء مثال من حمل رسالة الى سلطان فاخذ يودي الرسالة بالتانق في مخارج
الحروف وتكرارها وهو غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس فما احراه
بالطرد والتاديب وفرقة اخرى اغتروا بقراءة القران فهم يهذونه هذا وربما ختموا
في اليوم مرتين فلسان احدهم يجري به وقلبه يتردد في اودية الدنيا للاماني ولا يتفكر
في معاني القران ولا يتعظ بمواعظه ولا يقف عند اوامره ونواهيه فهذا مغرور يظن

ان المقصود من القرآن التلاوة فقط ومثال هذا مثال عبد كتب اليه مولاه كتابا يامره فيه و
ينهاه فلم يصرف عنايته الى فهمه والعمل به بل اقتصر على حفظه وتكراره ظانا ان ذلك هو
المراد منه مع مخالفته امر مولاه ونهيه ومنهم من يلتذ بصوته بالقرآن معرضا عن معانيه
فينبغي ان يتفقد قلبه فيعرف هل التذاذه بالنظم او بالصوت او بالمعاني وفرقة اخرى
اغتروا بالصوم واكثروا منه وهم لا يحفظون السنتهم عن الغيبة والفضول ولا بطونهم
من الحرام عند الافطار ولا خواطرهم عن الرياء ومنهم من اغتر بالحج فيخرج اليه من غير
خروج عن المظالم وقضاء الديون واسترضاء الوالدين وطلب الزاد الحلال وقد يفعلون
ذلك بعد سقوط فرض الحج ويضيعون في الطريق العبادة والفرائض ويعجزون عن
طهارة الثوب والبدن ولا يحترزون من الرفث والخصام وهم مع ذلك يظنون انهم
على خير وهم مغرورون وفرقة اخرى اخذوا في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ونسوا
انفسهم ومنهم من يؤم في مسجد ولو تقدم غيره اورع منه واعلم ثقل عليه ومنهم
من يؤذن ويظن ان ذلك لله ولو اذن غيره في غيبته اشتد عليه ذلك وقال قد زاحمني في رتبتي
ومنهم من جاور بمكة او بالمدينة وقلبه متعلقة ببلاده وقول الناس فلان مجاور بمكة
او المدينة ثم انه يجاور ويطمع في اوساخ الناس وقد يجمع ذلك ويشح به فيجتمع عليه
جملة من المهلكات وما من عمل الا وفيه افات فمن لم يعرفها وقع فيها ومن اراد يعرفها
فلينظر في كتابنا هذا فينظر في افات الرياء الحاصل في العادات من الصوم والصلاة و
في جميع القربات في الابواب المرتبة في هذا الكتاب وانما الغرض الان الاشارة الى مجامع
ما سبق وفرقة اخرى زهدت في المال وقنعت بالدون من اللباس والطعام وقنعت
من المسكن بالمساجد وظنت انها ادركت رتبة الزهاد وهم مع هذا شديد والرغبة
في الرياسة والجاه فقد تركوا اهون الامرين وباؤوا باعظم المهلكين وفرقة اخرى حرصت
على النوافل ولم تعتن بالفرائض فترى احدهم يفرح بصلاة الضحى وصلاة الليل ولا
يجد للفريضة لذة ولا يحرص على المبادرة اليها في اول الوقت ونسي قوله عليه السلام فيما يرويه
عن ربه عز وجل ما تقرب المتقربون الي بمثل اداء ما افترضت عليهم الصنف الثالث المتصوفة
والمغرورون منهم فرق فرقة منهم اغتروا بالزي والنطق والهيئة فتشبهوا بالصادقين
من الصوفية في الظاهر ولم يتعبوا انفسهم بالمجاهدة والرياضة ثم هم يتكالبون على الحرام

والشبهات واموال السلاطين ويمزق بعض اعراض بعض اذا اختلفوا في غرض
وهؤلاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثال عجوز سمعت ان الشجعان والابطال من
المقاتلين تثبت اسماؤهم في الديوان ويقطع كل واحد منهم قطرا من اقطار البلاد فتاقت
نفسها الى ذلك فلبست درعا ووضعت على راسها مغفرا وتعلمت من رجز الابطال
ابياتا وتعلمت زيهم وجميع شمائلهم ثم توجهت الى العسكر فكتبت اسمها في ديوان
الشجعان فلما حضرت ديوان العرض امرت بتجريد المغفر والدرع لينظر ما تحته
وتمتحن بالمبارزة فلما جردت اذا هي عجوز ضعيفة زمنة فقيل لها اجئت تستهزئين
بالملك واهل حضرته خذوها فالقوها بين يدي الفيل فالقيت اليه فهكذا يكون
حال المدعين التصوف في القيامة اذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على الحاكم الاكبر
الذي ينظر الى القلب لا الى المرقعات والزي وفرقة اخرى ادعت علم المعرفة ومشاهدة الى
الحق ومجاوزة المقامات والاحوال والوصول الى القرب ولا يعرفون من تلك
الامور الا الاسماء فترى احدهم يرددها ويظن ان ذلك اعلى من علم الاولين
والاخرين فهو ينظر الى الفقهاء والمحدثين واصناف العلماء بعين الازراء فضلا
عن العوام حتى ان بعض العامة يلازمهم الايام الكثيرة ويتلقف منهم تلك الكلمات
المزيفة ويرددها كانه يتكلم عن الوحي ويحتقر في ذلك جميع العلماء والعباد ويقول
انهم محجوبون عن الله تعالى وانه هو الواصل الى الحق وانه من المقربين وهو عند الله
من الفجار المنافقين وعند ارباب القلوب من الحمقى الجاهلين لم يحكم علما ولم
يهذب خلقا ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وحفظ الهذيان وفرقة
منهم طووا بساط الشرع ورفضوا الاحكام وسووا بين الحلال والحرام وبعضهم
يقول ان الله مستغن عن عملي فلم اتعب نفسي وبعضهم يقول لا قدر للاعمال
بالجوارح وانما النظر الى القلوب وقلوبنا والهة بحب الله تعالى وواصلة الى
معرفته وانما نخوض في الدنيا بابداننا وقلوبنا عاكفة في الحضرة الربانية فنحن مع
الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويزعمون انهم قد ترقوا عن رتبة العوام
واستغنوا عن تهذيب النفس بالاعمال البدنية وان الشهوات لا تصدهم
عن طريق الله تعالى لقوتهم فيها ويرفعون انفسهم عن درجة الانبياء لان الانبياء عليهم السلام

كانوا يبكون على خطيئة واحدة سنين واصناف غرور اهل الاباحة لا تحصى وكل ذلك
اغاليط ووساوس خدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة قبل احكام العلم من غير اقتداء
بشيخ صاحب علم ودين صالح للاقتداء به ومنهم فرقة اخرى جاوزوا هذه الطريق و
اشتغلوا بالمجاهدة وابتدوا بسلوك الطريق وانفتح لهم باب المعرفة فلما استنشقوا
مبادي ريح المعرفة تعجبوا منها وفرحوا بها واعجبهم غرابتها فتقيدت قلوبهم بالالتفات
اليها والتفكر فيها وكيفية انفتاح بابها عليهم وانسداده عن غيرهم وكل ذلك غرور
لان عجايب طريق الله سبحانه وتعالى ليس لها نهاية ولو وقف مع كل اعجوبة وتقيد بها
قصرت خطاه وحرم الوصول الى المقصد وكان مثاله مثال من قصد ملكا فراى على بابه
روضة فيها ازهار لم يكن راى مثلها فوقف ينظر اليها حتى فاته الوقت الذي يمكن فيه
لقاء الملك الصنف الرابع ارباب الاموال وهم فرق ففرقة منهم يحرصون على بناء
المساجد والمدارس والرباطات والقناطر وما يظهر للناس ويكتبون اسماءهم عليها
ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت اثرهم ولو كلف احدهم ان ينفق دينارا ولا يكتب
اسمه في الموضع الذي انفق عليه لشق عليه ولولا انه يريد وجه الناس لا وجه
الله تعالى لما شق عليه ذلك فان الله مطلع عليه سواء كتب اسمه او لم يكتبه وبعضهم
يصرف المال في زخرفة المساجد وتزيينها بالنقوش التي هي منهي عنها وشاغلة للمصلين
فان المقصود من الصلاة الخشوع وحضور القلب وذلك يفسد قلوب المصلين فاما ان
كان المال الذي صرف في ذلك حراما كان اشد في الغرور قال مالك ابن دينار اتى رجل
مسجدا فوقف على الباب وقال مثلي يدخل بيت الله فكتب في مكانه صديقا فهكذا ينبغي
ان تعظم المساجد وهو ان يرى تلويث المسجد بنفسه جناية على المسجد وهذا لا
يرى تلويث المسجد بالحرام او بزخرف الدنيا فغرور وهذا من حيث انه يرى المنكر
معروفا وفرقة اخرى يحفظون الاموال ويمسكونها بخلا ثم يشتغلون بالعبادات
البدنية التي لا تحتاج الى نفقة المال كالصيام والصلوة وختم القران وهم مغرورون
لان البخل مهلك وقد استولى على قلوبهم فهم ما يحتاجون الى قمعه باخراج المال فقد
اشتغلوا عنه بفضايل لا تجب عليهم ومثالهم من دخلت في ثوبه حية فاشتغل
عنها بطبخ السكنجبين لتسكن به الصفراء ومنهم من لا تسمح نفسه الا باداء الزكاة فقط

فقط فيخرج الردي من المال او يعطي من الفقراء من يخدمه ويتردد في حاجاته ومن يحتاج
اليه في المستقبل او من له فيه غرض ومنهم من يسلم ذلك الى بعض الاكابر ليفرقه لينال
بذلك عنده منزلة ويقوم بحوايجه وكل ذلك مفسد للنية وصاحبه مغرور لانه
يطلب بعبادة الله تعالى عوضا من غيره وفرقة اخرى من ارباب الاموال وغيرهم
اغتروا بالحضور بمجالس الذكر وظنوا ان نفس الحضور يغنيهم عن العمل والاتعاظ و
ليس كذلك لان مجلس الذكر انما فضل لكونه مرغبا في الخير وكل ما يراد لغيره اذا لم
يوصل الى ذلك الغير فلا نفع له وربما سمع احدهم التخويف فلا يزيد على قوله يا سلام سلم
او اعوذ بالله ويظن انه قد اتى بالمقصود ومثاله مثال مريض يحضر عند الاطباء فيسمع ما
يجري او جايع يحضر عند من يصف له الاطعمة اللذيذة ثم ينصرف فلا ينفعه ذلك عنده فكذلك
سماع وصف الطاعات دون العمل بها فكل وعظ لم يغير منك صفة تتغير بها افعالك
فهو حجة عليك فان قيل فما ذكرته من مداخل الغرور امر لا يكاد يخلص منه فالجواب
ان مدار امر الاخرة على معنى واحد وهو تقويم القلب ولا يعجز عن ذلك الا من لم
تصدق نيته فان الانسان لو اهتم بامر الاخرة كما يهتم بامر الدنيا لنالها وقد فعل ذلك
السلف الصالح ومن تبعهم باحسان ويستعان على التخلص من الغرور بثلثة اشياء
العقل وهو النور الاصلي الذي يدرك به الانسان حقايق الاشياء والمعرفة التي يعرف بها
الانسان نفسه وربه ودنياه واخرته وفي كتاب المحبة وشرح عجايب القلب والتفكر
وكتاب الشكر اشارات الى وصف النفس ووصف جلال الله سبحانه ويستعين على
معرفة الدنيا والاخرة بما ذكر في كتاب ذم الدنيا وكتاب ذكر الموت فاذا حصلت هذه
المعارف ثار من القلب بمعرفة الله تعالى حب الله وبمعرفة الاخرة حب شدة الرغبة
فيها وبمعرفة الدنيا شدة الرغبة عنها فيصير اهم اموره اليه ما يوصله الى الله تعالى
وينفعه في الاخرة واذا غلبت هذه الارادة على قلب صحت نيته في الامور كلها
واندفع عنه كل غرور فاذا غلب حب الله تعالى على قلبه لمعرفته به وبنفسه احتاج
الى الامر الثالث وهو العلم ونعني به العلم بكيفية سلوك الطريق الى الله تعالى وافاتها
والعلم بما يقربه منه ويبعده عنه وجميع ذلك في كتابنا هذا فيعرف من ربع العبادات
والعادات ما هو محتاج اليه وما هو مستغن عنه ويتادب باداب الشرع

ويعرف من ربع المهلكات جميع العقبات المانعة من طريق الله تعالى وهي الصفات المذمومة
في الخلق ويعرف من ربع المنجيات الصفات المحمودة التي لا بد ان توضع خلفا من المذمومة
بعد محوها فاذا احاط بجميع ذلك امكنه الحذر من الانواع التي اشرنا اليها من الغرور والله
اعلم وان فعل جميع ذلك ينبغي ان يكون خايفا ان يخدعه الشيطان ويدعوه الى الرياسة
ويخاف عليه ايضا من عدم الامن من مكر الله ولذلك قيل والمخلصون على خطر **وقال** الامام
احمد للشيطان حين قال له عند الموت فتني فقال لا بعد والمخلصون فلا ينبغي ان يفارق
الخوف قلوب الاولياء ابدا نسال الله تعالى السلامة من الغرور وحسن الخاتمة انه قريب مجيب
اخر الغرور وبه تم ربع المهلكات ونشرع الان في ربع المنجيات **كتاب التوبة**
وذكر شروطها واركانها وما يتعلق بذلك اعلم ان الذنوب حجاب عن المحبوب والانصراف
على البعد عن المحبوب واجب وانما يتم ذلك بالعلم والندم والعزم فانه متى لم يعلم ان الذنوب
اسباب للبعد عن المحبوب لم يندم على الذنوب ولم يتوجع بسبب سلوكه طريق البعد
واذا لم يتوجع لم يرجع وقد امر الله تعالى بالتوبة فقال وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون
لعلكم تفلحون وقال سبحانه يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا الاية وقال ان الله
يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس توبوا الى
ربكم فاني اتوب الى الله في اليوم مائة مرة **و**في الصحيحين من حديث ابن مسعود
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لله اشد فرحا بتوبة عبده المومن من رجل
في ارض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فنام فاستيقظ وقد ذهبت
فطلبها حتى ادركه العطش ثم قال ارجع الى مكاني الذي كنت فيه فانام حتى اموت
فوضع راسه على ساعده ليموت فاستيقظ وعنده راحلته عليها زاده وطعامه
وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة العبد المومن من هذا براحلته والاحاديث في هذا
كثيرة والاجماع منعقد على وجوب التوبة لان الذنوب مهلكات مبعدات عن الله تعالى
فيجب الهرب منها على الفور والتوبة واجبة على الدوام فان الانسان لا يخلو عن معصية
ولو خلا عن معصية بالجوارح لم يخل عن الهم بالذنب بقلبه وان خلا عن ذلك
لم يخل عن وسواس الشيطان بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله تعالى
ولو خلا عنه لم يخل عن غفلة وقصور في العلم بالله تعالى وصفاته وافعاله وكل ذلك

ذلك نقص ولا يسلم احد من هذا النقص وانما الخلق يتفاوتون في المقادير واما اصل
ذلك فلا بد منه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي فاستغفر الله في
اليوم والليلة سبعين مرة وكذلك اكرمه الله تعالى بقوله ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك
وما تاخر فاما غيره فكيف يكون حاله ومتى اجتمعت شروط التوبة كانت صحيحة مقبولة
قال الله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده **و**في الحديث ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر والاحاديث في ذلك كثيرة
فصل في بيان اقسام الذنوب اعلم ان للانسان اخلاقا واوصافا كثيرة لكن تنحصر مثارات
الذنوب في اربع صفات احدها صفات ربوبية ومنها يحدث الكبر والفخر وحب المدح
والثناء والعز وطلب الاستعلاء ونحو ذلك وهذه ذنوب مهلكات وبعض الناس
يغفل عنها فلا يعدها ذنوبا **الثاني** صفات شيطانية ومنها يتشعب الحسد والبغي و
الحيل والخداع والمكر والغش والنفاق والامر بالفساد ونحو ذلك **الثالث** الصفات
البهيمية ومنها يتشعب الشره والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج فيتشعب من ذلك
الزنا واللواطة والسرقة واخذ الحطام لاجل الشهوات **الرابعة** الصفات السبعية
ومنها تتشعب الغضب والحقد والتهجم على الناس بالقتل والضرب واخذ الاموال
وهذه الصفات لها تدريج في الصفات الفطرة فالصفة البهيمية هي التي تغلب اولا ثم
تتلوها الصفة السبعية ثانيا فاذا اجتمعت هاتان استعملتا العقل في الصفات
الشيطانية من المكر والخداع والحيل ثم تغلب الصفات الربوبية فهذه امهات
الذنوب ومنابعها ثم تتفجر الذنوب من هذه المنابع الى الجوارح فبعضها في القلب
كالكفر والبدعة والنفاق واضمار السوء وبعضها في العين وبعضها في السمع و
بعضها في اللسان وبعضها في البطن والفرج وبعضها في اليدين والرجلين وبعضها
على جميع البدن ولا حاجة الى تفاصيل فانه واضح **ثم** الذنوب تنقسم الى ما يتعلق
بحقوق الادميين والى ما بين العبد وبين ربه فما يتعلق بحقوق العباد فالامر فيه
اغلظ والذي بين العبد وبين ربه فالامر فيه ارجى واقرب الا ان يكون شركا
والعياذ بالله تعالى فذلك الذي لا يغفر **وقد** روي عن عائشة رضي الله عنها انها
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدواوين عند الله عز وجل ثلثة ديوان

[illegible]

لايعبا الله به وديوان لايترك الله منه شيا وديوان لايغفره الله فاما الديوان الذي
لايعبا الله به شيا فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين الله عز وجل يغفر ذلك ويتجاوز
ان شاء واما الديوان الذي لايترك منه شيا فظلم العباد بعضهم بعضا القصاص لامحالة

قسمة اخرى اعلم ان الذنوب تنقسم الى صغاير وكباير وقد كثر الاختلاف فيها واختلف
الاحاديث في عدد الكباير والاحاديث الصحاح في ذكرها خمسة الاول حديث ابي هريرة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وما هن
قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل الربا واكل مال اليتيم
والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المومنات الغافلات الثاني حديث ابن مسعود
ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل اي الذنب اكبر قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قال ثم اي
قال ان تقتل ولدك خشية ان يطعم معك قال ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك الثالث
حديث عبد الله بن عمرو ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال الكباير الاشراك بالله وعقوق
الوالدين وفي حديث اخر الا انبيكم باكبر الكباير قول الزور او قال شهادة الزور الخامس
حديث ابي بكرة ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكرت عنده الكباير فقال الاشراك بالله و
عقوق الوالدين وكان متكيا فجلس فقال الا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها
حتى قلنا ليته سكت وقد اختلف العلماء فيها على اقوال كثيرة والاحاديث في الكباير
لا تدل على حصرها فيها ولعل الشارع قصد الابهام ليكون الناس على وجل من الذنوب
لكن يعرف من الاحاديث اجناس الكباير ويعرف ايضا اكبر الكباير فاما اصغر الصغاير
فلا سبيل الى معرفته وقد تكلم العلماء في عدد الكباير فروى عن ابن مسعود انه قال
هي اربع وروى عن ابن عمر انه قال هي سبع وكان ابن عباس رضي الله عنهما اذا بلغه
قول ابن عمر انها سبع قال هي الى سبعين اقرب منها الى سبع وقال ابو صالح عن ابن
عباس هي ما اوجب الحد في الدنيا وعن ابن مسعود ان الكباير من فاتحة النساء
الى قوله ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه وقال سعيد بن جبير وغيره هي كل ذنب اوعد الله
عليه النار وقال ابو طالب المكي الكباير سبع عشرة جمعتها من جملة الاخبار اربعة
في القلب الشرك والاصرار على المعصية والقنوط من رحمة الله والامن من مكر الله واربعة
في اللسان شهادة الزور وقذف المحصنات واليمين الغموس والسحر وثلثة في البطن

البطن شرب الخمر واكل مال اليتيم ظلما واكل الربا واثنان في الفرج الزنا واللواط واثنان في
اليدين القتل والسرقة وواحدة في الرجلين الفرار من الزحف وواحدة في جميع البدن وهي عقوق
الوالدين وهذا يمكن ان يزاد عليه وينقص منه فان ضرب اليتيم وتعذيبه اكبر من اكل ماله والله اعلم

فصل في كيفية توزيع الدرجات في الاخرة على الحسنات والسيات في الدنيا اعلم ان الناس
يتفاوتون في الاخرة كما يتفاوتون في الدنيا وينقسمون الى اربعة اقسام هالكين ومعذبين
وناجين وفايزين ومثال ذلك ان يستولي ملك من الملوك على اقليم فيقتل بعض اهله ويعذب
بعضهم ولا يقتلهم ويخلي بعضهم فهم الناجون ويخلع على بعضهم وهم الفايزون ولو كان الملك
معاندا له في اصل الولاية ولا يعذب الا من قصر في خدمته مع الاعتراف له بالملك ولا يخلي
الا معترفا له بالملك ولم يقصر ولا يخلع الا على من ابلى عمره في الخدمة والنصرة وكل احد من هذه
الاقسام يتفاوتون في النعيم والتعذيب على حسب احوالهم ويشهد لذلك ما ورد في الحديث
ان منهم من يمر على الصراط كالبرق الخاطف ومنهم من يبقى في النار سبعة الاف سنة وبين
اللحظة وسبعة الاف تفاوت كثير واما اختلاف العذاب بالشدة فلا نهاية لاعلاه وادناه
التعذيب بالمناقشة في الحساب ثم يعفوا وقد يضرب بالسياط او يعذب بغيرها من انواع
العذاب وتتفاوت منازل اهل السعادة على نحو ذلك في النعيم فهذه الامور الكلية معلومة
بالنقل وبنور المعرفة فاما من جهة التفصيل فنقول كل من احكم اصل الايمان واجتنب جميع الكباير
واحسن جميع الفرايض ولم يكن منه الا صغاير متفرقة لا يصر عليها فيشبه ان يعفى عنه فقد
نص القران على ان اجتناب الكباير مكفر للصغاير وهذا اما ان يلتحق بالمقربين او باصحاب
اليمين وذلك بحسب ايمانه ويقينه فان قل او ضعف دنت منزلته ثم ان المقربين يتفاوتون
بحسب تفاوت معرفتهم بالله تعالى ودرجات العارفين في المعرفة لا تنحصر لان بحر المعرفة لا ساحل له
وانما يغوص فيه الغواصون بقدر قواهم فاعلى درجات اصحاب اليمين ادنى درجات
المقربين هذا حال من اجتنب الكباير وادى الفرايض فاما من ارتكب كبيرة واهمل اركان
الاسلام فانه ان تاب توبة نصوحا قبل قرب الاجل التحق بمن لم يرتكب لان التايب من
الذنب كمن لا ذنب له والثوب المغسول كالذي لم يتسخ اصلا فاما ان مات قبل التوبة
فامره خطر اذ ربما يكون موته على الاصرار سببا لتزلزل ايمانه فيختم له بسوء الخاتمة لا سيما
اذا كان ايمانه تقليدا فانه قابل للانحلال بادنى شك وخيال والعارف الموقن ابعد

عباد لا افلا تقسمهم كذلك الا باستحقاق
فلا يقتل الا جاحدا له مستحقا في الملك

الناس ما

من ان يخاف عليه سوء الخاتمة ثم ان عذاب الميت عن غير توبة يكون بحسب قبح الكباير
ومدة الاصرار ثم ينزل البلة المقلدون الجنة وينزل العارفون المستبصرون اعلا عليين
وما ذكرناه من مراتب العباد في المعاد حكم ظاهر الاسباب يضاهي حكم الطبيب على مريض بانه
يموت لا محالة ولا يقبل اصلاح العلاج وعلى مريض اخر بان عارضه خفيف وعلاجه هين
فان ذلك ظن يصيب غالبا وقد تنوب الى الشرف على هلاك نفسه من حيث لا يشعر
الطبيب وقد يساق الى ذي العارض الخفيف اجله من حيث لا يطلع عليه وذلك لاسرار
الله تعالى الخفية في ارواح الاحياء وغموض الاسباب التي رتبها المسبب وليس في قوة
البشر الوقوف على كنهها وكذلك القوة والهلاك في الاخرة لها اسباب خفية ليس في
قوة البشر الاطلاع عليها وكذلك يجوز العفو عن العاصي وان كثرت سياته والغضب على
المطيع وان كثرت طاعاته الظاهرة فان الاعتماد على التقوى والتقوى في القلب واحوال
القلب قد تخفى على صاحبه فكيف على غيره **واما الناجون** ونعني بالنجاة السلامة فقط دون
السعادة والفوز وهم قوم لم يخدموا فيخلع عليهم ولم يقصروا فيعذبوا ويشبه ان يكون هذا
حال المجانين واولاد الكفار والذين لم تبلغهم الدعوة فلم يكن لهم معرفة ولا جحود ولا طاعة
ولا معصية ويصلح ان يكونوا على الاعراف **واما** الفايزون فهم العارفون دون المقلدين
وهم المقربون السابقون وهولاء الذين لا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وليس حرصهم
على الجنة بل على لقاء الله سبحانه والنظر اليه ومثالهم مثال المحب فانه في تلك الحال غافل
عن نفسه لا يحس بما يصيبه في بدنه ولا هم له سوى محبوبه فهولاء الواصلون الى قرة
اعين لم يخطر على قلب بشر فهذا القدر كاف في بيان توزيع الدرجات على الحسنات

فصل في بيان ما تعظم به الصغاير من الذنوب اعلم ان الصغيرة تكبر باسباب منها الاصرار
والمواظبة وفي الحديث من رواية ابن عباس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم انه قال لا صغيرة مع اصرار ولا كبيرة مع استغفار **واعلم** العفو عن كبيرة قد
انقضت ولم يتبعها مثلها ارجى من العفو عن صغيرة يواظب عليها العبد ومثال ذلك
قطرات من الماء تقع على حجر متواليات فانها تؤثر فيه ولو جمعت تلك القطرات
في مرة وصبت عليه لم تؤثر **و**لهذا قال عليه الصلاة والسلام احب العمل الى الله ادومها
وان قل **و**من الاسباب التي تعظم بها الصغاير ان يستصغر الذنب فان الذنب كلما

كلما استعظمه العبد صغر عند الله تعالى وكلما استصغره العبد كبر عند الله تعالى فان استعظامه
يصدر عن نفور القلب منه وكراهيته له **قال** ابن مسعود رضي الله عنه ان المومن
يرى ذنوبه كانه في اصل جبل يخاف ان يقع عليه وان الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع
على انفه فقال به هكذا اخرجاه في الصحيحين وانما يعظم الذنب في قلب المومن لعلمه بجلال
الله تعالى فاذا نظر الى عظم من عصاه راى الصغيرة كبيرة **وفي** البخاري من حديث انس انكم عصيته
لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر ان كنا لنعدها على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الموبقات **وقال** بلال بن سعد لا تنظر الى صغر الخطية ولكن انظر الى من
عصيت **و**من الاسباب ان يفرح بالصغيرة ويتمدح بها كما يقول اما رايتني كيف مزقت
عرض فلان وذكرت مساويه حتى خجلته او يقول التاجر اما رايت كيف روجت عليه
الزايف وكيف خدعته وغبنته فهذا وامثاله تكبر به الصغاير **ومنها** ان يتهاون بستر
الله تعالى وحلمه عنه وامهاله اياه ولا يدري انه ذلك قد يكون مقتا ليزداد بالامهال اثما
ومنها ان ياتي بالذنب ثم يذكره بمحضر من غيره **و**في الصحيحين من حديث ابي هريرة رضي الله
عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل امتي معافا الا المجاهرين وان من المجاهرة ان يعمل
الرجل العمل بالليل ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول يا فلان عملت البارحة كذا وكذا
وقد بات يستره الله عليه **و**منها ان يكون بالمدينة عالما يقتدى به فاذا علم منه الذنب
كبر ذنبه كلبسه الحرير ودخوله على الظلمة مع ترك الانكار عليهم واطلاقه اللسان في الاعراض
والاشتغال من العلوم بما لا يقصد منه الا الجاه كعلم الجدل فهذه ذنوب يتبع العالم
عليها ويبقى شره مستطيرا في العالم فطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه **وفي** الحديث
من سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير ان ينقص من اوزارهم
شيء فعلى العالم وظيفتان احدهما ترك الذنب والثانية اخفاوه اذا اتاه وكما يتضاعف عف
اوزار العلما اذا اتبعوا على الذنب كذلك تضاعف حسناتهم اذا اتبعوا على الخير وينبغي
للعالم ان يتوسط في ملبسه ونفقته وليكن الى التقلل اميل فان الناس ينظرون اليه
وينبغي له الاحتراز مما يقتدى به فيه فانه متى ترخص في الدخول على السلاطين وجمع
الحطام فاقتدى به غيره كان الاثم عليه وربما سلم هو في دخوله ولم يفهموا كيفية سلامته
وقد روينا ان ملكا كان يكره الناس على اكل لحم الخنزير فجيء برجل عالم فقال له حاجب الملك

قد ذبحت لك جديا فكل منه فلما دخل قرب اليه فلم يأكل فامر بقتله فقال له الحاجب الم اقل لك
انه جدي فقال ومن اين يعلم حالي من يقتدي **فصل** اعلم ان التوبة عبارة عن ندم
يورث عزما وقصدا وذلك الندم يورث العلم بان تكون المعاصي حايلا بين الانسان
وبين محبوبه والندم هو توجع القلب عن شعوره بفراق المحبوب وعلامته طول الحزن
والبكاء فان من استشعر عقوبة نازلة بولده او من يعز عليه طال بكاؤه واشتدت
مصيبته واي عزيز اعز عليه من نفسه واي عقوبة اشد من النار واي سبب ادل
على نزول العقوبة من المعاصي واي مخبر اصدق من الله ورسوله ولو اخبره طبيب ان ولده
لا يبرأ من مرضه لاشتد في الحال حزنه وليس ولده باعز من نفسه ولا الطبيب باعلم
من الله ورسوله ولا الموت باشد من النار ولا المرض ادل على الموت من المعاصي على
سخط الله والتعرض بها للنار وينبغي للتايب ان يتفقد ما عليه من صلاة فايتة او واقعة
بغير شرطها مثل ان يكون صلاها في ثوب نجس او بنية غير صحيحة لجهله بذلك فيقضيها
وكذلك ان كان عليه صوم او زكاة او حج او غير ذلك من الواجبات يقضيها كلها و
يفتش على ذلك ويتداركه **واما** العاصي فينبغي ان يفتش من اول بلوغه على كل معصية
صدرت منه وينظر فيها فما كان من ذلك فيما بينه وبين الله تعالى فالتوبة منه الندم والاستغفار
ثم ينظر الى مقادير ذنوبه فليطلب لكل سيئة منها حسنة تناسبها فياتي من الحسنات بمقدار تلك
السيات قال الله تعالى ان الحسنات يذهبن السيات **مثال** ما ذكرناه ان يكفر سماع الملاهي
بسماع القران ومجالس الذكر ويكفر مس المصحف بغير طهارة باكرامه وكثرة القراءة فيه و
ان امكنه ان يكتب مصحفا ويقفه فليفعل ويكفر شرب الخمر بالتصدق بالشراب الحلال وعلى
هذا فاسلك سبيل المضادة فان الامراض انما تعالج بضدها فهذا حكم ما بينه وبين الله تعالى
واما مظالم العباد ففيها ايضا معصية الله تعالى لانه نهى عن ظلم العباد فالظالم لهم قد ارتكب
نهيه فيتدارك ذلك بالندم والعزم على ترك مثل ذلك في المستقبل والاتيان بالحسنات
المضادة لتلك المظالم كما تقدم في القسم الاول فيقابل ايذاء الناس بالاحسان اليهم ويكفر
غصب الاموال بالتصدق بماله الحلال ويكفر تناول اعراضهم بالثناء على اهل الدين ويكفر
قتل النفوس بالعتق هذا فيما يتعلق بحق الله تعالى فاذا فعل ذلك لم يكفه حتى يخرج من مظالم
العباد ومظالمهم اما في النفوس او الاموال او الاعراض وايذاء القلوب **اما** الاول فانه اذا

اذا قتل نفسا خطأ فيوصل الدية الى مستحقها اما منه او من عاقلته وان قتل عمدا وجب عليه القصاص
بشروطه فعليه ان يبذل نفسه لولي الدم ان شاء قتله وان شاء عفى عنه ولا يجوز له اخفاء
امره بخلاف ما لو زنا او سرق او شرب الخمر او باشر ما يجب فيه حد الله تعالى فانه لا يلزمه في
التوبة ان يفضح نفسه بل عليه ان يستر نفسه فان وقع امره الى الوالي حتى اقام عليه الحد
وقع ذلك موقعه وكانت توبته صحيحة مقبولة عند الله تعالى بدليل قصة ماعز والغامدية
وكذلك حد القذف لا بد فيه من تحكيم المستحق فيه **الثاني** المظالم المتعلقة بالاموال نحو
الغصب والخيانة والتلبيس في المعاملات فيجب عليه رد ذلك الى اصحابه والخروج منه
ولكن اصحاب المظالم ويرد اليهم حقوقهم ويستحلهم فان كثر ظلمه بحيث لا يقدر على
ادائه فليفعل ما يقدر عليه من ذلك ولم يبق له طريق الا الاستكثار من الحسنات لتوخذ
منه في الاقتصاص يوم القيمة فتوضع في موازين ارباب المظالم فان لم تف بذلك اخذ
من سياتهم فوضعت فوق سياته هذا حكم المظالم الثابتة في الذمة والاموال الحاضرة
فان كان عنده مال من شيء من ذلك ولم يعرف مالكه ولا وارثه تصدق به عنه وان
اختلط الحلال بالحرام عرف قدر الحرام بالاجتهاد وتصدق بمقداره **الثالث** الجناية على
الاعراض وايذاء القلوب فعليه ان يطلب كل واحد منهم ويستحله ويعرفه قدر الجناية
فان الاستحلال المبهم لا يكفي وربما لو عرف ذلك لم تطب نفسه بالاحلال الا ان تكون
تلك الجناية اذا ذكرت كثر الاذى كنسبته الى عيب من خفايا عيوبه او كزناه بجاريته
فليجتهد في التلطف به والاحسان اليه ثم ليستحله مبهما ولا بد ان يبقى في مثل ذلك
مظلمة تجبر بالحسنات يوم القيمة وكذلك من مات من هولاء فانه يفوت امره
ولا يتدارك الا بتكثير الحسنات ليوخذ منه عوضا يوم القيمة ولا خلاص الا برجحان الحسنات
فصل ومن شروط التوبة الصحيحة العزم على ان لا يعود في المستقبل الى تلك
الذنوب ولا الى امثالها ويعزم على ذلك عزما موكدا مثال ذلك المريض الذي يعلم
ان الفاكهة تضره في مرضه فيعزم عزما جازما ان لا يتناول شيئا من الفاكهة ما
دام في مرضه ذلك فان هذا العزم يتاكد في الحال وان كان يتصور ان تغلبه
الشهوة في ثاني الحال ولكن لا يكون تائبا ما لم يتاكد عزمه في الحال ولا يتصور ان يتم
ذلك للتائب في اول امره الا بالعزلة والصمت وقلة الاكل والنوم واحراز قوت حلال

في ترك الشبهات والشهوات من المأكولات والملبوسات قال بعضهم من صدق في ترك شهوة
وجاهد نفسه فيها سبع مرات لم يبتل بها و قال من تاب من ذنب واستقام سبع سنين
لم يعد اليه ابدا **بيان اقسام العباد** في دوام التوبة الناس في التوبة اربع طبقات الطبقة
الاولى تايب يستقيم على التوبة الى اخر عمره وتدارك ما فرط من امره ولا يحدث نفسه بالعود
الى ذنوبه الا الزلات التي لا تنفك عنها البشر في العادات فهذه هي الاستقامة في التوبة و
صاحبها هو السابق بالخيرات وتسمى هذه التوبة التوبة النصوح ويسمى هذه النفس
النفس المطمئنة وهؤلاء يختلفون منهم من سكنت شهوته تحت قهر المعرفة ففتر نزاعها
ومنهم من تنازعه نفسه وهو يبلى بمجاهدتها **الطبقة الثانية** تايب سلك طريق
الاستقامة في امهات الطاعات وكباير الفواحش الا انه لا ينفك عن ذنوب يعتريه لا عن عمد
ولكنه يبتلى بها في مجاري احواله من غير ان يقدم عزما على الاقدام عليها وكلما اتى شيئا منها لام نفسه
وندم وعزم على الاحتراز من اسبابها فهي هي النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها على ما يتهدف له
من الاحوال الذميمة فهذه رتبة عالية ايضا وان كانت نازلة عن الطبقة الاولى وهي اغلب
احوال التايبين لان الشر معجون بطينة الادمي فقل ما ينفك عنه وانما غاية سعيه ان يغلب
خيره على شره حتى يثقل ميزانه فترجح حسناته فاما ان تخلو كفة السيئات فبعيد وهؤلاء لهم
حسن الوعد من الله سبحانه اذ قال الذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك
واسع المغفرة والى هذه الرتبة الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب المؤمن
المفتن التواب **الطبقة الثالثة** ان يتوب ويستمر على الاستقامة مدة ثم تغلبه شهوته
في بعض الذنوب فيقدم عليها لعجزه عن قهر الشهوة الا انه مع ذلك مواظب على الطاعات
وترك جملة من الذنوب مع القدرة عليها والشهوة لها وانما قهرته شهوة واحدة او شهوتان
وهو يود لو اقدره الله تعالى على قمعها وكفاه شرها فاذا انتهت ندم لكنه يعد نفسه بالتوبة
عن ذلك الذنب فهذه النفس تسمى المسولة وصاحبها من الذين قال الله فيهم واخرون
اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا فامر هذا من حيث مواظبته على الطاعات
وكراهته لما يتعاطاه مرجو لقوله عسى الله ان يتوب عليهم وعاقبته مخطرة من حيث
تاخيره وتسويفه فربما يختطف قبل التوبة فان الاعمال بالخواتيم فعلى هذا يكون الخوف
من الخاتمة وكل نفس يمكن ان يتصل به الموت فيكون الخاتمة فليراقب الانفاس وليحذر

ر وقوع المحذور **الطبقة الرابعة** ان يتوب ويجري مدة على الاستقامة ثم يعود الى الذنوب
منهمكا من غير ان يحدث نفسه بالتوبة ومن غير ان يتاسف على فعله فهذا من المصرين وهذه
النفس هي الامارة بالسوء ويخاف على هذا سوء الخاتمة فان مات هذا على التوحيد
فانه يرجى له الخلاص من النار ولو بعد حين ولا يستحيل ان يشمله عموم العفو بسبب
خفي لا يطلع عليه الا ان التعويل على هذا لا يصلح فان من قال ان الله كريم وخزاينه
واسعة ومعصيتي لا تضره ثم تراه يركب البحار في طلب دينار فلو قيل له فاذا
كان الحق كريما فاجلس في بيتك لعله يرزقك استجهل قايل هذا وقال انما الارزاق
بالكسب فيقال له هكذا النجاة بالتقوى **فصل** وقد ذكرنا ان التايب ينبغي له
ان ياتي بحسنات تضاد ما عمل من السيئات لتمحوها وتكفرها والحسنات المكفرة تكون
بالقلب واللسان والجوارح على حسب السيئات فما كان بالقلب فنحو التضرع والتذلل
واما اللسان فالاعتراف بالظلم والاستغفار مثل ان يقول رب ظلمت نفسي فاغفر لي
وروي في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من رجل يذنب ذنبا فيتوضا
ويحسن الوضوء ثم يصلي ركعتين ويستغفر الله عز وجل الا غفر له **واما**
الجوارح فبالطاعات والصدقات وانواع العبادات **فصل** في دواء التوبة
وطريق علاج حل عقد الاصرار اعلم انه لا يقف على الدواء من لا يقف على الداء
اذ لا معنى للدواء الا مناقضة اسباب الداء ولا يبطل الشيء الا بضده وسبب
الاصرار الغفلة والشهوة ولا يضاد الغفلة الا العلم ولا يضاد الشهوة الا الصبر على
قطع الاسباب المحركة للشهوة والغفلة راس الخطايا فلا دواء اذا للتوبة الا
معجون يعجن من حلاوة العلم ومرارة الصبر كما يجمع في السكنجبين حلاوة السكر
وحموضة الخل فيحصل بمجموعهما قمع الصفراء والاطباء لهذا المرض هم العلماء لانه
مرض القلوب ومرض القلوب اكثر من مرض الابدان وانما صار مرضها اكثر لامور
احدها ان المريض لا يدري انه مريض **الثاني** ان عاقبته غير مشاهدة في هذا العالم
بخلاف مرض الابدان فان عاقبته موت مشاهد ينفر الطبع منه وما بعد الموت غير
مشاهد فقلت النفرة عن القلوب وان علمها مرتكبها فلذلك تراه يتكل على فضل الله تعالى
ويجتهد في علاج البدن من غير اتكال الامر **الثالث** وهو الداء العضال فقد الطبيب فان

الاطباء هم العلماء وقد مرضوا في هذه الاعصار لان الداء المهلك هو حب الدنيا وقد غلب هذا الداء على الاطباء فلم يقدروا على تحذير الخلق استنكافا ان يقال لهم فما لكم تامرون بالعلاج وتنسون انفسكم فبهذا السبب عم الداء وانقطع الدواء **فان** قيل فما الذي ينبغي للواعظ بسلوكه مع الخلق فالجواب ان ذلك يطول لكنا نشير الى الاعمال النافعة في ذلك وهي اربعة انواع **الاول** ان يذكر ما في القران العزيز من الايات المخوفة للمذنبين وما ورد في الاخبار والاوراد من ذلك ومن نحو ذلك عن التابعين **النوع الثاني** حكايات الانبياء عليهم السلام وما اصابهم من المصايب بسبب الذنوب كحال ادم عليه السلام وما لقي في عصيانه من الاخراج من الجنة وما جرى لداود وسليمان ويوسف عليهم السلام ولم يرد القران والاخبار بهذه الاشياء الا للاعتبار وكان من سعادتهم معاجلتهم بذلك والاشقياء يمهلون ليزدادوا اثما ولان عذاب الاخرة اشد فينبغي ان يكثر من هذا على سماع المصرين فانه نافع في تحريك دواعي التوبة **النوع الثالث** ان يقرر عندهم ان تعجيل العقوبة في الدنيا متوقع وان كل ما يصيب العبد من المصايب فهو بسبب جنايات ذنوب عبد يتساهل في امر الاخرة يخاف عقوبة الدنيا اكثر لفرط جهله والذنوب قد يتعجل في الدنيا شومها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه **و**قال الفضيل ابن عياض اني لاعصي الله فاعرف ذلك في خلق حماري وخادمي **و**قال ابو سليمان الداراني الاحتلام عقوبة ولا يفوت احدا صلاة الا بذنب يذنبه **وعن** ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المومن اذا اذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه فان زادت حتى تعلو قلبه وذلك الران الذي ذكر الله عز وجل في كتابه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون **قال** الترمذي حديث حسن صحيح **و**قال الحسن الحسنة نور في القلب وقوة في البدن **النوع** الرابع ذكر ما ورد من العقوبات في احاد الذنوب كشرب الخمر والزنا والقتل والكبر والحسد والغيبة وينبغي ان يكون طبيبا يعلم الداء ويدري كيف يضع الدواء فان رجلا سال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اوصني قال لا تغضب وقال له اخر اوصني فقال عليك باليأس مما في ايدي الناس فكانه تخايل من الاول مخايل الغضب وفي الثاني مخايل الطمع وهذا الذي ذكرناه هو علاج الغفلة فبقي علاج الشهوة وعلاجها يوخذ من ما ذكر في كتاب رياضة النفس ولا بد من الصبر فان المريض انما يطول مرضه لتناوله ما يضره

روي عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اذا غضب على امة ولم ينزل بها العذاب غلت اسعارها وقصرت اعمارها ولم تربح تجارها ولم تزك ثمارها ولم تغزر انهارها وحبس عنها امطارها وسلط عليها اشرارها

يضره وانما يحمله على ذلك شدة شهوته او غفلته عن مضرته فلا بد من مرارة الصبر وكذلك يعالج الشهوة في المعاصي كالشاب مثلا اذا غلبته الشهوة فينبغي ان يستحضر المخوفات التي جاءت في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا اشتد خوفه تباعد عن الاسباب المهيجة للشهوة والذي يهيج الشهوة من خارج وهو حضور المشتهى والنظر اليه وعلاجه الجوع والصوم الدائم وكل ذلك لا يتم الا بصبر ولا يصبر الا عن خوف ولا يخاف الا عن علم ولا يعلم الا عن بصيرة فاول الامر حضور مجالس الذكر والاستماع بقلب مجرد عن الشواغل ثم التفكر فيما قيل فيبعث الخوف ويسهل الصبر وييسر الدواعي لطلب العلاج وتوفيق الحق سبحانه من وراء ذلك كله **فان قيل** ما بال الانسان يقع في الذنب مع علمه بقبح عواقبه فمن ذلك اجوبة **منها** ان العقاب الموعود ليس بحاضر **و**منها ان المومن اذا اذنب لا بد ان يعزم على التوبة وقد وعد ان التوبة تجب ما فعل وطول الامل غالب على الطباع فلا يزال يسوف بالتوبة فلما رجى التوبة اقبل على الذنب **و**منها انه يرجو عفو الله عنه وعلاج هذه الاسباب ان يفكر في نفسه ان كل ما هو ات قريب وانه لا يامن هجوم الموت ويعالج التسويف بالفكر في ان اكثر صياح اهل النار من التسويف والمسوف بنى الامر على ما ليس اليه وهو البقاء فلعله لا يبقى وان بقي فربما لم يقدر على الترك غدا كما لا يقدر عليه اليوم وهل عجز في الحال الا لغلبة الشهوة وتوهم غير مفارقة له غدا بل تتاكد بالاعتياد ومن هذا هلك المسوفون لانهم يظنون الفرق بين المتماثلين وما مثال المسوف الا مثال من احتاج الى قلع شجرة فراها قوية لا تنقلع الا بمشقة شديدة فقال اوخرها سنة ثم اعود اليها وهو لا يعلم ان الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها وهو كلما طال عمره ازداد ضعفه فالعجب من عجزه مع قوته عن مقاومتها في حال ضعفها كيف ينتظر الغلبة اذا ضعف وقويت هي واما انتظار عفو الله فعفو الله سبحانه ممكن الا ان الانسان ينبغي له الاخذ بالحزم وما مثال ذلك الا كمثل رجل انفق امواله كلها وترك نفسه وعياله فقراء ينتظر من الله ان يرزقه العثور على كنز في خربة وهذا ممكن الا ان صاحبه ملقب بالحمق والله سبحانه وتعالى اعلم

كتاب الصبر والشكر وهو شطران الاول في فضل الصبر وحقيقته واقسامه ونحو ذلك قد ذكر الله تعالى الصبر في القران في نحو من سبعين موضعا واضاف اليه اكثر الخيرات والدرجات وجعلها ثمرة له فقال تعالى وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وقال وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل

بما صبروا وقال وليجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وقال تعالى انما يوفى
الصابرون اجرهم بغير حساب فما من قربة الا واجرها بتقدير وحساب الا الصبر ولاجل
كون الصوم من الصبر قال الله تعالى الصوم لي وانا اجزي به وقد وعد الله الصابرين بانه معهم
وجمع للصابرين بين امور لم يجمعها لغيرهم فقال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك
هم المهتدون والايات في هذا كثيرة واما الاحاديث ففي الصحيحين من حديث ابي سعيد
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما اعطي احد عطاء خيرا واوسع من الصبر وفي حديث اخر
الصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد وقال الحسن الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله عز وجل
الا لعبد كريم عنده وكان بعض العارفين في جيبه رقعة يخرجها كل ساعة فيطالعها وفيها
واصبر لحكم ربك فانك باعيننا واعلم ان الصبر من خاصية الانسان ولا يتصور في البهائم لنقصانها
وغلبت الشهوة عليها من غير شيء يقابلها ولا يتصور الصبر ايضا في الملائكة لكمالها فان الملائكة
جرد والشوق الى حضرة الربوبية ولم تسلط عليهم شهوة صارفة عنها حتى يحتاج الى
مصادمة ما يصدها عن حضرة الجلال واما الانسان فانه خلق في ابتداء الصبي ناقصا
مثل البهيمة لم يخلق فيه الا شهوة الغذاء الذي هو محتاج اليه ثم تظهر فيه شهوة اللعب
والزينة ثم شهوة النكاح وليس له قوة الصبر فاذا تحرك العقل وقوي ظهرت منه مبادي
اشراق نور الهداية عند سن التمييز وينمو على التدريج الى سن البلوغ كما يبدو نور
الصبح الى ان يطلع قرص الشمس ولكنها هداية قاصرة لا ترشد لها الى مصالح الاخرة فاذا
عضد بمعرفة الشرع تلمح ما يتعلق بالاخرة وكثر سلاحه الا ان الطبع يقتضي ما يحب وباعث
الشرع والعقل يمنع والحرب بينهما قايم ومعركة هذا القتال قلب العبد فالصبر عبارة عن ثبات
باعث الدين في مقابلة باعث الشهوات فان ثبت حتى قهر الشهوة التحق بالصابرين و
ان ضعف حتى غلبت الشهوة ولم يصبر على دفعها التحق باتباع الشياطين واذا ثبت ان الصبر
عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى فهذه المقاومة من خاصة الادميين
فصل اعلم ان الصبر على ضربين احدهما بدني كتحمل المشاق بالبدن كتعاطي الاعمال الشاقة
من العبادات او غيرها الضرب الاخر هو الصبر النفساني عن مشتهيات الطبع ومقتضيات
الهوى وهذا الضرب ان كان صبرا عن شهوة البطن والفرج سمي عفة وان كان الصبر في قتال
سمي شجاعة وان كان في كظم غيظ سمي حلما وان كان في نايبة مضجرة سمي سعة صدر وان كان في

اخفاء امر سمي كتمان سر وان كان في فضول عيش سمي زهدا وان كان صبرا على قدر يسير من الحظوظ
سمي قناعة واما المصيبة فانه يقتصر فيها على اسم الصبر فقد بان بما ذكرنا ان اكثر اخلاق الايمان
داخل في الصبر وان اختلفت الاسماء باختلاف المتعلقات ثم اعلم ان العبد لا يستغني عن الصبر
في كل حال من الاحوال وذلك ان جميع ما يلقى العبد في الدنيا لا يخ من نوعين احدهما ما يوافق هواه
من الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة والاتباع وجميع ملاذ الدنيا فالعبد محتاج
الى الصبر في هذه الامور فلا يركن اليها ولا ينهمك في التلذذ بها ويراعي حق الله تعالى في ماله بالانفاق
وفي بدنه بالمعونة للخلق ومتى لم يضبط نفسه عن الانهماك في الملاذ والركون اليها اخرجه ذلك
الى البطر والطغيان حتى قال بعض العارفين المؤمن يصبر على البلاء ولا يصبر على العافية الا صديق
وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ابتلينا بالضراء فصبرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر ولذلك قال الله
تعالى لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله انما اموالكم واولادكم فتنة ان من ازواجكم و
اولادكم عدوا لكم فاحذروهم فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية وهذا الصبر يتصل
بالشكر فلا يتم الا بالقيام بحق الشكر وانما كان الصبر على السراء شديدا لانه مقرون بالقدرة
والجايع عند غيبة الطعام اقدر على الصبر منه عند حضور الطعام اللذيذ النوع الثاني
المخالف للهوى وهو ثلثة اقسام احدها الطاعات فيحتاج الى الصبر عليها لان النفس
بطبعها تنفر عن العبودية ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة ومنها ما
يكره بسبب البخل كالزكاة ومنها ما يكره بسببهما جميعا كالحج والجهاد ويحتاج المريد الى الصبر
على طاعته في ثلثة احوال حال قبل العبادة وهي تصحيح النية والاخلاص والصبر على
شوايب الرياء وحال في نفس العبادة وهي ان لا يغفل عن الله في اثناء العبادة ولا
يتكاسل عن تحقيق الاداب والسنن فيلازم الصبر عن دواعي الفتور الى الفراغ
من العمل الحالة الثالثة بعد الفراغ من العمل وهي الصبر عن افشائه والتظاهر به لاجل
الرياء والسمعة وعن كل ما يبطل عمله فمن لم يصبر بعد الصدقة عن المن والاذى
ابطلها القسم الثاني الصبر عن المعاصي وما احوج العبد الى ذلك ثم ان كان
ذلك الفعل مما تيسر فعله كمعاصي اللسان من الغيبة والكذب والمراء ونحوه كان الصبر
عليه اثقل فترى الانسان اذا لبس حريرا استهون ذلك ويغتاب اكثر نهاره ولا يستنكر
ذلك ومن لم يملك لسانه في المحاورات ولم يقدر على الصبر لم ينجه الا العزلة القسم الثالث

سالا يدخر تحت الاختيار كالمصايب مثل موت الاحبة وهلاك الاموال وعمى العين وزوال
الصحة وساير انواع البلايا فالصبر على ذلك من اعلا المقامات لان مستنده اليقين وقد
قال عليه الصلاة والسلام من يرد الله به خيرا يصب منه وقريب من هذا القسم الصبر على
اذى الناس كالذي يوذى بقول او فعل او جناية على نفسه وماله والصبر على ذلك يكون
بترك المكافاة والصبر على اذى الناس من اعلا المراتب قال الله تعالى وان تصبروا وتتقوا فان
ذلك من عزم الامور وقال ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون وقال ولئن صبرتم
لهو خير للصابرين وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الصبر ثلثة صبر على
المصيبة وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزايها
كتب الله له ثلثمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الارض الى منتهى
العرش ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين
تخوم الارض الى منتهى العرش مرتين والاحاديث في فضايل الصبر كثيرة منها ما اخرجاه
في الصحيحين عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مصيبة تصيب المسلم
الا كفر الله عز وجل بها عنه حتى الشوكة يشاكها وفي حديث اخر ما يصيب المسلم من وصب
ولا نصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه
اخرجاه في الصحيحين ايضا وفي حديث اخر لا يزال البلاء بالمؤمن او المؤمنة في جسده
وفي ماله وفي ولده حتى يلقى الله وما عليه خطية وفي حديث سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه
قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الصالحون ثم الامثل فالامثل
من الناس يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلابة زيد في بلائه وان كان في دينه
رقة خفف عنه وما يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على الارض وليس عليه خطية قال
الترمذي حديث صحيح ورويناعن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى اذا وجهت
الى عبد من عبادي مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه
يوم القيمة ان انصب له ميزانا او انشر له ديوانا **فصل** ومن اداب الصبر استعماله
في اول صدمة لقوله عليه السلام انما الصبر عند الصدمة الاولى حديث صحيح ومن الاداب
الاسترجاع عند المصيبة بحديث ام سلمة رضي الله عنها وهو من رواية مسلم ومن
الادب سكون الجوارح واللسان فاما البكاء فجايز قال بعض الحكماء الجزع لا يرد الفايت و

ولكن يسر الشامت ومن حسن الصبر ان لا يظهر اثر المصيبة على المصاب كما فعلت
ام سليم امراة ابي طلحة لما مات ابنها وحديثها مشهور وقال ثابت البناني مات عبد الله في صحيح مسلم
بن مطرف فخرج مطرف على قومه في ثياب حسنة وقد ادهن فغضبوا وقالوا يموت
عبد الله ثم تخرج في ثياب من هذه مدهنا قال افاستكين لها وقد وعدني ربي
تبارك وتعالى ثلث خصال كل خصلة منها احب الي من الدنيا وما فيها قال الله تعالى
الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم
ورحمة واولئك هم المهتدون وقال مطرف ما شيء اعطى به في الاخرة قدر كوز من ماء
الا وددت انه اخذ مني في الدنيا وكان صلة بن اشيم في مغزى له ومعه ابنه فقال
اي بني تقدم فقاتل حتى احتسبك فحمل فقاتل حتى قتل ثم تقدم فقتل فاجتمع النساء
عند امه معاذة العدوية فقالت مرحبا ان كنتن جيتن لتهنيني وان كنتن جيتن
لغير ذلك فارجعن واذا كانت المصيبة مما يمكن كتمانها فكتمانها من معاملة الله عز
وجل الخفية روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا مرض العبد
بعث الله اليه ملكين فيقول انظروا ما يقول لعواده فان هو حمد اذا دخلوا عليه
رفعا ذلك الى الله تعالى وهو اعلم فيقول لعبدي ان انا توفيته ان ادخله الجنة وان انا
شفيته ان ابدله لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان اكفر عنه خطاياه وقال
عليه الصلاة والسلام من اجلال الله ومعرفة حقه ان لا تشكوا وجعك ولا تذكر
مصيبتك وقال الاحنف لقد ذهبت عيني منذ اربعين سنة ما ذكرتها لاحد
وقال رجل للامام احمد كيف تجدك يا ابا عبد الله قال بخير في عافية فقال حممت البارحة
قال اذا قلت لك انا في عافية فحسبك لا تخرجني الى ما اكره وقال شقيق البلخي
من شكا مصيبة به الى غير الله لم يجد في قلبه لطاعة الله حلاوة ابدا وقال الحكماء
من كنوز البر كتمان المصايب وقد كانوا يفرحون بالمصايب نظرا الى ثوابها وحكاياتهم
مشهورة في ذلك منها ما روي ان عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لما مات دفنه
عمر وسوى عليه ثم استوى قايما فاحاط به الناس فقال رحمك الله يا بني قد كنت
برا بابيك والله ما زلت منذ وهبك الله لي مسرورا بك ولا والله ما كنت قط
اشد بك سرورا ولا ارجى بحظي من الله تعالى فيك منذ وضعتك في هذا المنزل الذي

صيرك الله اليه **فان قيل** ان كان المراد من الصبر عدم كراهية المصايب فلا قدرة
للادمي على ذلك وان كان الفرح بوجودها كما حكيتم فهو ابعد وابعد والجواب
ان الصبر لا يكون الا عن محبوب او على مكروه ولا ينهى عما لا يدخل تحت الكسب وهو ازعاج
الباطن انما ينهى عن المكتسب كشق الجيوب ولطم الخدود والقول باللسان فاما ما ذكرنا
من فرح بعضهم فذلك فرح شرعي لا طبعي اذ الطبع لابد له من كراهة المصايب
ومثال هذا مثال رجل مريض وصفت له شربة لمرضه فسعى في طلب حوايجها و
انفق عليها مالا فلما اتت فرح بتمامها وتناولها لما يرجوا بها من العافية فما طبعه
فما زالت عنه كراهة التناول اصلا ولو ان ملكا قال لرجل فقير كلما ضربتك بهذا
العود اللطيف ضربة اعطيتك مائة الف دينار لاحب كثرة الضرب لا لانه لا
يولمه ولكن لما يرجوا من عاقبته وان الكاه الضرب فكذلك السلف لمحوا الثواب
فهان عليهم البلاء **فصل** في بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه اعلم ان الذي انزل
الداء انزل الدواء ووعد الشفاء فالصبر وان كان شاقا فتحصيله ممكن بمعجون العلم
والعمل فمنهما تركب الادوية لامراض القلوب كلها فيحتاج كل مرض الى علم وعمل
يليق به فان العلل اذا اختلفت اختلف العلاج اذ معنى العلاج مضادة العلة
ونضرب لك مثالا فنقول اذا افتقر الانسان الى الصبر عن شهوة الجماع وقد غلبت عليه
بحيث لا يملك فرجه ولا عينه ولا قلبه فعلاج ذلك بثلثة اشياء احدها مواظبة
الصوم والاقتصار عند الافطار على قليل من الطعام **الثاني** قطع اسبابه المهيجة
له فانه انما يهيج بالنظر والنظر يحرك القلب والقلب يحرك الشهوة ودواء هذه
العزلة والاحتراز من مظان وقوع البصر على الصور المشتهاة فان النظر سهم
مسموم من سهام ابليس ولا يمنع عنه الا غمض الجفن او الهرب **الثالث**
تسلية النفس بالمباح من جنس المشتهى وذلك بالنكاح وكل ما يشتهيه الطبع
من الحرام ففي المباحات غنية عنه وهذا هو العلاج الانفع في حق اكثر الناس لان قطع
الغذا يضعف وقد لا يقمع الشهوة بخلاف هذا **و**ينبغي للانسان ان يعود نفسه
المجاهدة فان من عود نفسه مخالفة الهوى غلبها متى اراد **واعلم** ان اشد انواع الصبر
والمجاهدة كف الباطن من حديث النفس وانما يشتد ذلك على من تفرغ واعتزل فان الوساوس

وس لا تزال تحادثه ولا علاج لهذا الا قطع العلايق وجعل الهم هما واحدا وصرف الفكر
الى ملكوت السموات والارض وعجايب صنع الله تعالى وجميع ابواب معرفة الله تعالى حتى
اذا استولى ذلك على قلبه دفع اشتغاله بذلك محادثة الشيطان ووسواسه وان
لم يكن له سير بالباطن فلا ينجيه الا الاوراد المتواصلة من القراءة والاذكار والصلوات
ويحتاج مع ذلك الى تكليف القلب الحضور فان الفكر بالباطن هو الذي يستغرق القلب
دون الاوراد الظاهرة فهذا الذي يمكن ان ينال بالاكتساب والجهد فاما مقادير ما ينكشف
ومبالغ ما يرد من لطف الله تعالى من الاحوال والاعمال فذلك يجري مجرى الصيد وهو
بحسب الرزق فقد يقل الجهد ويكثر الصيد وقد يطول الجهد ويقل الصيد والمعول وراء
هذا الاجتهاد على جذبة من جذبات الرحمن عز وجل فانها توازي اعمال الثقلين وليس ذلك
الى اختيار العبد بل اختياره ان يتعرض لتلك الجذبة بان يقلع عن قلبه جواذب الدنيا فان
المجذوب الى اسفل سافلين لا ينجذب الى اعلا عليين وكل منهوم بالدنيا هو منجذب
اليها فقطع العلايق الجاذبة هو المراد بقوله عليه الصلوة والسلام ان لربكم في ايام دهركم
نفحات الا فتعرضوا لها فالذي علينا تفريغ المحل والانتظار لنزول الرحمة كالذي يصلح الارض
وينقيها من الحشيش ويضع فيها البذر وكل ذلك لا ينفع الا بمطر ولا يدري متى يقدر الله
اسباب المطر الا انه يثق بفضل الله تعالى انه لا يخلي سنة عن مطر وكذلك قلما تخلو سنة
وشهر ويوم عن جذبة من الجذبات ونفحة من النفحات فينبغي ان يكون العبد قد طهر
القلب من حشيش الشهوات وبذر فيه بذر الارادة والاخلاص وعرضه لمهاب ريح
الرحمة وكما يقوى انتظار الامطار في اوقات الربيع عند ظهور الغيم كذلك انتظار تلك
النفحات في الاوقات الشريفة وعند اجتماع الهمم ونشاط القلوب كيوم عرفة ويوم الجمعة
وفي رمضان والهمم والانفاس اسباب لاستدرار رحمة الله تعالى بحكمته وتقديره
الشطر الثاني من الكتاب في الشكر وفضله وذكر النعم واقسامها ونحو ذلك قال الله
تعالى وسيجزي الصابرين وقال الله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وقال
وقليل من عبادي الشكور وقطع بالمزيد مع الشكر فقال لئن شكرتم لازيدنكم مع كونه
وقف اشياء كثيرة غيره على المشية كقوله فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء وقوله
فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وكقوله ويرزق من يشاء ويعفو عن كثير ذلك لمن يشاء

الله الشاكرين صح

ويتوب الله على من يشاء ولما عرف ابليس قدر الشكر قال في الطعن على بني ادم ولا تجد اكثرهم
شاكرين وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قام حتى تفطرت قدماه فقالت له عايشة اتصنع
هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا وعن
معاذ قال قال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اني احبك فقل اللهم اعني على ذكرك
وشكرك وحسن عبادتك فصل والشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح اما القلب
فهو ان يقصد الخير ويضمره للخلق كافة واما اللسان فهو اظهار الشكر لله بالتحميد واما الشكر
بالجوارح فهو استعمال نعم الله في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته فمن شكر
العينين ان تستر كل عيب تراه لمسلم ومن شكر الاذنين ان تستر كل عيب تسمعه فهذا
يدخل في جملة شكر هذه الاعضاء والشكر باللسان لاظهار الرضى عن الله تعالى وهو مامور به
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم التحدث بالنعم شكر وتركها كفر وروي ان رجلين
من الانصار التقيا فقال احدهما لصاحبه كيف اصبحت فقال الحمد لله فقال النبي صلى الله
عليه وسلم قولوا هكذا وروي ان رجلا سلم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرد عليه
ثم قال له عمر كيف اصبحت قال احمد الله فقال عمر ذلك الذي اردت وقد كان السلف
يسالون ومرادهم استخراج الشكر لله فيكون الشاكر مطيعا والمستنطق مطيعا
وقال ابو عبد الرحمن الحلبي ان الرجل اذا سلم على الرجل وساله كيف اصبحت فقال له
الاخر احمد الله اليك قال يقول الملك الذي عن يساره للذي عن يمينه كيف تكتبها قال
اكتبه من الحامدين فكان ابو عبد الرحمن اذا سئل كيف اصبحت يقول احمد الله اليك و
الى جميع خلقه فصل اعلم ان فعل الشكر وترك الكفر لا يتم الا بمعرفة ما يحبه الله تعالى
اذ معنى الشكر استعمال نعمه في محابه ومعنى الكفران نقيض ذلك اما بترك الاستعمال او
استعماله فيما يكرهه ولتميز ما يحبه الله مما يكرهه مدركان احدهما السمع ومستنده
الايات والثاني بصيرة القلب وهو النظر بعين الاعتبار وهذا الاخير عسر عزيز ولذلك
ارسل الله تعالى الرسل وسهل بهم الطريق على الخلق ومعرفة ذلك تبنى على معرفة
جميع احكام الشرع في افعال العباد فمن لا يطلع على حكم الشرع في جميع افعاله لم يمكنه القيام
بحق الشكر اصلا واما الثاني وهو النظر بعين الاعتبار فهو ادراك حكمة الله تعالى
في كل موجود خلقه اذ ما خلق الله تعالى شيئا في العالم الا وفيه حكمة وتحت الحكمة مقصود و

وذلك المقصود هو المحبوب وتلك الحكمة منقسمة الى جلية وخفية اما الجلية فكالعلم بان الحكمة
في خلق الشمس ان يحصل الليل والنهار فيكون النهار معاشا والليل سباتا فتتيسر الحركة
عند الابصار والسكون عند الاستتار فهذا من جملة حكم الشمس لا كل الحكمة فيها
وكذلك معرفة الحكمة في الغيم ونزول الامطار واما الحكمة في خلق الكواكب فخفية لا يطلع
عليها كل الخلق وقد يطلعون على بعض ما فيها من الحكم نحو كونها زينة للسماء وجميع
اجزاء العالم لا تخلو ذرة منه عن حكمة وكذلك اعضاء الحيوان منها ما تبين حكمته بيانا
ظاهرا كالعلم بان العين للابصار واليد للبطش والرجل للمشي فاما الاعضاء الباطنة
كالمرارة والكلية والكبد واحاد العروق والاعصاب وما فيها من التجاويف والرقة
والغلظة فلا يعرف الحكمة فيها كل الناس والذين يعرفونها انما يعرفون منها قدرا
يسيرا بالنسبة الى علم الله تعالى فكل من استعمل شيئا في جهة غير الجهة التي خلق لها ذلك
الشيء على غير الوجه الذي اريد به فقد كفر نعمة الله تعالى فيه فمن ضرب غيره بيده بغير حق
فقد كفر نعمة الله تعالى في اليد لانها خلقت ليدفع بها عن نفسه ما يؤذيه ويتناول ما
ينفعه لا ليؤذي بها الغير وكذلك العين اذا نظر بها الى المحرم فقد كفر نعمتها ونعمة
الشمس ايضا اذ الابصار يتم بها فالعين والشمس خلقتا ليبصر بهما ما ينفعه في دينه و
دنياه ويتقي بهما ما يضره فيهما واعلم ان المراد من خلق الخلق وخلق الدنيا واسبابها
ان يستعين بها الخلق على الوصول الى الله تعالى ولا وصول اليه الا بمحبته والانس به في
الدنيا والتجافي عن غرور الدنيا ولا انس الا بدوام الذكر ولا محبة الا بالمعرفة الحاصلة بدوام
الفكر ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر الا بدوام البدن ولا يبقى البدن الا بالارض والماء
والهواء وكل ذلك لاجل البدن والبدن مطية النفس والراجع الى الله هو النفس المطمئنة
بطول العبادة والمعرفة ولذلك قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
فكل من استعمل شيئا في غير طاعة الله فقد كفر نعمة الله في جميع الاسباب التي لا بد منها لاقدامه
على تلك المعصية ولنذكر مثالا واحدا للحكم الخفية التي ليست في غاية الخفاء حتى يعتبر بها
ويعلم طريق الشكر والكفران على النعم فنقول من نعم الله تعالى خلق الدراهم والدنانير
اللذين بهما قوام الدنيا وهما حجران لا منفعة في اعيانهما ولكن يضطر الخلق اليهما من حيث
ان كل انسان يحتاج الى اعيان كثيرة في مطعمه ومشربه وملبسه ومركبه وسائر حاجاته

وقد يعجز عما يحتاج اليه ويملك ما يستغني عنه كمن يملك قدرا من الزعفران مثلا وهو
محتاج الى جمل يركبه واخر يملك الجمل وربما استغنى عنه ويحتاج الى الزعفران فلا بد
بينهما من معاوضة ولا بد في مقدار العوض من تقدير اذ لا يبذل صاحب الجمل جملة
بكل مقدار من الزعفران ولا مناسبة بين الزعفران والجمل حتى يعطى مثله في الوزن
والصورة وكذا من يشتري دارا بثياب او عبدا بخف او دقيقا بحمار فهذه الاشيا
لا تناسب بينها فخلق الله تعالى الدراهم والدنانير حاكمين ومتوسطين بين ساير
الاموال حتى يقدر بها فيقال هذا الجمل يساوي مائة وهذا القدر من الزعفران يساوي
مائة فحصل التساوي بينهما وانما امكن التعديل بينهما بالنقدين اذ لا غرض في اعيانهما
فانه لو كان في اعيانهما غرض لم ينتظم الامر فخلقهما الله تعالى لتداولهما الايدي
ويكونا حاكمين بين الاموال بالعدل وجعلهما عزيزين في انفسهما ونسبتهما الى
ساير الاموال نسبة واحدة فمن ملكهما فكانه ملك كل شي اذا عرفت حكمتهما فكل من
عمل فيهما عملا يخالف الحكمة منهما ولا يليق بحكمهما فقد كفر نعمة الله فيهما فمن كنزهما
فقد ظلمهما وابطل الحكمة فيهما وكان كمن حبس الحاكم بين المسلمين في سجن يمتنع
من الحكم بسببه لانه ضيعهما ومنع الايدي من تداولهما ولما كان كثير من الخلق
عاجزين عن قراءة الاسطر الالهية المكتوبة على صفحات الموجودات بخط الهي
لا يدرك بعين البصر بل بعين البصيرة اخبرهم الله تعالى بكلام سمعوه بواسطة
رسوله عليه الصلاة والسلام فقال والذين يكنزون الذهب والفضة ولا
ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم وكل من اتخذ الدراهم والدنانير انية
فقد كفر نعمة الله فيهما لانه اسوا حالا ممن كنزهما ومثال ذلك مثال من استعمل
حاكم البلد في الحياكة والكنس والاعمال التي يقوم بها اخسا الناس وذلك ان الحديد
والنحاس والخزف وغيرها يقوم مقام الذهب والفضة في حفظ المايعات ولا تكفي
تلك الاعيان عنهما ولا يقوم مقامهما فيما اريد بهما من كونهما قيم للاشيا فمن لم تنكشف
له هذه الحكمة بالرحمة الالهية قيل له من شرب في اناء ذهب او فضة فانما يجرجر في
بطنه نار جهنم وكذلك كل من عامل بالربا في الدراهم والدنانير فقد اخرجهما عن مقصودهما
فهذا مثال الحكم خفيه من حكم النقدين فينبغي ان يعتبر شكر النعم وكفرها بهذا المثال في غيره

غيره من جميع امورك في حركتك وسكونك ونطقك وسكوتك وكل فعل صادر منك
اما شكر او عكسه وهو الكفر وبعض ذلك نصفه بالكراهة وبعضه بالحظر ومن ذلك
ان الله تعالى خلق لك يدين وجعل احداهما اقوى من الاخرى فاستحقت بمزيد القوة
رجحانا وشرفا على الاخرى وقد احوجك من اعطاك اليدين الى اعمال بعضها شريفة
كاخذ المصحف وبعضها خسيسة كازالة النجاسة فاذا اخذت المصحف باليسار و
ازلت النجاسة باليمين فقد عكست الفعل وخصصت الشريف بما هو خسيس فظلمته
وكذلك في الرجلين اذا ابتدات باليسرى في لبس الخف فقد ظلمت اليمنى لان الخف وقاية
للرجل وقس على ذلك وكذلك يقول من كسر غصنا من شجرة لغير حاجة مهمة وغرض
صحيح فقد خالف الحكمة في خلق الاشجار لانها خلقت للمنفعة بها فان كان كسره لغرض
صحيح فلا باس وان فعل ذلك في ملك غيره فهو ظالم وان كان محتاجا الا ان ياذن صاحبه

فصل في بيان النعم وحقيقتها واقسامها اعلم ان كل مطلوب يسمى نعمة ولكن النعمة
في الحقيقة هي السعادة الاخروية وتسمية ما عداها نعمة تجوز والامور كلها بالاضافة الينا
تنقسم اربعة اقسام احدها ما هو نافع في الدنيا والاخرة جميعا كالعلم وحسن الخلق و
هو النعمة الحقيقية **الثاني** ما هو ضار فيهما جميعا وهو البلاء حقيقة **القسم** الثالث ما
ينفع في الحال ويضر في المال كالتلذذ واتباع الشهوات فهو بلا عند ذوي الابصار والجاهل
يظنه نعمة ومثاله الجايع اذا وجد عسلا فيه سم فانه يعده نعمة ان كان جاهلا فاذا
علم ذلك عده بلاء **القسم** الرابع الضار في الحال النافع في المال وهو نافع عند ذوي
الالباب بلاء عند الجهال ومثاله الدواء البشع مذاقه في الحال الشافي في المال من الاسقام
فالصبي الجاهل اذا كلف شربه ظنه بلاء والعاقل يعده نعمة وكذلك اذا احتاج
الصبي الى الحجامة فان الاب يدعوه اليها ويامره بها لما يلحظ في عاقبتها من الشفا و
الام تمنع من ذلك لفرط حبها وشفقتها لكونها جاهلة بالمصلحة في ذلك فالصبي
يتقلد منه امه لجهله ويانس اليها دون ابيه ويقدر اباه عدوا ولو عقل لعلم
ان الام هي العدو الباطن في صورة صديق لان منعها اياه من الحجامة تسوقه الى
امراض المها اشد من الم الحجامة فالصديق الجاهل شر من العدو العاقل وكل انسان
صديق نفسه ولكن النفس صديق جاهل فلذلك تعمل به ما لا يعمل العدو

فصل في بيان كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها وخروجها عن الحصر والاحصا اعلم ان
النعم تنقسم الى ما هو غاية مطلوبة لذاتها والى ما هو مطلوب لاجل الغاية اما الغاية فهي
سعادة الاخرة ويرجع حاصلها الى اربعة امور بقاء لا فناء له وسرور لا غم فيه وعلم لا جهل
معه وغنى لا فقر بعده وهي السعادة الحقيقية واما القسم الثاني فهو الوسايل الى السعادة
المذكورة وهي اربعة اقسام اعلاها فضايل النفس كالايمان وحسن الخلق الثاني فضايل
البدن من القوة والصحة ونحوهما الثالث النعم المطيفة بالبدن من المال والجاه والاهل
الرابع الاسباب التي تجمع بينها وبين ما يناسب الفضايل من الهداية والارشاد و
التسديد والتاييد وكل هذه نعم عظيمة فان قيل ما وجه الحاجة لطريق الاخرة الى
النعم الخارجة والمال ونحوهما قلنا هذه الاشياء جارية مجرى الجناح المبلغ والالة
المسهلة للمقصود اما المال فان طالب العلم اذا لم يكن معه كفاية كان كساع الى الهيجا
بغير سلاح ولانه يبقى مستغرق الاوقات في طلب القوت فيشغله عن تحصيل العلم
وعن الذكر والفكر ونحو ذلك واما الجاه فبه يدفع الانسان عن نفسه الذل والضيم ولا
ينفك عن عدو يوذيه وظالم يهوش عليه فيشغل قلبه وقلبه راس ماله وانما تندفع
هذه الشواغل بالعز والجاه واما الصحة والقوة وطول العمر ونحوها فهي نعم اذ لا يتم
علم ولا عمل الا بذلك وقد قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير
من الناس الصحة والفراغ ولما سئل عن خير الناس فقال من طال عمره وحسن عمله
واما المال والجاه وان كانا نعمتين فقد ذكرنا ما فيهما من الافات فيما تقدم وانهما
ليسا بمذمومين على الاطلاق واما الهداية والرشد والتسديد والتاييد فلا خفا
من كونها من اعظم النعم فلا يستغني احد عن الحاجة الى التوفيق ولذلك قيل
اذا لم يكن عون من الله للفتى فاكثر ما يجني عليه اجتهاده واعلم انا قد ذكرنا
جملة من النعم وجعلنا صحة البدن نعمة واحدة من النعم الواقعة في الرتبة الثانية
فلو اردنا ان نستقصي الاسباب التي بها تمت هذه النعمة لم نقدر عليها ولكن الاكل احد
اسباب الصحة فلنذكر شيئا من جملة الاسباب التي يتم بها الاكل على سبيل التلويح لا على
سبيل الاستقصاء فنقول من جملة نعم الله عليك ان خلق لك الة الاحساس
والة الحركة في طلب الغذاء فانظر الى ترتيب حكمة الله تعالى في الحواس الخمس التي هي الة

الادراك فاولها حاسة اللمس وهو اول حس يخلق للحيوانات وانقص درجات الحس
ان يحس بما يلاصقه فان الاحساس بما يبعد منه اتم لا محالة فافتقرت الى حس
تدرك به ما بعد عنك فخلق لك الشم تدرك به الرايحة فتحتاج ان يطوف كثيرا حتى يعثر
على الذي شممت رايحته وربما لم تعثر فخلق لك البصر لتدرك به ما بعد عنك وتدرك جهته
فتقصدها بعينها الا انه لو لم يخلق لك الا هذا لكنت ناقصا اذ لا تدرك بذلك ما وراء
الجدار والحجاب فربما قصدك عدو وبينك وبينه حجاب وقرب منك قبل ان ينكشف الحجاب
فتعجز عن الهرب فخلق لك السمع حتى تدرك به الاصوات من وراء الجدران عند جريان
الحركات ولا يكفي ذلك لو لم يكن لك حس الذوق اذ به تعلم ما يوافقك وما يضرك
بخلاف الشجرة فانه يصب في اصلها كل مايع ولا ذوق لها فتجذبه وربما يكون ذلك
سبب جفافها ثم اكرمك الله بصفة اخرى هي اشرف من الكل وهو العقل فبه تدرك
طبخ الاطعمة وتاليفها واعداد اسبابها فتنتفع به في الاكل الذي هو سبب صحتك
وهو ادنى فوايد العقل والحكمة الكبرى فيه معرفة الله تعالى وما ذكرنا من الحواس الخمس
الظاهرة فهي بعض الادراكات ولا تظن انا استوفينا شيئا من ذلك فان البصر
واحد من الحواس والعين له وقد ركبت العين من عشر طبقات مختلفة بعضها
رطوبات وبعضها اغشية مختلفة والرطوبات مختلفة ولكل واحدة من الطبقات العشر
صفة وصورة وشكل وهيئة وتدبير وتركيب لو اختلت طبقة واحدة منها او صفة
واحدة لاختل البصر وعجز عنه الاطباء كلهم فهذا حس واحد وقس حاسة السمع و
ساير الحواس ولا يمكن ان نستوفي ذلك في مجلدات فكيف ظنك بجميع البدن ثم انظر
بعد ذلك في خلق الارادة والقدرة والات الحركة من اصناف النعم وذلك انه لو خلق لك
البصر حتى تدرك به الطعام ولم يخلق لك في الطبع شوق اليه وشهوة له تستحثك
على الحركة لكان البصر معطلا فكم من مريض يرى الطعام وهو انفع الاشياء له ولا
يقدر على تناوله لسقوط شهوته فخلق لك الله شهوة الطعام وسلطها عليك كالمتقاضي
الذي يضطرك الى تناول الغذا ثم هذه الشهوة لو لم تسكن عند اخذ مقدار الحاجة من
الطعام لاسرفت واهلكت نفسك فخلق لك الكراهة عند الشبع لتترك الاكل بها وكذلك
القوة في شهوة الوقاع لحكمة بقاء النسل ثم خلق لك الاعضاء التي هي الات الحركة في تناول الغذاء

وغيرهم منها اليدان وهما مشتملتان على مفاصيل كثيرة لتتحرك في الجهات وتمتد وتنثني
ولا يكون كخشبة منصوبة ثم جعل راس اليد عريضا وهو الكف وقسمه خمسة اقسام
وهي الاصابع وجعلها مختلفة في الطول والقصر ووضعها في صفين بحيث يكون
الابهام في جانب ويدور على الاصابع البواقي ولو كانت مجتمعة متراكمة لم يحصل
تمام الغرض ثم خلق لها اظفارا واسند اليها رؤس الاصابع لتقوى بها ولتلتقط بها
الاشياء الدقيقة التي لا تحويها الاصابع ثم هب انك اخذت الطعام باليد فلا يكفيك
حتى يصل الى باطنك فجعل لك الفم واللحيين خلقهما من عظمين وركب فيهما الاسنان
وقسمها بحسب ما تحتاج اليه الطعام فبعضها قواطع كالرباعيات وبعضها يصلح
للكسر كالانياب وبعضها طواحن كالاضراس وجعل اللحي الاسفل متحركة حركة دورية
واللحي الاعلى ثابتا لا يتحرك فانظر الى عجيب صنع الله تعالى وان كان رحاء صنعها المخلوق
يثبت منها الحجر الاسفل ويدور الاعلى الا هذه الرحاء التي هي صنع الله سبحانه وتعالى
فانه يدور منها الاسفل على الاعلاء اذ لو دار الاعلى خوطر بالاعضاء الشريفة التي
تحتوي عليها ثم انظر كيف انعم الله عليك بخلق اللسان فانه يطوف في جوانب الفم ويرد
الطعام من الوسط الى الاسنان بحسب الحاجة كالمرفة التي ترد الطعام الى الرحاء هذا مع ما فيه
من عجايب قوة النطق ثم هب انك قطعت الطعام وطحنته وهو يابس فما تقدر
على الابتلاع الا بان ينزلق الى الحلق بنوع رطوبة فانظر كيف خلق الله تعالى تحت اللسان
عينا يفيض منها اللعاب وينصب بقدر الحاجة حتى يعجن به الطعام ثم هذا الطعام
المطحون المعجون من يوصله الى المعدة وهو في الفم فانه لا يمكن ايصاله باليد فهيا الله تعالى
المري والحنجرة وجعل راسها طبقات ينفتح لاخذ الطعام ثم ينطبق وينضغط حتى
يقلب الطعام فيهوى في دهليز المري الى المعدة فاذا ورد الطعام الى المعدة فهو خبز
وفاكهة متقطعة فلا يصلح ان يصير لحما وعظما ودما على هذه الهيئة حتى يطبخ طبخا تاما
فجعل الله المعدة على هيئة قدر يقع فيها الطعام فتحتوي عليه وتغلق عليه الابواب و
ينضج بالحرارة التي تتعدى اليها من الاعضاء الاربعة وهي الكبد من جانبها الايمن والطحال
من جانبها الايسر والترب من امامها ولحم الصلب من خلفها فينضج الطعام ويصير مايعا
متشابها يصلح للنفوذ في تجاويف العروق ثم ينصب الطعام من العروق الى الكبد فيستقر فيها

فيها ريث ما يصلح لان ينضج اخر ثم تتفرق في الاعضاء ويبقى منه ثقل ثم يندفع ولو استوفينا الكلام
في ذلك لطال وفي الادمي من العضلات والعروق والاعصاب ما لا يحصى مختلف بالصغر و
الكبر والدقة والغلظ ولا شيء منها الا وفيه حكمة وكل ذلك نعم من الله سبحانه ولو سكن من
جملتها عرق متحرك او تحرك عرق ساكن لهلكت يا مسكين فانظر الى نعم الله تعالى عليك
لتقوى على الشكر فانك لا تعرف من نعمة الله تعالى الا نعمة الاكل وهي اخسها ثم لا تعرف منها
الا انك تجوع فتاكل والبهيمة ايضا تعرف انها تجوع وتاكل وتتعب فتنام وتشتهي
فتجامع واذا لم تعرف انت من نفسك الا ما يعرف الحمار فكيف تقوم بشكر الله تعالى وهذا
رمزنا اليه على الايجاز قطرة من بحر من نعم الله عز وجل فقس على ذلك وجملة ما عرفناه
وعرفه الخلق كلهم من نعم الله تعالى بالاضافة الى ما لم يعرفوه اقل من قطرة من بحر قال الله
تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها **فصل** اعلم ان الاطعمة كثيرة مختلفة ولله تعالى
في خلقها عجايب لا يحصى وهي تنقسم الى اغذية وادوية وفواكه وغيرها فنتكلم على بعض
الاغذية فنقول اذا كان عندك شيء من الحنطة فلو اكلتها لفنيت وبقيت جايعا فما احوجك
الى عمل يتمني بحب الحنطة ويتضاعف حتى يفي بتمام حاجتك وهو زرعها وهواه
يجعلها في ارض فيها ما يمتزج بالارض فيصير طينا ثم لا يكفي الماء والتراب اذ لو تركت
في الارض ندية صلبة لم تنبت لفقد الهواء فيحتاج الى تركها في ارض متخلخلة يتغلغل
الهواء فيها ثم الهوى لا يتحرك اليها بنفسه فيحتاج الى ريح يحرك الهواء ويضرفه بقهر على
الارض حتى ينفذ فيها ثم كل ذلك لا يغني فيحتاج الى حرارة الربيع والصيف فانه لو كان
في البرد المفرط لم ينبت ثم انظر الى الماء الذي تحتاج اليه هذه الزراعة كيف خلقه فجر
العيون واجرى منها الانهار ولما كان بعض الارض مرتفعا لا يناله الماء ارسل اليها
الغيوم وسلط عليها الرياح لتسوقها باذنه الى اقطار العالم وهي سحب ثقال ثم يرسله
على الارض مدرارا في وقت الحاجة وانظر كيف خلق الجبال حافظة للماء تنفجر منها
العيون تدريجا فلو خرجت دفعة واحدة لغرقت البلاد وهلك الزرع وغيره وانظر
كيف سخر الشمس وخلقها مع بعدها عن الارض مسخنة لها في وقت دون وقت
ليحصل البرد عند الحاجة اليه والحر عند الحاجة اليه وخلق القمر وجعل من خاصيته الترطيب
كما جعل من خاصية الشمس التسخين فهو ينضج الفواكه بتقدير الحكيم الخبير وكل كوكب خلق

لعله سعى

ماؤها

في السماء فهو مسخر لنوع فايدة كما سخرت الشمس والقمر والانجم كل واحد منها عن حكم
كثيرة لا تفي قوة البشر باحصارها وكذلك الشمس والقمر فيهما حكم اخر غير ما ذكرنا لا يحصى
ولما كانت كل الاطعمة لا توجد في كل مكان سخر الله تعالى التجار وسلط عليهم الحرص على
جمع المال مع انه لا يغنيهم في غالب الامر شي بل يجمعون الاموال فاما ان تغرق بها السفن
او تنتهبها قطاع الطريق او يموتون في بعض البلاد فتاخذها السلاطين واحسن احوالهم
ان تاخذها ورثتهم وهم اشد اعدائهم لو عرفوا فانظر كيف سلط الله عليهم الجهل
والغفلة حتى يقاسوا الشدايد في طلب الربح في ركوب البحار وركوب الاخطار فيحملون
الاطعمة وانواع الحوايج من اقصى الشرق والغرب اليك واعلم ان الخلق لم يقصروا
عن شكر النعمة الا للجهل والغفلة فانهم منعوا بذلك عن معرفة النعم ولا يتصور شكر
النعمة الا بعد معرفتها ثم ان عرفوا نعمة ظنوا ان الشكر عليها ان يقول احدهم بلسانه الحمد لله
والشكر لله ولم يعرفوا ان معنى الشكر ان تستعمل النعمة في اتمام الحكمة التي اريدت بها و
هي طاعة الله تعالى اما الغفلة عن النعم فلها اسباب احدها ان الناس لجهلهم لا يعدون
ما يعم الخلق في جميع احوالهم نعمة فلذلك لا يشكرون على جملة ما ذكرناه من النعم لانها عامة
للخلق مبذولة لهم في جميع احوالهم فلا يرى واحد منهم اختصاصا به فلا يعده نعمة فلا تراهم
يشكرون الله على روح الهواء ولو اخذ بخنقهم لحظة حتى انقطع الهواء عنهم ماتوا
ولو حبسوا في حمام او بئر ماتوا غما فان ابتلي احدهم بشي من ذلك ثم نجا قدر ذلك نعمة
يشكر الله تعالى عليها وهذا غاية الجهل اذ صار شكرهم موقوفا على ان تسلب عنهم النعمة
ثم ترد اليهم في بعض الاحوال فالنعم في جميع الاحوال اولى بالشكر فلا ترى البصير يشكر صحة
البصر الا ان يعمى فاذا اعيد بصره احس بالنعمة وشكرها وعدها نعمة وهو مثل عبد
السوء يضرب دائما فاذا ترك ضربه ساعة شكر وتقلد ذلك منة وان ترك ضربه اصلا
غلبه البطر وترك الشكر فصار الناس لا يشكرون الا المال الذي يتطرق الاختصاص اليه
من حيث الكثرة والقلة وينسون جميع نعم الله تعالى عليهم كما روي ان بعضهم شكى فقره الى
بعض ارباب البصيرة واظهر شدة اغتمامه بذلك فقال له ايسرك انك اعمى ولك عشرة
الاف درهم قال لا قال ايسرك انك اقطع اليدين والرجلين ولك عشرون الفا قال لا قال
ايسرك انك مجنون ولك عشرة الاف قال لا قال اما تستحي ان تشكو مولاك ولك عندك

عندك عروض بخمسين الفا وحكي عن بعض القراء انه اشتد به الفقر حتى ضاق به ذرعا
فراى في المنام كان قايلا يقول له اتود انا انسيناك سورة الانعام ولك الف دينار قال لا
قال فسورة هود قال لا قال فسورة يوسف قال لا قال فمعك قيمة مائة الف وانت تشكوا
فاصبح وقد سري عنه ودخل ابن السماك على الرشيد في عظة فبكا ثم دعا بماء في قدح فقال
يا امير المومنين لو منعت هذه الشربة الا بالدنيا وما فيها اكنت تفديها قال نعم قال فاشرب
ريا بارك الله فيك فلما شرب قال له يا امير المومنين ارايت لو منعت اخراج هذه الشربة
منك الا بالدنيا وما فيها اكنت تفتدي ذلك قال نعم قال فما تصنع بشي شربة ماء خير منه
وهذا يبين ان نعمة الله تعالى على العبد في شربة ماء عند العطش اعظم من ملك الارض
ثم تسهيل خروج الحدث من اعظم النعم وهذه اشارة وجيزة الى النعم الخاصة اعلم
ان ما من عبد الا اذا انعم النظر راى عليه من نعم الله نعما كثيرة لا يشاركه فيها عموم الناس
بل قد يشاركه في ذلك يسير منهم من ذلك العقل فما من عبد الا وهو راض عن الله سبحانه
في عقله يعتقد انه اعقل الناس وقل ما يسال الله العقل واذا كان ذلك اعتقاده
فيجب عليه ان يشكر الله تعالى على ذلك ومن ذلك الخلق فانه ما من عبد الا ويرى من غيره
عيوبا يكرهها واخلاقا يذمها ويرى نفسه بريا منها فينبغي ان يشكر الله تعالى على ذلك
حيث احسن خلقه وابتلى غيره ومن ذلك انه ما من احد الا وهو يعرف من بواطن امور
نفسه وخفايا افكاره ما هو منفرد به ولو كشف الغطاء عنه حتى اطلع عليه احد
من الخلق لافتضح فكيف لو اطلع الناس كافة فلم لا يشكر ستر الله الجميل على مساويه
حيث اظهر الجميل وستر القبيح ولننزل الى طبقة اعم من هذا قليلا فنقول ما من عبد الا
وقد رزقه الله تعالى في صورته واخلاقه وصفاته او اهله او ولده او مسكنه
او بلده او رفيقه او اقاربه او جاهه او ساير محابه امورا لو سلب ذلك واعطي
ما خص به من ذلك غيره لكان لا يرضى به وذلك مثل ان جعله مؤمنا لا كافرا وحيا لا جمادا
وانسانا لا بهيمة وذكرا لا انثى وصحيحا لا مريضا وسليما لا معيبا فان كل هذه خصايص
فان كان لا يرى ان يبدل حاله بحال غيره مثل ان لا يعرف شخصا يرتضي لنفسه حاله بدلا
عن حال نفسه اما على الجملة او في امر خاص فان لله عليه نعما ليست له على احد من عباده
سواه وان كان يرى ان يبدل حال نفسه بحال بعضهم دون بعض فلينظر الى عدد المغبوطين

عنه فانه يراهم عنه لا محالة اقل من غيرهم فيكون من دونه في الحال اكثر بكثير ممن فوقه فما باله
ينظر الى من فوقه ولا ينظر الى من دونه وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا نظر احدكم الى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر الى من هو اسفل منه ممن
فضل عليه وقد رواه الترمذي بلفظ اخر انظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم
فانه اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم فان من اعتبر حال نفسه وفتش على ما خص به وجد
لله تعالى عليه نعما كثيرة لا سيما من خص بالايمان والقران والعلم والسنة ثم الفراغ والصحة
والامن وغير ذلك وقد روي في بعض الاحاديث من قرا القران فهو غني وفي لفظ القران
غنى لا فقر بعده ولا غنى دونه وفي حديث اخر من اصبح امنا في سربه معافا في بدنه عنده
قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها وقال بعضهم اذا القوت تاتى لك
والصحة والامن واصبحت ذا حزن فلا فارقك الحزن فان قيل فما علاج القلوب
الغافلة عن شكر نعم الله تعالى فالجواب اما القلوب المبصرة فتامل ما رمزنا اليه من اصناف نعم
الله عز وجل واما القلوب البليدة التي لا تعد النعمة نعمة الا اذا نزل بها البلاء فسبيل صاحبها
ان ينظر ابدا الى من دونه ويفعل ما كان يفعله بعض القدماء فانه كان يحضر دار المرضى
ليشاهد انواع البلاء عليهم ثم يتامل صحته وسلامته ويشاهد الجناة الذين يقتلون وتقطع
ايديهم وارجلهم ويعذبون فيشكر الله تعالى ان احب الاشياء الى الموتى ان يردوا الى الدنيا
ليتدارك من عصى عصيانه وليزيد في الطاعة من اطاع فان يوم القيمة يوم التغابن فاذا
شاهد المقابر وعلم احب الاشياء اليهم فليصرف بقية عمره في طاعة الله وشكره في الامهال
بان يصرف العمر الى ما خلق لاجله وهو التزود للاخرة ومما ينبغي ان تعالج به القلوب
البعيدة عن الشكر ان يعرف ان النعمة اذا لم تشكر زالت كان الفضيل يقول عليكم بمداومة
الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت اليهم فصل في بيان اجتماع الصبر و
الشكر على وجه واحد لعلك تقول قد ذكرت ان لله تعالى في كل موجود نعمة وهذا يشير الى
ان البلاء لا وجود له اصلا فما معنى الصبر وان كان البلاء موجودا فما معنى الشكر على البلاء
وكيف يجتمع الصبر والشكر فان الصبر يستدعي الما والشكر يستدعي فرحا وهما متضادان
فاعلم ان البلاء موجود كما ان النعمة موجودة وانه ليس كل بلاء يومر بالصبر عليه مثل الكفر
فانه بلاء ولا معنى للصبر عليه وكذا المعاصي الا ان الكافر لا يعلم ان كفره بلاء فيكون كمن به علة

علة وهو لا يتالم بها بسبب غشية والعاصي يعرف عصيانه فعليه ترك المعصية وكل بلاء
يقدر الانسان على دفعه لا يومر بالصبر عليه فلو ترك شرب الماء مع العطش حتى عظم المه
لا يومر بالصبر على ذلك بل يومر بازالة الالم وانما يكون الصبر على الم ليس الى العبد ازالته فاذن يرجع
الصبر في الدنيا الى ما ليس ببلاء مطلق بجوز ان يكون نعمة من وجه فلذلك يتصور ان يجمع عليه
وظيفة الشكر ووظيفة الصبر فان الغنى مثلا يجوز ان يصير سبب هلاك الانسان حتى
يقصد قتله بسبب ماله والصحة ايضا كذلك فما نعمة من نعم الله الا ويجوز ان تصير بلاء
وقد يكون على العبد في بعض الامور بلاء وفيه نعمة مثال ذلك جهل الانسان باجله فانه
نعمة عليه اذ لو عرفه تنغص عليه العيش وطال بذلك غمه وكذلك جهله بما يضمره بعض
الناس له اذ لو اطلع عليه لطال المه وحقده وحسده واشتغاله بالانتقام وكذلك جهله
بالصفات المذمومة من غيره اذ لو عرفه منه ذلك ابغضه واذاه فكان ذلك وبالا عليه
ومن ذلك ابهام القيامة وليلة القدر وساعة الجمعة وكل ذلك نعمة لان الجهل يوفر
الدواعي على الطلب والاجتهاد فهذه وجوه نعم الله تعالى في الجهل فكيف في العلم وقد
قلنا ان لله سبحانه في كل موجود نعمة حتى ان الالام قد تكون نعمة في حق المتالم وتكون
نعمة في حق غيره كالم الكفار في النار في الاخرة فانه نعمة في حق اهل الجنة اذ لو لم يعذب
قوم ما عرف المتنعمون قدر نعيمهم وانما يتضاعف فرح اهل الجنة اذا تذكروا الم اهل
النار الا ترى ان اهل الدنيا لا يشتد فرحهم بنور الشمس مع شدة حاجتهم اليها من جهة
انها عامة مبذولة ولا بالنظر الى زينة السماء وهي احسن من كل انيق لانها عامة فلذلك
لم يشعروا بها ولم يفرحوا بسببها فاذن صح قولنا ان الله تعالى لم يخلق شيئا الا وفيه حكمة و
نعمة اما على جميع العباد او على بعضهم ففي خلق الله تعالى البلاء نعمة ايضا اما على المبتلى او على
غيره فيجتمع على العبد وظيفة الشكر والصبر في كل حالة لا توصف بانها بلاء مطلق ولا نعمة
مطلقة فان الانسان قد يفرح بالشيء الواحد من وجه ويغتم به من وجه فيكون الصبر من
حيث الاغتمام والشكر من حيث الفرح واعلم ان كل فقر ومرض وخوف وبلاء
في الدنيا خمسة اشياء ينبغي ان يفرح العاقل بها ويشكر عليها احدها ان كل مصيبة ومرض
يتصور ان يكون عليه اكثر منها لان مقدورات الله تعالى لا تتناهى فلو اضعفها الله عز
وجل على العبد ماذا كان يمنعه فليشكر اذ لم يكن اعظم الثاني ان المصيبة ان لم تكن في الدين

نغص الله عليه العيش
تنغيصا اي كدره صحاح

واذا لم يكن

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما ابتليت ببلاء الا كان لله تعالى علي فيه اربع نعم اذ لم يكن
في ديني اعظم واذ لم احرم الرضا به واذا رجو الثواب عليه قال رجل لسهل بن عبد الله دخل
اللص بيتي واخذ متاعي فقال اشكر الله تعالى لو دخل الشيطان قلبك فافسد ايمانك ماذا
كنت تصنع ومن استحق ان يضربك مائة سوط فاقتصر على عشرة فهو مستحق للشكر الثالث
ان ما من عقوبة الا كان يتصور ان توخر الى الاخرة ومصايب الدنيا يتسلى عنها فتخف و
مصيبة الاخرة دايمة وان لم تدم فلا سبيل الى تخفيفها ومن عجلت عقوبته في الدنيا لم يعاقب
ثانيا كذا ورد في الحديث عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفي صحيح مسلم ان كل ما يصاب به المسلم
يكون كفارة له حتى النكبة ينكبها والشوكة يشاكها الرابع ان هذه المصيبة كانت مكتوبة عليه
في ام الكتاب ولم يكن بد من وصولها اليه فقد وصلت واستراح منها فهي نعمة الخامس
ان ثوابها اكثر منها فان مصايب الدنيا طرق الى الاخرة كما يكون المنع من اسباب اللعب نعمة
في حق الصبي فانه لو خلي واللعب لكان يمنعه ذلك من العلم والادب فكان يخسر طول عمره
وكذلك المال والاهل والاقارب والاعضاء قد تكون سببا للهلاك فالملاحدة غدا يتمنون
ان لو كانوا مجانين او صبيانا ولم يتصرفوا بعقولهم في دين الله تعالى فما من شي من هذه
الاسباب يوجد من العبد الا ويتصور ان يكون له في ذلك خيرة دينية فعليه ان يحسن الظن
بالله عز وجل ويقدر الخيرة فيما اصابه ويشكر الله تعالى عليه فان حكمة الله تعالى واسعة و
هو اعلم بمصالح العباد منهم وغدا يشكره العباد على البلاء اذا راوا ثوابه كما يشكر الصبي بعد
البلوغ استاذه واباه على ضربه وتاديبه اذا راى ثمرة ما استفاد من التاديب والبلاء
تاديب من الله تعالى ولطفه بعباده اتم واوفى من عناية الاباء بالاولاد وفي الحديث لا
يقضي للمومن قضاء الا كان خيرا له وايضا فاعلم ان راس الخطايا المهلكة حب الدنيا
وراس اسباب النجاة التجافي بالقلب عنها ومواتاة النعم على وفق المراد من غير امتزاج
بلاء ومصيبة يورث طمانينة القلب الى الدنيا والانس بها فاذا كثرت المصايب انزعج
القلب عن الدنيا ولم يسكن اليها فصارت سجنا له فكانت نجاته منها غاية المراد كخلاص
المسجون من السجن واما التالم فهو ضروري وذلك يضاهي فرحك بمن يحجمك او يسقيك
دواء نافعا بلا اجر فانك تتالم وتفرح فتصبر على الالم وتشكر على سبب الفرح فمن عرف
هذا تصور منه ان يشكر على البلاء ومن لا يومن ان ثواب المصيبة اكثر منها لم يتصور منه الشكر على

على المصيبة وقد روي ان اعرابيا وقف على ابن عباس فقال ٭ اصبر نكن بك صابرين ٭
فانما صبر الرعية عند صبر الراس ٭ خير من العباس صبرك بعده ٭ والله خير منك للعباس ٭
فقال ابن عباس رضي الله عنهما ما عزاني احد احسن من تعزيته وقد سبق ذكر انواع البلاء
وثواب الصبر عليها فان قال قايل الاخبار الواردة في فضل الصبر تدل على ان البلاء في الدنيا
خير من النعم فهل لنا ان نسال الله عز وجل البلاء فالجواب انه لا وجه لذلك فان في الحديث من
رواية انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد رجلا من المسلمين قد صار مثل الفرخ فقال له
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هل كنت تدعو بشي او تساله قال نعم كنت اقول اللهم ما
كنت معاقبي به في الاخرة فعجله لي في الدنيا فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سبحان الله
لا تطيقه ولا تستطيعه فهلا قلت اللهم اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب
النار ومن حديث انس ايضا ان رجلا قال يا نبي الله اي الدعاء افضل قال سل الله
العفو والعافية في الدنيا والاخرة ثم اتاه الغد فقال يا رسول الله اي الدعاء افضل قال
سل الله العفو والعافية في الدنيا والاخرة ثم اتاه اليوم الثالث فقال سل العفو والعافية
في الدنيا والاخرة فاذا اعطيت العفو والعافية في الدنيا والاخرة فقد افلحت وفي
الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قال تعوذوا بالله من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء
القضاء وشماتة الاعداء فقال مطرف لان اعافى فاشكر احب الي من ان ابتلى فاصبر
فصل واختلف الناس هل الصبر افضل من الشكر او بالعكس وفي ذلك كلام طويل ذكره
المصنف وتلخيص القول ان لكل واحد من الصبر والشكر درجات فاقل درجات الصبر ترك الشكوى
مع الكراهة ووراها الرضاء وهو مقام وراء الصبر ووراء ذلك الشكر على البلاء وهو
وراء الرضاء ودرجات الشكر كثيرة فان حياء العبد من تتابع نعم الله عليه شكر ومعرفته
بتقصيره عن الشكر شكر والمعرفة بعظيم حلم الله وستره شكر والاعتراف بان النعم ابتداء
من الله بغير استحقاق شكر والعلم بان الشكر نعمة من نعم الله شكر وحسن التواضع في النعم
والتذلل فيها شكر وشكر الوسايط شكر لقوله صلى الله عليه وسلم لا يشكر الله من لا يشكر
الناس وقلة الاعتراض وحسن الادب بين يدي المنعم شكر وتلقي النعم بحسن القبول و
استعظام صغيرها شكر فما يندرج من الاعمال والاقوال تحت اسم الشكر والصبر لا ينحصر وهي
درجات مختلفة فكيف يمكن اجمال القول بتفضيل احدهما على الاخر لكن نقول اذا اضيف

الصبر الى الشكر الذي هو صرف المال الى الطاعة فالشكر افضل لانه تضمن الصبر ايضا وفيه فرح
بنعمة الله عز وجل وفيه احتمال الم في صرفه الى الفقراء وترك صرفه الى التنعم المباح فهو افضل
من الصبر بهذا الاعتبار واما اذا كان شكر المال لا يستعين به على معصية بل يصرفه الى التنعم
المباح فالصبر ههنا افضل من الشكر والفقير الصابر افضل من الممسك ماله الصارف له
في المباحات لان الفقير قد جاهد نفسه واحسن الصبر على بلاء الله تعالى وجميع ما ورد في تفضيل
اجر الصبر على الشكر انما اريد به هذه المرتبة على الخصوص لان السابق الى افهام الناس من
النعم الاموال والغنى بها والسابق الى الافهام من الشكر ان يقول الانسان الحمد لله فاذن الصبر
الذي يعتمده العامة افضل من هذا الشكر الذي يفهمونه ومتى لحظت المعنى الذي ذكرناه علمت
بان لكل واحد من القولين وجها في بعض الاحوال فرب فقير صابر افضل من غني شاكر كما ذكر
ورب غني شاكر افضل من فقير صابر وذلك هو الغني الذي يرى نفسه مثل الفقير الذي لا يمسك
لنفسه من المال الا قدر الضرورة ويصرف الباقي في الخيرات او يمسكه على اعتقاده انه خازن للمحتاجين
وانما ينتظر حاجة تسنح حتى يصرف اليها واذا صرفه لم يصرفه لطلب جاه ولا تقليد منة فهذا افضل
من الفقير الصابر والله سبحانه وتعالى اعلم **كتاب الرجاء والخوف** اعلم ان الرجاء والخوف
جناحان بهما يطير المقربون الى كل مقام محمود ومطيتان بهما يقطع من طريق الاخرة كل
عقبة كؤود ولا بد من بيان حقيقتهما وفضيلتهما وسببهما وما يتعلق بذلك ونحن نذكرهما في شطرين
الاول في الرجاء والثاني الخوف **اعلم** ان الرجاء من جملة مقامات السالكين واحوال الطالبين
وانما يسمى الوصف مقاما اذا ثبت واقام فان كان عارضا سريع الزوال يسمى حالا كما ان
الصفرة تنقسم الى ثابتة كصفرة الذهب والى سريعة كصفرة الوجل والى ما بينهما كصفرة
المرض وكذلك صفات القلب تنقسم الى هذه الاقسام وانما يسمى غير الثابت حالا لانه يحول
عن القلب واعلم ان كل ما يلاقيك من محبوب او مكروه ينقسم الى موجود في الحال والى موجود
فيما مضى يسمى وجدا وذوقا وادراكا والثاني يسمى ذكرا وان كان قد خطر ببالك شيء
في الاستقبال وغلب على قلبك سمي انتظارا او توقعا وان كان المنتظر محبوبا سمي رجاء
وان كان مكروها سمي خوفا فالرجاء هو ارتياح لانتظار ما هو محبوب عنده ولكن ذلك
المتوقع لا بد له من سبب حاصل فان لم يكن السبب معلوم الوجود ولا معلوم الانتفاء سمي
تمنيا لانه انتظار من غير سبب ولا يطلق اسم الرجاء والخوف الا على ما يتردد فيه فاما ما يقطع به

بذلك اذ لا يقال ارجو طلوع الشمس واخاف غروبها لان ذلك مقطوع به عند طلوعها و
غروبها ولكن يقال ارجو نزول المطر واخاف انقطاعه وقد علم ارباب القلوب ان الدنيا مزرعة
الاخرة والقلب كالارض والايمان كالبذر فيه والطاعات جارية مجرى تنقية الارض وتطهيرها
ومجرى حفر الانهار وسياقة الماء اليها وان القلب المستغرق بالدنيا كالارض السبخة التي لا
ينمو فيها البذر ويوم القيمة هو يوم الحصاد ولا يحصد احد الا ما زرع ولا ينمو الا زرع
من بذر الايمان وقل ان ينفع ايمان مع خبث القلب وسوء اخلاقه كما لا ينمو البذر في
الارض السبخة فينبغي ان يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع فكل من
طلب ارضا طيبة والقى فيها بذرا جيدا غير مسوس ولا عفن ثم ساق اليها الماء في اوقات
الحاجة ونقى الارض من الشوك والحشيش وما يفسد الزرع ثم جلس ينتظر من الله تعالى — فضل م
دفع الصواعق والافات المفسدة الى ان يتم الزرع ويبلغ غايته فهذا يسمى انتظاره رجاء
فاما ان بذر في ارض سبخة صلبة مرتفعة لا يصل اليها الماء ولم يتعاهدها اصلا ثم
انتظر الحصاد فهذا يسمى انتظاره حمقا وغرورا لا رجاء فان بث البذر في ارض طيبة
ولكن لا ماء لها واخذ ينتظر مياه الامطار سمي انتظاره تمنيا لا رجاء فاذن اسم الرجاء
انما يصدق على انتظار محبوب تمهدت اسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الا
ما ليس الى اختياره وهو فضل الله سبحانه بصرف الموانع المفسدات فالعبد اذا بث
بذر الايمان وسقاه ماء الطاعات وطهر القلب من شوك الاخلاق الردية وانتظر
من فضل الله تعالى تثبيته على ذلك الى الموت وحسن الخاتمة المفضية الى المغفرة كان انتظاره
لذلك رجاء محمودا باعثا على المواظبة على الطاعات الى الموت والقيام بمقتضى الايمان الى
الموت وان بذر الايمان تعهده بماء الطاعات او ترك القلب مشحونا برذايل الاخلاق — قطع م
وانهمك في طلب لذات الايمان ثم انتظر المغفرة كان ذلك حمقا وغرورا قال الله تعالى
فخلف من بعدهم خلف ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وذم القايل — ورثوا الكتاب صح
ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا **وروى** شداد بن اوس قال قال رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع
نفسه هواها وتمنى على الله عز وجل **وقال** معروف الكرخي رجاؤك لرحمة من لا تطيعه
خذلان وحمق ولذلك قال الله تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في

ببيل الله اولئك يرجون رحمة الله المعنى اولئك الذين يستحقون ان يرجوا ولم يردّ
تخصيص وجود الرجاء لان غيرهم ايضا قد يرجوا ذلك واعلم ان الرجاء محمود لانه باعث
على العمل واليأس مذموم لانه صارف عن العمل اذ من عرف ان الارض سبخة وان الماء
مغور وان البذر لا ينبت ترك تفقد الارض ولم يتعب في تعاهدها واما الخوف
فليس بضد الرجاء بل هو رفيق له كما سياتي انشاء الله تعالى وحال الرجاء يورث طريق المجاهدة
بالاعمال والمواظبة على الطاعات كيف ما تقلب الاحوال ومن اثاره التلذذ بدوام
الاقبال على الله عز وجل والتنعم بمناجاته والتلطف في التملق له فان هذه الاحوال لابد ان
يظهر على كل من يرجوا ملكا من الملوك او شخصا من الاشخاص فكيف لا يظهر ذلك في حق
الله سبحانه وتعالى فان لم يظهر استدل به على حرمان مقام الرجاء فمن رجا ان يكون مرادا
بالخير من غير هذه العلامات فهو مغرور فصل في فضيلة الرجاء روى في الصحيحين
من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال قال الله عز وجل انا عند
ظن عبدي بي وفي رواية اخرى فليظن ظانه ما شاء وفي حديث اخر من رواية مسلم
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله واوحى الله
تعالى الى داود عليه السلام احبني واحب من يحبني وحببني الى خلقي قال كيف احببك الى يا رب جم
خلقك قال اذكرني بالحسن الجميل واذكر آلائي واحساني وعن مجاهد قال يومر بالعبد
يوم القيمة الى النار فيقول ما كان هذا ظني فيقول ما كان ظنك فيقول ان تغفر لي فيقول خلوا
سبيله فصل في دواء الرجاء والسبب الذي يحصل به اعلم ان دواء الرجاء يحتاج اليه
رجلان اما رجل قد غلب عليه اليأس حتى ترك عليه العبادة واما رجل غلب عليه الخوف
حتى اضر بنفسه واهله فاما العاصي المغرور المتمني على الله مع الاعراض عن العبادة فلا
ينبغي ان يستعمل في حقه الا ادوية الخوف فان ادوية الرجاء تنقلب في حقه سموما كما ان
العسل شفاء لمن غلبت عليه البرودة مضر لمن غلبت عليه الحرارة ولهذا يجب ان يكون
واعظ الناس متلطفا ناظرا الى موضع العلل معالجا لكل علة بما يليق بها وهذا الزمان
لا ينبغي ان يستعمل فيه مع الخلق اسباب الرجاء بل المبالغة في التخويف وانما يذكر الواعظ فضيلة
اسباب الرجاء اذا كان مقصوده استمالة القلوب اليه لاصلاح المرض وقد قال النبي
صلى الله عليه وسلم انما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم مكر الله اذا عرفت

في هذا فاعلم ان من اسباب الرجاء ما هو بطريق الاعتبار ومنها
ما هو من طريق الاخبار اما الاعتبار فهو ان يتامل جميع ما ذكرناه من اصناف
النعم في كتاب الشكر فاذا علم لطايف الله بعباده في الدنيا وعجايب حكمته
التي يراها في فطرة الانسان وان لطفه الالهي لم يقصر عن عباده في
دقايق مصالحهم في الدنيا ولم يرض ان يفوتهم الزيادات في الرتبة فكيف
يرضى سياقتهم الى الهلاك المؤبد فان من لطف في الدنيا يلطف في الاخرى
لان مدبر الدارين واحد واما استقراء الايات والاخبار ففي ذلك
قوله سبحانه وتعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من
رحمة الله ان الله لا يغفر الذنوب جميعا وقال تعالى والملائكة يسبحون بحمد
ربهم ويستغفرون لمن في الارض واخبر تعالى انه اعد النار لاعدائه وانما
خوف بها اولياءه فقال لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك
يخوف الله به عباده وقال تعالى واتقوا النار التي اعدت للكافرين وقال
فانذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى وقال
تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ومن الاخبار ما روى ابو
سعد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان
ابليس قال لربه عز وجل بعزتك وجلالك لا ابرح اغوي بني ادم ما
دامت الارواح فيهم فقال عز وجل فبعزتي وجلالي لا ابرح اغفر لهم ما
استغفروني وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون
فيستغفرون فيغفر لهم رواه مسلم وفي الصحيحين من حديث عايشة
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال سددوا وقاربوا وابشروا فانه لن
يدخل احدا الجنة عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني
الله منه برحمة وفي الصحيحين من حديث ابي سعيد الخدري عن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم قال يقول الله عز وجل يوم القيمة يا ادم قم فابعث
بعث النار فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك يا رب وما بعث النار

قال من كل الف تسع مائة وتسعة وتسعون فحينئذ يشيب المولود وتضع كل
ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله
شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم وقالوا يا رسول الله
واينا ذلك الواحد فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ياجوج و
ماجوج تسع مائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد فقال الناس الله اكبر
فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والله اني لارجوا ان تكونوا ربع اهل الجنة
والله اني لارجوا ان تكونوا ثلث اهل الجنة والله اني لارجوا ان تكونوا نصف
اهل الجنة فكبر الناس فقال ما انتم يومئذ في الناس الا كالشعرة البيضا
في الثور الابيض فانظر كيف جاء بالتخويف فلما ازعج جاء باللطف ومنه
اطمانت القلوب الى الهوى فينبغي ان تزعج فاذا اشتد قلعها ينبغي ان تسكن
ليعتدل الامر وقال ابن مسعود ليغفرن الله عز وجل يوم القيمة مغفرة لم
تخطر على قلب بشر وروي ان مجوسيا استضاف ابرهيم الخليل عليه السلام
فلم يضفه وقال ان اسلمت ضفتك فاوحى الله تعالى اليه يا ابرهيم منذ سبعين
سنة اطعمه على كفره فسعى ابرهيم خلفه فرده واخبره بالحال فعجب من الله تعالى
فاسلم فهذه الاسباب التي تجلب بها روح الرجاء الى قلوب الخائفين و
الايسين فاما الحمقى المغرورون فلا ينبغي ان يسمعوا شيئا من ذلك بل يسمعون
ما سنورده في اسباب الخوف فان اكثر الناس لا يصلحون الا على ذلك كعبد
السوء الذي لا يستقيم الا بالعصا **الشطر الثاني من الكتاب في الخوف**
وحقيقته وبيان درجاته وغير ذلك واعلم ان الخوف عبارة عن تالم القلب
واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال مثال ذلك من جنى على ملك
جناية ثم وقع في يده فهو يخاف القتل ويجوز العفو ولكن يكون تالم قلبه بحسب
قوة علمه بالاسباب المفضية الى قتله وتفاحش جنايته وتاثيرها عند الملك
وبحسب ضعف الاسباب يضعف الخوف وقد يكون الخوف لا عن سبب جناية
بل عن صفة المخوف وعظمته وجلاله اذ قد علم ان الله سبحانه لو اهلك العالمين
لم يبال بهم لم يمنعه مانع فحجب معرفة الانسان بعيوب نفسه وبجلال الله تعالى واستغنا

الثور الاسود او كالشعرة السودا [illegible]

ئه وانه لا يسال عما يفعل يكون خوفه واخوف الناس اعرفهم بنفسه وبربه.
ولذلك قال النبي عليه السلام انا اعرفكم بالله واشدكم له خشية وقال تعالى انما
يخشى الله من عباده العلماء فاذا كملت المعرفة اثرت الخوف ففاض اثره
على القلب ثم ظهر على الجوارح والصفات بالنحول والاصفرار والبكاء والغشي
وقد يفضي الى الموت وقد يصعد الى الدماغ فيفسد العقل واما ظهور اثره
على الجوارح فبكفها عن المعاصي والزامها الطاعات تلافيا لما فرط واستعدادا
للمستقبل قال بعضهم من خاف ادلج وقال اخر ليس الخائف من بكا انما
الخائف من ترك ما يقدر عليه ومن ثمرات الخوف انه يقمع الشهوات و
يكدر اللذات فيصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروها عند
من يشتهيه اذا علم ان فيه سما فتحترق الشهوات بالخوف وتتادب
الجوارح ويذل القلب ويستكين ويفارقه الكبر والحقد والحسد ويصير
مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له
شغل الا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنة بالانفاس واللحظات
ومؤاخذة النفس في الخطرات والخطوات والكلمات ويكون حاله
كحال من وقع في مخالب سبع ضار لا يدري ايغفل عنه فيفلت او يهجم عليه
فيهلكه ولا شغل له الا ما وقع فيه بقوة المراقبة والمحاسبة بحسب قوة الخوف
وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله تعالى وصفاته وبعيوب النفس
وما بين يديها من الاخطار والاهوال واقل درجات الخوف ما يظهر اثره
في الاعمال ان يمنع من المحظورات فان منع مما يتطرق اليه امكان التحريم سمي
ورعا وان انضم اليه التجرد والاشتغال بذلك عن فضول العيش فهو الصدق
فصل اعلم ان الخوف سوط الله تعالى يسوق به عباده الى المواظبة على
العلم والعمل لينالوا بهما رتبة القرب من الله تعالى والخوف له افراط وله اعتدال
وله قصور والمحمود من ذلك الاعتدال وهو بمنزلة السوط للبهيمة فان الاصلح
للبهيمة ان لا تخلو عن سوط وليس المبالغة في الضرب بمحمود ولا المتقاصر من
الخوف ايضا بمحمود وهو الذي يخطر بالبال عند سماع اية او سبب هائل فيورث

البكاء فاذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب الى الغفلة فهو خوف
قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع وهو كالقضيب الضعيف الذي يضرب به دابة
قوية فلا يولمها الما مبرحا فلا يسوقها الى المقصد ولا يصلح لرياضتها وهذا هو
الغالب على الناس كلهم الا العارفين والعلماء اعني العلماء بالله وباياته وقد عز
وجودهم فاما المترسمون برسوم العلم فانهم ابعد الناس عن الخوف المفرط فهو
كالذي يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج الى الياس والقنوط فهو ايضا
مذموم لانه يمنع من العمل وقد يخرج الى المرض والوله والموت وليس ذلك
محمودا وكل ما يراد لامر فالمحمود منه ما يفضي الى المراد المقصود منه وما يقصر عنه
او يجاوزه فهو مذموم وفايدة الخوف الحذر والورع والتقوى والمجاهدة
والفكر والذكر والتعبد وساير الاسباب التي توصل الى الله تعالى وكل ذلك
يستدعي الحياة مع صحة البدن وسلامة العقل فاذا قدح في ذلك شي كان
مذموما فان قيل فما تقول فيمن مات من الخوف فالجواب انه ينال بموته
على تلك الحال مرتبة لا ينالها لو مات من غير خوف الا انه لو عاش وترقى
الى درجات العارف والمعاملة كان افضل فان افضل السعادة طول العمر
في طاعة الله تعالى فكل ما ابطل العمر او العقل او الصحة فهو نقصان وخسران

بيان اقسام الخوف اعلم ان مقامات الخايفين تختلف فمنهم من يغلب
على خوف الموت قبل التوبة ومنهم من يغلب عليه خوف الاستدراج بالنعم
او خوف الميل عن الاستقامة ومنهم من يغلب عليه خوف خاتمة السوء واعلا
من هذا خوف السابقة لان الخاتمة فرع السابقة والله تعالى يرفع من يشاء
من غير وسيلة ويضع من يشاء من غير وسيلة لا يسال عما يفعل وقد قال هولاء
في الجنة ولا ابالي وهولاء في النار ولا ابالي ومن اقسام الخايفين من يخاف سكرات
الموت وشدته او سوال منكر ونكير او عذاب القبر ومنهم من يخاف هيبة
الوقوف بين يدي الله تعالى والخوف من المناقشة والعبور على الصراط والخوف
من النار واهوالها او حرمان الجنة او الحجاب عن الله سبحانه وتعالى وكل هذه
الاسباب مكروهة في انفسها مخوفة فاعلاها خوف الحجاب عن الله تعالى وهو

قلبه ح

هو خوف العارفين وما قبل ذلك خوف الزاهدين والعابدين رحمهم الله
فصل في فضيلة الخوف والرجاء وما ينبغي ان يكون الغالب منهما فضيلة
كل شي بقدر اعانته على طلب السعادة وهي لقاء الله تعالى والقرب منه فكل
ما اعان على ذلك فهو فضيلة قال الله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقال
تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وفي الحديث عن النبي عليه السلام
انه قال اذا اقشعر جلد العبد من مخافة الله عز وجل تحاتت عنه ذنوبه كما تتحات
عن الشجرة اليابسة ورقها وفي حديث اخر لن يغضب الله على من كان
في قلبه مخافة وقال النبي عليه السلام قال الله عز وجل وعزتي وجلالي لا اجمع
على عبدي خوفين ولا اجمع له امنين ان امنني في الدنيا اخفته يوم القيمة
وان خافني في الدنيا امنته يوم القيمة وعن ابن عباس عن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم انه قال عينان لا تمسهما النار ابدا عين بكت من خشية الله
وعين باتت تحرس في سبيل الله **واعلم** ان قول القايل ايما افضل
الخوف والرجاء كقوله ايما افضل الخبز او الماء وجوابه ان يقال الخبز للجايع
افضل والماء للعطشان افضل فان اجتمعا نظر الى الاغلب فان استويا
فهما متساويين والخوف والرجاء دواءان تداوى بهما القلوب ففضلهما بحسب
الداء الموجود فان كان الغالب على القلب داء الامن من مكر الله فالخوف
افضل وكذلك ان كان الغالب على العبد المعصية وان كان الغالب عليه الياس
والقنوط فالرجاء افضل ويجوز ان يقال مطلقا الخوف افضل كما يقال الخبز
افضل من السكنجبين لان الخبز يعالج به مرض الجوع والسكنجبين يعالج به مرض
الصفراء ومرض الجوع اغلب واكثر فالحاجة الى الخبز اكثر فهو افضل بهذا
الاعتبار لان المعاصي والاغترار على الخلق اغلب وان نظرنا الى موضع الخوف
والرجاء فالرجاء افضل لان الرجاء يستقى من بحر الرحمة والخوف يستقى من
بحر الغضب واما المتقي فالافضل عنده اعتدال الخوف والرجاء ولذلك قيل لو
وزن خوف المومن ورجاوه لاعتدلا **قال** بعض السلف لو نودي ليدخل الجنة
كل الناس الا رجلا واحدا لخشيت ان اكون انا ذلك الرجل ولو نودي ليدخل

وقيل للفضيل بن عياض ما لنا لا نرى خايفا فقال لو كنتم خايفا لرايت الخايفين
ان الخايف لا يراه الا الخايفون وان الثكلى هي التي تحب ان ترى الثكلى
فسرى في باب الخوف

وقال يحيى بن معاذ مسكين ابن ادم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر
لدخل الجنة وقال شاه الكرماني علامة الخوف الحزن الدايم وقال ابو القسم
الحكيم من خاف من شي هرب منه ومن خاف الله هرب اليه
قسرى

النار كل الناس الا رجلا واحدا لرجوت ان اكون انا ذلك وهذا ينبغي ان
يكون مختصا بالمؤمن المتقي فان قيل كيف اعتدال الخوف والرجا في قلب المؤمن
وهو على قدم التقوى ينبغي ان يكون رجاؤه اقوى فالجواب ان المؤمن غير
متيقن صحة عمله فمثله مثل من بذر بذرا لم يجرب جنسه في ارض غريبة و
البذر الايمان وشروط صحته دقيقة والارض القلب وخفايا خبثه
وصفاته من النفاق وخبايا الاخلاق غامضة والصواعق اهوال
سكرات الموت وهناك تضطرب العقايد وكل هذا يوجب الخوف
عليه وكيف لا يخاف المؤمن وهذا عمر بن الخطاب يسال حذيفة هل انا من
المنافقين وانما خاف ان ابليس حال عليه ويشتبه عنه فالخوف المحمود
هو الذي يبعث على العمل ويزعج القلب عن الركون الى الدنيا واما عند نزول
الموت فالاصلح للانسان الرجاء لان الخوف كالسوط الباعث على العمل
وليس ثم عمل فلا يستفيد الخايف حينئذ الا تقطيع نياط قلبه والرجاء في
هذه الحال يقوي قلبه ويحبب اليه ربه فلا ينبغي لاحد ان يفارق الدنيا
الا محبا لله تعالى محبا للقايه حسن الظن به **قال** سليمان التيمي عند الموت
لمن حضره حدثني بالرخص لعلي القى الله وانا حسن الظن به **فصل**
في بيان الدواء الذي يستجلب به الخوف وذلك يحصل بطريقين احدهما
اعلى من الاخر مثاله ان الصبي الصغير اذا كان في بيت فدخل عليه سبع او حية
ربما لم يخف منه وربما مد يده الى الحية ليأخذها يلعب بها ولكن اذا كان
معه ابوه فهرب منها وخافها هرب الصبي وخاف موافقة لابيه فخوف الاب
عن معرفة وخوف الولد عن غير معرفة بل هو تقليد لابيه فاذا عرف هذا
فاعلم ان الخوف من الله على مقامين احدهما الخوف من عذابه وهذا خوف
عامة الخلق وهو حاصل بالايمان بالجنة والنار وكونهما جزاين على الطاعة
والمعصية ويضعف هذا الخوف بسبب ضعف الايمان او قوة الغفلة وزوال
الغفلة يحصل بالتذكر والتفكر في عذاب الاخرة ويزيد بالنظر الى الخايفين
ومجالستهم او سماع اخبارهم المقام الثاني الخوف من الله تعالى وهو خوف

ف العلماء العارفين قال الله تعالى ويحذركم الله نفسه وصفاته سبحانه تقتضي
الهيبة والخوف فهم يخافون البعد والحجاب قال ذو النون المصري خوف
النار عند خوف الفراق كقطرة في بحر ولعامة الناس حظ من الخوف
ولكن بمجرد التقليد فهو يضاهي خوف الصبي من الحية تقليدا لابيه فلذلك
يضعف فان العقايد التقليدية ضعيفة في الغالب الا اذا قويت بمشاهدة
اسبابها المولدة على الدوام ثم بالمواظبة على مقتضاها في تكثير الطاعات و
اجتناب المعاصي فاذا ارتقى العبد الى معرفة الله تعالى خاف بالضرورة و
لا يحتاج الى علاج يجلب الخوف الى قلبه بل يخاف بالضرورة ومن قصر
فسبيله ان يعالج نفسه بسماع الاخبار والاثار فيطالع احوال الخايفين
واقوالهم وينسب عقولهم ومناصبهم الى مناصب الراجين المغرورين فلا
يتمارى في ان الاقتداء بهم اولى لانهم الانبياء والعلماء والاولياء **وفي** صحيح
مسلم من حديث عايشة قالت دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنازة
غلام من الانصار فقلت يا رسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير
الجنة لم يدرك الشر ولم يعمله قال او غير ذلك يا عايشة ان الله عز وجل خلق
للجنة اهلا خلقهم لها وهم في اصلاب ابايهم **و**من اعجب ما ظاهره الرجاء
وخلق للنار اهلا خلقها لهم وهم في اصلاب اباهم صح
وهو شديد التخويف قوله تعالى واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا
ثم اهتدى فانه علق المغفرة على اربعة شروط يبعد تصحيحها ومن المخوفات
قوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر ثم ذكرها اربعة شروط بها يقع الخلاص
من الخسران وقال تعالى ولو شينا لاتينا كل نفس هداها ولكن حق القول
مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين ومعلوم انه لو كان الامر
مستانفا لامتدت الاطماع في التحيل فاما ما حق في القدم فلا يمكن تداركه
فليس الا التسليم ولولا ان الله تعالى لطف بعارفيه وروح قلوبهم بالرجاء
لاحترقت من نار الخوف **وقال** ابو الدرداء ما امن احد على ايمانه ان يسلبه
عند الموت الا سلبه ولما حضرت سفين الثوري الوفاة جعل يبكي فقال
له رجل يا ابا عبد الله اراك كثير الذنوب فرفع شيا من الارض وقال والله لذنوبي

اهون عندي من هذا ولكن اخاف ان اسلب الايمان قبل الموت وقال سهل
المريد يخاف ان يبتلي بالمعاصي والعارف يخاف ان يبتلي بالكفر ويروى ان
نبيا من الانبياء شكى الى الله تعالى الجوع والعري فاوحى الله عز وجل اليه عبدي اما
رضيت ان عصمت قلبك ان تكفرني حتى تسالني الدنيا فاخذ التراب فوضع على
راسه وقال بلى قد رضيت فاعصمني من الكفر فاذا كان هذا خوف العارفين من
سوء الخاتمة مع رسوخ اقدامهم فكيف لا يخاف ذلك الضعفاء ولسوء
الخاتمة اسباب تتقدم على الموت مثل البدعة والنفاق والكبر ونحو ذلك
مطلب سوء الخاتمة اسباب
من الاوصاف المذمومة ولذلك اشتد خوف السلف من النفاق قال بعضهم
لو اعلم اني بري من النفاق كان احب الي مما طلعت عليه الشمس ولم
يريدوا بذلك نفاق العقايد انما ارادوا نفاق الاعمال كما روي في الحديث
الصحيح اية المنافق ثلث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اوتمن
خان وسوء الخاتمة على رتبتين احداهما اعظم وهي ان يغلب على القلب
والعياذ بالله شك او جحود عند سكرات الموت واهواله فيقتضي ذلك
العذاب الدايم والثانية دونها وهي ان يتسخط الاقدار ويتكلم بالاعتراض
او يجور في وصيته او يموت مصرا على ذنب من الذنوب وقد روي ان
الشيطان لا يكون في حال اشد على ابن ادم من حال الموت يقول لاعوانه
دونكم هذا فانه ان فاتكم اليوم لم تلحقوه وقد روي عن النبي عليه السلام
انه كان يدعوا اللهم اني اعوذ بك ان يتخبطني الشيطان عند الموت قال
الخطابي وذلك ان يستولي على الانسان فيضله ويحول بينه وبين التوبة
مطلب الاسباب التي تفضي الى سوء الخاتمة
او يمنعه الخروج من مظلمة او يويسه من رحمة الله او يكره اليه الموت فلا يرضى
بقضاء الله عز وجل والاسباب التي تفضي الى سوء الخاتمة لا يمكن انحصارها
على التفصيل لكن يمكن الاشارة الى مجامع ذلك واما الختم على الشك والجحود
فسببه البدعة ومعناها ان يعتقد في ذات الله تعالى او صفاته او افعاله خلاف
الحق اما تقليدا او برايه الفاسد فاذا انكشف الغطاء عند الموت بان له بطلان
ما اعتقده فيظن ان جميع ما اعتقده هكذا لا اصل له ومن اعتقد في الله سبحانه وفي

صفاته اعتقادا مجملا على طريقة السلف من غير بحث ولا تنقير فهو بمعزل
عن هذا الخطر ان شاء الله تعالى واما الختم على المعاصي فسببه ضعف الايمان
في الاصل وذلك يورث الانهماك في المعاصي والمعاصي مطفية لنور الايمان
واذا ضعف الايمان ضعف حب الله تعالى فاذا جاءت سكرات الموت
ازداد ذلك ضعفا لاستشعاره فراق الدنيا فان السبب الذي يفضي
الى مثل هذه الخاتمة هو حب الدنيا والركون اليها مع ضعف الايمان الموجب
لضعف حب الله تعالى فمن وجد في قلبه حب الله اغلب من حب الدنيا فهو
ابعد من هذا الخطر وكل من مات على محبة الله تعالى قدم به قدوم العبد المحسن
المشتاق الى مولاه فلا يخفى ما يلقاه من الفرح والسرور بمجرد القدوم
فضلا على ما يستحقه من الاكرام ومن فارقه الروح في حال خطر بباله
الانكار على الله سبحانه في فعله او كان مصرا على مخالفته قدم على الله قدوم
من قدم به قهرا فلا يخفى ما يستحقه من النكال فمن اراد طريق السلامة
تزحزح عن اسباب الهلاك على ان العلم بتقليب القلوب وتغير الاحوال
يقلقل قلوب الخايفين وقد ورد في الصحيحين من حديث سهل ابن سعد
ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل بعمل اهل النار
وانه لمن اهل الجنة وان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة وانه لمن اهل النار وروى
ان العبد اذا عرج بروحه الى السماء قالت الملائكة سبحان الله نجا هذا العبد
من الشيطان يا ويحه كيف نجا واذا عرفت معنى سوء الخاتمة فاحذر اسبابها
واعد ما يصلح لها واياك والتسويف بالاستعداد فان العمر قصير وكل نفس
من انفاسك بمنزلة خاتمتك لانه يمكن ان تخطف فيه روحك والانسان
يموت على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه واعلم انه لا يتيسر لك
الاستعداد بما يصلح الا ان تقنع بما يقيمك وترفض طلب الفضول وسنورد
عليك من اخبار الخايفين ما نرجوا ان يزيل بعض القساوة من قلبك
فانك متحقق ان الانبياء والاولياء كانوا اعقل منك فتفكر في اشتداد خوفهم
لعلك تستعد لنفسك ذكر خوف الملائكة قال الله تعالى في صفتهم يخافون ربهم

من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وقد روينا عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
انه قال ان لله ملائكة ترعد فرايصهم من مخافته وذكر تمام الحديث وبلغنا
ان من حملة العرش من تسيل من عينه الانهار فاذا رفع راسه قال سبحانك
ما تخشى حق خشيتك فيقول لكن الذين يحلفون باسمى كاذبين لا يعلمون
ذلك وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما كان ليلة اسري
بي رايت جبرائيل عليه السلام كالحلس البالي من خشية الله تعالى وبلغنا ان جبريل
جا الى النبي عليه السلام وهو يبكي فقال له ما يبكيك قال ما جفت لي عين منذ
خلق الله جهنم مخافة ان اعصيه فيلقيني فيها وعن يزيد الرقاشي قال ان لله
تعالى ملائكة حول العرش تجري اعينهم مثل الانهار الى يوم القيمة يميدون
كانما تنفضهم الريح من خشية الله تعالى فيقول لهم الرب عز وجل يا ملائكتي
ما الذي يخيفكم وانتم عندي فيقولون يا رب لو ان اهل الارض اطلعوا
من عزتك وعظمتك على ما اطلعنا عليه ما اساغوا طعاما ولا شرابا
ولا انبسطوا في فرشهم ولخرجوا الى الصحاري يخورون كما تخور البقر وقال
محمد بن المنكدر لما خلقت النار طارت افئدة الملائكة من اماكنها فلما خلق
ادم عادت وروي انه لما ظهر من ابليس ما ظهر طفق جبريل وميكائيل يبكيان
فاوحى الله تعالى اليهما ما هذا البكاء قالا يا رب ما نامن مكرك فقال تعالى
هكذا فكونوا ذكر خوف الانبياء عليهم السلام قال وهب بكى ادم على الجنة
ثلثمائة عام وما رفع راسه الى السماء بعد ما اصاب الخطيئة وقال وهب
بن الورد لما عاتب الله نوحا في ابنه فقال اني اعظك ان تكون من الجاهلين
بكى ثلثمائة عام حتى صار تحت عينيه امثال الجداول من البكاء وقال ابو الدرداء
كان يسمع لصدر ابرهيم عليه السلام اذا قام الى الصلاة ازيز من بعد خوفا
من الله عز وجل وقال مجاهد لما اصاب داود الخطيئة خر لله ساجدا اربعين
يوما حتى نبت من دموع عينيه من البقل ما غطى راسه ثم نادى يا رب قرح
الجبين وجمدت العين وداود لم ترجع اليه في خطيئته شيء فنودي اجايع انت
فتطعم ام مريض فتشفى ام مظلوم فتنصر فنحب نحبا هاج كل شيء نبت فعند

كالحلس صح

رفع الصوت بالبكاء

فعند ذلك غفر له وقيل كان داود يعوده الناس يظنون انه مريض وما به
الا شدة الفرق من الله عز وجل وكان عيسى عليه السلام اذا ذكر الموت يقطر
جلده دما وبكى يحيى بن زكريا عليه السلام حتى بدت اضراسه فاتخذت
له امه قطعتين من لبود فالصقتهما بخديه ذكر خوف نبينا صلى الله عليه وسلم
عن عايشة قالت ما رايت قط رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا ضاحكا
حتى ارى لهواته انما كان يتبسم وكان اذا راى غيما او ريحا عرف ذلك في وجهه
فقلت يا رسول الله الناس اذا راوا الغيم فرحوا رجاء ان يكون فيه المطر واراك
اذا رايته عرفت الكراهة في وجهك فقال يا عايشة ما يؤمنني ان يكون فيه عذاب
قد عذب قوم بالريح وقد راى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا
اخرجاه في الصحيحين وكان صلى الله تعالى عليه وسلم لجوفه ازيز كازيز
المرجل من البكاء ذكر خوف اصحابه رضي الله عنهم روينا عن ابي بكر الصديق
رضي الله عنه انه كان يمسك لسانه ويقول هذا الذي اوردني الموارد
وقال يا ليتني كنت شجرة تعضد ثم توكل وكذلك قال طلحة وابو الدرداء
وابو ذر وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنهم يسمع الاية فيمرض فيعاد اياما
واخذ يوما تبنة من الارض فقال يا ليتني كنت هذه التبنة يا ليتني
لم اك شيئا مذكورا يا ليت امي لم تلدني وكان في وجهه خطان اسودان
من البكاء وقال عثمان وددت اني اذا مت لا ابعث وقال ابو عبيدة
ابن الجراح وددت اني كنت كبشا فذبحني اهلي فاكلوا لحمي وحسوا مرقي
وقال عمران بن حصين يا ليتني كنت رمادا تذروه الرياح وقال حذيفة
وددت ان لي انسانا يكون في مالي ثم اغلق علي بابي فلا يدخل علي احد حتى
الحق بالله عز وجل وكان مجرى الدموع في خد ابن عباس كالشراك البالي
وقالت عايشة يا ليتني كنت نسيا منسيا وقال علي رضي الله والله لقد
رايت اصحاب محمد عليه السلام فما ارى اليوم شيئا يشبههم لقد كانوا يصبحون
شعثا غبرا بين اعينهم امثال ركب المعزى قد باتوا سجدا وقياما يتلون
كتاب الله يراوحون بين جباههم واقدامهم فاذا اصبحوا فذكروا الله عز وجل

ما قد اكلها نبت الشجر في يوم الريح وهملت اعينهم حتى تبل ثيابهم والله لكان
القوم باتوا غافلين **ذكر خوف التابعين ومن بعدهم** قال هرم بن
حيان وددت والله اني شجرة اكلتني ناقة ثم قذفتني بعرا ولم اكابد الحساب
يوم القيمة اني اخاف الداهية الكبرى **و**كان علي بن الحسين اذا توضا
اصفر وتغير فيقال ما لك فيقول اتدرون بين يدي من اريد ان اقوم **و**كان
محمد بن واسع يبكي عامة الليل لا يكاد يفتر **و**كان عمر بن عبد العزيز اذا
ذكر الموت انتفض انتفاض الطير ويبكي حتى تجري دموعه على لحيته وبكا
عمر ليلة فبكا اهل الدار فلما تجلت عنهم العبرة قالت فاطمة بابي انت يا امير
المؤمنين مم بكيت فقال ذكرت منصرف القوم من بين يدي الله تعالى فريق
في الجنة وفريق في السعير ثم صرخ وغشي عليه ولما اراد المنصور بيت المقدس
نزل براهب كان ينزل به عمر بن عبد العزيز فقال له اخبرني باعجب ما رايت
من عمر فقال بات ليلة على سطح غرفتي هذه وهو من رخام فاذا انا بما
يقطر من الميزاب فصعدت فاذا هو ساجد واذا دموع عينيه تنحدر
من الميزاب **وقد** روينا عن عمر بن عبد العزيز وفتح الموصلي انهما بكيا الدم
وقال ابرهيم بن عيسى اليشكري دخلت على رجل بالبحرين قد اعتزل الناس
وتفرغ لنفسه فذاكرته شيا من امر الاخرة وذكر الموت فجعل يشهق حتى
خرجت نفسه **و**قال مسمع شهدت عبد الواحد بن زيد وهو يعظ فمات
يومئذ في ذلك المجلس اربعة انفس **و**كان يزيد بن مرثد يبكي كثيرا و
يقول والله لو تواعدني ان يسجنني في الحمام لكان حقيقا ان لا افتر من البكاء
فكيف وقد تواعدني ان يسجنني في النار ان انا عصيته **و**قال سري السقطي
اني لانظر كل يوم الى انفي مخافة ان يكون قد اسود وجهي فهذه مخاوف
الملائكة والانبياء والعلماء والاولياء فنحن احرى بالخوف منهم ولكن ليس
الخوف بكثرة الذنوب ولكن بصفاء القلوب وكمال المعرفة وانما امنا لغلبة
جهلنا وقوة قساوتنا فالقلب الصافي تحركه ادنى مخافة والقلب الجامد
ينبو عند كل المواعظ **قال** بعض السلف لراهب اوصني فقال ان استطعت

استطعت ان تكون بمنزلة رجل قد احتوشته السباع والهوام فهو خايف
حذر يخاف ان يغفل فتفترسه او يسهو فينهشه فهو مذعور فافعل قلت
زدني فقال الظمان يجزيه من الماء ايسره وما ذكره هذا الراهب من تقدير
شخص احتوشته السباع والهوام فهو حقيق في حق المؤمن فان من
نظر الى باطنه بنور بصيرته راه مشحونا بالسباع والهوام كالغضب و
الحقد والحسد والكبر والعجب والرياء وغير ذلك وكلهن ينهشنه ويفترسنه
ان سهى عنهن الا انه محجوب عن مشاهدتها فاذا انكشف الغطاء ووضع
في القبر عاينها متمثلة حيات وعقارب يلدغنه وانما هي صفاته الحاضرة
الان فمن اراد ان يقهرها قبل الموت ويقتلها والا فليوطن نفسه على لدغها
لصميم قلبه فضلا عن ظاهر بشرته والسلام اخر كتاب الخوف **كتاب
الزهد والفقر** اعلم ان حب الدنيا راس كل خطيئة وبغضها اساس
كل طاعة وقد سبق في ذم الدنيا في ربع المهلكات ونحن نذكر الان فضل
البغض لها والزهد فيها فانه راس المنجيات ومقاطعها اما ان يكون
بانزوائها عن العبد ويسمى ذلك فقرا واما بانزواء العبد عنها ويسمى ذلك
زهدا ولكل واحد منهما درجة في نيل السعادات وحظ في الاعانة على
الفوز والنجاة ونحن نذكر الفقر والزهد ودرجاتهما واقسامهما وما
يتعلق بهما في شطرين الشطر الاول من الكتاب في الفقر **اعلم** ان الفقير
الى الشي هو المحتاج اليه وكل موجود سوى الله تعالى فهو فقير لانه يحتاج
الى دوام الوجود وذلك مستفاد من فضل الله تعالى واما فقر العبد
بالاضافة الى اصناف حاجاته فلا يحصر ومن جملة حاجاته ما يتوصل اليه
بالمال ثم يتصور ان يكون له خمسة احوال عند فقره الاولى ان يكون بحيث
لو اتاه المال لكرهه وتاذى به وهرب من اخذه بغضا له واحترازا من
شره وشغله وصاحب هذه الحالة يسمى زاهدا الحالة الثانية ان يكون
بحيث لا يرغب فيه رغبة يفرح بحصوله ولا يكرهه كراهة يتاذى بها و
صاحب هذه الحالة يسمى راضيا الثالثة ان يكون وجود المال احب اليه من

عدم لرغبة له فيه ولكن لم يبلغ من رغبته ان ينهض لطلبه بل ان اتاه عفوا
صفوا اخذه وفرح به وان افتقر الى تعب في طلبه لم يشتغل به وصاحب هذه
الحالة يسمى قانعا الرابعة ان يكون تركه للطلب لعجزه فهو راغب فيه لو وجد
سبيلا الى طلبه بالتعب لطلبه وصاحب هذه الحالة يسمى الحريص الخامسة
ان يكون مضطرا الى ما فقده من المال كالجايع والعاري الفاقد للماكول و
الملبوس ويسمى هذه الحالة مضطرا كيف ما كانت رغبته في الطلب ضعيفة
او قوية واعلا هذه الخمس الحالة الاولى وهي الزهد ووراها حالة اخرى
اعلا منها وهي ان يستوي عنده وجود المال وعدمه فان وجده لم يفرح به
ولم يتاذ ان فقده فكذلك كما روينا عن عايشة انها جاها مال في
غرارتين ففرقته في يومها فقالت لها جاريتها اما استطعت ان تشتري
لنا ما قيمت لحما بدرهم نفطر عليه فقالت لو ذكرتيني لفعلت فمن
هذه حالة لو كانت الدنيا جذافيرها في يده لم تضره اذ هو يرى الاموال
في خزانة الله تعالى لا في يد نفسه وينبغي ان يسمى صاحب هذه الحالة
المستغني لانه غني عن فقد المال ووجوده جميعا ومتى كان الزاهد في الدنيا
لا يرغب في وجودها ولا عدمها فهو في غاية الكمال قال احمد بن ابي الحواري
لابي سليمان الداراني قال مالك بن دينار للمغيرة اذهب الى البيت فخذ
الركوة التي اهديتها لي فان الشيطان يوسوس لي ان اللص قد اخذها
فقال ابو سليمان هذا من الضعف هو قد زهد في الدنيا ما عليه من
اخذها فالهرب من المال والزهد فيه في حق الضعفا كمال فاما الانبياء
والاقوياء فسواء عليهم وجوده وعدمه وقد يظهر القوي النفار من
المال ليقتدي به الضعفاء في الترك والله اعلم فصل في فضيلة الفقر
وتفضيل الفقر على الغني اما الايات فقد قال الله تعالى في معرض المدح
في الفقر للفقراء الذين احصروا في سبيل الله الاية وقال للفقراء الذين
اخرجوا من ديارهم الاية واما الاخبار فكثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم
قمت على باب الجنة فاذا عامة من يدخلها الفقراء الا ان اصحاب الجد محبوسون

سون وذكر تمام الحديث وهو في الصحيحين وفيهما من حديث ابي هريرة
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال اللهم اجعل رزق ال محمد قوتا وفيهما
من حديث عايشة قالت ما شبع محمد منذ قدم المدينة من طعام البر ثلث
ليال تباعا حتى قبض وفي افراد مسلم من حديث عمر رضه قال لقد رايت
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يظل اليوم يلوي ما يجد دقلا يملا بطنه
وروي ابو هريرة عن النبي عليه السلام انه يدخل فقراء المومنين الجنة
قبل اغنيائهم بخمس مائة عام قال الترمذي حديث صحيح وقال صلى الله عليه وسلم
لعايشة اياك ومجالسة الاغنياء وقال يوتى بالعبد يوم القيمة فيعتذر
الله عز وجل اليه كما يعتذر الرجل الى الرجل في الدنيا فيقول وعزتي وجلالي
ما زويت الدنيا عنك لهوانك علي ولكن لما اعددت لك من الكرامة
اخرج يا عبدي الى هذه الصفوف فمن اطعمك او كساك يريد بذلك وجهي
فخذ بيده فهو لك وقيل لموسى عليه السلام اذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا
بشعار الصالحين واذا رايت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وقال
ابو الدرداء حساب ذي الدرهمين اشد حسابا من ذي الدرهم وكان الفقراء
يتقدمون في مجلس الثوري على الاغنياء وجاء رجل الى ابرهيم بن ادهم
بعشرة الاف فلم يقبلها وقال تريد ان امحو اسمي من ديوان الفقراء لا
افعل وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم طوبى لمن هدي الى الاسلام
وكان عيشه كفافا وقنع بما اتاه الله عز وجل وقد ذكرنا في القناعة وذم
الحرص والطمع في كتاب ذم المال ما يغني عن الاعادة ولا يقدر على ذلك
الا بعد قوة الصبر واما التفضيل بين الغني والفقر فظاهر النقل يدل على
تفضيل الفقر ولكن لا بد من تفصيل فنقول انما يتصور الشك والخلاف
في فقير صابر ليس بحريص بالاضافة الى غني شاكر ينفق ماله في الخيرات
او فقير حريص مع غني حريص اذ لا يخفى ان الفقير القانع افضل من الغني
الحريص الممسك وان الغني المنفق ماله في الخير افضل من الفقير الحريص فان
كان الغني متمتعا بالمال في المباحات فالفقير القنوع افضل منه وكشف الغطا

في هذا ان ما يراد لغيره ولا يراد لعينه ينبغي ان يضاف الى مقصوده اذ به يظهر
فضله والدنيا ليست محذورة لعينها بل لكونها عايقة عن الوصول الى الله تعالى
والفقر ليس مطلوبا لعينه ولكن لان فيه فقد العايق عن الله تعالى وعدم
التشاغل عنه وكم من غني لا يشغله الغنى عن الله تعالى كسليمان عليه السلام و
كذلك عثمان وعبد الرحمن بن عوف وكم من فقير شغله فقره عن المقصود
وصرفه عن حب الله تعالى والانس به وانما الشاغل له حب الدنيا اذ لا يجتمع
معه حب الله تعالى فان المحب للشيء مشغول به سواء كان في فراقه او في وصاله
بل قد يكون شغله في الفراق اكثر والدنيا مشغوفة الغافلين فالمحروم
منها مشغول بطلبها والقادر عليها مشغول بحفظها والتمتع بها وان اخذت
الامر باعتبار الاكثر فالفقير عن الخطر ابعد لان فتنة السراء اشد من فتنة
الضراء ومن العصمة ان لا تجد ولما كان ذلك طبع الادميين الا القليل منهم
جاء الشرع بذم الغنى وفضل الفقر وقد تقدم ما يدل على فضله ومن ذلك
ايضا ما روي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
التقا مومنان على باب الجنة مومن غني ومومن فقير كانا في الدنيا فادخل
الفقير الجنة وحبس الغني ما شاء الله تعالى ان يحبس ثم ادخل الجنة فلقيه
الفقير فقال اي اخي ماذا اجلسك والله لقد احتبست حتى خفت عليك
فقال اي اخي حبست بعدك محبسا فضيعا كريها وما وصلت اليك حتى
سال مني من العرق ما لو ورده الف بعير كلها اكلة حمض لصدرت عنه
دواء **و**اعلم ان فراق المحبوب شديد فاذا احببت الدنيا كرهت لقاء الله
تعالى فيكون قدومك بالموت على ما تكرهه وفراقك لما تحبه وكل من فارق
محبوبا كان اذاه في فراقه بقدر حبه له وانسه به فينبغي ان تحب من لا يفارقك
وهو الله تعالى ولا تحب الدنيا التي تفارقك **فصل** في اداب الفقير في فقره
ينبغي له ان لا يكون كارها لما ابتلاه الله به من الفقر وارفع من هذا ان
يكون راضيا فرحا ويكون متوكلا على الله سبحانه واثقا به ومتى عكس
الحال وكان يشكو الى الخلق ولا يشكر الله تعالى كان الفقر عقوبة في حقه فلا ينبغي له

اظهار الشكوى بل يظهر التعفف والتجمل قال الله تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء
من التعفف وينبغي للفقير ان لا يتواضع لغني لاجل غناه ولا يرغب في مجالسته
وينبغي له ايضا ان لا يفتر عن العبادة بسبب فقره ولا يمنع بذل ما فضل عنه
فان ذلك جهد المقل روى ابو ذر رضي قال قلت يا رسول الله اي الصدقة
افضل قال جهد من مقل الى فقير في السر **بيان ادابه** في قبول العطاء اذا
جاءه بغير سوال ينبغي له ان يلاحظ فيما جاءه ثلثة امور نفس المال وغرض
المعطي وغرضه في الاخذ اما نفس المال فينبغي ان يكون خاليا عن الشبهات
كلها فان كان فيه شبهة فليحترز عن اخذه وقد تقدم في كتاب الحلال والحرام
درجات الشبهة وما يجب اجتنابه وما يستحب **واما** غرض المعطي فلا
يخ اما ان يكون طلبا للمحبة وهو الهدية فلا باس بقبولها اذا لم تكن
رشوة ولم يكن فيها منة **الثاني** ان يكون غرض المعطي الثواب وهو الزكاة
والصدقة فعليه ان ينظر في صفات نفسه هل هو مستحق ام لا فان كان
اشتبه عليه فهو محل شبهة وان كان صدقة وكان المعطي انما يعطيه
لدينه فلينظر الى باطنه فان كان متقارفا المعصية في السر يعلم ان المعطي
لو علم بذلك لنفر طبعه ولما تقرب الى الله بالصدقة عليه لم ياخذه كما لو اعطاه
لظنه انه عالم فلم يكن **الثالث** ان يكون غرض المعطي الشهرة والريا و
السمعة فينبغي ان يرد عليه قصده الفاسد ولا ياخذه لانه اذا قبله يكون
معينا له على قصده الفاسد **و**اما غرضه في الاخذ فلينظر اهو محتاج اليه
او مستغن عنه فان كان مستغنيا عنه لم ياخذه وان كان محتاجا اليه و
قد سلم من الشبهة والافات التي ذكرناها فالافضل له الاخذ **لما** روى عن
عمر ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما جاءك من هذا المال وانت غير مشرف
ولا سائل فخذه وما لا فلا تتبعه نفسك اخرجاه في الصحيحين وفي حديث
اخر من جاءه من اخيه معروف من غير اشراف ولا مسالة فليقبله ولا يرده
فانما هو رزق ساقه الله اليه **فصل في بيان** تحريم السوال من غير
ضرورة واداب الفقير المضطر في السوال اعلم انه قد ورد في السوال احاديث

في النهي عنه وفي الترخيص فيه اما الترخيص فلقوله صلى الله تعالى عليه وسلم
للسائل حق وان جاء على فرسه وفي بعض الاحاديث ردوا السائل ولو بظلف
محرق ولو كان السؤال حراما لما جاز اعانة المعتدي على عدوانه والاعطاء
اعانة **و**اما احاديث النهي عن السؤال فروى ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم لا تزال المسئلة باحدكم حتى تلقى الله عز وجل وليس في وجهه
مزعة لحم اخرجاه في الصحيحين وفيهما ايضا انه صلى الله عليه وسلم ذكر التعفف
عن المسئلة فقال اليد العليا خير من اليد السفلى واليد العليا المعطية والسفلى
السائلة **وفي** حديث ابن مسعود انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال من سال
وله ما يغنيه جاءت مسالته يوم القيمة خدوشا او كدوحا في وجهه اه وهو
حديث حسن وفي المعنى احاديث كثيرة وكشف الغطاء في هذا ان نقول
السؤال في الاصل حرام لانه لا ينفك عن ثلاثة امور **احدها** اظهار الشكوى
والثاني اذلال نفسه وما ينبغي للمؤمن ان يذل نفسه **و**الثالث ايذاء
المسؤل غالبا وانما يباح السؤال في حال الضرورة اما المضطر فهو كسؤال
الجائع عند خوفه على نفسه موتا او مرضا وكسؤال العاري الذي ليس له ما
يواريه **و**اما المحتاج حاجة مهمة فهو كمن له جبة ولا قميص تحتها في الشتاء
فيتأذى بالبرد تأذيا لا ينتهي الى حد الضرورة وكذلك من يقدر على المشي
لكن بمشقة يجوز له ان يسال اجرة يكتري بها للركوب وتركه اولى ومن
وجد الخبز وهو محتاج الى الادم فله ان يسال مع الكراهة وكذلك اذا سال
الجمل من هو قادر على الراحلة وينبغي في مثل هذه المسالة ان يظهر
الشكر لله تعالى ولا يسال سؤال محتاج بل يقول انا مستغن بما املكه وانما
النفس تطالبني فيخرج بهذا عن حد الشكوى لله تعالى وينبغي ان يسال اباه
او قريبه او صديقه الذي لا ينقص بذلك في عينه او السخي الذي اعد
ماله للمكارم فيخرج بذلك من الذل وان اخذ ممن يعلم انه انما اعطاه حياء
لم يجز له الاخذ ويجب رده الى صاحبه ولا يجوز للفقير ان يسال الا مقدار
ما يحتاج اليه من بيت يكنه وثوب يستره وطعام يقيمه ويراعي في هذه

سنة الاشياء ما يدفع الزمان من غير تنوق في شيء من ذلك فان كان يعلم انه يجد
من يساله كل يوم لم يجز ان يسال اكثر من قوت يومه وليلته وان خاف ان لا يجد
من يعطيه او خاف ان يعجز عن السؤال ابيح له السؤال اكثر من ذلك ولا يجوز له
في الجملة ان يسال فوق ما يكفيه لسنته وعلى هذا يتنزل الحديث المروي في تقدير
الغنى بخمسين درهما فانه تكفي المنفرد المقتصد لسنته فاما ذو العيلة فلا **بيان**
احوال السائلين كان بشر الحافي يقول الفقراء ثلثة فقير لا يسال وان اعطي
لا ياخذ فهذا من الروحانيين وفقير لا يسال وان اعطي اخذ فذاك من اهل
حضرة القدس وفقير اذا احتاج سال وكفارة مسالته صدقه في السؤال
قال الشيخ جمال الدين قلت وفصل الخطاب انه متى قدر الفقير على دفع
الزمان من غير سؤال لم يجز له ان يسال فان كان يندفع على مضض نظرت فان
كان مثله يحتمل ولا يخاف منه التلف فالسؤال مباح وتركه فضيلة وان كان
مثله لا يحتمل وجب عليه ان يسال قال سفين الثوري من جاع فلم يسال حتى
مات دخل النار **الشطر الثاني من الكتاب في الزهد** وفيه بيان حقيقة
الزهد وفضيلته وذكر درجاته واقسامه ونحو ذلك اعلم ان الزهد في الدنيا
مقام شريف من مقامات السالكين والزهد عبارة عن انصراف الرغبة
عن الشيء الى ما هو خير منه وشرط المرغوب عنه ان يكون مرغوبا فيه بوجه
من الوجوه فمن رغب عن شيء ليس مرغوبا فيه ولا مطلوبا في نفسه لم يسم
زاهدا كمن ترك التراب لا يسمى زاهدا وقد جرت العادة بتخصيص اسم الزاهد
بمن ترك الدنيا ومن زهد في كل شيء سوى الله تعالى فهو الزاهد الكامل ومن
زهد في الدنيا مع رغبته في الجنة ونعيمها فهو ايضا زاهد ولكنه دون الاول
واعلم انه ليس من الزهد ترك المال وبذله على سبيل السخاء والقوة واستمالة
القلوب وانما الزهد ان يترك الدنيا للعلم بحقارتها بالنسبة الى نفاسة الاخرة
ومن عرف ان الدنيا كالثلج يذوب والاخرة كالدر يبقى قويت رغبته في
بيع هذه بهذه وقد دل على ذلك قوله تعالى قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن
اتقى وقوله ما عندكم ينفد وما عند الله باق ومن فضيلة الزهد قوله تعالى

ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه وقال
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه امره وفرق عليه
ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم ياته من الدنيا الا ما كتب له ومن اصبح وهمه
الاخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا
وهي راغمة وقال الحسن يحشر الناس عراة ما خلا اهل الزهد وقال ان
اقواما اكرموا الدنيا فصلبتهم على الخشب فاهينوها فاهنا ما تكون
اذا اهنتموها وقال الفضيل جعل الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب
الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا وكان بعض
السلف يقول الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن والرغبة فيها يكثر الهم
والحزن فصل في درجات الزهد واقسامه من الناس من يزهد في
الدنيا وهو لها مشتهي ولكنه جاهد نفسه وهذا يسمى المتزهد وهو
مبدا الزهد الدرجة الثانية ان يزهد فيها طوعا لا يكلف نفسه ذلك
لكنه يرى زهده ويلتفت اليه فيكاد يعجب بنفسه ويرى انه قد ترك شيا له
قدر ظاهرا اعظم قدرا منه كمن يترك درهما لاخذ درهمين وهذا ايضا
نقصان الدرجة الثالثة وهي العليا ان يزهد طوعا ويزهد في زهده فلا يرى
انه ترك شيا لانه عرف ان الدنيا ليست بشيء فيكون كمن ترك خزفة واخذ
جوهرة ولا يرى ذلك معاوضة فان الدنيا بالاضافة الى نعيم الاخرة في
الزهد واعلم ان مثل من ترك الدنيا مثل من منعه عن باب الملك كلب
على بابه فالقى اليه لقمة من خبز فشغله بذلك ودخل فقرب من الملك افتراه
يرى لنفسه يدا عند الملك بلقمة القاها الى كلبه في مقابلة ما قد ناله فالشيطان
كلب على باب الله عز وجل يمنع الناس من الدخول مع ان الباب مفتوح و
الحجاب مرفوع والدنيا كلقمة فمن تركها لينال عز الملك فكيف يلتفت اليها
ثم ان نسبتها اعني ما سلم لكل شخص منها ولو عمر الف سنة بالاضافة الى نعيم
الاخرة اقل من لقمة بالاضافة الى ملك الدنيا لان الفاني لا نسبة له الى الباقي
كيف ومدة العمر قصيرة ولذات الدنيا مكدرة واما اقسام الزهد بالاضافة

فة الى المرغوب فيه فعلى ثلث درجات احدها الزهد للنجاة من العذاب والعقاب
والاهوال التي بين يدي الادمي وهذا زهد الخائفين الدرجة الثانية الزهد
للرغبة في الثواب والنعيم الموعود به وهذا زهد الراجين فان هولا تركوا
نعيما لنعيم الدرجة الثالثة وهي العليا وهو ان لا يزهد في الدنيا للتخلص من
الالام ولا للرغبة في نيل اللذات بل لطلب لقاء الله تعالى وهذا زهد المحبين
العارفين فان لذة النظر الى الله سبحانه وتعالى بالاضافة الى لذات الجنة كلذة
ملك الدنيا والاستيلاء عليها بالاضافة الى لذة الاستيلاء على عصفور واللعب به
فصل في بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة والضروريات
المهمات سبعة اشياء المطعم والملبس والمسكن واثاثه والمنكح والمال و
الجاه فاما الاول وهو المطعم فاعلم ان همة الزاهد منه ما يدفع به الجوع بما
يوافق بدنه من غير قصد الالتذاذ وفي الحديث ان عباد الله ليسوا بالمتنعمين
وقالت عائشة لعروة كان يمر بنا هلال وهلال وهلال ما يوقد في بيت من
بيوت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نار قال قلت يا خالة فعلى اي شيء كنتم
تعيشون قالت على الاسودين الماء والتمر والاحاديث في ذلك كثيرة مشهورة
وقد كان كثير من الزهاد يخشنون المطعم وكان فيهم من لا يطيق ذلك فكان
الثوري حسن المطعم وربما حمل في سفرته اللحم والمشوي والفالوذج وفي الجملة
فالزاهد يقصد ما يصلح به بدنه ولا يزيد في الشبع الا ان الابدان تختلف
فيما لا يحمل التخشن وقد يدخر بعض الناس الزاد الحلال بقوته فلا يخرجه
ذلك من الزهد فقد كان السبتي يعمل من السبت الى السبت ويتقوته وورث
داود الطائي عشرين دينارا فانفقها في عشرين سنة الثاني الملبس فالزاهد
يقتصر فيه على ما يدفع الحر والبرد ويستر العورة ولا باس ان يكون فيه نوع
تجمل لئلا يخرجه التقشف الى الشهرة وكان اكثر لباس السلف خشنا فصار
لبس الخشن شهرة وقد روي عن ابي بردة قالت اخرجت الينا عائشة
كساء ملبدا وازارا غليظا وقالت قبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
في هاذين اخرجاه في الصحيحين وعن الحسن قال خطب عمر وهو خليفة وعليه

والتقشف ان لا يتعهد
الرجل نفسه بمائة

ازار فيه ثنا عشر رقعة الثالث المسكن فللزهاد فيه ثلث درجات اعلاها
ان لا يطلب موضعا خاصا لنفسه بل يقنع بزوايا المساجد كاصحاب الصفة و
اوسطها ان يطلب موضعا خاصا لنفسه مثل كوخ من سعف او خص و
ما اشبه ذلك وادناها ان يطلب حجرة مبنية ومتى طلب السعة وعلو الشقف
فقد جاوز حد الزهد في المسكن وقد توفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ولم يضع لبنة على لبنة قال الحسن كنت اذا دخلت بيوت رسول الله
صلى الله عليه وسلم نلت السقف وفي الحديث ان الرجل ليوجر في نفقته كلها
الا في التراب وقال ابرهيم النخعي اذا كان البنيان كفافا فلا اجر ولا وزر
وفي الجملة ان كل ما يراد للضرورة فلا ينبغي ان يجاوز حد الزهد الرابع اثاث
البيت فينبغي للزاهد ان يقتصر فيه على الخزف ويستعمل الشي الاناء الواحد
في المقاصد فياكل في القصعة ويشرب فيها ومن خرج الى كثرة العدد
في الالة او في نفاسة الجنس خرج عن الزهد ولينظر الى سيرة رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ففي صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب قال دخلت على
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مضطجع على حصير والحصير قد اثر في جنبه
فنظرت في خزانة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا انا بقبضة من شعير نحو
الصاع وفي رواية البخاري فوالله ما رايت شيا يرد البصر والحديث مشهور
في صحيح مسلم وقال علي تزوجت فاطمة رضي الله تعالى عنها ومالي ولها فراش
الا جلد كبش كنا ننام عليها الليل ونعلف عليه الناضح بالنهار ومالي خادم غيرها
ولقد كانت تجر وان قبضتها التصب حرف الجفنة من الجهد الذي نها ودخل
رجل على ابي ذر فجعل يقلب بصره في بيته فقال يا ابا ذر ما الذي في بيتك
متاعا ولا اثاثا فقال ان لنا بيوتا نوجه اليه صالح متاعنا فقال انه لا بد لك
من متاع ما دمت ها هنا فقال ان صاحب المنزل لا يدعنا فيه الخامس النكاح
لا معنى للزهد في اصل النكاح ولا في كثرته قال سهل بن عبد الله حبب الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم النسا وكان علي رضي الله عنه من ازهد الصحابة وكان له
اربع نسوة وبضع عشرة سرية وكان ابو سليمن الداراني يقول كلما شغلك عن

الله من اهل ومال وولد فهو مشوم وكشف الغطا في هذا ان تقول من غلبت
عليه شهوته وخاف على نفسه تعين عليه النكاح فاما من لا يخاف فهل النكاح
في حقه افضل او التعبد فيه اختلاف بين العلماء والناس يختلفون منهم من
يقصد النكاح لطلب النسل ويمكنه الكسب الحلال للعايلة فلا يقدح في دينه
ولا يتشتت قلبه بل يجمع النكاح همه ويكف بصره ويرد فكره فهذا غاية
في الفضيلة وعليه يحمل حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وحال علي ومن
جرى مجراهما ولا التفات الى قول من يرى الزهد بترك الالتذاذ بالنكاح
فان ذلك يقع ضمنا وتبعا للمقصود وقد كان بعض السلف يختار المراة
الدون على الجميلة وذلك محمول على ان تلك تكون الى الدين اميل والنفقة
عليها اقل والاهتمام بامرها يسير بخلاف المستحسنة فانها تشتت القلب
وتشغله وتريد زيادة في النفقة وربما لم يكن وقد قال مالك بن دينار
يعمد احدهم فيتزوج ديباجة الحي فتقول اريد مرطا فيمرط دينه السادس
المال وهو ضروري في المعيشة فالزاهد يقتصر منه على ما يدفع به الوقت
وكان في الصالحين من يتشاغل بالتجارة ويقصد بها العفاف وكان حماد
بن سلمة اذا فتح حانوته وكسب حبتين قام وكان سعيد بن المسيب يتجر
في الزيت وخلف اربعماية دينار وقال تركتها لاصون بها عرضي وديني
السابع الجاه ولا بد للانسان من جاه حتى في قلب خادمه واشتغال الزاهد
بالزهد يمهد له الجاه في القلوب فينبغي ان يحذر من شر ذلك وفي الجملة فان
الحوايج الضرورية ليست من الدنيا وكان كثير من السلف يعرض لهم بالمال
الحلال فيقولون لا ناخذه نخاف ان تفسد علينا ديننا فصل في بيان
علامات الزهد قد تظن ان تارك المال زاهد وليس كذلك فان ترك
المال واظهار التخشن سهل على من احب المدح بالزهد فكم من راهب قد
لازم الدير وقلل المطعم وقواه على ذلك حب المحمدة كما سبق ذكره في كتاب
الريا ولا بد من الزهد في فضول المال والجاه جميعا حتى يكمل الزهد في حظوظ
النفس فاول معرفة الزهد مشكل وقد قال ابن المبارك افضل الزهد اخفا الزهد

الكوخ بيت من قصب بلا كوة صحاح

الشقف الخزف المكسر صحاح جوهري

الشيء ما بين العرش ... بكسر الياء وبعض ... بفتحها ... صحاح

وينبغى ان تعول فى هذا على ثلث علامات الاولى ان لا يفرح بموجود ولا يحزن
على مفقود كما قال تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم وهذا علامة
الزهد فى الثانى ان يستوى عنده ذامه ومادحه وهذه علامة الزهد فى المال جـ
الجاه الثالث ان يكون انسه بالله تعالى والغالب على قلبه حلاوة الطاعة
فاما محبة الدنيا ومحبة الله تعالى فهما فى القلب كالماء والهواء فى القدح اذا دخل
الماء خرج الهواء فلا يجتمعان قيل لبعضهم الى ما افضى بهم الزهد قال الى الانس بالله
قال يحيى بن معاذ الدنيا كالعروس ومن يطلبها ماشطتها والزاهد يشخم
وجهها وينتف شعرها ويخرق ثوبها والعارف مشتغل بالله تعالى عنها فهذا
ما اوردنا ذكره من حقيقة الزهد واحكامه واذا كان الزهد لا يتم الا بالتوكل
فلنشرع فى بيانه انشاء الله تعالى

كتاب التوحيد والتوكل

بيان فضيلة
التوكل قال الله تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون وقال ومن يتوكل على الله فهو
حسبه وفى الحديث ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر انه يدخل الجنة من امته
سبعون الفا لا حساب عليهم ثم قال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون
وعلى ربهم يتوكلون اخرجاه فى الصحيحين وعن عمر بن الخطاب قال سمعت
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لو انكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم
كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وكان من دعاء النبى عليه السلام
اللهم انى اسألك التوفيق لمحابك من الاعمال وصدق التوكل عليك وحسن
الظن بك والتوكل يبنى على التوحيد والتوحيد طبقات منها ان يصدق
القلب بالوحدانية المترجم عنها قولك لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد وهو على كل شئ قدير فتصدق بهذا اللفظ لكن من غير معرفة دليل فهو
اعتقاد العامة الثانية ان يرى الاشياء المختلفة فيراها صادرة عن الواحد
وهذا مقام المقربين الثالثة ان الانسان اذا انكشف عن بصيرته ان لا فاعل
سوى الله لم ينظر الى غيره بل يكون منه الخوف وله الرجاء والثقة وعليه التوكل
لانه فى الحقيقة هو الفاعل وحده سبحانه والكل مسخرون له فلا يعتمد على المطر
فى خروج الزرع ولا على الغيم فى نزول المطر ولا على الريح فى سير السفينة فان

الاعتماد على ذلك جهل بحقايق الامور ومن انكشفت له الحقايق علم
ان الريح لا تتحرك بنفسها ولا بد لها من محرك فالتفات العبد فى النجاة
الى الريح يضاهى التفات من اخذ لتضرب عنقه فوقع له الملك بالعفو عنه
فاخذ يشتغل بذكر الحبر والكاغد والقلم الذى كتب به التوقيع ويقول
لولا هذا القلم ما تخلصت فيرى نجاته من القلم لا من محرك القلم وهذا
غاية الجهل ومن علم ان القلم لا حكم له فى نفسه شكر الكاتب دون القلم
وكل المخلوقات فى قهر تسخير الخالق ابلغ من القلم فى يد الكاتب فسبحان
مسبب الاسباب الفعال لما يريد

فصل فى بيان احوال التوكل واعماله

وحده ونحو ذلك اعلم ان التوكل ماخوذ من الوكالة يقال وكل فلان امره
الى فلان اى فوض امره اليه واعتمد عليه فالتوكل عبارة عن اعتماد
القلب على الموكل ولا يتوكل الانسان على غيره الا اذا اعتقد فيه اشياء
الشفقة والقوة والهداية فاذا عرفت هذا فقس عليه التوكل على الله
سبحانه واذا ثبتت فى نفسك انه لا فاعل سواه واعتقدت مع ذلك انه
تام العلم والقدرة والرحمة وانه ليس وراء قدرته قدرة ولا وراء علمه
علم ولا وراء رحمته رحمة اتكل قلبك عليه وحده لا محالة ولم تلتفت الى غيره
بوجه فان كنت لا تجد هذه الحالة من نفسك فسببه احد امرين اما ضعف
اليقين باحد هذه الخصال واما ضعف القلب باستيلاء الجبن عليه
وانزعاجه بسبب الاوهام الغالبة عليه فان القلب قد ينزعج بتبعا الوهم
وطاعته له من غير نقصان فى اليقين فانه من كان يتناول عسلا فشبه
بين يديه بالعذرة وربما تنفر طبعه منه وتعذر عليه تناوله ولو كلف
العاقل ان يبيت مع الميت فى قبر واحد او فراش او بيت لنفر طبعه من ذلك
وان كان متيقنا كونه ميتا جمادا فى الحال ولا ينفر طبعه عن ساير الجمادات
وذلك جبن فى القلب وهو نوع ضعف قلما يخلو الانسان منه وقد يقوى
حتى يصير مرضا حتى يخاف ان يبيت فى البيت وحده مع غلق الباب واحكامه
فاذا لا يتم التوكل الا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا فاذا انكشف لك معنى

التوكل وعلمت الحالة التي تسمى توكلا فاعلم ان تلك الحالة لها في القوة و
الضعف ثلث درجات الاولى ما ذكرناه وهو ان يكون حاله في حق الله تعالى
الثقة بكفالته وعنايته كحاله في الثقة بالوكيل الدرجة الثانية وهي اقوى
ان يكون حاله مع الله تعالى كحال الطفل مع امه فانه لا يعرف غيرها و لا
يفزع الى سواها ولا يعتمد الا اياها وان نابه امر كان اول خاطر يخطر
على قلبه واول سابق الى لسانه يا اماه فمن كان تالهه الى الله ونظره اليه
واعتماده عليه كلف به كما يكلف الصبي بامه فيكون متوكلا حقا والفرق
بين هذا وبين الاول ان هذا متوكل قد فني في توكله عن توكله اذ لا يلتفت
الى غير المتوكل عليه ولا مجال في قلبه لغيره واما الاول فهو متوكل بالتكلف
والكسب وليس فانيا عن توكله بل له التفات اليه وذلك شغل صارف
عن ملاحظة المتوكل عليه وحده الدرجة الثالثة وهي اعلاها ان يكون
بين يدي الله تعالى مثل الميت بين يدي الغاسل لا يفارقه الا انه لا يرى
نفسه ميتا وهذا يفارق الصبي مع امه فانه يفزع الى امه ويصيح ويتعلق
بذيلها وهذه الاحوال توجد في الخلق الا ان الدوام يبعد لا سيما المقام
الثالث فصل في بيان اعمال المتوكلين قد يظن بعض الناس ان معنى
التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الارض
كالخرقة وكلحم على وضم وهذا ظن الجهال فان ذلك حرام في الشرع والشرع
قد اثنى على المتوكلين وانما يظهر تاثير التوكل في حركة العبد وسعيه الى مقاصده
وسعي العبد اما ان يكون لجلب نفع مفقود كالكسب او لحفظ موجود
كالادخار واما لدفع ضرر لم ينزل كدفع الصايل او لازالة ضرر قد نزل
كالتداوي من المرض فحركات العبد لا تعدو هذه الفنون الاربعة الفن
الاول في جلب النافع فنقول الاسباب التي بها تجلب المنافع على ثلث
درجات احدها سبب مقطوع به كالاسباب ارتبطت بها المسببات
بتقدير الله تعالى ومشيته ارتباطا مطردا لا يتخلف مثاله ان يكون الطعام
بين يديك وانت جايع فلا تمد يدك اليه وتقول انا متوكل وشرط التوكل

التوكل ترك السعي ومد اليد الى الطعام سعي وكذلك مضغه وابتلاعه
فهذا جنون محض وليس من التوكل في شيء فانك اذا انتظرت ان يخلق
الله فيك شبعا دون اكل الطعام او يخلق في الطعام حركة اليك او يسخر
ملكا ليمضغه ويوصله الى معدتك فقد جهلت سنة الله تعالى وكذلك لو لم
تزرع وطمعت ان يخلق الله تعالى نباتا من غير بذر او تلد الزوجة من غير
وقاع فكل ذلك جنون وليس التوكل في هذا المقام بترك العمل بل التوكل
فيه بالعلم والحال اما العلم فهو ان تعلم ان الله تعالى خلق الطعام واليد والاسباب
وقوة الحركة وانه الذي يطعمك ويسقيك واما الحال فهو ان يكون قلبك
واعتمادك على فضل الله تعالى لا على اليد والطعام لانه ربما جفت يدك و
بطلت حركتك وربما سلط الله عليك من يغلبك على الطعام فمد اليد
الى الطعام لا ينافي التوكل الدرجة الثانية الاسباب التي ليست متيقنة
لكن الغالب ان المسببات لا تحصل دونها مثاله من يفارق الامصار ويخرج
مسافرا الى البوادي التي لا يطرقها الناس الا نادرا ولا يستصحب معه شيئا من
الزاد فهذا كالمجرب على الله تعالى وفعله منهي عنه وحمل الزاد مامور به فان
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما سافر تزود واستاجر دليلا الى المدينة
الدرجة الثالثة ملابسة الاسباب التي يتوهم افضاؤها الى المسببات
من غير ثقة ظاهرة كالذي يستقصي في التدبيرات الدقيقة في تفصيل
الاكتساب ووجوهه فمن كان قصده صحيحا وفعله لا يخرج عن الشرع
لم يخرج عن التوكل لكنه ربما دخل في اهل الحرص اذا طلب فضول العيش
وترك التكسب ليس من التوكل في شيء انما هو من فعل البطالين الذين
اثروا الراحة وتعللوا بالتوكل قال عمر رضي الله عنه المتوكل الذي يلقي حبه
في الارض ويتوكل على الله الفن الثاني في التعرض للاسباب بالادخار
ومن وجد قوتا حلالا يشغله كسب مثله عن جمع همه فادخاره اياه لا يخرجه
عن التوكل خصوصا اذا كان له عايلة وفي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يبيع نخل بني النضير ويحبس لاهله قوت

سترهم فان قيل قد نهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بلالا ان يدخر فالجواب
ان الفقراء كانوا عنده كالضيف فما كان ينبغي له ان يدخر فيحوجون **الفن الثالث**
مباشرة الاسباب الدافعة للضرر ليس من شرط التوكل ترك الاسباب الدافعة
للضرر ولا يجوز النوم في الارض المسبعة او مجرى السيل او تحت الجدار الخراب
فكل ذلك منهي عنه وكذلك لا ينقص التوكل لبس الدرع واجافة الباب
وشد البعير بالعقال قال الله تعالى وليأخذوا اسلحتهم **و**جاء رجل الى النبي
عليه السلام فقال يا رسول الله اعقلها واتوكل او اطلقها واتوكل قال
اعقلها وتوكل ويتوكل في ذلك كله على المسبب لا على السبب ويكون راضيا
بكل ما يقضي الله عليه ومتى عرض له اذا سرق متاعه انه لو احترز لم يسرق
او اخذ يشكو ما جرى عليه فقد بان بعده عن التوكل وليعلم ان القدر له كالطبيب
فان قدم اليه الطعام فرح وقال لولا انه علم ان الغذاء ينفعني ما قدمه وان
منعه فرح وقال لولا انه علم ان الغذاء يوذيني لما منعني **و**اعلم ان كل من لا يعتقد
في لطف الله تعالى ما يعتقده المريض في الطبيب الحاذق الشفيق لم يصح توكله
فان سرق متاعه رضي بالقضاء واصل الاخذ شفقة على المسلمين فقد
شكى بعض الناس الى بعض العلماء قطع عليه الطريق واخذ ماله فقال ان
لم يكن غمك كيف صار في المسلمين من يفعل هذا اكثر من غمك بمالك فما
نصحت المسلمين **الفن الرابع** السعي في ازالة الضرر كمداواة المريض و
نحو ذلك اعلم ان الاسباب المزيلة للمرض تنقسم الى ثلثة اقسام الى مقطوع
به كالماء المزيل لضرر العطش والخبز المزيل لضرر الجوع فهذا القسم ليس تركه
من التوكل في شيء **القسم الثاني** ان يكون مظنونا كالفصد والحجامة و
شرب المسهل ونحو ذلك فهذا لا يناقض التوكل فان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد تداوى وامر بالتداوي وقد تداوى خلق كثير من المسلمين وامتنع
منه اقوام توكلا كما روي عن ابي بكر الصديق انه قيل له الا ندعو لك طبيبا
فقال راني الطبيب قيل فما قال لك قال قال اني فعال لما اريد **قال المصنف** رحمه
والذي نصره ان التداوي افضل ونحمل حال ابي بكر على انه قد تداوى ثم امسك

امسك بعد انتفاعه بالدواء او يكون قد علم قرب اجله باشارات واعلم
ان للادوية اسباب مسخرة باذن الله تعالى **القسم الثالث** ان يكون السبب
موهوما كالكي فيخرج عن التوكل لان النبي عليه السلام وصف المتوكلين بانهم
لا يكتوون **و**قد حمل بعض العلماء الكي المذكور في قوله لا يكتوون على ما كانوا
يفعلونه في الجاهلية فانهم كانوا يكتوون ويسترقون من زمن العافية لئلا
يمرضوا فان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرقي ويعلم الرقية بعد نزول
المرض وقد كوى اسعد بن زرارة **واما** شكوى المريض فهي مخرجة من
التوكل وقد كانوا يكرهون انين المريض لانه يترجم عن الشكوى فكان
الفضيل يقول اشتهي مرضا بلا عواد وقال رجل للامام احمد كيف انت قال
بخير قال حممت البارحة قال اذا قلت لك انا بخير لا تخرجني الى ما اكره فاما
اذا وصف المريض للطبيب ما يجده فانه لا يضره **وقد** كان بعض السلف
يفعل ذلك ويقول انما اصف قدرة الله في ويتصور ان يصف ذلك
للتلميذ يقويه على الضراء ويرى ذلك نعمة فيصف ذلك كما يصف النعم
شكرا لها ولا يكون ذلك شكوى **و**قد روينا ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
انه قال اني اوعك كما يوعك رجلان منكم اخر التوكل **كتاب**
المحبة والشوق والانس والرضاء اعلم ان المحبة لله تعالى هي الغاية
القصوى من المقامات فما بعد ادراك المحبة مقام الا وهو ثمرة من ثمارها
وتابع من توابعها كالشوق والانس والرضا ولا قبل المحبة مقام الا
وهو من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد وغيرها واعلم ان الامة
مجمعة على ان الحب لله ولرسوله فرض ومن شواهد المحبة قوله تعالى
يحبهم ويحبونه وقوله تعالى والذين امنوا احبا لله وهذا دليل على اثبات
الحب لله واثبات التفاوت فيه **و**في الحديث الصحيح ان رجلا سال رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الساعة فقال ما اعددت لها قال يا رسول
الله ما اعددت لها من كثير صلاة ولا صوم الا اني احب الله ورسوله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب وانت مع من احببت فما فرح

السلوب بعد الاسلام فرحهم بها وروى ان ملك الموت جاء الى الخليل عليه السلام
ليقبض روحه فقال له هل رايت خليلا يميت خليله فاوحى الله اليه هل
رايت حبيبا يكره لقاء حبيبه فقال يا ملك الموت اقبض وقال الحسن
البصري من عرف ربه احبه ومن احب غير الله تعالى لا من حيث نسبته
الى الله تعالى فذلك لجهله وقصوره عن معرفته فاما حب الرسول عليه السلام
فذلك لا يكون الا عن حب الله تعالى وكذلك حب العلماء والاتقياء لان
محبوب المحبوب محبوب ورسول المحبوب محبوب وكل ذلك يرجع الى حب
الاصل فلا محبوب في الحقيقة عند ذوي البصائر الا الله تعالى ولا مستحق
للمحبة سواه وايضاح ذلك يرجع الى اسباب احدها ان الانسان
يحب نفسه وبقاه وكماله ودوام وجوده ويكره ضد ذلك من الهلاك
والعدم والنقصان وهذا جبلة كل حي لا يتصور ان ينفك عنها وهذا
يقتضي غاية المحبة لله عز وجل فان الانسان اذا عرف ربه عرف قطعا ان
وجوده ودوامه وكماله من الله وانه المخترع له الموجد له بعد ان كان
عدما محضا لولا فضل الله عليه بايجاده وهو ناقص بعد الوجود لولا
فضل الله عليه بالتكميل ولذلك قال الحسن البصري من عرف ربه احبه
ومن عرف الدنيا زهد فيها وكيف يتصور ان يحب الانسان نفسه ولا يحب ربه
الذي به قوام نفسه السبب الثاني ان الانسان بالطبع يحب من احسن
اليه ولاطفه وواساه وانتدب لنصرته وقمع اعدائه واعانه على جميع
اغراضه فانه محبوب عنده لا محالة واذا عرف الانسان حق المعرفة علم ان
المحسن اليه هو الله سبحانه وتعالى فقط وانواع احسانه لا يحيط به حصر
كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقد اشرنا الى طرف من ذلك
في كتاب الشكر ولكنا نبين ان الاحسان من الناس غير متصور الا بالمجاز
وان المحسن في الحقيقة هو الله تعالى بيان ذلك انا نفرض ان شخصا انعم
عليك بجميع خزائنه وما تملكه ومكنك تتصرف فيه كيف شئت فانك تظن
ان هذا الاحسان منه وهو غلط فانه انما تم احسانه به وبماله وبقدرته على المال

المال وبداعية الباعثة له على صرف المال فمن الذي انعم بخلقه وخلق ماله و
خلق ارادته وداعيته ومن الذي حببك اليه وصرف وجهه اليك والقى
في نفسه ان صلاح دينه ودنياه في الاحسان اليك ولولا ذلك ما اعطاك
فكانه صار مقهورا في التسليم لا يستطيع مخالفته فالمحسن هو الذي
اضطره وسخره لك فهو جار مجرى خازن امير امره ان يسلم الى انسان
خلعة خلعها عليه الامير فان الخازن لا يرى محسنا بتسليم خلعة الامير لانه مضطر
الى طاعته ولو خلاه الامير ونفسه لما سلم ذلك وكذلك كل محسن لو خلاه
الله ونفسه لم يبذل حبة من ماله حتى يسلط عليه الدواعي ويلقي في نفسه
ان حظه في بذله ذلك فيبذله فينبغي للعارف ان لا يحب الا الله اذ الاحسان
من غيره محال السبب الثالث ان المحسن في نفسه وان لم يصل اليك
احسانه محبوب في الطباع فانه اذا بلغك عن ملك من الملوك انه عالم عادل
عابد رفيق بالناس متلطف بهم وهو في قطر بعيد فانك تجد وتجد في
نفسك ميلا اكثر اليه فهذا حب المحسن من حيث انه محسن فضلا عن ان
يكون محسنا اليك وهذا يقتضي حب الله تعالى بل يقتضي ان لا يحب غيره الا حيث
ان يتعلق منه بسبب فانه سبحانه هو المحسن الى الكل كافة بايجادهم
وتكميلهم بالاعضاء والاسباب التي هي من ضروراتهم وترفيههم الى غير ذلك
من النعم التي لا تحصى كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فكيف يكون
غيره محسنا وذلك المحسن حسنة من حسنات قدرته فمن عرف هذا لم يحب
الا الله تعالى وكذلك يقول كل من كان متصفا بالعلم او بالقدرة او كان متنزها
عن الصفات الرذيلة فان ذلك يوجب له المحبة فصفات الصديقين الذين
تحبهم القلوب طبعا ترجع الى علمهم بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله وشرايع
انبيائه والى قدرتهم على اصلاح نفوسهم والى تنزههم عن الرذائل والخبائث
وبمثل هذه الصفات تحب الانبياء عليهم الصلاة والسلام واذا نسبت
هذه الصفات الى صفات الله تعالى وجدتها مضمحلة بالنسبة الى صفاته سبحانه
وتعالى اما العلم فان علم الاولين والاخرين من علم الله تعالى الذي يحيط بالكل

حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وقد خاطب الخلق
كلهم فقال وما اوتيتم من العلم الا قليلا ولو اجتمع اهل الارض والسموات
على ان يحيطوا بعلمه وحكمته في تفصيل خلق نملة او بعوضة لم يطلعوا على
عشر عشر ذلك ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء والقدر اليسير
الذي علمه الخلق كلهم بتعليمه علموه ففضل علم الله سبحانه على علم الخلايق
كلهم خارج عن النهاية ومعلوماته لا نهاية لها **واما** صفة القدرة فهي
ايضا صفة كمال فاذا نسبت قدرة الخلق كلهم الى قدرة الله تعالى وجدت
اعظم الاشخاص قوة واوسعهم ملكا واقواهم بطشا واجمعهم للقدرة
على سياسة نفسه وسياسة غيره غاية قدرته ان يقدر على بعض صفات
نفسه وعلى بعض امتحان الانس في بعض الامور وهو مع ذلك لا
يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا يملك موتا ولا حياة ولا نشورا بل لا يقدر
على حفظ عينه من العمى ولا على حفظ لسانه من الخرس ولا اذنه من الصمم
ولا بدنه من المرض ولا يقدر على ذرة من ذرات المخلوقات وما هو
قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه بل الله خالق قدرته خالقه وجر
وخالق اسبابه والممكن له من ذلك ولو سلط بعوضة على اعظم ملك و
اقوى شخص لاهلكته فليس للعبد قدرة الا بتمكين مولاه قال الله تعالى
في حق اعظم ملوك الارض ذي القرنين انا مكنا له في الارض فلم يكن جميع
ملكه وسلطنته الا بتمكين الله تعالى فنواصي الخلق جميعهم في قبضته وقدرته
ان اهلكهم لم ينقص من ملكه وسلطانه ذرة وان خلق امثالهم الف مرة
لم يعيا بخلقه فلا قادر الا هو فله الجمال والعظمة والبهاء والكبرياء والقهر و
الاستيلاء فان تصور ان يحب قادر لكمال قدرته وعظمته وعلمه فلا يستحق
ذلك سواه فلا يتصور كمال التقديس والتنزيه الا له سبحانه فهو الواحد
الذي لا ند له الفرد الذي لا ضد له الصمد الذي لا منازع له الغني الذي لا حاجة له
القادر الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه
العالم الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وكمال معرفة العارف فهي

فين الاعتراف بالعجز عن معرفته وهو المستحق لكمال المحبة استحقاقا لا
يساهم فيه اصلا **فصل** في بيان ان اجل اللذات واعلاها معرفة الله
سبحانه والنظر الى وجهه الكريم وانه لا يتصور ان يوثر على ذلك لذة اخرى
الا من حرم هذه اللذة **اعلم** ان اللذات تابعة للادراكات والانسان
جامع لجملة من القوى والغرايز ولكل قوة وغريزة لذة ولم تخلق هذه الغرايز
عبثا بل لامر من الامور وهو مقتضاها بالطبع فغريزة شهوة الطعام
خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القوام ولذة البصر والسمع في الابصار والاسماع
وكذلك في القلب غريزة تسمى النور الالهي وقد يسمى العقل ويسمى
البصيرة الباطنة ويسمى نور الايمان واليقين وهذه الغريزة خلقت ليعلم
بها حقايق الامور كلها بطبعها فمقتضى طبعها العلم والمعرفة وذلك لذتها
وليس يخفى ان العلم والمعرفة ولو في شيء خسيس يفرح به وان من
نسب الى الجهل ولو في شيء خسيس يغتم به وكل ذلك لفرط لذة العلم بالحراثة
والخياطة كلذة العلم بسياسة الملك وتدبير امر الخلق ولا لذة العلم بالشعر
والنحو كلذة العلم بالله تعالى وملائكته وملكوت السموات والارض بل لذة
العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم بقدر شرف المعلوم فبهذا اتضح
ان الذ المعارف واشرفها وشرفها بحسب شرف المعلوم فان كان في المعلومات
ما هو الاجل والاكمل والاشرف والاعظم فالعلم به الذ العلوم لا محالة و
اشرفها وليت شعري هل في الوجود شيء اجل واعلى واشرف واكمل واعظم
من خالق الاشياء كلها ومكملها ومزينها ومبديها ومعيدها ومدبرها
ومرتبها وهل يتصور ان يكون حضرة في الملك والكمال والجمال والبهاء
والجلال اعظم من الحضرة الربانية التي لا يحيط بجلالها وكمالها وصف الواصفين
فينبغي ان يعرف ان لذة المعرفة اقوى من جميع اللذات المدركة بالحواس الخمس
فان المعاني الباطنة اغلب على ذوي الكمال من اللذات الظاهرة فلو خير الرجل
بين لذة اكل الدجاج السمين واللوزينج وبين لذة الرياسة وقهر الاعداء
ونيل درجة الاستيلاء فان كان المخير خسيس الهمة ميت القلب شديد الشهوة

البهيمة اختار اللحم والحلوا وان كان علي الهمة كامل العقل فانه يختار الرياسة ويهون عليه الجوع والصبر على ضرورة القوت اياما فاختياره للرياسة دليل على انه الذ عنده من المطعومات الطيبة فكما ان لذة الرياسة اغلب اللذات على من جاوز نقصان الناقص الهمة فلذة معرفة الله سبحانه وتعالى والنظر الى اسرار الامور الالهية الذ من الرياسة التي هي اعلا المراتب الغالبة على الخلق وهذا لا يعرفه الا من ذاق اللذتين جميعا فانه لا محالة يوثر التبتل والتفرد والفكرة والذكر وينغمس في بحار المعرفة ويترك الرياسة ويحتقر الخلق لعلمه بفناء رياسته وفناء من عليه رياسة وكون ذلك مشوبا بالكدر مقطوعا بالموت وتعظم عنده معرفة الله سبحانه وتعالى مطالعة صفاته وافعاله ونظام مملكته فانها خالية عن المزاحمات والمكدرات متسعة للمتواردين عليها لا تضيق عنهم فلا يزال العارف بمطالعتها في جنة عرضها السموات والارض يرتع في رياضها ويقطف من ثمارها ويكرع من حياضها وهو آمن من انقطاعها اذ هي ابدية سرمدية لا يقطعها الموت لان الموت لا يهدم محل معرفة الله تعالى اذ محلها الروح وانما الموت يغير احوالها اما ان يعدمها فلا والعارفون درجات عند الله تعالى متفاوتون لا يدخل تفاوت درجاتهم تحت الحصر وهذه الامور لا تدرك الا بالذوق والحكاية فيها قليلة الجدوى فهذا القدر ينبهك على ان معرفة الله تعالى الذ الاشياء وانه لا لذة فوقها ولهذا قال ابو سليمان الداراني ان لله عبادا ليس يشغلهم عن الله تعالى خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف يشغلهم الدنيا عن الله تعالى وقال بعض اصحاب معروف قلت له اي شيء اهاجك على العبادة فسكت فقلت ذكر الموت فقال واي شيء الموت قلت ذكر القبر واي شيء القبر قلت خوف النار ورجاء الجنة فقال واي شيء هذا ان ملكا هذا كله بيده ان احببته انساك جميع ذلك وان كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع ذلك وقال احمد بن ابي الفتح رايت بشر بن الحارث في منامي فقلت لما فعل معروف الكرخي فحرك لسانه ثم قال هيهات حالت بيننا وبينه الحجب

الا ان معروفا لم يعبد الله شوقا الى جنته ولا خوفا من ناره وانما عبده شوقا اليه فرفعه الله الى الرفيق الاعلا ورفع الحجب بينه وبينه فمتى حصلت محبة الله تعالى لشخص صار قلبه مستغرقا بها فلا يلتفت الى الجنة ولا يخاف من نار فانه قد بلغ النعيم الذي ليس فوقه نعيم قال بعضهم وهجره اعظم من ناره ووصله اطيب من جنته وانما اراد بهذا لذة القلب في معرفة الله تعالى وانها مفضلة على لذة الاكل والشرب والنكاح فان الجنة معدن تمتع الحواس واما القلب فلذته في لقاء الله تعالى فقط واعلم ان لذة النظر في الاخرة تزيد على المعرفة في الدنيا وقد اقتضت سنة الله تعالى ان النفس مادامت محجوبة بعوارض البدن ومقتضى الشهوات وما يغلب عليها من الصفات البشرية لا تنتهي الى المشاهدة بل هذه الحياة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الاجفان عن رؤية الابصار والقول في سبب كونه حجابا يطول فاذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس وفيها نوع تلوث بالدنيا فاذا دخل اهل الجنة الجنة وقد صفوا من الاكدار تجلى لهم الحق سبحانه وتعالى على قدر معرفتهم في الدنيا وكل من لا يعرف الله تعالى في الدنيا لا يراه في الاخرة وما يستانف لاحد في الاخرة ما لم يصحبه في الدنيا ولا يحصد احد الا ما زرع ولا يموت المرء الا على ما عاش عليه فما صحبه من المعرفة هو الذي يتنعم به بعينه الا انه ينقلب مشاهدة بكشف الغطاء فتضاعف اللذة والعيش عيش الاخرة وان الدار الاخرة لهي الحيوان و عيش الاخرة بقدر المعرفة ولهذا جاء في الحديث خير الناس من طال عمره وحسن عمله وذلك لان المعرفة انما تكمل وتكثر وتتسع في العمر الطويل بمداومة الفكر والذكر والمواظبة على المجاهدة والانقطاع عن علايق الدنيا والتجرد للطلب قد عرفت بما ذكرنا معنى المحبة ومعنى لذة المعرفة ومعنى الرؤية ولذتها ومعنى كونها الذ من ساير اللذات عند اهل الكمال

فصل في بيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى وتفاوت الناس في الحب وبيان السبب في قصور افهام الخلق على معرفة الله تعالى اعلم ان اسعد الناس واحسنهم حالا في الاخرة اقواهم حبا لله تعالى فان الاخرة معناها القدوم على الله تعالى ودرك سعادة لقائه وما اعظم

نعم المحب اذا اقدم على محبوبه بعد طول شوقه وتمكن من مشاهدته من غير
منغص ولا مكدر الا ان اهل النعيم على قدر المحبة فكلما ازداد الحب ازدادت
اللذة فاصل الحب لا ينفك عنه مؤمن لانه لا ينفك عن اصل المعرفة واما
قوة الحب واستيلاؤه فذلك ينفك عنه الاكثرون وانما يحصل ذلك بشيئين
احدهما قطع علايق الدنيا واخراج حب غير الله من القلب فاحد اسباب
ضعف حبه قوة حب الدنيا وبقدر ما يانس القلب بالدنيا ينقص انسها به
والدنيا والاخرة ضرتان وسبيل قطع الدنيا عن القلب سلوك طريق الزهد
وملازمة الصبر والانقياد اليهما بزمام الخوف والرجاء وما ذكرنا من المقامات
كالتوبة والصبر والزهد والخوف وغير ذلك السبب الثاني لقوة الحب معرفة
الله تعالى واذا حصلت المعرفة تبعتها المحبة ولا يوصل الى هذه المعرفة بعد انقطاع
شواغل الدنيا من القلب الا الفكر الصافي والذكر الدايم والتشمير في الطلب و
الاستدلال عليه بافعاله سبحانه واقل افعاله الارض وما عليها بالاضافة الى الملائكة
وملكوت السموات والشمس على ما يرى من صغر حجمها مثل الارض مائة ونيفا
وستين مرة فانظر الى صغر الارض بالاضافة اليها ثم انظر الى صغر الشمس
بالاضافة الى فلكها الذي هي مركوزة فيه وهي في السماء الرابعة والسماء الرابعة
صغيرة بالنسبة الى ما فوقها من السموات ثم السموات السبع في الكرسي كحلقة ملقاة
في فلاة والكرسي في العرش كذلك ثم انظر الى الادمي المخلوق من التراب الذي
هو جزء من الارض والى ساير الحيوانات والى صغره بالاضافة الى الارض واصغر
ما يعرف من الحيوان البعوض فانظر فيه بعقل حاضر كيف خلقه الله عز وجل على
شكل الفيل الذي هو اعظم الحيوانات وزاده الجناحين وانظر كيف شق سمعه
وبصره وخلق في باطنه من اعضاء الغذاء والته ودبر في ساير احواله من
القوى الجاذبة والدافعة والهاضمة وانظر كيف خلق له الطيران يطير اذا طلب
وجعل له خرطوما محددا يمتص به الدم وانظر الى النحل في تناولها الازهار من
الانوار واحترازها عن الاقذار وطاعتها لكبيرها حتى انه يقتل كلما ورد عليه وقد
اكل مستقذرا والى اختيارها الشكل المسدس فلا تبني بيتا مربعا ولا مستديرا

بل ولا مخمسا بل مسدسا للخاصية في الشكل المسدس فان اوسع الاشكال و
احوالها المستدير وما يقرب منه فان المربع يخرج منه الزوايا ضايعة ثم لو بناها
مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج ضايعة فان الاشكال المستديرة اذا جمعت
لم تجتمع متراصة فلا شكل في الاشكال ذوات الزوايا يقرب في الاحتواء من
المستدير ثم تتراص الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة الا المسدس فانظر
كيف الهمه الله تعالى ذلك على صغر حجمه وضعفه فاعتبر بهذه اللمعة اليسيرة
من محقرات الحيوانات فالنظر في هذا واشباهه تزداد المعرفة فتزداد المحبة
واما السبب في تفاوت الناس في الحب فاعلم ان الناس مشتركون في اصل
الحب لكنهم يتفاوتون لتفاوت المعرفة وكثير من الناس ليس لهم من معرفة
الله تعالى الا الصفات والاسماء التي قرعت اسماعهم والعالم البصير يطالع في
تفصيل صنع الله تعالى حتى يرى ما يبهر عقله فتزداد عظمة الله في قلبه فيزداد
جلاله وبحر هذه المعرفة التي هي معرفة عجايب صنع الله تعالى بحر لا ساحل له و
اما السبب في قصور افهام الخلق عن معرفة الله تعالى فاعلم ان كل من صنع شيا
دل المصنوع على وجود صانعه وعلى علمه وحياته وقدرته دلالة جلية ظاهرة و
ان كانت هذه الصفات لا تدرك بشيء من الحواس الخمس فوجود الله
سبحانه وتعالى وقدرته وعلمه وساير صفاته تشهد له بالضرورة كل ما نشاهده
من حجر وشجر ومدر ونبات وحيوان وارض وسماء وكوكب وبر وبحر بل
اول شاهد علينا انفسنا واجسامنا وتقلب احوالنا وتغير قلوبنا وجميع
اطوارنا في حركاتنا وسكناتنا وجميع ما في العالم شواهد ناطقة وادلة شاهدة
بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها ودالة على علمه وقدرته وحياته
ولطفه وحكمته وعظمته وجلاله اذ كل ذرة تنادي بلسان حالها انه ليس وجودها
بنفسها وانها تحتاج الى موجد لها لكن عقولنا بالنسبة الى ادراك الحضرة الالهية
كالخفاش بالنسبة الى النهار فانه لضعف بصره يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار
وليس عدم ابصاره بالنهار لخفائه بل لشدة ظهوره واستنارته وضعف
اعين الخفاش فكذلك عقولنا ضعيفة عن ادراك الحضرة الالهية فسبحان

من احتجب باشراق نوره واختفى به عن البصاير والابصار فهذا هو السبب في قصور الافهام عن معرفة الله سبحانه وتعالى وانضم الى ذلك ايضا ان المدركات الشاهدة لله تعالى انما يدركها الانسان في حال الصبي قبل حضور العقل عنده ثم تبدو فيه غريزة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق الهم مشغول به وقد انس بمدركاته والفها فسقط وقعها عن قلبه بطول الانس وكذلك اذا راى فجاة حيوانا غريبا او نباتا او فعلا من افعال الله تعالى عجيبا خارقا للعادة انطلق لسانه بالتعجب فقال سبحان الله وهو يرى طول النهار نفسه وجميع اعضائه وجميع الحيوانات المالوفة وكلها شواهد قاطعة فلا يحس بشهادتها لطول الانس بها ولو فرض اعمى بلغ عاقلا ثم انقشعت غشاوة عينه فامتد بصره الى السماء والارض والاشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة لخيف على عقله ان ينبهر لعظم تعجبه من مشاهدة هذه العجايب وشهادتها لخالقها فهذا وامثاله من الاسباب مع الانهماك في الشهوات هو الذي سد على الخلق سبيل الاستضاءة بنور المعرفة والسباحة في بحارها الواسعة والله اعلم

فصل في بيان معنى الشوق الى الله تعالى قد تقدم الكلام في المحبة واثباتها بالادلة وان الشوق ثمرة من ثمارها فان من احب شيا اشتاق اليه واعلم ان الشوق لا يتصور الا الى شيء ادرك من وجه ولم يدرك من وجه فاما ما لا يدرك اصلا فلا يشتاق اليه وكمال الادراك بالرؤية وانما يكون ذلك في الاخرة واعلم ان الامور الالهية لا نهاية لها وانما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها ويبقى امور لا نهاية لها والعارف يعلم وجودها وكونها معلومة لله تعالى ويعلم ان ما غاب عن علمه من المعلومات اكثر مما حضر فلا يزال العبد مشتاقا الى ان يحصل له اصل المعرفة وينتهي الشوق الاول الى الدار الاخرة بالمعنى الذي يسمى رؤية ولقا ومشاهدة ولا يتصور ان يسكن قلب المشتاق في الدنيا وكان ابرهيم بن ادهم من المشتاقين فقال يوما يا رب ان كنت اعطيت احدا من المحبين لك ما يسكن به قلبه قبل لقائك فاعطني فقد اضر بي القلق قال فرايته عز وجل في النوم فقال يا ابرهيم اما استحييت مني تسالني ان اعطيك ما يسكن به

به قلبك قبل لقائي وهل يسكن قلب المشتاق قبل لقاء حبيبه فقلت يا رب تهت في حبك فلم ادر ما اقول فهذا الشوق يسكن في الاخرة واما غير ذلك مما هو معلوم لله ولا نهاية له فلا يتضح للعبد ولا يحيط به فهو مشغول بملاحظة ما ظهر له ولا يزال النعيم واللذة متزايدا حتى يشتغل عن الاحساس بالشوق الى ما وراء ذلك فهذا القدر من انوار البصاير كاشف لحقايق الشوق ومعانيه ومن شواهد الاخبار ما روي ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علم رجلا دعاء وامره ان يتعاهد به اهله كل يوم فذكر فيه اسالك اللهم الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك وشوقا الى لقائك وفي التوراة يقول الله تعالى طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم اشد شوقا وفي بعض ما اوحاه الله عز وجل الى بعض عباده ان عبادا من عبادي يحبوني واحبهم واشتاق اليهم ويشتاقون الي ويذكروني واذكرهم فان حذوت طريقهم احببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يا رب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير الى اوكارها عند الغروب فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا اقدامهم وافترشوا وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوني بانعامي فبين صارخ وباك وبين متاوه وشاك وبين قايم وقاعد وبين راكع وساجد بعيني ما يتحملون من اجلي وبسمعي ما يشكون من حبي

فصل في بيان محبة الله تعالى للعبد ومعناها وبيان علامات محبة العبد لله تعالى اما محبة الله تعالى للعبد فاعلم ان شواهد القران متظاهرة على ذلك كقوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا الاية وبنه على انه لا يعذب من يحبه لانه رد على من ادعى انه حبيبه بقوله فلم يعذبكم بذنوبكم وشرط للمحبة غفران الذنوب فقال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وفي الحديث الصحيح من رواية ابي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى يقول ما يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه

الى اخره وهو حديث مشهور ومن علامة حب الله تعالى للعبد قول النبي عليه السلام ان الله اذا احب عبدا ابتلاه ومن اقوى العلامات حسن التدبير له تربيته من الطفولية على احسن نظام ويكتب الايمان في قلبه وينور له في عقله فيتبع كل ما يقربه اليه وينفر عن كل ما يبعد عنه ثم يتولاه بتيسير اموره من غير ذل للخلق ويسدد ظاهره وباطنه ويجعل همه هما واحدا فاذا زادت المحبة شغل به عن كل شيء واما محبة العبد لله تعالى فاعلم ان المحبة يدعيها كل احد فما اسهل الدعوى واعز المعنى ولا ينبغي ان يغتر الانسان بتلبيس الشيطان وخداع النفس اذا ادعت محبة الله تعالى ما لم يمتحنها بالعلامات ويطالبها بالبراهين فمن العلامات حب لقاء الله تعالى في الجنة فانه لا يتصور ان يحب القلب محبوبا الا ويحب لقاه ومشاهدته وهذا لا ينافي كراهة الموت فان المؤمن يكره الموت ولقاء الله تعالى بعد الموت وفي السلف من احب الموت ومنهم من كرهه اما لضعف محبته او لكونها مشوبة بحب شيء من الدنيا او لانه يرى ذنوبه فيحب ان يبقى ليتوب ومنهم من يرى نفسه في ابتداء مقام المحبة فيكره عجلة الموت قبل ان يستعد للقاء الله تعالى وهذا كمحب يصل الخبر بقدوم حبيبه عليه فيحب ان يتاخر قدومه ساعة ليهيئ له داره ويعد له اسبابه فيلقاه كما يهواه فارغ القلب عن الشواغل خفيف الظهر عن العوائق فالكراهة بهذا السبب لا تنافي كمال المحبة وعلامة هذا الدووب في العمل واستغراق الهم في الاستعداد ومنها ان يكون مؤثرا ما احبه الله تعالى على ما يحبه في ظاهره وباطنه فيجتنب اتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل ولا يزال مواظبا على طاعة الله تعالى متقربا اليه بالنوافل ومن احب الله فلا يعصيه الا ان العصيان لا ينافي اصل المحبة انما يضاد كمالها فكم من انسان يحب الصحة ويأكل ما يضره وسببه لان المعرفة قد تضعف والشهوة قد تغلب فيعجز عن القيام بحق المحبة ويدل على ذلك حديث نعيمان اذ كان يؤتى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحده الى ان اتى به يوما فحده فلعنه رجل وقال ما اكثر ما يؤتى به فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله فلم تخرجه المعصية عن المحبة

المحبة وانما تخرجه عن كمال المحبة ومن العلامات ان يكون مستهترا بذكر الله تعالى لا يفتر عنه لسانه ولا يخلو عنه قلبه فان من احب شيئا اكثر من ذكره بالضرورة ومن ذكر ما يتعلق به فعلامة حب الله تعالى حب ذكره وحب القران الذي هو كلامه وحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال بعض السلف كنت قد وجدت حلاوة المناجاة فكنت ادمن قراءة القران ثم لحقتني فترة فانقطعت فرايت في المنام قائلا يقول ان كنت تزعم حبي فلم جفوت كتابي اما تدبرت ما فيه من لطيف عتابي ومنها ان يكون انسه بالخلوة ومناجاة الله تعالى وتلاوة كتابه فيواظب على التهجد ويغتنم هدو الليل وصفاء الوقت بانقطاع العوائق فاقل درجات المحب التلذذ بالخلوة بالحبيب والتنعم بمناجاته روي ان عابدا عبد الله تعالى في غيضة دهرا فنظر الى طاير قد عشش في شجرة ياوي اليها ويصفر عندها فقال لو حولت مسجدي الى تلك الشجرة كنت انس بصوت هذا الطاير ففعل فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل لفلان العابد استانست بمخلوق لاحطنك درجة لا تنالها بشيء من عملك ابدا فاذن علامة المحبة كمال الانس بمناجاة المحبوب وكمال التنعم بالخلوة وكمال الاستيحاش من كل ما ينغص عليه الخلوة ومتى غلب الحب والانس صارت الخلوة والمناجاة قرة عين تدفع جميع الهموم بل يستغرق الحب والانس قلبه حتى لا يفهم امور الدنيا ما لم تتكرر على سمعه مرارا مثل العاشق الولهان ومنها ان يتاسف على ما يفوته من ذكر الله ويتنعم بالطاعة ولا يستثقلها ويسقط عنه تعبها قال ثابت البناني كابدت الصلاة عشرين سنة وتنعمت بها عشرين سنة وقال الجنيد علامة المحبة دوام النشاط والدووب بشهوة يفتر بدنه ولا يفتر قلبه وكل هذا موجود المثال في المشاهدات فان المحب لا يستثقل السعي في مراد محبوبه ويستلذ خدمته بقلبه وان كان شاقا على بدنه وكل حب قاهر لا محالة فمن كان محبوبه احب اليه من الكسل ترك الكسل في خدمته وان كان احب اليه من المال ترك المال في حبه

الغفلة بالنعم لا الحجة وهي يغفل [illegible] يجتمع [illegible] في [illegible]

ومنها ان يكون شفيقا على جميع عباد الله تعالى رحيما بهم شديدا على اعدائه
كما قال اشداء على الكفار رحماء بينهم ولا تاخذه في الله لومة لائم ولا يصرفه عن
الغضب له صارف فهذه علامات فمن اجتمعت فيه فقد تمت محبته وصفا في
الاخرة شرابه ومن امتزج بحبه حب غير الله تنعم في الاخرة بقدر حبه فيمزج
شرابه بشيء من شراب المقربين كما قال عز وجل ان الابرار لفي نعيم الى قوله
يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون
ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون فقوبل الخالص بالصرف والمشوب
بالمشوب فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومنها ان يكون خايفا تحت الهيبة في حجبه
والتعظيم فان الخوف لا يضاد المحبة وللخصوص المحبين مخاوف في مقام المحبة
ليست لغيرهم وبعضها اشد من بعض فاولها خوف الاعراض واشد منه خوف
الحجاب واشد منه خوف الابعاد ومنها كتمان الحب واجتناب الدعوى و
التوقي من اظهار الوجد والمحبة تعظيما للمحبوب واجلالا وهيبة وغيرة
على سره فان الحب سر من اسرار الحبيب وقد يقع المحب في دهش وسكر
فيظهر عليه الحب من غير قصد فهو في ذلك معذور كما قال بعضهم
ومن قلبه مع غيره كيف حاله ومن سره في جفنه كيف يكتم فصل
في بيان معنى الانس بالله والرضاء بقضاء الله عز وجل اعلم ان من غلب
عليه حال الانس لم يكن شهوته الا في الانفراد والخلوة لان الانس بالله
يلازمه التوحش من غيره ويكون اثقل الاشياء على القلب كل ما يعوق عن
الخلوة قال عبد الواحد بن زيد قلت لراهب لقد اعجبتك الخلوة فقال
لو ذقت حلاوة الخلوة لاستوحشت اليها من نفسك قلت متى يذوق
العبد حلاوة الانس بالله تعالى قال اذا صفا الود وخلصت المعاملة قلت
متى يصفو الود قال اذا اجتمع الهم فصار هما واحدا في الطاعة فان قيل
ما علامة الانس قيل علامته الخاصة ضيق الصدر عن معاشرة الخلق
والتبرم بهم وان خالط فهو كمنفرد غايب مخالط بالبدن منفرد بالقلب و
اعلم ان الانس اذا دام وغلب واستحكم قد يثمر نوعا من الانبسا

ط والادلال وقد يكون ذلك منكرا في الصورة لما فيه من الجراءة وقلة الهيبة
وان كان محتملا ممن اقيم مقام الانس واما اذا صدر ممن لا يفهم ذلك المقام
اشرف فيه صاحبه على الكفر وذلك كما يروى عن ابي حفص انه كان يمشي
يوما فاستقبله رجل مدهش فقال ما لك قال ضل حماري ولا املك غيره
فوقف ابو حفص وقال وعزتك لا اخطو خطوة ما لم ترد عليه حماره فظهر الحمار
وروى عن برخ العابد انه خرج يستسقي فقال يا رب انت بالبخل لا ترمى
انفد ما عندك اسقنا الساعة ولا يستبعد ان يحتمل من شخص ما لم يحتمل
من غيره واما الرضاء بقضاء الله تعالى فهو من اعلا مقامات
المقربين وهو من ثمار المحبة وحقيقته غامضة ولا ينكشف الامر فيه الا
لمن يفهمه عن الله تعالى ومن المحبة وحقيقته غامضة ولا ينكشف الامر
فيه الا لمن ومن فضايل الرضا ما ورد في الحديث ان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم قال اذا اراد الله بعبد خيرا ارضاه بما قسم له واوحى الله تعالى
الى داود عليه السلام يا داود انك لن تلقاني بعمل هو ارضى لي عنك ولا
احط لوزرك من الرضا بقضاي ونظر علي بن ابي طالب الى عدي بن
حاتم كئيبا فقال يا عدي ما لي اراك كئيبا حزينا فقال وما يمنعني وقد قتل
ابناي وفقئت عيني فقال يا عدي من رضي بقضاء الله جرى عليه وكان
له اجر ومن لم يرض بقضاء الله جرى عليه وحبط عمله ودخل ابو الدرداء
على رجل وهو يموت وهو يحمد الله فقال ابو الدرداء اصبت ان الله عز وجل
اذا قضى قضاء احب ان يرضى به وقال ابن مسعود ان الله تعالى بقسطه
وعلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضا وجعل الهم والحزن في الشك
والسخط وقال علقمة في قوله عز وجل ومن يؤمن بالله يهد قلبه قال
هي المصيبة تصيب الرجل فيعلم انها من عند الله فيسلم لها ويرضى وقال
ابو معاوية الاسود في قوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة قال الرضا والقناعة
وفي الحديث ان نبيا من الانبياء شكا الى ربه عز وجل الجوع والفقر
عشر سنين فما اجيب الى ما اراد ثم اوحى اليه كم تشكو هكذا كان بدؤك عندي

في ام الكتاب قبل ان اخلق السموات والارض وهكذا سبق لك مني وهكذا
قضيت عليك قبل ان اخلق الدنيا افتريد ان اعيد خلق الدنيا من اجلك ام
تريد ان ابدل ما قدرت لك فيكون ما تحب فوق ما احب ويكون ما تريد
فوق ما اريد وعزتي وجلالي لئن تلجلج هذا في صدرك مرة اخرى لامحونك
من ديوان النبوة وفي زبور داود عليه السلام هل تدري من اسرع
الناس مرا على الصراط الذين يرضون بحكمي والسنتهم رطبة من ذكري
وقال داود عليه السلام يا رب اي عبادك ابغض اليك قال عبد استخارني
في امر فخرت فلم يرض وقال عمر بن عبد العزيز ما بقي لي سرور الا في مواقع
القدر وقيل له ما تشتهي فقال ما يقضي الله عز وجل وقال الحسن من
رضي بما قسم له وسعه وبارك الله فيه ومن لم يرض لم يسعه ولم يبارك
له فيه وقال عبد الواحد بن زيد الرضا باب الله الاعظم وجنة الدنيا و
مستراح الدنيا وقال بعضهم لن يرد الاخرة ارفع درجات من الراضين
عن الله تعالى على كل حال فمن وهب له الرضا فقد بلغ افضل الدرجات
واصيح اعرابي قدمات وقدمات له اباعر كثيرة فقال

لا والذي انا عبد في عبادته لولا شماتة اعداء ذوي احن
ما سرني ان ابلي في مباركها وان شيا قضاه الله لم يكن

فصل ويتصور الرضا فيما يخالف الهوى وبيان ذلك اذا جرى على
الانسان الالم فتارة يحس به ويدرك المه ولكنه يكون راضيا به راغبا في زيادته
بعقله وان كان كارها له بطبعه لما يؤمله من الثواب مثاله ان يلتمس من الحجام
الحجامة والفصد فانه يدرك الم ذلك الا انه راض به وراغب فيه ومتقلد
منة الحجام وكذلك كل من يسافر في طلب الربح فانه يدرك مشقة السفر لكن حب
ثمرة سفره طيب عنده تلك المشقة وجعله راضيا بها وكل من اصابه بلية من الله
تعالى عليه ويجوز ان يغلب الحب بحيث يكون حظ المحب في مراد حبيبه ويبطل
الاحساس بالالم لفرط الحب وليس ذلك بعجب فان الرجل المحارب في
حال غضبه او خوفه تصيبه الجراحات ولا يحس بها ولا يشعر بها في تلك الحال وذلك

ذلك لان قلبه مستغرق واذا كان القلب مستغرقا بامر من الامور لم يدرك ما عداه
وذلك موجود في المشاهدات قال الجنيد سالت سريا هل يجد المحب الم البلاء
قال لا وقد روينا عن خلق كثير من اهل البلاء انهم كانوا يقولون لو قطعنا
اربا اربا ما ازددنا لله الا حبا وقد تقدم ان فرط الحب يزيل احساس الالم
وهو متصور في حب الخلق كما حكى بعضهم قال كان في جيراننا رجل له جارية
يحبها فاعتلت فجلس يصلح لها حيسا فبينا هو يحرك القدر قالت اوه
فدهش وسقطت الملعقة من يده وبحرك القدر بيده حتى تساقطت جعل م
اصابعه وهو لا يعلم ويؤيد قصة النسوة حين شاهدن يوسف فانهن
قطعن الايدي وما احسسن ما يولمهن بالم فقد بان بما ذكرنا ان الرضى بما يخالف
الهوى ليس مستحيلا واذا كان ذلك ممكنا في حق الخلق وحظوظهم كان
ممكنا في الله سبحانه وحظوظ الاخرة بطريق الاولى وامكان ذلك
من ثلثة اوجه احدها علم المؤمن بان تدبير الله تعالى خير من تدبيره
وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما قضى الله لمؤمن قضاء الا كان خيرا
له وعن مكحول قال سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول ان الرجل يستخير الله
فيختار له فيسخط فلا يلبث ان ينظر في العاقبة فاذا هو قد خير له وعن
مسروق كان رجل بالبادية له كلب وحمار وديك فالديك يوقظهم
للصلوة والحمار ينقلون عليه الماء ويحمل خباءهم والكلب يحرسهم فجاء
الثعلب فاخذ الديك فحزنوا فقال الرجل عسى ان يكون خيرا ثم اصيب الكلب
فقال الرجل عسى ان يكون خيرا ثم جاء ذيب فخرق بطن الحمار فحزنوا فقال
الرجل عسى ان يكون خيرا ثم اصبحوا ذات يوم فنظروا فاذا قد سبي من
حولهم وبقوا هم وانما اخذوا اولئك بما كان عندهم من الصوت والجلبة
ولم يكن عند اولئك شيء يجلب قد ذهب كلبهم وحمارهم وديكهم وعن
سعيد بن المسيب قال قال لقمن لابنه يا بني لا ينزلن بك امر رضيته او كرهته
الا جعلت في الضمير ان ذلك خير لك قال اما هذه فلا اقدر ان اعطيكها دون
ان اعلم ما قلت انه كما قلت قال يا بني فان الله قد بعث نبيا هلم حتى ناتيه

فعند بيان ما قلت لك ثم قال اذهب بنا اليه فخرج على حمار وابنه على حمار
وتزود اما يصلحهما ثم سارا اياما وليالي حتى بلغتهما مفازة فاخذا اهبتهما
ودخلاها فسارا ما شاء الله ان يسيرا حتى تعالى النهار واشتد الحر ونفد الماء
والزاد فاستبطيا حماريهما فنزلا يشتدان فبينما هما كذلك اذ نظر لقمان امامه
فاذا هو بسواد ودخان فقال في نفسه السواد شجر والدخان عمران وناس
فبينما هما كذلك يشتدان اذ وطئ ابن لقمان على عظم على الطريق فدخل في
باطن قدمه حتى ظهر من اعلاها فخر مغشيا عليه فحانت من لقمان التفاتة فاذا
هو بابنه صريع فوثب اليه فضمه الى صدره واستخرج العظم باسنانه وشق
عمامة كانت عليه فعصب رجله ثم نظر الى وجه ابنه فذرفت عيناه فقطر
قطرة من دموعه على خد الغلام فانتبه لها فنظر الى ابيه يبكي فقال يا ابت انت
تقول هذا خير لي فكيف ذلك وانت تبكي وقد نفد الطعام والماء وبقيت انا
وانت في هذا المكان قال اما بكائي يا بني فوددت اني افديك بجميع حظي
من الدنيا ولكني والد ومني رقة الوالد واما قولك كيف يكون هذا خيرا لي
فلعل ما صرف عنك اعظم مما ابتليت به فبينما هو يحاوره اذ نظر لقمان امامه
فلم ير الدخان والسواد فقال في نفسه لم ار شيئا ثم قال قد رايت ولكن لعله
ان يكون قد احدث ربي بما رايت شيئا فبينما هو يتفكر في ذلك اذ نظر فاذا
هو بشخص قد اقبل على فرس ابلق عليه ثياب بياض يسبح الهوا مسبحا
فلم يزل يرمقه بعينه حتى كان منه قريبا فتوارى عنه ثم صاح به فقال انت
لقمان قال نعم قال ما قال لك ابنك هذا السفيه قال يا عبد الله من انت اسمع
كلامك ولا ارى وجهك قال انا جبريل لا يراني الا ملك مقرب او نبي مرسل
لولا ذلك لرايتني فما قال لك ابنك هذا السفيه قال ما علمت ذلك فقال
جبريل ما لي بشيء من امركما علم الا اني حفظتكما اتوني وقد امرني ربي تعالى
بخسف هذه المدينة فدعوت ربي ان يحبسكما عني بما شاء فحبسكما عني بما
ابتليت به ابنك ولولا ذلك لخسف بكما مع من خسف به ثم مسح جبريل عليه السلام
بيده على قدم الغلام فاستوى قائما ومسح يده على الذي كان فيه الطعام فامتلا

فامتلا طعاما ومسح على الذي كان فيه الماء فامتلا ماء ثم حملهما وحماريهما
فرحل بهما كما يرحل الطير فاذا هما في الدار التي خرجا منها بعد ايام وليالي
الوجه الثاني الرضاء بالالم لما يتوقع من الثواب المدخر كما تقدم من الرضا
بالفصد والحجامة وشرب الادوية انتظار الشفاء الثالث الرضاء به
لا لحظ وراءه بل لكونه مراد المحبوب فيكون الذ الاشياء عنده ما فيه رضى
محبوبه ولو كان في ذلك هلاك نفسه كما قال بعضهم فالجرح اذا ارضاكم الم
وقد يبلغ ان الحب يتوله بحيث يدهش عن ادراك الالم ولا ينبغي ان
ينكر ذلك من فقده من نفسه لانه انما فقده لفقد سببه وهو فرط حبه
ومن لم يذق طعم الحب لم يعرف عجائبه ولعمري ان من فقد السمع انكر
لذة الالحان والنغمات فمن فقد القلب فلا بد ان ينكر هذه اللذات التي
لا مظنة لها سوى القلب فصل واعلم ان الرضاء لا ينافي القضاء
ولذلك كراهة المعاصي ومقت اهلها واسبابها والسعي في ازالتها
اما الدعاء فقد تعبدنا الله تعالى به وقد اثنى الله تعالى على بعض عباده بقوله
يدعوننا رغبا ورهبا ودعاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وغيره من
الانبياء معلوم واما انكار المعاصي وعدم الرضاء بها فقد تعبدنا الله
تعالى به وذم الراضي به وكذلك بعض الكفار والفجار والانكار عليهم وشواهد
ذلك في القران والاخبار كثيرة جدا فان قيل فقد وردت الاخبار بالرضاء
بقضاء الله تعالى فان كانت المعاصي بغير قضاء الله فهو محال وان كانت بقضائه
فكراهيتها كراهة لقضائه فكيف الجمع بين هذين الحالين فاعلم ان
هذا مما يلتبس على القاصرين عن الوقوف على اسرار العلم حتى التبس
على قوم فراوا السكوت عن الانكار مقاما من مقامات الرضاء
وسموه حسن خلق وهو جهل محض بل نقول الرضاء والكراهة
يتضادان اذا تواردا على شيء واحد من جهة واحدة على وجه واحد فاما
اذا رضيت بشيء من وجه وكرهته من وجه اخر فليس في ذلك تضاد
نحو ان يموت عدوك الذي هو ايضا عدو لبعض اعدائك وساع في اهلاكه

فكره موته من حيث انه مات عدو عدوك و ترضاه من حيث انه عدوك و كذلك
المعصية وجهان وجه الى الله تعالى من حيث انها اختياره وارادته فترضى بها
من هذا الوجه تسليما للملك الى مالك الملك ووجه الى العبد من حيث انه
كسبه ووصفه وعلامة لكونه ممقوتا عند الله تعالى وبغيضا عنده حيث سلط
عليه اسباب البعد والمقت فهو من هذا الوجه منكر ومذموم ولا ينكشف
هذا الا بمثال فلنفرض محبوبا من الخلق قال بين يدي محبه اني اريد ان اميز بين
من يحبني ويبغضني وانصب لذلك معيارا صادقا وهو اني اقصد الى فلان
فاضربه ضربا شديدا يضطره ذلك الى الشتم لي حتى اذا شتمني ابغضته و
اتخذته عدوا فكل من احبه علمت انه ايضا عدو لي وكل من ابغضه علمت
انه محبي وصديقي ثم فعل ذلك وحصل مراده من الشتم الذي هو سبب
البغض وحصل البغض الذي هو سبب العداوة فحق على كل من هو صادق
في محبته ان يقول اما تدبيرك في هذا الشخص واذاه فانا محب له فانه
رايك وتدبيرك وفعلك واما شتمه اياك من حيث نسبته الى هذا الشخص
فانه عدوان منه وتهجم عليك فانا كاره له من حيث نسبته اليه اذ كان حقه
ان يصبر ولا يشتم فكذلك تسليط الله سبحانه وتعالى دواعي الشهوة والمعاصي
على العبد وبغضه على عصيانه فواجب على كل عبد محب لله ان يبغض من
ابغضه الله عز وجل ويعادي من عاداه وابعده عن حضرته وان اضطره
بقهره وقدرته الى معاداته ومخالفته فانه بعيد مطرود والمبعد عن درجات
القرب ينبغي ان يكون بغيضا الى جميع المحبين موافقة لمحبوبهم باظهار
الغضب على من اظهر المحبوب والغضب عليه بابعاده وبهذا تتقرر جميع ما وردت
به الاخبار من البغض في الله والحب في الله والتشديد على الكفار والتغليظ
عليهم والمبالغة في مقتهم مع الرضا بقضاء الله تعالى من حيث انه قضاؤه
وهذا كله يستمد من سر القدر الذي لا رخصة في افشائه وهو ان الخير و
الشر كلاهما داخلان في المشية والارادة ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد
مرضي به والاولى السكوت والتادب بادب الشرع والوقوف مع ما

مع ما تعبد به الخلق من الجمع بين الرضاء بقضاء الله ومقت المعاصي
والله تعالى اعلم ومما يتعلق بالمحبة قيل اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام
لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي الى ترك معاصيهم
لماتوا شوقا الي وتقطعت اوصالهم من محبتي يا داود هذه ارادتي في
المدبرين فكيف ارادتي في المقبلين علي يا داود احوج ما يكون العبد الي
اذا استغنى عني واجل ما يكون عندي اذا رجع الي وكانت امراة متعبدة
تقول والله لقد سئمت الحياة حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته
شوقا الى الله تعالى وحبا للقائه فقيل لها فعلى ثقة انت من عملك قالت
لا ولكني لحبي اياه وحسن ظني به افتراه يعذبني وانا احبه **باب**
في النية والاخلاص والصدق اعلم انه قد انكشف لارباب القلوب
ببصيرة الايمان وانوار القران انه لا وصول الى السعادة الا بالعلم والعبادة
فالناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون
كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم والعمل بغير نية عناء والنية
بغير اخلاص رياء والاخلاص من غير تحقيق هباء قال الله تعالى وقدمنا الى ما
عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وليت شعري كيف تصح نية من
لا يعرف حقيقة النية او كيف يخلص من صحح النية اذا لم يعرف حقيقة
الاخلاص او كيف يطالب المخلص نفسه بالصدق اذا لم يتحقق معناه
فالوظيفة الاولى على كل عبد اراد الله تعالى ان يعلم النية اولا لتحصل المعرفة
يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق والاخلاص اللذين هما وسيلتا
العبد الى النجاة ونحن نذكر ذلك في ثلثة فصول **الفصل** الاول في النية
وحقيقتها وفضلها وما يتعلق بذلك قال الله تعالى ~~وقدمنا الى ما عملوا من عمل~~
~~فجعلناه هباء منثورا~~ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون
وجهه والمراد بالارادة النية وعن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يقول انما الاعمال بالنية وانما لكل امرئ ما نوى فمن
كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا

يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه وعن ابي موسى قال جاء
رجل الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله ارايت الرجل يقاتل
شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء اي ذلك في سبيل الله فقال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله
اخرجاه في الصحيحين وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
لقد خلفتم بالمدينة رجالا ما قطعتم واديا ولا سلكتم طريقا الا شركوكم
في الاجر حبسهم المرض اخرجه مسلم واخرجه البخاري من حديث انس
وفي الصحيحين من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قال من هم بحسنة فلم يعملها كتب له حسنة وعن ابي كبشة الانماري قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مثل هذه الامة مثل هذه الاربعة
رجل اتاه الله مالا وعلما فهو يعمل به في ماله ينفقه في حقه ورجل اتاه الله
علما ولم يؤته مالا وهو يقول لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل الذي يعمل قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهما في الاجر سواء ورجل اتاه الله مالا
ولم يؤته علما فهو يخبط فيه ينفقه في غير حقه ورجل لم يؤته الله مالا ولا علما
فيقول لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل الذي يعمل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهما في الوزر سواء وعن ابي عمران الجوني قال يصعد الملائكة بالاعمال
فينادي الملك الق تلك الصحيفة قال فيقول الملائكة ربنا قالوا خيرا
وحفظناه عليهم فيقول تبارك وتعالى انه لم يرد به وجهي قال وينادي الملك
اكتب لفلان كذا وكذا مرتين فيقول يا رب انه لم يعمله فيقول عز وجل انه قد نواه
وقال عمر بن الخطاب افضل الاعمال اداء ما فرض الله تعالى والورع عما حرم
الله تعالى وصدق النية فيما عند الله تعالى وكان بعضهم يقول دلوني على عمل
لا ازال به عاملا لله تعالى فقيل له انو الخير فانك لا تزال عاملا وان لم تعمل فالنية
تعمل وان عدم العمل فلذا من نوى انه يصلي بالليل فنام كتب له ثواب ما نوى
ان يفعله وقد جاء في الحديث ما من رجل يكون له ساعة من الليل يقومها
فينام عنها الا كتب له اجر صلاته وكان نومه صدقة تصدق بها عليه وقد جاء

جاء في الحديث نية المؤمن خير من عمله والنية والارادة والقصد عبارات متواردة
على معنى واحد واعلم ان الاعمال تنقسم الى ثلثة اقسام الاول المعاصي فلا تتغير
عن موضوعها بالنية مثل من بنى مسجدا بالمال الحرام يقصد بذلك الخير فان النية
لا تؤثر فيه فان قصد الخير بالشر شر اخر فان الخيرات انما تعرف كونها خيرات
بالشرع فكيف يمكن ان يكون الشر خيرا هيهات واعلم ان من تقرب من
السلاطين ببناء المساجد والمدارس بالمال الحرام كان كتقرب علماء السوء
بتعليم العلم للسفهاء والاشرار المشغولين بالفسق فان هؤلاء اذا تعلموا كانوا
قطاع طريق الله تعالى يتكالبون على الدنيا ويتبعون الهوى ووبال ذلك
راجع الى معلمهم اذا علم فساد نياتهم ومقاصدهم ومن هذا القبيل تعلم
القصاص القصص فان مقاصد اكثرهم معروفة وقصدهم اجتلاب
الدنيا واخذ الاموال كيف اتفق فتعليمهم اعانة على الفساد فقد علمت ان
الطاعة تنقلب معصية بالقصد واما المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد

مطلب ان المعصية فلا تنقلب
طاعة بالقصد

اصلا بل اذا انضاف اليها قصد خبيث تضاعف وزرها وعظم وبالها
القسم الثاني الطاعات وهي مرتبطة بالنيات في اصل صحتها وفي
تضاعف فضلها اما الاصل فهو ان ينوي عبادة الله تعالى لا غير فان نوى
الرياء صارت معصية واما تضاعف الفضل فبكثرة النيات الحسنة فان
الطاعة الواحدة يمكن ان ينوي بها خيرات كثيرة فيكون له بكل نية ثواب
اذ كل واحدة منها حسنة ثم تضاعف كل حسنة عشر امثالها مثال ذلك القعود
في المسجد فانه طاعة ويمكن ان ينوي بها نيات كثيرة منها ان ينوي بدخوله
انتظار الصلاة ومنها الاعتكاف وكف الجوارح فان الاعتكاف كف و
منها دفع الشواغل الصارفة عن الله تعالى بالانقطاع الى المسجد والى ذكر الله
تعالى فيه ونحو ذلك فهذا طريق تكثير النيات فقس على ذلك ساير
الطاعات اذ ما من طاعة الا وتحتمل نيات كثيرة القسم الثالث المباحات
فما من شيء من المباحات الا ويحتمل نية او نيات يصير بها من محاسن القربات
وينال بها معالي الدرجات فما اعظم خسران من يغفل عنها ويتعاطاها

تعاطى البهائم المهملة ولا ينبغي ان يحتقر العبد الخطرات والخطوات واللحظات
فكل ذلك يسأل عنه في القيمة لم فعله وما الذي قصد به **مثال** ما ينوى به
القربة من المباحات ان يتطيب وينوى باتباع السنة واحترام المسجد
ودفع الروايح الكريهة التي تؤذي مخالطيه **و**قال الشافعي من طاب ريحه
زاد عقله ولذلك معالجة راسه لتزيد فطنته وذكاؤه فيسهل عليه
ادراك مهمات دينه **و**قال بعض السلف اني لاستحب ان يكون لي في كل شيء
نية حتى في اكل وشرب ونوم ودخول الخلاء وكل ذلك مما يمكن ان يقصد
التقرب الى الله تعالى لان كل ما هو سبب لبقاء البدن وفراغ القلب من مهمات
الدين فمن قصد من الاكل التقوي على العبادة ومن النكاح تحصين دينه
وتطييب قلب اهله والتوصل الى ولد يعبد الله بعده اثيب على ذلك كله
ولا تحقرن شيئا من حركاتك وكلماتك وحاسب نفسك قبل ان تحاسب و
صحح نيتك قبل ان تفعل ما تفعله وانظر في نيتك فيما تتركه ايضا واعلم
ان النية هي انبعاث النفس وميلها الى ما ظهر لها انه مصلحة لها اما في
الحال او المال وربما سمع بعض الجهال ما اوصينا به من تحسين النية فقال
عند اكله نويت ان اكل لله او عند قراءته نويت ان اقرا لله وظن ان ذلك
نية وليس كذلك انما النية انبعاث القلب وتجري مجرى الفتوح من الله تعالى
وليست النية داخلة تحت الاختيار فقد تتيسر في بعض الاوقات وقد
تتعذر وانما تتيسر في الغالب لمن قلبه يميل الى الدين دون الدنيا والناس
في النيات على اقسام **منهم** من يكون عمله للطاعة اجابة لباعث الخوف **ومنهم**
من يكون عمله اجابة لباعث الرجاء وثم مقام ارفع من هذين وهو ان يعمل
الطاعة على نية جلال الله تعالى لاستحقاقه الطاعة والعبودية وهذا لا يتيسر
لراغب في الدنيا وهي اعز النيات واعلاها وقليل من يفهمها فضلا عن ان
يتعاطاها وصاحب هذا المقام لا يجاوز ذكر الله تعالى والفكر في جلاله وجماله
وقد حكى احمد بن خضرويه انه راى رب العزة في منامه فقال له كل الناس
يطلبون مني وابو يزيد يطلبني وغرضنا ان هذه النيات متفاوتة في الدرجات

ت ومن غلب على قلبه واحدة منها فربما لم يتيسر له العدول الى غيرها ومن حضرت
له نية في المباح ولم تحضر في فضيلة فالمباح اولى وانتقلت الفضيلة اليه مثال
ذلك ان تحضره نية في الاكل والنوم ليتقوى بذلك على العبادة ويريح بدنه و
لم تنبعث نيته في الحال الى الصلاة والصوم فالاكل والنوم افضل بل لو مل
العبادة لكثرة مواظبته عليها وعلم انه لو ترفه ساعة بمباح عاد نشاطه فذلك
افضل من التعبد قال علي روحوا القلوب واطلبوا لها طرف الحكمة فانها تمل
كما تمل الابدان وقال بعضهم روحوا القلوب تعي الذكر وهذه دقايق لا يدركها
الا بممارسة العلماء فان الحاذق في الطب قد يعالج المحرور باللحم مع حرارته ويستبعد
ذلك القاصر في الطب وانما يبتغي به ان يعود قوته ليحتمل المعالجة وكذلك الخبير
بالقتال قد يفر من بين يدي قرنه حيلة منه ليستجره الى مضيق فسلوك
طريق الله تعالى كله حرب مع الشيطان ومعالجة للقلب والبصير الموفق يقف
في تلك الطريق على لطايف من الحيل يستبعدها الضعفاء فلا ينبغي لهم
استبعاد ما خفي عليهم بل يسلمون لاصحاب الاحوال الى ان ينكشف لهم
اسرار ذلك او ينالوا ذلك المقام **الفصل الثاني** في الاخلاص وفضيلته
وحقيقته ودرجاته قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
وقال الا لله الدين الخالص وغير ذلك من الايات وقال النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم لمعاذ بن جبل اخلص دينك يكفك القليل من العمل **و**في
حديث عن انس انه اذا كان يوم القيمة جاءت الملائكة بصحف مختمة فيقول
الله عز وجل القوا هذا واقبلوا هذا فتقول الملائكة وعزتك ما كتبنا الا ما
كان فيقول ان هذا كان لغيري ولا اقبل اليوم الا ما كان لي **و**عن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الملائكة يرفعون عمل العبد فيكثرونه ويزكونه
فيوحي الله تعالى اليهم انتم حفظة على عمل عبدي وانا رقيب على ما في نفسه
ان عبدي لم يخلص لي عمله فاجعلوه في سجين ويصعدون بعمل العبد
يستقلونه فيوحي الله اليهم انكم حفظة على عبدي وانا رقيب على ما في نفسه
فضاعفوه واجعلوه في عليين **وروى** ابن ابي الدنيا في مكايد الشيطان من

اسم كتاب

تاليفه عن الحسن قال كانت شجرة تعبد من دون الله فجاء اليها رجل فقال لاقطعن هذه الشجرة فجاء اليها ليقطعها غضبا لله فلقيه الشيطان في صورة انسان فقال ما تريد قال اريد ان اقطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله قال اذا انت لم تعبدها فما يضرك من عبدها قال لاقطعنها فقال له الشيطان هل لك فيما هو خير لك من ذلك لا تقطعها ولك ديناران كل يوم اذا اصبحت عند وسادتك قال فمن لي بذلك قال انا لك فرجع فاصبح فوجد عند وسادته دينارين ثم اصبح بعد فلم يجد شيا فقام غضبان ليقطعها فتمثل له الشيطان في صورته فقال ما تريد قال اريد ان اقطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله قال كذبت ما لك الى قطعها سبيل فذهب ليقطعها فضرب به الارض وخنقه حتى كاد يقتله ثم قال تدري من انا فاخبره انه الشيطان وقال جئت اول مرة غضبا لله فلم يكن لي عليك سبيل فخدعتك بالدينارين فتركتها فلما فقدتهما جئت غضبا للدينارين فسلطت عليك **و**كان معروف الكرخي يضرب نفسه ويقول يا نفس اخلصي وتخلصي **و**قال ابو سليمان طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها الا الله تعالى **و**حكي ان رجلا كان يخرج في زي النساء فيحضر حيث يحضرن من عرس او مأتم فاتفق انه حضر يوما موضعا فيه مجمع النساء فسرقت درة فصاحوا اغلقوا الباب حتى نفتش ففتشوا واحدة واحدة حتى بلغت النوبة الى الرجل والى امراة معه فدعا الله بالاخلاص وقال ان نجوت من هذه الفضيحة لا اعود الى مثل هذا فوجدت الدرة مع تلك المراة فصاحوا اطلقوا الحرة فقد وجدنا الدرة

بيان حقيقة الاخلاص

اعلم ان كل شيء يتصور ان يشوبه غيره اذا صفا عن شوبه وخلص عنه سمي اخلاصا والاخلاص يضاده الاشراك فمن ليس مخلصا فهو مشرك الا ان الشرك درجات فالاخلاص في التوحيد يضاده الشرك في الالهية والشرك منه جلي ومنه خفي وكذا الاخلاص وقد ذكرنا درجات الريا فيما تقدم في بابه وانما نتكلم الان فيمن انبعث لقصد التقرب ولكن امتزج بهذا الباعث باعث اخر اما من الريا او من غيره من حظوظ النفس **و**مثال ذلك ان يصوم لينتفع بالحمية الحاصلة

بالصوم مع قصد التقرب او يعتق عبدا ليتخلص من مؤنته وسوء خلقه او يحج ليصح مزاجه بحركة السفر او للتخلص من شر يعرض له او يغزو ليمارس الحرب ويتعلم اسبابها او يصلي بالليل وله غرض في دفع النعاس عن نفسه ليراقب رحله واهله او يتعلم العلم ليسهل عليه طلب ما يكفيه من المال او يشتغل بالتدريس ليفرح بلذة الكلام ونحو ذلك فمتى كان باعثه التقرب الى الله تعالى ولكن انضاف اليه خاطر من هذه الخواطر حتى صار العمل اخف عليه بسبب هذه الامور فقد خرج عمله عن حد الاخلاص والانسان قل ما ينفك فعل من افعاله وعبادة من عباداته عن شيء من هذه الامور فلذلك قيل من سلم له في عمره لحظة واحدة خالصة لوجه الله تعالى نجا وذلك لعزة الاخلاص وعسر تنقية القلب من هذه الشوايب لان الخالص هو الذي لا باعث عليه الا طلب القرب من الله تعالى **قيل** لسهل اي شيء اشد على النفس قال الاخلاص اذ ليس لها فيه نصيب **و**اعلم ان الشوايب المكدرة للاخلاص متفاوتة بعضها جلي وبعضها خفي وقد ذكرنا درجات الريا في بابه ومن الريا ما هو اخفى من دبيب النمل فليطلب هناك وحاصله انه ما دام العامل يفرق بين مشاهدة الانسان والبهيمة في حالة من العمل فهو خارج عن صفو الاخلاص ولا يسلم من الشيطان الا من دق نظره وسعد بعصمة الله تعالى وتوفيقه **وقد** قيل ركعتان من عالم افضل من سبعين ركعة من جاهل واريد به العالم بدقايق افات الاعمال حتى يخلص عنها والجاهل ينظر الى ظاهر العبادة وقيراط من الذهب الذي يرتضيه الناقد خير من دينار يرتضيه الغر الغبي

فصل في حكم العمل

المشوب واستحقاق الثواب به اما العمل الذي لا يريد به الا الريا فهو عليه لا له وهو سبب للعقاب كما ان العمل الخالص لوجه الله تعالى سبب للثواب ولا اشكال في هذين القسمين وانما النظر في العمل المشوب الممتزج بشوب الريا وحظوظ النفس وقد اختلف الناس في ذلك هل يقتضي ثوابا او عقابا او لا يقتضي شيا اصلا وليس تخلو الاخبار عن تعارض

في ذلك والذي ينقدح لنا فيه والعلم عند الله تعالى ان ينظر الى قدر قوة البواعث
فان كان الباعث الذي مساويا للباعث النفساني تقاوما وتساقطا
وصار العمل لا له ولا عليه وان كان باعث الريا اقوى ضرا واوجب العقاب
لكن عقابه دون عقاب من تجرد للريا وان كان الباعث الديني اقوى من
الاخر فله ثواب بقدر ما فضل من قوته قال الله تعالى ان الله لا يظلم مثقال
ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويشهد لما ذكرنا اجماع الامة على ان من
خرج حاجا ومعه تجارة صح حجه واثيب عليه وقد امتزج به حظ من
حظوظ النفس الا ان الحج هو المحرك الاصلي لم ينفك السفر عن ثواب
وكذلك الغازي اذا قصد الغزو والغنيمة ويكون قصد الغنيمة على سبيل
التبع حصل له الثواب ولكنه لا يساوي ثواب من لا يلتفت الى الغنيمة
اصلا والله اعلم **الفصل الثالث** في الصدق وحقيقته وفضله عن عبد الله
بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليكم بالصدق فان الصدق
يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق
حتى يكتب عند الله صديقا رواه البخاري ومسلم **وقال** بشر الحافي من عامل الله
بالصدق استوحش من الناس واعلم ان لفظ الصدق يستعمل في معان
احدها الصدق في القول فحق على كل عبد ان يحفظ الفاظه ولا يتكلم الا
بالصدق والصدق بالكلام هو اشهر انواع الصدق واظهرها وينبغي ان
يحترز عن المعاريض فانها تجانس الكذب الا ان تمس الحاجة اليه و
تقتضيه المصلحة في بعض الاحوال **و**قد كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا اراد غزوة ورى بغيرها لئلا ينتهي الخبر الى الاعداء فيتهيا والقتال **و**
قال صلى الله تعالى عليه وسلم ليس بكاذب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى
خيرا وينبغي ان يراعي معنى الصدق في الفاظه حتى يناجي بها ربه تعالى كقوله
وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض فان كان قلبه منصرفا عن الله
مشغولا بالدنيا فهو كاذب **الثاني** الصدق في النية والارادة وذلك يرجع
الى الاخلاص فان مازج عمله شوب من حظوظ النفس بطل صدق النية

انه متع

النية وصاحبه يجوز ان يكون كاذبا كما في حديث الثلثة العالم والقاري والمجاهد
لما قال القاري قرأت القران الى اخره انما كذب في ارادته ونيته لا في نفس القراة
وكذلك صاحباه **الثالث** الصدق في العزم والوفاء اما الاول فيجوز
ان يقول ان اتاني الله مالا تصدقت بجميعه فهذه العزيمة قد تكون صادقة
وقد يكون فيها تردد **واما** الثاني فيجوز ان يصدق في العزم وتسخو
النفس بالوعد لانه لا مشقة فيه اذا تحققت الحقايق وانحلت العزيمة
وغلبت الشهوة ولذلك قال الله تعالى من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه وقال في الاية الاخرى ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن
الى قوله وبما كانوا يكذبون **الرابع** الصدق في الاعمال وهو ان تستوي
سريرته وعلانيته حتى لا تدل اعماله الظاهرة من الخشوع ونحوه على امر في
باطنه ويكون الباطن بخلاف ذلك **قال** مطرف اذا استوت سريرة العبد
وعلانيته قال الله عز وجل هذا عبدي حقا **الخامس** الصدق في مقامات
الدين وهو اعلى الدرجات كالصدق في الخوف والرجاء والزهد والرضا
والحب والتوكل فان هذه الامور لها مبادي ينطلق عليها الاسم بظهورها
ثم لها غايات وحقايق فالصادق المحقق من نال حقيقتها واذا غلب
الشيء وتمت حقيقته سمي صاحبه صادقا قال الله تعالى ولكن البر من
امن بالله واليوم الاخر الى قوله اولئك الذين صدقوا وقال تعالى انما
المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الى قوله اولئك هم الصادقون
ولنضرب للخوف مثلا فنقول ما من عبد يؤمن بالله الا وهو خائف من الله
خوفا ينطلق عليه الاسم ولكنه غير بالغ الى درجة الحقيقة الا تراه اذا خاف
سلطانا كيف يصفر ويرتعد خوفا من وقوع المحذور ثم انه يخاف النار ولا
يظهر عليه شيء من ذلك عند فعل المعصية ولذلك قال عامر بن عبد قيس عجبت
للجنة نام طالبها وعجبت للنار نام هاربها والتحقيق في هذه الامور عزيز جدا
فلا غاية لهذه المقامات حتى ينال تمامها ولكن لكل حظ بحسب حاله اما ضعيف
واما قوي فاذا قوي سمي صادقا واذا علم الله من عبد صدقا اصبح له والصادق

في جميع هذه المقامات عزيز وقد يكون للعبد صدق في بعضها دون بعض و
من علامات الصدق كتمان المصائب والطاعات جميعا وكراهة اطلاع
الخلق على ذلك **باب المحاسبة والمراقبة** قال الله تعالى يوم تجد كل
نفس ما عملت من خير محضرا الى قوله ويحذركم الله نفسه وقال ونضع
الموازين القسط الى قوله وكفى بنا حاسبين وقال ووضع الكتاب فترى
المجرمين مشفقين مما فيه الى قوله ولا يظلم ربك احدا وقال يومئذ يصدر
الناس اشتاتا ليروا اعمالهم آه فاقتضت هذه الاية وما اشبهها خطر
الحساب في الاخرة وتحقق ارباب البصائر انهم لا ينجيهم من هذه الاخطار
الا لزوم المحاسبة لانفسهم وصدق المراقبة فمن حاسب نفسه في الدنيا خف
في القيامة حسابه وحسن منقلبه ومن اهمل المحاسبة دامت حسراته فلما
علموا انهم لا ينجيهم الا الطاعة وقد امرهم الله تعالى بالصبر والمرابطة فقال يا ايها
الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا فرابطوا انفسهم اولا بالمشارطة
ثم بالمراقبة ثم بالمحاسبة ثم بالمعاقبة ثم بالمجاهدة ثم بالمعاتبة فكانت لهم في
المرابطة ست مقامات واصلها المحاسبة لكن كل حساب يكون بعد
مشارطة ومراقبة ويتبعه عند الخسران المعاتبة والمعاقبة ولا بد من شرح
ذلك المقام **الاول** المشارطة اعلم ان التاجر كما يستعين بشريكه في التجارة
طلبا للربح ويشارطه ويحاسبه كذلك العقل يحتاج الى مشاركة النفس و
يوظف عليها الوظائف ويشرط عليها الشروط ويرشدها الى طريق الفلاح
ثم لا يغفل عن مراقبتها فانه لا يامن خيانتها وتضييعها راس المال ثم بعد
الفراغ ينبغي ان يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما شرط عليها فان هذه التجارة
ربحها الفردوس الاعلى فتدقيق الحساب في هذا مع النفس اهم من تدقيقه
بكثير من ارباح الدنيا فحتم على كل حازم امن بالله واليوم الاخر ان لا يغفل
عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها فان
كل نفس من انفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها فاذا فرغ العبد
من فريضة الصبح ينبغي ان يفرغ قلبه ساعة لمشارطة نفسه فيقول

للنفس مالي بضاعة الا العمر فاذا افني فني راس المال ووقع الياس من التجارة
وطلب الربح وهذا اليوم الجديد قد امهلني الله فيه وآخر اجلي وانعم علي به
ولو توفاني لكنت اتمنى ان يرجعني الى الدنيا حتى اعمل فيه صالحا فاحسبي يا
نفس انك قد توفيت ثم رددت فاياك ان تضيعي هذا اليوم واعلمي
ان اليوم والليلة اربع وعشرون ساعة وان العبد ينشر له بكل يوم وليلة
اربع وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح له منها خزانة فيراها مملوءة نورا
من حسناته التي عملها في تلك الساعة فيحصل له من السرور بمشاهدة
تلك الانوار ما لو وزع على اهل النار لادهشهم عن الاحساس بالم النار
ويفتح له خزانة اخرى سوداء مظلمة يفوح ريحها ويغشاه ظلامها وهي
الساعة التي عصى الله فيها فيحصل له من الفزع والخزي ما لو قسم على اهل
الجنة لنغص عليهم نعيمهم ويفتح له خزانة اخرى فارغة ليس فيها ما يسوءه ولا ما
يسره وهي الساعة التي نام فيها او غفل او اشتغل بشيء من المباح فيتحسر على
خلوها وينال له ما نال القادر على الربح الكثير اذا اهمله حتى فاته وعلى هذا
تعرض عليه خزاين اوقاته طول عمره فيقول لنفسه اجتهدي اليوم في ان تعمري
خزانتك ولا تدعيها فارغة ولا تميلي الى الكسل والدعة والاستراحة فيفوتك
من درجات عليين ما يدرك غيرك **قال** بعضهم هب ان المسيء قد عفي
عنه اليس قد فاته ثواب المحسنين فهذه وصية في نفسه في اوقاته
ثم يستانف لها وصية اخرى في اعضائه السبعة وهي العين والاذن واللسان
والبطن والفرج واليد والرجل وتسليمها الى النفس فانها رعايا خادمة
لها في هذه التجارة بها تتم اعمالها ويعلمها ان ابواب جهنم سبعة على عدد هذه
الاعضاء فتتعين تلك الابواب لمن عصى الله تعالى بهذه الاعضاء فيوصيها
بحفظها عن معاصيها اما العين فيحفظها عن النظر الى ما لا يحل النظر اليه
او الى مسلم بعين الاحتقار وعن كل فضول مستغنى عنه ويشغلها بما فيه
تجارتها وربحها وهو النظر الى ما خلقت له من عجايب صنع الله تعالى بعين الاعتبار
والنظر الى اعمال الخير للاقتداء والنظر في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

ومطالعة كتب الحكم والاتعاظ والاستفادة وهكذا ينبغي ان يتقدم الى كل عضو وبالوصية بما يليق به لا سيما اللسان فيما تقدم فيشغله بما خلق له من الذكر والتذكير وتكرار العلم والتعليم وارشاد عباد الله تعالى الى طريق الله واصلاح ذات البين الى غير ذلك من الخير واما البطن فيكلفه ترك الشره واجتناب الشبهات والشهوات ويقتصر على قدر الضرورة ويشترط على نفسه ان خالفت شيا من ذلك ان يعاقبها بالمنع من شهوات البطن ليفوتها اكثر مما نالت بشهوتها وهكذا في جميع الاعضاء واستقصاء ذلك يطول وما تخفى طاعات الاعضا ومعاصيها ثم يستانف وصيتها في وظايف العبادات التي تتكرر في اليوم والليلة ثم في النوافل التي يقدر عليها وعلى الاستكثار منها وهذه شروط يفتقر اليها كل يوم الى ان تتعود النفس ذلك فيستغنى عن المشارطة ولكن لا يخلو كل يوم من حادثة لها حكم جديد لله تعالى عليه في كل حق ويكثر هذا على من يشتغل بشيء من اعمال الدنيا من ولاية او تجارة او نحو ذلك اذ قل ان يخلو يوما عن واقعة جديدة يحتاج الى ان يقضي حق الله فيها فعليه ان يشترط على نفسه الاستقامة فيها والانقياد للحق وعن شداد بن اوس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال عمر رضي الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وتهيئوا للعرض الاكبر يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية المقام الثاني المراقبة اذا وصى الانسان نفسه وشرط عليها ما ذكرنا لم يبق الا المراقبة لها وملاحظتها وفي الحديث الصحيح في تفسير الاحسان لما سئل عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك اراد بذلك استحضار عظمة الله ومراقبته في حال العبادة قيل دخل الشبلي على ابن الحسين النوري وهو قاعد ساكن لا يتحرك من ظاهره شيء فقال له من اين اخذت هذه المراقبة والسكوت فقال من سنور كانت لنا اذا ارادت الصيد رابطت راس الحجر حتى لا يتحرك لها شعرة وينبغي ان يراقب الانسان نفسه قبل العمل وفي العمل هل حركه عليه هوى

هوى النفس او المحرك هو الله خاصة فان كان الله تعالى امضاه والا تركه وهذا هو الاخلاص قال الحسن بعدا وقف عند همه فان كان لله مضى وان كان لغيره تاخر فهذه مراقبة العبد في الطاعة وهو ان يكون مخلصا فيها ومراقبته في المعصية تكون بالتوبة والندم والاقلاع ومراقبته في المباح تكون بمراعاة الادب والشكر على النعم فانه لا يخلو من نعمة لا بد له من الشكر عليها ولا يخلو من بلية لا بد له من الصبر عليها وكل ذلك من المراقبة قال وهب بن منبه في حكمة آل داود حق على العاقل ان لا يشتغل عن اربع ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يفضي فيها الى اخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه وساعة يخلي بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل فان هذه الساعة عون على هذه الساعات واجمام للقوة وهذه التي هو مشغول فيها بالمطعم والمشرب لا ينبغي ان تخلو عن عمل هو من افضل الاعمال وهو الذكر والفكر فان الطعام الذي يتناوله من العجايب ما لو تفكر فيه كان افضل من كثير من اعمال الجوارح المقام الثالث المحاسبة بعد العمل قال الله تعالى يا ايها الذين اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهذه اشارة الى المحاسبة بعد مضي العمل ولذلك قال عمر رضي حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وقال الحسن المؤمن قوام على نفسه يحاسب نفسه وقال ان المؤمن يفجاه الشيء يعجبه فيقول والله اني لاشتهيك وانك لمن حاجتي ولكن والله ما من صلة اليك ايهات حيل بيني وبينك ويفرط منه الشيء فيرجع الى نفسه فيقول ما اردت الى هذا ما لي ولهذا والله لا اعود الى هذا ابدا ان شاء الله ان المؤمنين قوم اوثقهم القران وحال بينهم وبين هلكتهم ان المؤمن اسير في الدنيا يسعى في فكاك رقبته لا يامن شيا حتى يلقى الله عز وجل يعلم انه ماخوذ عليه في سمعه وفي بصره وفي لسانه وفي جوارحه ماخوذ عليه في ذلك كله واعلم ان العبد كما ينبغي ان يكون له وقت في اول النهار يشارط فيه نفسه كذلك ينبغي ان يكون له ساعة يطالب فيها نفسه في آخر النهار ويحاسبها على جميع ما كان منها

كما يفعل التجار في الدنيا مع الشركاء في اخر كل سنة او شهر او يوم ومعنى المحاسبة
ان ينظر في راس المال وفي الربح وفي الخسران لتبين له الزيادة من النقصان
فراس المال في دينه الفرايض وربحه النوافل والفضايل وخسرانه المعاصي
وليحاسبها على الفرايض وان ارتكب معصية اشتغل بعقابها ومعاتبتها ليستوفي
منها ما فرط قيل كان توبة بن الصمة بالرقة وكان محاسبا لنفسه فحسب يوما
فاذا هو ابن ستين سنة فحسب ايامها فاذا هي احد وعشرون الف يوم وخمسماية
يوم فصرخ وقال يا ويلتا القا الملك باحد وعشرين الف ذنب وخمسماية
ذنب كيف وفي كل يوم عشرة الاف ذنب ثم خر مغشيا عليه فاذا هو ميت
فسمعوا قائلا يقول يا لها ركضة الى الفردوس الاعلى فكهذا ينبغي للعبد ان
يحاسب نفسه على الانفاس وعلى معصية القلب والجوارح في كل ساعة
فان الانسان لو رمى بكل معصية يفعلها حجرا في داره لامتلات داره في مدة
يسيرة ولكن يتساهل في حفظ المعاصي وهي مثبتة عليه احصاه الله و
نسوه **المقام الرابع** معاقبة النفس على تقصيرها اعلم ان المريد اذا حاسب
نفسه فراى منها تقصيرا او فعلت شيا من المعاصي فلا ينبغي ان يهملها فانه
يسهل عليه حينئذ مقارفة الذنوب ويعسر عليه فطامها بل ينبغي ان يعاقبها
عقوبة مباحة كما يعاقب اهله وولده وكما روي عن عمر او ابن عمر رضي الله عنه
انه خرج الى حايط له ثم رجع وقد صلى الناس العصر فقال انما خرجت الى حايطي
ورجعت وقد صلى الناس العصر حايطي صدقة على المساكين قال الليث
انما فاتته الجماعة وروينا عنه انه شغله امر عن المغرب حتى طلع نجمان
فلما صلاها اعتق رقبتين وحكي ان تميما الداري نام ليلة لم يقم يتهجد فيها حتى
اصبح فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذي صنع ومر حسان بن سنان بغرفة
فقال متى بنيت هذه ثم اقبل على نفسه فقال تسالين عما لا يعنيك لاعاقبنك
بصوم سنة فصامها فاما العقوبات بغير ذلك مما لا يحل فيحرم عليه فعله مثال
ذلك ما حكي ان رجلا من بني اسرائيل وضع يده على فخذ امراة فوضعها في النار
حتى نشت وان اخر حول رجله لينزل الى امراة فتفكر وقال ماذا اردت ان

ان اصنع فلما اراد ان يعيد رجله قال هيهات رجل خرجت الى معصية الله
لا ترجع معي فتركها حتى تقطعت بالمطر والرياح وان اخر نظر الى امراة فقلع
عينه فهذا كله محرم وانما كان جايزا في شريعتهم وقد سلك نحو ذلك خلق من
اهل ملتنا حملهم على ذلك الجهل بالعلم كما حكي عن غزوان الزاهد انه نظر الى
امراة فلطم عينه حتى نفرت وروينا عن بعضهم انه اصابته جنابة وكان
البرد شديدا وانه وجد في نفسه توقفا عن الغسل فالى ان لا يغتسل الا في
مرقعة وان لا ينزعها ولا يعصرها وكانت شديدة الكثافة تزيد على عشرين
رطلا وهذا من الجهل بالعلم فانه ليس للانسان ان يتصرف في نفسه بمثل هذا
وقد ذكرت كثيرا من هذا الفن الصادر عن المتعبدين على الجهل في كتابي
المسمى تلبيس ابليس **المقام الخامس** المجاهدة وهو انه اذا حاسب
نفسه فينبغي اذا راها قد فارقت معصية ان يعاقبها كما سبق فان راها
تتوانا بحكم الكسل في شي من الفضايل او ورد من الاوراد فينبغي ان يؤدبها
بتثقيل الاوراد كما روي عن ابن عمر انه فاتته صلاة في جماعة فاحيا الليل
كله تلك الليلة فاذا لم تطاوعه نفسه على الاوراد فانه يجاهدها ويكرهها
ما استطاع قال ابن المبارك ان الصالحين كانت انفسهم تواتيهم على
الخير عفوا وان انفسنا لا تواتينا الا كرها ومما يستعان به عليها انه يسمعها
اخبار المجتهدين وما ورد في فضلهم ويصحب من يقدر عليه منهم فيقتدي بافعالهم
قال بعضهم كنت اذا اعترتني فترة في العبادة نظرت الى وجه محمد بن واسع
والى اجتهاده فعملت على ذلك اسبوعا وقد كان عامر بن عبد قيس يصلي كل
يوم الف ركعة وكان الاسود بن يزيد يصوم حتى يخضر ويصفر وحج مسروق
فما نام الا ساجدا وكان داود الطائي يشرب الفتيت مكان الخبز ويقول بينهما
خمسين اية وكان كرز بن وبرة يختم كل يوم ثلث ختمات وكان عمر بن عبد العزيز
وفتح الموصلي يبكيان الدم وصلى اربعون نفسا من القدماء الفجر بوضوء العتمة
وجاور ابو محمد الجريري سنة فلم ينم ولم يتكلم ولم يستند الى حايط ولم يمد رجله
فقال له ابو بكر الكتاني بم قدرت على هذا فقال علم صدق باطني فاعانني على ظاهري

ودخلوا على رحلة العابدة تكلموها بالرفق بنفسها فقالت انما هي ايام مبادرة
فمن فاته اليوم شيء لم يدركه غدا والله يا اخوتاه لاصلين لله ما اقلتني
جوارحي ولاصومن له ايامي حياتي ولابكين ما حملت الماء عيناي ومن
اراد ان ينظر في سير القوم ويتفرج في بساتين مجاهداتهم فلينظر في كتابي
المسمى بصفوة الصفوة فانه يرى من اخبار القوم ما يعد نفسه بالاضافة
اليهم من الموتى بل من اخبار المتعبدات من النسوة ما يحتقر نفسه عند سماعه
المقام السادس في معاتبة النفس وتوبيخها قال ابو بكر الصديق من مقت
نفسه في ذات الله امنه الله من مقته وقال انس سمعت عمر بن الخطاب
ودخل حايطا فسمعته يقول، وبيني وبينه جدار عمر بن الخطاب امير المؤمنين
بخ بخ والله لتتقين الله بني الخطاب او ليعذبنك وقال المحتري بن حارثة
دخلت على عابد فاذا بين يديه نار قد اججها وهو يعاتب نفسه فلم يزل
يعاتبها حتى مات وكان بعضهم يقول اذا ذكر الصالحين اف لي وتف واعلم
ان اعداء عدوك نفسك التي بين جنبيك وقد خلقت امارة بالسوء ميالة
الى الشر وقد امرت بتقويمها وتزكيتها وفطامها عن مواردها وان تقودها
بسلاسل القهر الى عبادة ربها فان اهملتها جمحت وشردت ولم تظفر بها
بعد ذلك وان لزمتها بالتوبيخ رجوها ان تصير مطمانة فلا تغفل عن
تذكيرها وسبيلك ان تقبل عليها فتقرر عندها جهلها وغباوتها وتقول
يا نفس ما اعظم جهلك تدعين الذكاء والفطنة وانت اشد الناس
غباوة وحمقا اما تعلمين انك صايرة الى الجنة او الى النار فكيف يلهو من لا
يدري الى ايتهما يصير وربما اختطف في يومه او في غده اما تعلمين ان كل ما
هو ات فهو قريب وان الموت ياتي بغتة من غير موعد ولا يتوقف على سن
دون سن بل كل نفس من الانفاس يمكن ان يكون فيه الموت فجاة وان
لم يكن الموت فجاة كان المرض فجاة ثم يفضي الى الموت فما لك لا تستعدين للموت
وهو قريب منك يا نفس ان كانت جراتك على معصية الله تعالى لاعتقادك
ان الله لا يراك فما اعظم كفرك وان كانت مع علمك باطلاعه عليك فما اشد

اشد وقاحتك واقل حياك الك طاقة على عذاب جهنم جربي ذلك بالقعود ساعة
في الحمام او قربي اصبعك من النار يا نفس ان كان المانع لك من الاستقامة
حب الشهوات فاطلبي الشهوات الباقية الصافية عن الكدر ورب اكلة منعت
اكلات وما قولك في عقل مريض اشار عليه الطبيب بترك الماء البارد ثلثة
ايام ليصح ويتهيا لشربه طول العمر فما مقتضى العقل في قضاء حق الشهوة
ايصبر ثلثة ايام ليتنعم طول العمر ام يقضي شهوته في الحال ثم يلزمه الالم ابدا
فجميع عمره بالاضافة الى الابد الذي هو مدة نعيم اهل الجنة وعذاب اهل النار
اقل من ثلثة ايام بالاضافة الى جميع العمر بل اقل من لحظة بالاضافة الى عمر الدنيا
وليت شعري الم الصبر عن الشهوات اشد واطول ام الم النار في الدركات
فمن لا يطيق الصبر على الم المجاهدة كيف يطيق الم العذاب في الاخرة اشغلك
حب الجاه اما بعد ستين سنة او نحوها لا تبقين انت ولا من كان لك
عنده جاه فهلا تركت الدنيا الخسيسة لشركائها وكثرة عنائها وخوفا من سرعة
فنائها اتبدلين بجوار رب العالمين صف النعال في صحبة الحمقى قد ضاع
اكثر البضاعة وقد بقيت من العمر صبابة فلو استدركت ندمت على ما ضاع
فكيف اذا اضفت الاخير الى الاول اعملي في ايام قصار لايام طوال واعدي
للجواب السؤال اخرجي من الدنيا خروج الاحرار قبل ان يكون خروج
اضطرار انه من كانت مطيته الليل والنهار يسير به وان لم يسر تفكري في
هذه الموعظة فان عدمت تاثيرها فابكي على ما اصبت به فسقي الدمع
من بحر الرحمة **باب التفكر** قد امر الله سبحانه بالتفكر والتدبر في
كتابه العزيز واثنى على المتفكرين بقوله ويتفكرون في خلق السموات والارض
ربنا ما خلقت هذا باطلا وقال ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون وعن
عمر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا
في الله وقال ابو الدرداء تفكر ساعة خير من قيام ليلة وقال وهب بن منبه
ما طالت فكرة امرئ قط الا فهم وما فهم الا علم ولا علم الا عمل وقال بشر الحافي
لو تفكر الناس في عظمة الله تعالى لما عصوه وقال الفريابي في قوله تعالى ساصرف

عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قال امنع قلوبهم التفكر في امري
وكان داود الطائي على سطح في ليلة قمراء فتفكر في ملكوت السموات والارض
فوقع في دار جار له فوثب الرجل عريانا وبيده السيف فلما راه قال يا داود
ما الذي القاك قال ما شعرت بذلك وقال يوسف بن اسباط ان الدنيا لم
تخلق لينظر اليها بل لينظر بها الى الاخرة وكان سفيان يشتد تفكره
يبول الدم وقال ابو بكر الكتاني روعة عند انتباهة من غفلة وانقطاع
عن حظ نفساني وارتعاد من خوف قطيعة افضل من عبادة الثقلين
بيان مجاري الفكر وثمرته اعلم ان الفكر قد يجري في امر يتعلق بالدين
وقد يجري في امر يتعلق بغيره وانما غرضنا ما يتعلق بالدين في امره وشرح
ذلك يطول فلينظر الانسان في اربعة انواع الطاعات والمعاصي والصفات
المهلكات والصفات المنجيات فلا تغفل عن نفسك ولا عن صفاتك
المباعدة عن الله والمقربة اليه وينبغي لكل مريد ان تكون له جريدة يثبت
فيها جملة الصفات المهلكات وجملة الصفات المنجيات وجملة المعاصي
والطاعات ويعرض نفسه كل يوم ويكفيه من المهلكات النظر في عشرة
فانه ان سلم منها سلم من غيرها وهي البخل والكبر والعجب والرياء و
الحسد وشدة الغضب وشره الطعام وشره الوقاع وحب المال
وحب الجاه ومن المنجيات عشرة الندم على الذنوب والصبر على البلاء
والرضاء بالقضاء والشكر على النعماء واعتدال الخوف مع الخلق وحب
الله تعالى والخشوع له فهذه عشرون خصلة عشرة مذمومة وعشرة محمودة
فمتى كفي من المذمومات واحدة خط عليها في جريدته وترك الفكر فيها
وشكر الله تعالى على كفايته اياها وليعلم ان ذلك لم يتم الا بتوفيق الله تعالى
وعونه ثم يقبل على التسعة الباقية وهكذا يفعل حتى يخط على الجميع وكذلك
يطالب نفسه بالاتصاف بالصفات المنجيات فاذا اتصف بواحدة منها
كالتوبة والندم مثلا خط عليها واشتغل بالباقي وهذا يحتاج اليه المريد المشمر
فاما اكثر الناس من المعدودين في الصالحين فينبغي ان يثبتوا في جرائدهم

هي المعاصي الظاهرة كاكل الشبهات واطلاق اللسان بالغيبة والنميمة والمراء
والثناء على النفس والافراط في موالاة الاولياء ومعاداة الاعداء والمداهنة
في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان اكثر من يعد نفسه من وجوه
الصالحين لا ينفك عن جملة من هذه المعاصي في جوارحه وما لم تطهر الجوارح
من الاثام لا يمكن الاشتغال بعمارة القلب وتطهيره وكل فريق من الناس
يغلب عليهم نوع من هذه الامور فينبغي ان يكون تفقدهم لها وتفكرهم
فيها مثاله العالم الورع فانه لا يخلو في غالب الامر من اظهار نفسه بالعلم و
طلب الشهرة وانتشار الصيت اما بالتدريس او بالوعظ ومن فعل
ذلك فقد تصدى لفتنة عظيمة لا ينجو منها الا الصديقون وربما ينتهي العلم
باهل العلم الى ان يتغايروا كما يتغاير النساء وكل ذلك من رسوخ الصفات
المهلكات في سر القلب التي يظن العالم النجاة منها وهو مغرور فيها ومن
احس من نفسه بهذه الصفات فالواجب عليه الانفراد والعزلة وطلب
الخمول والمدافعة للفتاوي فقد كان الصحابة يتدافعون الفتاوي وكل منهم
يود لو ان اخاه كفاه وعند هذا ينبغي ان يتقي شياطين الانس فانهم قد
يقولون هذا باب لاندراس العلم فليقل لهم دين الاسلام مستغن عني و
لو مت لم ينهدم الاسلام وانا غير مستغن عن اصلاح قلبي فليكن فكر العالم
في التفطن لخفايا هذه الصفات من قلبه نسال الله ان يصلح فساد قلوبنا
وان يوفقنا لما يرضيه عنا فصل قد تقدم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
تفكروا في الاء الله ولا تفكروا في الله فالتفكر في ذاته سبحانه ممنوع منه وذلك
ان العقول تتحير في ذلك فانه اعظم من ان تمثله العقول بالتفكر او تتوهمه
القلوب بالتصوير ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فاما التفكر في
مخلوقات الله تعالى فقد ورد القران بالحث على ذلك كقوله تعالى ان في خلق
السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب الايات
وقوله قل انظروا ماذا في السموات والارض ومن ايات الله تعالى الانسان المخلوق
من نطفة فيتفكر الانسان في نفسه فان في خلقه من العجائب الدالة على عظمة الله

ما تنقضي الاعمار في الوقوف على عشر عشره وهو غافل عن ذلك وقد امره الله تعالى
بالتدبر في نفسه فقال وفي انفسكم افلا تبصرون وقد تقدم في كتاب التفكر
الكلام على بعض خلق الانسان فليطلب هناك ومن اياته الجواهر المودعة
في الجبال والمعادن من الذهب والفضة والفيروزج وكذلك معادن النفط
والكبريت والقار وغيرها ومن اياته البحار العظيمة العميقة المكتنفة لاقطار
الارض التي هي قطع من البحر الاعظم المحيط بجميع الارض ولو جمع المكشوف
من الارض من البراري والجبال لكان بالاضافة الى الماء كجزيرة صغيرة في بحر
عظيم وفي البحر عجايب اضعاف ما نشاهده في البر وانظر كيف خلق اللؤلؤ
ودورة في صدفة تحت الماء وكذلك ما عداه من العنبر واصناف ما يقذفه
البحر وانظر الى عجايب السفن كيف امسكها الله على وجه الماء وسيرها
في البحار تسوقها الرياح واعجب من ذلك الماء فانه حيوة كل ما على الارض
من حيوان ونبات فلو احتاج العبد الى شربة ماء ومنع منها لبذل جميع
الارض في اخراجها فلا يغفل العبد عن هذه النعمة ومن اياته الهواء وهو جسم
لطيف لا يرى بالعين ثم انظر الى شدته وقوته وانظر الى عجايب الجو وما
يظهر فيه من الغيوم والرعد والبرق والمطر والثلج والبرد والشهب و
الصواعق وغير ذلك من العجايب وانظر الى الطير تسبح باجنحتها في الهواء
كما يسبح حيوان البحر في الماء ثم انظر الى السماء وعظمها وكواكبها وشمسها
وقمرها وما فيها كوكب الا ولله تعالى فيه حكمة في لونه وشكله وموضعه و
انظر الى ايلاج الليل في النهار والنهار في الليل وانظر مسير الشمس كيف
اختلف في الصيف والشتاء والربيع والخريف وقد قيل ان الشمس
مثل الارض مائة ونيفا وستين مرة وان اصغر كواكب السماء مثل الارض
ثمان مرات فاذا كان هذا قدر كوكب واحد فانظر الى كثرة الكواكب والى
السماء التي فيها الكواكب والى احاطة عينك بذلك مع صغرها والعجب منك
انك تدخل بيت غني مزخرفا مموها بالذهب فلا ينقطع تعجبك منه
ولا تزال تذكره وانت ابدا تنظر الى هذا البيت العظيم والى ارضه وسقفه

جعل الله البحار ... تفصيلها ... ذلك لانك لو ... [illegible]

سقفه وعجايبه وامتعته وبدايع نقوشه ثم لا تلتفت الى نحوه بقلبك و
لا تتفكر في بناء خالقك فلقد نسيت نفسك وربك واشتغلت ببطنك
وفرجك فما مثلك في غفلتك الا مثل نملة تخرج من بيتها الذي حفرته في حايط
قصر الملك فتلقى اختها فتحدث معها في حديث بيتها وكيف بنته وما
جمعت فيه ولا تذكر قصر الملك ولا من فيه فهكذا انت في غفلتك فما
تعرف من السماء الا ما تعرفه النملة من سقف بيتك فهذا بيان مع اقل
الجمل التي يجول فيها فكر المتفكرين والاعمار تقصر والعلوم تقل عن الاحاطة
ببعض المخلوقات الا انك كلما استكثرت من معرفة عجايب المصنوعات
كانت معرفتك بجلال الصانع اتم فتفكر فيما اشرنا اليه ها هنا مع ما قدمناه
من الاشارة في كتاب الشكر فمن نظر في هذه الاشياء من حيث انها فعل
الله تعالى وصنعه استفاد المعرفة بجلال الله تعالى وعظمته ومن قصر النظر عليها
من حيث تاثير بعضها في بعض لا من حيث ارتباطها بمسبب الاسباب
شقي نعوذ بالله من مزلة اقدام الجهال ومن الركون الى اسباب الضلال
ولا وجه للتفكر فيما لا نراه من الملايكة والجن فلذلك عدلنا عنه الى ما نراه
والله اعلم

باب في ذكر الموت

وما بعده وما يتعلق به اعلم
ان المنهمك في الدنيا المكب على غرورها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت
فلا يذكره وان ذكره كرهه ونفر منه ثم الناس اما منهمك او تايب مبتدي
او عارف منته فاما المنهمك فلا يذكره وان ذكره فيذكره للتاسف على
دنياه ويشتغل بذمه وهذا لا يزيده ذكر الموت من الله الا بعدا واما التايب
فانه يكثر ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفي بتمام التوبة
وربما يكره الموت خيفة ان يختطفه قبل تمامها او قبل اصلاح الزاد وهو
معذور في كراهة الموت ولا يدخل هذا تحت قوله صلى الله تعالى عليه وسلم
من كره لقاء الله كره الله لقاءه فانه انما يخاف لقاء الله لقصوره وتقصيره فهو
كالذي يتاخر عن لقاء الحبيب مشتغلا بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه فلا يعد
كارها للقائه وعلامة هذا ان يكون دائم الاستعداد له لا شغل له سواه والا التحق

بالمنهمك في الدنيا واما العارف فانه يذكر الموت دايما لانه موعد للقاء الحبيب
وهو لا ينسى موعد حبيبه وهذا في غالب الامر يستبطي مجي الموت ويحبه
ليتخلص من دار العاصين وينتقل الى جوار رب العالمين كما قال بعضهم حبيب
جاء على فاقة فاذن التايب معذور في كراهة الموت وهذا معذور في
حب الموت وتمنيه واعلا منهما من فوض امره الى الله تعالى فصار لا يختار
لنفسه موتا ولا حياة بل تكون الاشيا اليه احبها الى مولاه فهذا قد انتهى
بفرط الحب والولى الى مقام التسليم والرضا وهو الغاية والمنتهى وعلى كل حال
ففي ذكر الموت ثواب وفضل فان المنهمك في الدنيا قد يستفيد بذكر الموت
التجافي عن الدنيا لان ذكره ينغص عليه نعيمه ويكدره فيما جاء في فضل
ذكر الموت عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا
ذكر هادم اللذات وعن انس ان رجلا ذكر عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فاحسنوا عليه الثنا فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كيف كان ذكر صاحبكم
للموت قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال فان صاحبكم ليس هناك
وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سئل اي المومنين
اكيس قال اكثرهم للموت ذكرا واحسنهم لما بعده استعدادا اولئك الاكياس
وقال الحسن البصري فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فيها فرحا وما الزم
عبد قلبه ذكر الموت الا صغرت الدنيا عليه وهان عليه جميع ما فيها وكان
عمر رضي الله عنه اذا ذكر الموت انتفض انتفاض الطير وكان يجمع كل ليلة
الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة ثم يبكون حتى كان بين ايديهم جنازة
وكان حامد القصري يقول كلنا قد ايقن بالموت وما نرى له مستعدا وكلنا
قد ايقن بالجنة وما نرى لها عاملا وكلنا قد ايقن بالنار وما نرى لها خايفا
فعلام تفرحون وما عسيتم تنتظرون الموت فهو اول وارد عليكم من امر الله
بخير او شر فيا اخوتاه سيروا الى ربكم سيرا جميلا وقال شميط بن عجلان
من جعل الموت نصب عينيه لم يبال بضيق الدنيا ولا بسعتها واعلم
ان خطر الموت عظيم وانما غفل الناس عنه لقلة فكرهم فيه وذكرهم له و

ومن يذكره منهم انما يذكره بقلب غافل فلهذا لا ينجع فيه ذكر الموت والطريق
في ذلك ان يفرغ العبد قلبه لذكر الموت الذي هو بين يديه كالذي يريد ان
يسافر الى مفازة مخطرة او يركب البحر فانه لا يتفكر الا في ذلك وانفع طريق
في ذلك ذكر اشكاله واقرانه الذين مضوا قبله فيذكر موتهم ومصارعهم
تحت الثرى قال ابن مسعود السعيد من وعظ بغيره وقال ابو الدردا
اذا ذكرت الموتى فعد نفسك كاحدهم وينبغي ان يكثر دخول المقابر ومتى
سكنت نفسه الى شي من الدنيا فليتفكر في الحال انه لا بد من مفارقته
ويقصر امله وقد روي عن عبد الله بن عمر قال اخذ رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم بمنكبي فقال كن في الدنيا كانك غريب او عابر سبيل وكان
ابن عمر يقول اذا امسيت فلا تنتظر الصباح واذا اصبحت فلا تنتظر المسا
وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك وفي حديث اخر ان اخوف
ما اخاف على امتي الهوى وطول الامل فاما الهوى فيصد عن الحق واما
طول الامل فينسي الاخرة وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم لاصحابه اكلكم يحب ان يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله قال
قصروا الامل واثبتوا اجالكم بين ابصاركم واستحيوا من الله عز وجل
حق حيائه وعن ابي زكريا التيمي قال بينما سليمن ابن عبد الملك في
المسجد الحرام اذ اتى بحجر منقور فطلب من يقراه فاذا فيه ابن ادم
لو رايت قرب ما بقي من اجلك لزهدت في طول املك ولرغبت في الزيادة
من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك وانما يلقاك ندمك لو قد زلت
بك قدمك واسلمك اهلك وحشمك فبان منك الولد والنسب فلا
انت الى دنياك عايد ولا في حسناتك زايد فاعمل ليوم القيمة يوم الحسرة
والندامة واعلم ان السبب في طول الامل شيان احدهما حب الدنيا
والثاني الجهل اما حب الدنيا فان الانسان اذا انس بها وبشهواتها ولذاتها
وعلايقها ثقل على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه من التفكر في الموت الذي هو سبب
مفارقتها وكل من كره شيا دفعه عن نفسه والانسان مشغول بالاماني الباطلة

فيمنى نفسه ابدا بما يوافق مراده من البقاء في الدنيا وما يحتاج اليه من مال
واهل ومسكن واصدقاء وساير اسباب الدنيا فيصير قلبه عاكفا على هذا
الفكر فيلهوا عن ذكر الموت ولا يقدر قربه فان خطر له الموت في بعض الاحوال
والحاجة الى الاستعداد له سوف بذلك ووعد نفسه وقال الايام بين
يديك الى ان تكبر ثم تتوب واذا كبر قال الى ان يصير شيخا واذا صار شيخا
قال الى ان يفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة او يرجع من هذه
السفر فلا يزال يسوف ويؤخر ولا يحرص في اتمام شغل الا ويتعلق باتمام
ذلك الشغل عشرة اشغال وهكذا على التدريج يؤخر يوما بعد يوم ويشتغل
بشغل بعد شغل الى ان تختطفه المنية في وقت لا يحتسب فتطول عند ذلك
حسرته واكثر صياح اهل النار من سوف يقولون واحسرتاه من سوف
واصل هذه الاماني كلها حب الدنيا والانس بها والغفلة عن قول النبي
صلى الله عليه وسلم احب من شئت فانك مفارقه **السبب** الثاني
الجهل وهو ان الانسان يعول على شبابه ويستبعد قرب الموت مع الشباب
أوليس يتفكر المسكين في ان مشايخ بلده لو عدوا كانوا اقل من العشر وانما قلوا
لان الموت في الشباب اكثر والى ان يموت شيخ قد يموت الف صبي وشاب
وقد يغتر بصحته ولا يدري ان الموت ياتي فجاة وان استبعد ذلك فان المرض
ياتي فجاة واذا مرض لم يكن الموت بعيدا ولو تفكر وعلم ان الموت ليس له وقت
مخصوص من صيف وشتاء وربيع وخريف وليل ونهار ولا هو مقيد
بسن مخصوص من شاب او شيخ او كهل او غيره لعظم ذلك عنده و
استعد للموت **فصل** والناس متفاوتون في طول الامل تفاوتا كثيرا
منهم من يامل البقاء الى زمن الهرم ومنهم لا ينقطع امله بحال ومنهم من هو
قصير الامل فروي عن ابي عثمان النهدي انه قال بلغت ثلثين ومائة سنة وما
من شيء الا قد عرفت فيه النقصان الا املي فانه كما هو **و**حكي في قصر الامل ان
امراة حبيب ابي محمد قالت كان يقول لي يعني ابا محمد ان مت اليوم فارسلي
الى فلان يغسلني ويفعل كذا وكذا وافعلي كذا واصنعي كذا فقيل لها ارأي رويا قالت

مطلب الموت في الشباب اكثر

لت هكذا يقول كل يوم **و**عن ابرهيم بن منشط قال قال لي ابو زرعة لا اقول
لك قولا ما قلته لاحد سواك ما خرجت من المسجد منذ عشرين سنة فحدثتني
نفسي ان ارجع اليه **و**قيل لبعضهم الا تغسل قميصك قال الامر اعجل من ذلك
وعن محمد بن ابي توبة قال اقام معروف الصلاة ثم قال لي تقدم فقلت اني
ان صليت بكم هذه الصلاة لم اصل بكم غيرها فقال معروف انت تحدث نفسك
انك تصلي صلاة اخرى نعوذ بالله من طول الامل فانه يمنع خير العمل فهذه
احوال الزهاد في قصر الامل وكلما قصر الامل جاد العمل لانه يقدر انه يموت
اليوم فيستعد استعداد ميت فاذا امسى شكر الله تعالى على السلامة وقدر
انه يموت تلك الليلة فيبادر الى العمل وقد ورد الشرع بالحث على العمل والمبادرة
اليه ففي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ **و**عنه
ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل
خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك
قبل شغلك وحياتك قبل موتك **و**قال عمر التؤدة في كل شيء خير الا ما كان
من امر الاخرة **و**كان الحسن يقول عجبا لقوم امروا بالزاد ونودي فيهم بالرحيل
وحبس اولهم على اخرهم وهم قعود يلعبون **و**قال شجيم مولى بني تميم جلست
الى عبد الله بن عبد الله فاوجز في صلاته ثم اقبل علي وقال ارحني بحاجتك فاني
ابادر فقلت وما تبادر قال ملك الموت وكان يصلي كل يوم الف ركعة و
كانوا يبادرون بالاعمال غاية ما يمكن فكان ابن عمر يقوم في الليل فيتوضا ويصلي
ثم يغفي اغفاء الطير ثم يقوم فيتوضا ويصلي ثم يغفي اغفاء الطير ثم يقوم
يصلي يفعل ذلك مرارا **و**كان عمير بن هاني يسبح كل يوم مائة الف تسبيحة
وقال ابو بكر بن عياش ختمت القران في هذه الزاوية ثمانية عشر الف ختمة
فصل في ذكر شدة الموت وما يستحب من الاحوال عنده اعلم انه لو لم يكن
بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول سوى الموت لكان جديرا ان يتنغص عليه
عيشه ويتكدر عليه سروره ويطول فيه فكرته والعجب ان الانسان لو كان في اعظم

اللذات فانتظر ان يدخل عليه جندي يضربه بخمس ضربات لكدرت عليه عيشه
ولذته وهو في كل نفس بصدد ان يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع
وهو غافل عن ذكر ذلك وليس لهذا سبب الا الجهل والغرور واعلم
ان الموت اشد من الف ضرب بالسيف وانما يصيح المضروب ويستغيث
لبقاء قوته واما الميت عند موته فانه ينقطع صوته مع شدة المه لان الكرب
قد بالغ فيه وغلب على قلبه وعلى كل موضع منه وضعفت كل جارحة فيه
فلم يبق فيه قوة للاستغاثة ويود لو قدر على الاستراحة بالانين والصياح
والاستغاثة وتجذب الروح من جميع العروق ويموت كل عضو من اعضائه
تدريجا فتبرد اولا قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه حتى يبلغ الحلقوم فعند ذلك
ينقطع نظره الى الدنيا واهلها ويغلق دونه باب التوبة قال رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وقد
روى ان الملكين الموكلين بالعبد يترائيان له عند الموت فان كان صالحا
اثنيا عليه وقالا جزاك الله خيرا وان كان صحبهما بشر قالا لا جزاك الله
خيرا وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله عز وجل وكل بعبده المؤمن ملكين يكتبان عمله فاذا مات قالا قد
مات اتاذن لنا ان نصعد الى السماء قال فيقول الله تعالى ان سمائي مملوة
من ملايكتي يسبحوني فيقولان فتاذن لنا فنقيم في الارض فيقول الله تعالى
ان ارضي مملوة من خلقي يسبحوني فيقولان فاين نقيم فيقول قوما على قبر
عبدي فسبحاني واحمداني وكبراني وهللاني واكتبا ذلك لعبدي الى يوم
القيمة وفي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا حضره الموت بشر برضوان الله و
كرامته فليس شيء احب اليه مما امامه واما صاحب النار الذي
ختم له بسوء فهو يبشر بها وهو في تلك الاهوال وقد كان كثير من
السلف يخافون سوء الخاتمة وقد ذكرنا ذلك في كتاب الخوف وهو لايق
بهذا المكان نسال الله الكريم ان يرحمنا برحمته التي وسعت كل شيء وان

ان يلطف بنا وان يختم لنا بخير انه جواد كريم واما ما يستحب من الاحوال
عند المحتضر بان يكون قلبه بحسن الظن بالله تعالى ولسانه ينطق بالشهادة
والسكون من علامات اللطف وهو امارة على انه قد راى الخير وقد
روي ان روح المؤمن تخرج رشحا ويستحب تلقينه لا اله الا الله كما جاء
في الحديث الصحيح من رواية مسلم لقنوا موتاكم لا اله الا الله وينبغي للملقن
ان يرفق به ولا يلح عليه وقد جاء في حديث اخر احضروا موتاكم ولقنوهم
لا اله الا الله وبشروهم بالجنة فان الحكيم العليم من الرجال والنساء يتحير
عند ذلك المصرع وان ابليس عدو الله اقرب ما يكون من العبد في ذلك
الموطن وذكر الحديث اه وفي الحديث الصحيح لا يموتن احدكم الا وهو
حسن الظن بالله وروي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دخل على رجل
وهو يموت فقال كيف تجدك قال ارجو الله واخاف ذنوبي فقال ما اجتمعا
في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا اعطاه الله الذي يرجوا وامنه من الذي
يخاف والرجاء عند الموت افضل لان الخوف سوط يساق به وعند الموت
يقف البعير فينبغي ان يتلطف به ولان الشيطان يأتي ليسخط العبد على
الله تعالى فيما يجري عليه ويخوفه مما بين يديه فحسن الظن اقوى سلاح .
يدفع به العدو وقال سليمان التيمي لابنه عند الموت يا بني حدثني بالرخص
لعلي القى الله تعالى وانا احسن الظن به

باب في ذكر وفاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم اجمعين اعلم
ان في رسول الله اسوة حسنة في كل احواله ومعلوم انه ليس في المخلوقين
احد احب الى الله تعالى منه ولم يؤخره الله حين انقضى اجله وقد لقي صلى
الله عليه وسلم من الموت شدة فروى البخاري في صحيحه من حديث عايشة
قالت كان بين يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ركوة او علبة فيها ماء
فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بها وجهه ويقول لا اله الا الله ان للموت
سكرات وفي صحيح البخاري من حديث انس قال لما ثقل النبي صلى الله عليه وسلم
جعل يتغشاه الكرب فقالت فاطمة واكرب ابتاه فقال لها ليس على ابيك

كرب بعد اليوم وروي عن ابن مسعود قال اجتمعنا في بيت امنا عايشة
فنظر الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فدمعت عيناه ونعى الينا نفسه
وقال مرحبا حياكم الله بالسلام حفظكم الله رعاكم الله جمعكم الله نصركم الله
وفقكم الله نفعكم الله رفعكم الله سلمكم الله اوصيكم بتقوى الله واوصي
الله بكم واستخلفه عليكم قلنا يا رسول الله متى اجلك قال قد دنا الاجل
والمنقلب الى الله والى سدرة المنتهى وجنة الماوى والفردوس الاعلا
قلنا يا رسول الله ففيم نكفنك قال في ثيابي هذه ان شئتم او يمنيه او
بياض قلنا يا رسول الله من يصلي عليك وبكينا فقال مهلا رحمكم الله و
جزاكم عن نبيكم خيرا اذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري
هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة فان اول من يصلي على خليلي وحبيبي
جبرائيل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت مع ملايكة كثيرة ثم ادخلوا
علي فوجا فوجا فصلوا علي وسلموا تسليما ولا توذوني بتزكية ولا برنة
ولا بصيحة وليبدا بالصلاة علي رجال اهل بيتي ثم نساؤهم ثم انتم بعد واقروا
السلام على من غاب عني من اصحابي وعلى من يتبعني على ديني الى يوم القيمة
الا واني اشهدكم اني قد سلمت على كل من دخل في الاسلام ولقد دخل
عليه جبرائيل قبل موته بثلاثة ايام فقال يا احمد ان الله ارسلني اليك يسالك
عما هو اعلم به منك يقول كيف تجدك فقال اجدني يا جبرائيل مغموما واجدني
يا جبرائيل مكروبا ثم اتاه في اليوم الثاني فاعاد الكلام واعاد عليه الجواب ثم
جاءه في اليوم الثالث فاعاد الكلام واعاد الجواب فاذا ملك الموت يستاذن
فقال جبرائيل يا احمد هذا ملك الموت يستاذن عليك ولم يستاذن على ادمي
قبلك ولا يستاذن على ادمي بعدك فقال ائذن له فدخل فوقف بين يديه
وقال ان الله ارسلني اليك وامرني ان اطيعك فان امرتني ان اقبض
نفسك قبضتها وان امرتني اتركها تركتها قال وتفعل يا ملك الموت
قال كذلك امرت ان اطيعك فقال جبرائيل يا احمد ان الله قد اشتاق اليك
فقال فامض لما امرت به يا ملك الموت فقال جبرائيل عليه السلام السلام عليك

عليك يا رسول الله هذا اخر موطني في الارض انما كنت حاجتي من الدنيا
فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم مستندا الى صدر عايشة في كساء
ملبد وازار غليظ تندب وتقول يا ابتاه اجاب ربا دعاه يا ابتاه جنة الفردوس
ماواه يا ابتاه الى جبريل ننعاه يا ابتاه من ربه ما ادناه فلما دفن قالت
يا انس اطابت انفسكم ان تحثوا التراب على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفات فاطمة رض

وقال ابو بكر الصديق لما رايت نبينا متجدلا ضاقت علي بعرضهن الدور
وارتعت روعة مستهام والهٍ والعظم مني واهن مكسور
اعتق ويحك ان حبك قد ثوى وبقيت منفردا وانت حسير
يا ليتني من قبل مهلك صاحبي غيبت في جدث علي صخور

وفاة ابي بكر الصديق رضي الله عنه روى ابو المليح ان ابا بكر لما حضرته
الوفاة ارسل الى عمر بن الخطاب فقال اني اوصيك بوصية ان انت قبلتها
عني ان لله عز وجل حقا بالليل لا يقبله بالنهار وان لله حقا بالنهار لا يقبله
بالليل وانه لا يقبل نافلة حتى تودى الفريضة وانما ثقلت موازين من
ثقلت موازينه في الاخرة باتباعهم الحق في الدنيا وثقل ذلك عليهم وحق
لميزان يوضع فيه الحق ان يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت
موازينه في الاخرة باتباعهم الباطل وخفته عليهم في الدنيا وحق لميزان
يوضع فيه الباطل ان يكون خفيفا الم تر ان الله انزل اية الرجاء عند
اية الشدة واية الشدة عند اية الرجاء ليكون العبد راغبا راهبا لا يلقي بيده
الى التهلكة ولا يتمنى على الله غير الحق فان انت حفظت وصيتي لا يكونن
غايب احب اليك من الموت ولا بد لك منه وان انت ضيعت وصيتي
هذه فلا يكونن غايب ابغض اليك من الموت ولست بمعجزه وقيل لما
احتضر جاءت عايشة فتمثلت بهذا البيت لعمرك ما يغني الثراء عن
الفتى اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر فكشف عن وجهه وقال
ليس كذلك ولكن قولي وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد
انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما فان الحي احوج الى الجديد من الميت

[illegible] ابي حاتم سمعت ابي يقول سمعت توفي زيد وامه ام كلثوم في ساعة واحدة وهو صغير لا يدرى ايهما مات اولا در التمهيد في باب الزاد

وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن ابن عمر قال كان راس
عمر في حجري بعد ما طعن وكان مرضه الذي توفي فيه فقال ضع خدي بالارض
فقلت وما عليك كان في حجري ام على الارض وظننت ان ذلك تبرما به
فلم افعل فقال ضع خدي بالارض لا ام لك ويلي وويل امي ان لم يرحمني ربي
وروي انه لما طعن وحمل الى بيته وجاء الناس يثنون عليه جاء رجل
شاب فقال ابشر يا امير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقدم في الاسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت
ثم شهادة فقال وددت ان ذلك كان كفافا لا علي ولا لي ثم قال يا عبد الله
بن عمر انطلق الى عائشة ام المؤمنين فقل عمر يقرا عليك السلام ولا
تقل امير المؤمنين فاني لست اليوم للمؤمنين اميرا وقل يستاذن عمر بن
الخطاب ان يدفن عند صاحبيه فمضى وسلم واستاذن عليها ثم دخل فوجدها
قاعدة تبكي فقال عمر يقرا عليك السلام ويستاذن ان يدفن مع صاحبيه
فقالت كنت اريده لنفسي فلاوثرنه اليوم على نفسي فلما اقبل قيل هذا عبد الله
بن عمر قد جاء قال ارفعوني فاسنده رجل اليه فقال ما وراءك قال الذي
تحب يا امير المؤمنين اذنت قال الحمد لله ما كان شيء احب الي من ذلك فاذا
انا مت فاحملوني ثم سلم وقل يستاذن عمر بن الخطاب فان اذنت فادخلوني
وان ردتني فردوني الى مقابر المسلمين وفي افراد مسلم من حديث المسور
بن مخرمة ان عمر قال والله لو ان لي اطلاع الارض ذهبا لافتديت به من
عذاب الله قبل ان اراه وفي حديث اخر لو ان لي ما طلعت عليه الشمس او
غربت لافتديت به من هول المطلع وفاة عثمان بن عفان رضي الله عنه
عن نائلة بنت الفرافصة امراة عثمان قالت لما كان اليوم الذي قتل
فيه عثمان ظل في اليوم الذي قبله صائما فلما كان عند افطاره سالهم الماء العذب
فلم يعطوه فنام ولم يفطر فلما كان وقت السحر اتيت جارات لي على اجاجير
متصلة فسالتهم الماء العذب فاعطوني كوزا من ماء فاتيته فحركته فاستيقظ
فقلت هذا ماء عذب فرفع راسه فنظر الى الفجر فقال اني قد اصبحت صائما

[illegible]
وروي انه كان في زمن ابي حنيفة رحمه الله
رجل غني مبغض لعثمان رضي الله عنه
مبالغ في عداوته حتى قال لعثمان
رحمه الله [illegible] كان يهوديا وكان يطعن
في ابو حنيفة رحمه الله فاخبر ابو حنيفة
بذلك فدعاه وكان في ذلك البلد يهودي
غني فقال ابو حنيفة رحمه الله
الرجل دعوتك لا تعطي ابنتك لذلك
اليهودي على سبيل الازدواج فغضب الرجل وقال انت امام المسلمين كيف تجوز لك ان تعطي ابنة مسلم ليهودي
فقال ابو حنيفة رحمه الله سبحان الله اذا لم تجوز ان تعطي انت ليهودي فكيف تجوز ان يعطي محمد رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ابنتيه يهوديا ففهم الرجل كيفية الحال ورجع عن اعتقاده ذلك وتاب وصار مجالسا لابي حنيفة رحمه الله تعالى
نزهة الابرار في مناقب الاخيار

صائما وان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع علي من هذا السقف ومعه
ماء عذب فقال اشرب يا عثمان فشربت حتى رويت ثم قال ازدد فشربت
حتى نهلت ثم قال ان القوم سيكرون عليك فان قاتلتهم ظفرت وان
تركتهم افطرت عندنا قالت فدخلوا عليه من يومه فقتلوه وعن العلاء
بن الفضل عن ابيه قال لما قتل عثمان بن عفان فتشوا خزانته فوجدوا فيها
صندوقا مقفلا ففتحوه فوجدوا فيه حقة فيها ورقة مكتوب فيها هذه
وصية عثمان بسم الله الرحمن الرحيم عثمان بن عفان يشهد ان لا اله
الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان الجنة حق وان
النار حق وان الله يبعث من في القبور ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف
الميعاد عليها نحيى وعليها نموت وعليها نبعث ان شاء الله وفاة علي بن ابي
طالب رضي الله عنه عن الشعبي قال لما ضرب علي تلك الضربة قال
ما فعل ضاربي قالوا اخذناه قال اطعموه من طعامي واسقوه من شرابي
فان انا عشت رايت فيه رايي وان انا مت فاضربوه ضربة واحدة لا
تزيدوه عليها ثم اوصى الحسن ان يغسله وقال لا تغال في الكفن فاني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تغالوا في الكفن فانه يسلب سلبا
سريعا امشوا بي بين المشيين لا تسرعوا بي ولا تبطوا فان كان خيرا
عجلتموني اليه وان كان شرا القيتموني عن اكتافكم وروي انه لما كانت
الليلة التي اصيب فيها علي اتاه ابن التياح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة
وهو مضطجع متثاقل فعاد الثانية وهو كذلك ثم عاد الثالثة فقام يمشي
وهو يقول اشدد حيازيمك للموت فان الموت لاقيك ولا تجزع
من الموت وان حل بواديك فلما بلغ باب الصغير شد عليه عبد الرحمن بن
ملجم فضربه ذكر كلمات نقلت عن جماعة عند موتهم من الصحابة
وغيرهم وذكر زيارة القبور ونحو ذلك لما نزل الموت بالحسن بن علي قال
اخرجوا فراشي الى صحن الدار فاخرج فقال اللهم اني احتسب نفسي
عندك فاني لم اصب بمثلها وقد ذكرنا ما تقدم من كلام الخلفاء الاربعة

وعن ابي امامة بن سهل بن حنيف
ان عثمان بن عفان اشرف يوم الدار
فقال انشدكم بالله اتعلمون ان رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يحل دم
امرئ مسلم الا باحدى ثلث زنا بعد
احصان او كفر بعد اسلام او قتل
نفس بغير حق فقتل به فوالله ما
زنيت في جاهلية ولا اسلام ولا ارتددت
منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا قتلت النفس التي حرم الله فبم تقتلونني
رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه
والدارمي لفظ الدارمي مشكوة المصابيح
في كتاب القصاص

ولعلي رضي الله عنه من الولد الحسن والحسين
ومحسن وام كلثوم وزينب الكبرى كلهم من
فاطمة ومحمد بن الحنفية وعبيد الله وابو بكر
وعمر ورقية ويحيى امه اسماء بنت عميس وجعفر
والعباس وعبد الله ورملة وام الحسن و
ام كلثوم الصغرى وزينب الصغرى وجمانة
وميمونة وخديجة وام فاطمة وام الكرام
ونفيسة وام سلمة وامامة وام ابيها
رضي الله عنهم در التمهيد في باب
العين واللام

واناع

وروى ان معاذ بن جبل لما حضرته الوفاة قال انظروا هل اصبحنا
فاتى فقيل لم نصبح حتى اتى في بعض ذلك فقيل له قد اصبحنا فقال اعوذ بالله
من ليلة صباحها الى النار ثم قال مرحبا بالموت زاير مغب وحبيب جاء على
فاقة اللهم انى كنت اخافك اليوم ارجوك اللهم انك تعلم انى لم اكن احب
الدنيا وطول البقاء فيها لكري الانهار ولا لغرس الاشجار ولكن لطول
ظماء الهواجر وقيام ليل الشتاء ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء
بالركب عند حلق الذكر وقال ابو مسلم جيت ابا الدرداء وهو يجود
بنفسه ويقول الا رجل يعمل لمثل مصرعي هذا الا رجل يعمل لمثل يومي هذا
الا رجل يعمل لمثل ساعتي هذه ثم قبض رحمه الله وبكا سليمان الفارسي
عند موته فقيل ما يبكيك فقال عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكون
زاد احدنا كزاد الراكب وحولي هذه الاساود وقيل انما كان حوله اجانة و
جفنة ومطهرة وروي المزني قال دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات
فيه فقلت له كيف اصبحت قال اصبحت من الدنيا راحلا وللاخوان مفارقا
ولسوء عملي ملاقيا وبكاس المنية شاربا وعلى الله واردا فلا ادري اروحي
تصير الى الجنة فاهنيها ام الى النار فاعزيها ثم انشا يقول

ولما قسى قلبي وضاقت مذاهبي … جعلت الرجا مني بعفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته … بعفوك ربي كان عفوك اعظما
وما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل … تجود وتعفو منة وتكرما

قيل كان ابو الدرداء رضي الله عنه يقعد الى القبور فقيل له في ذلك فقال
اجلس الى قوم يذكروني معادي وان غبت لم يغتابوني وقال
ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز الى المقبرة فلما نظر الى القبور
بكى ثم اقبل علي فقال يا ميمون هذه قبور ابائي بني امية كانهم لم يشاركوا اهل
الدنيا في لذاتهم وعيشهم اما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات واستحكم فيهم
البلاء واصاب الهوام مقيلا في ابدانهم ثم بكى وقال والله ما اعلم احدا انعم
ممن صار الى هذه القبور فان النبي صلى الله عليه وسلم قال زوروا القبور فانها

فانها تذكركم الاخرة ومن زار قبرا فليستقبل وجه الميت وليقرا شيئا من القران و
يهديه له ولتكن الزيارة يوم الجمعة وقد روي انه لما مات عاصم الجحدري
راه رجل من اهله في المنام بعد موته بسنتين فقال له اليس قد مت قال بلى
قال واين انت قال عاصم انا والله في روضة من رياض الجنة انا ونفر
من اصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى بكر ابن عبد الله المزني نتلاقى
اخباركم قال قلت له اجسامكم ام ارواحكم قال هيهات بليت الاجساد
وانما نتلاقى بالارواح قلت فهل تعلمون بزيارتنا اياكم قال نعلم بها عشية
الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت الى طلوع الشمس قلت وكيف ذلك
دون الايام كلها قال لشرف يوم الجمعة وعظمه وحكى عثمان بن سوادة
الطفاوي وكانت امه من العابدات وكان يقال لها راهبة قال لما
احتضرت رفعت راسها الى السماء وقالت يا ذخري وذخيرتي ومن
عليه اعتمادي في حياتي وبعد موتي لا تخذلني عند الموت ولا توحشني
في قبري قال فماتت فكنت اتيها كل جمعة وادعو لها واستغفر لها ولاهل
القبور فرايتها ليلة في منامي فقلت لها يا اماه كيف انت قالت يا بني
ان الموت لكرب شديد وانا بحمد الله في برزخ محمود يفترش فيه الريحان
ويتوسد فيه السندس والاستبرق الى النشور فقلت الك حاجة قالت نعم
لا تدع ما كنت تصنع من زيارتنا فاني لابشر بمجيك يوم الجمعة اذا اقبلت
من اهلك فيقال لي يا راهبة هذا ابنك قد اقبل فاسر ويسر بذلك من حولي
من الاموات وعن انس بن مالك منصور قال كان رجل يختلف الى
الجنائز فيشهد الصلاة على الجنائز فاذا امسى وقف على باب المقابر فقال
انس الله وحشتكم ورحم غربتكم وتجاوز عن سياتكم وقبل حسناتكم
لا يزيد على هؤلاء الكلمات قال ذلك الرجل فامسيت ذات ليلة ولم ات
المقابر فادعو لهم كما كنت ادعو فبينا انا نايم اذا انا بخلق كثير قد جاوني فقلت
من انتم وما حاجتكم قالوا نحن اهل المقابر انك انت عودتنا منك هدية
قلت وما هي قالوا الدعوات التي كنت تدعو بها قلت فاني اعود فما تركتها بعد

[illegible]

البرزخ الحاجز بين الشيئين

وقال بشار بن غالب رايت رابعة في منامي وكنت كثير الدعاء لها فقالت
يا بشار هداياك تاتينا على اطباق من نور مخمرة بمناديل الحرير قلت وكيف
ذلك قالت هكذا دعاء الاحياء اذا دعوا للموتى واستجيب لهم جعل ذلك
الدعاء على اطباق النور وخمر بمناديل الحرير ثم اتى به الذي دعي له من الموتى
فقيل له هذه هدية فلان اليك **فصل** والذي تدل عليه الايات
والاخبار ان حقيقة الموت هو مفارقة الروح للجسد وان الروح تكون
بعد ذلك باقية اما معذبة واما منعمة فان الروح قد تتالم بنفسها بانواع
الحزن والغم وتتنعم بانواع الفرح والسرور من غير تعلق لها بالاعضاء فكل
ما هو وصف للروح بنفسها يبقى معها بعد مفارقة الجسد وكل ما هو
لها بواسطة الاعضاء يتعطل بموت الجسد الى ان تعاد الروح الى
الجسد ولا يبعد ان تعاد الى الجسد في القبر ولا يبعد ان تؤخر الى يوم
البعث والله سبحانه اعلم بما حكم به على كل عبد من عباده ففي الموت
انقطاع تصرف الروح عن البدن وخروج البدن عن ان يكون آلة لها
وسلب للانسان عن امواله واهله بانزعاجه الى عالم اخر لا يناسب هذا
العالم فان كان له في الدنيا شئ يفرح به ويستريح اليه عظمت حسرته عليه
بعد الموت وان كان لا يفرح الا بذكر الله تعالى والانس به عظم نعيمه وتمت
سعادته اذ خلي بينه وبين محبوبه وقطعت عنه العوائق والشواغل
لان جميع اسباب الدنيا شاغلة عن ذكر الله تعالى وينكشف للميت بالموت
ما لم يكن مكشوفا في حال الحياة كما ينكشف للمستيقظ ما لم يكن مكشوفا عند
النوم والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا واول ما ينكشف له ما يضره وما ينفعه
من حسناته وسيئاته وقد كان ذلك مسطورا في كتاب مطوي في سر قلبه
وكان يشغله عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا فلما انقطعت انكشف له جميع
اعماله فلا ينظر الى سيئة الا ويتحسر عليها تحسرا يؤثر ان يخوض غمرة النار
للخلاص من تلك الحسرة وكل ذلك ينكشف له عند الموت وهذه الآلام
تهجم على العاصي قبل الدفن نسال الله العافية **ومما يدل** على ان الروح

ح لا تنعدم بالموت قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل
احياء عند ربهم يرزقون قال مسروق سالنا عبد الله بن مسعود عن هذه
الاية فقال ارواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح
من الجنة حيث شاءت ثم تاوي الى تلك القناديل وذكر تمام الحديث وجاء
في قوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا ال
فرعون اشد العذاب اخبر انهم يعذبون بعد الموت **و**في الصحيحين
عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان احدكم اذا مات
عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة
وان كان من اهل النار فمن اهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك
الله يوم القيمة وقد تقدم ان الانسان اذا انكشف له سيئاته تحسر و
تالم تالما عظيما فاما المؤمن فقال عبد الله بن عمرو مثل المؤمن حين
تخرج نفسه مثل رجل كان في سجن فاخرج منه فهو يتفسح في الارض
ويتقلب فيها وهو حجيج فان المؤمن ينكشف له عقب الموت من فضل الله
وكرامته ما تكون الدنيا بالاضافة اليه كالسجن فيكون كمحبوس في بيت
مظلم فتح له باب الى بستان واسع الاكناف فيه انواع الاشجار فلا يسره
الرجوع الى الدنيا كما لا يسره العود الى بطن امه وقال مجاهد ان المؤمن
ليبشر بصلاح ولده من بعده لتقر بذلك عينه **فصل** في ذكر القبر روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال القبر روضة من رياض الجنة او
حفرة من حفر النار **وروي** ايضا عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
انه قال يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن ادم ما غرك الم تعلم
اني بيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود **و**روى الترمذي عن ابي
سعيد قال دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مصلاه فراي
ناسا كانهم يكشرون فقال اما انكم لو اكثرتم من ذكر هاذم اللذات
الموت لشغلكم عما ارى فاكثروا ذكر هاذم اللذات الموت فانه لم يات
على القبر يوم الا يتكلم فيقول انا بيت الغربة انا بيت الوحدة انا بيت التراب

انا بيت الدود فاذا دفن العبد المؤمن قال له القبر مرحبا واهلا اما ان كنت لاحب
من يمشي على ظهري الي فاذ وليتك اليوم وصرت الي فسترى صنيعي بك قال
فيتسع له مد بصره ويفتح له باب الى الجنة واذا دفن العبد الفاجر او الكافر قال له
القبر لا مرحبا ولا اهلا اما ان كنت لابغض من يمشي على ظهري الي فاذ وليتك
اليوم وصرت الي فسترى صنيعي بك قال فيلتئم عليه حتى تختلف اضلاعه
وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم باصابعه فادخل بعضها في بعض
قال ويقيض له سبعين تنينا لو ان واحدا منها نفخ في الارض ما انبت
شيئا ما بقيت الدنيا فتنهشه وتخدشه حتى يفضي به الى الحساب قال رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار
وقال كعب اذا وضع الرجل الصالح في قبره احتوشته اعماله الصالحة
الصلاة والصيام والحج والجهاد والصدقة قال فيجيء ملائكة العذاب من قبل
رجليه فتقول الصلاة اليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد اطال بي القيام لله عز وجل
عليهما قال فياتونه من قبل راسه فيقول الصيام لا سبيل لكم عليه فقد اطال بي
الصيام قال فياتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد اليكم عنه فقد انصب
نفسه واتعب بدنه وحج وجاهد لله عز وجل لا سبيل لكم عليه فياتونه
من قبل يديه فتقول الصدقة كم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى
وضعت في يد الله عز وجل ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه قال فيقال له هنيئا
طبت حيا وطبت ميتا قال وتاتيه ملائكة الرحمة فتفرشه فراشا من الجنة
ودثارا من الجنة ويفسح له مد بصره ويؤتى بقنديل من الجنة يستضيء بنوره
الى يوم يبعثه الله من قبره وعن انس بن مالك ان نبي الله صلى الله عليه
وسلم قال ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه اصحابه حتى انه ليسمع قرع
نعالهم اتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد صلى
الله تعالى عليه وسلم فاما المؤمن فيقول اشهد انه عبد الله ورسوله فيقولان
انظر الى مقعدك من النار بدلك الله عز وجل به مقعدا في الجنة قال رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيراهما جميعا واما الفاجر او المنافق فيقال له ما

ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول لا ادري كنت اقول ما يقول الناس فيقال له
لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطارق من حديد ضربة بين اذنيه فيصيح صيحة
يسمعها من يليه غير الثقلين اخرجاه في الصحيحين وفيهما من حديث اسماء
بنت ابي بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اوحي الي انكم تفتنون في قبوركم
مثل او قال قريبا من فتنة المسيح الدجال يقال ما علمك بهذا الرجل فاما
المؤمن فيقول اشهد انه عبد الله ورسوله وذكر باقي الحديث وعن ابن عباس
قال لما اخرجت جنازة سعد بن معاذ وسوينا عليها التفت الينا رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ما من احد من الناس الا وله ضغطة في قبره
ولو كان منفلتا منها احد لانفلت سعد بن معاذ وذكر باقي الحديث وعن
عبد الله الصنعاني قال رايت يزيد بن هارون في المنام بعد موته باربع ليال
فقلت ما فعل الله بك قال تقبل مني الحسنات وتجاوز عن السيئات قلت
وما كان بعد ذلك قال وهل يكون من الكريم الا الكرم غفر لي ذنوبي وادخلني
الجنة قلت بما نلت الذي نلت قال بمجالس الذكر وقول الحق وصدقي في الحديث
وطول قيامي في الصلاة وصبري على الفقر قلت منكر ونكير حق قال اي والله
الذي لا اله الا هو لقد اقعداني وسالاني من ربك وما دينك ومن نبيك
فجعلت انفض لحيتي البيضاء من التراب وقلت مثلي يسال انا يزيد بن
هارون الواسطي كنت في دار الدنيا ستين سنة اعلم الناس فقال احدهما
صدق هو يزيد بن هارون نم نومة العروس فلا روعة عليك بعد اليوم
وقال المروذي رايت احمد بن حنبل في النوم وعليه حلتان خضراوتان وعلى
راسه تاج من النور واذا هو يمشي مشية لم اكن اعرفها له فقلت يا احمد
ما هذه المشية التي لم اكن اعهدها لك فقال هذه مشية الخدام في دار السلام
فقلت وما هذا التاج الذي اراه على راسك فقال ان ربي عز وجل وقفني
وحاسبني حسابا يسيرا وكساني وحباني وقربني وانا انظر اليه وتوجني
بهذا التاج وقال لي يا احمد هذا تاج الوقار توجتك به كما قلت القرآن كلامي
غير مخلوق **فصل** في احوال الميت من وقت نفخ الصور الى حين الاستقرار

في الجنة او النار وقد اشرنا الى اهوال القبر واشد من ذلك نفخ الصور والبعث و
الحساب ونصب الميزان والصراط وهذه اهوال يجب الايمان بها وينبغي تطويل
فيها وجمهور الناس لم يتمكن من قلوبهم الايمان بالاخرة ولو ان الانسان لم يشاهد
توالد الحيوانات ثم قيل له ان صانعا يصنع من هذه النطفة القذرة مثل هذا
الادمي المتصور العاقل المتكلم لاشتد نفور طبعه عن التصديق بذلك فخلقه على
ما فيه الاعاجيب يزيد على بعثه واعادته وكيف ينكر ذلك من قدرة الله تعالى
وحكمته من يشاهد البداية فان كان ايمانك ضعف فقو الايمان بالنظر في النشاة
الاولى فان الثانية مثلها واسهل منها وان كنت قوي الايمان بها فاشعر
قلبك تلك المخاوف والاخطار واكثر فيها التفكر والاعتبار وليحثك ذلك
على الجد والتشمر واول ما يقرع اسماع الموتى صوت اسرافيل حين ينفخ في الصور
فصور نفسك وقد قمت ذاهلا مبهوتا شاخصا نحو النداء قال الله تعالى
ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون وعن ابي سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كيف انعم وصاحب الصور قد حنى
جبهته واصغى بسمعه ينتظر ان يؤمر ان ينفخ في الصور فينفخ قال المسلمون كيف نقول
يا رسول الله قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل وتوكلنا على الله ثم انظر كيف
يحشر الناس فيساقون بعد البعث حفاة عراة الى ارض المحشر وهي قاع ليس فيها
ربوة يختفي الانسان بفنائها وفي الصحيحين قال النبي عليه السلام يحشر الناس يوم
القيمة على ارض بيضاء عفراء كقرصة النقي ثم تفكر في ازدحام الناس وقرب
الشمس من رؤوسهم وشدة العرق مع ما في القلوب من القلق وفي الحديث
ان العرق ياخذ الناس على قدر اعمالهم وتفكر يا مسكين في سؤال ربك لك
عن اعمالك بغير واسطة فقد روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
انه قال يعرض الناس يوم القيمة ثلث عرضات فاما عرضتان فجدال
ومعاذير واما الثالثة فعند ذلك تطاير الصحف فاخذ بيمينه واخذ بشماله
وعن ابي برزة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما عبد حتى
يسال عن عمره فيما افناه وعن علمه فيما عمل فيه وعن ماله من اين اكتسبه وفيما

انفقه وعن صفوان ابن محرز قال كنت اخذ بيد ابن عمر اذ عرض له رجل
فقال كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل يدني
المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس ويقرره بذنوبه ويقول
اتعرف ذنب كذا اتعرف ذنب كذا حتى اذا قرره بذنوبه وراى في نفسه انه
قد هلك قال فاني قد سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم قال
ثم يعطى كتاب حسناته واما الكفار والمنافقون فيقول الاشهاد هؤلاء
الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين اخرجاه في الصحيحين وفي الصحيحين
من حديث ابي سعيد عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال يضرب
جسر على جهنم فاكون اول من يجيز وفيهما ايضا عنه صلى الله عليه وسلم
قال يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم قالوا يا رسول الله ما الجسر قال
مدحضة مزلة عليه خطاطيف وكلاليب وحسك يمر المؤمن عليه كالطرف
وكالبرق وكالريح وكاجاويد الخيل والركاب فناج مسلم وناج مخدوش
حتى يمر اخرهم يسحب سحبا سحبا **ذكر جهنم** اعاذنا الله منها
عن ابي هريرة قال كنا عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يوما فسمعنا وجبة
فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله
اعلم قال هذا حجر ارسل في جهنم منذ سبعين خريفا فالان انتهى الى قعرها
رواه مسلم وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ناركم هذه ما يوقد بنو ادم جزء واحد من سبعين جزءا من نار
حر جهنم قالوا والله ان كانت لكافية يا رسول الله قال فانها فضلت عليها
بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها وفي افراد مسلم من حديث ابن مسعود
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام
مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها وعن ابي الدرداء قال يلقى على اهل
النار الجوع فيعدل عندهم ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون
بالضريع لا يسمن ولا يغني من جوع فيستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة
فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص بالشراب فيستغيثون بالشراب فيغاثون

بالحميم يناولونه بكلاليب من حديد فاذا دني منهم شوى وجوههم واذا دخل
في بطونهم قطع ما في بطونهم فيطلبون الى خزنة جهنم ان ادعوا ربكم يخفف
عنا يوما من العذاب فيجيبونهم اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى
قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال فيقولون انكم ماكثون فيقولون
ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيقول عز وجل اخسؤا فيها ولا تكلمون
فعند ذلك ييأسون من كل خير وياخذون في الشهيق والويل والثبور
وتفكر في حياتها وعقاربها ففي الحديث ان حياتها امثال اعناق البخت و
عقاربها كالبغال الموكفة وعن الحسن ان النار تاكلهم كل يوم سبعين
الف مرة ثم يعودون كما كانوا واعلم ان صفة جهنم يطول واليسير اليسير
من ذلك ينبغي ان يكفي في التخويف فان كنت مؤمنا بهذا فما نبه لنفسك
وخف ما بين يديك فان الله لا يجمع على عبد خوفين ولسنا نعني بالخوف
رقة النساء فتبكي ساعة ثم تترك العمل وانما نريد خوفا يمنع عن المعاصي
ويحث على الطاعة فاما خوف الحمقى الذين اقتصروا على سماع الا هوال
وان يقولوا استعنا بالله نعوذ بالله يا رب سلم وهم على ذلك مصرون
على القبائح والشيطان يسخر بهم كما يسخر من قصده سبع ضار وهو
الى جانب حصن فيقول اعوذ بالله من هذا وهو لا يدخل الحصن ولا يبرح
مكانه فصل وكن في الدنيا مجالسا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حريصا على
تعظيم سنته ولعله يشفع فيك في الاخرة فان له شفاعة يتقدم فيها على
الانبياء كلهم ويسال الله في اهل الكبائر من امته فينجيهم واستكثر
من الاخوان الصالحين فلكل مؤمن شفاعة ولا تحملك العزة على التواني
وتسمي ذلك رجاء فان من رجا شيا طلبه واحترز من المظالم فان من
كانت عليه مظالم ومات قبل ردها فان غرماءه يحيطون به في القيامة
فهذا يقول ظلمني وهذا يقول استهزا بي وهذا يقول اساء جواري و هذا
يقول غشني فلا خلاص لك من ايديهم فاذا توهمت الخلاص فلا تظلم اليوم
وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المؤمنون

ن يوم القيمة من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم
من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول
الجنة وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال اتدرون من المفلس
فيكم قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال ان المفلس من امتي من ياتي يوم
القيمة بصلاة وصيام وزكاة وياتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال
هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيقضى هذا من حسناته وهذا من
حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم
فطرح عليه ثم طرح في النار وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لتؤدن الحقوق الى اهلها يوم القيمة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة
القرناء وهذه الاحاديث كلها في الصحيح فانظر وفقك الله الى بعد سلامة
حسناتك لدخول ما يبطلها من الرياء والغيبة فان سلمت اخذها الخصوم
فيقظ لنفسك ولا تفرط في اوقاتك فان المسكين من اشترى نعمة منقطعة
واشترى بها عذابا شديدا دائما نسال الله السلامة والتوفيق ذكر
صفة الجنة نسال الله العظيم من فضله عن ابي هريرة قال قلنا يا رسول
الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها قال لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها
المسك الاذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران من
يدخلها ينعم ولا يبوس ويخلد ولا يموت لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه
وفي حديث اسامة بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يوما وذكر
الجنة الا مشمر لها هي ورب الكعبة ريحانة تهتز ونور يتلالا ونهر مطرد
وزوجة لا تموت في حبور ونعيم ومقام في ابد فقالوا نحن المشمرون
لها يا رسول الله قال قولوا ان شاء الله وفي الصحيحين من حديث
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل قال اعددت
لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
وفيهما ايضا من حديثه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اول زمرة
يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على اشد دري في

للسلاطين الذي يحصل بين سادتي الثناء لعلمه

السماء اضاة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون امشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الالوة الالنجوج عود طيب ازواجهم الحور العين على خلق رجل واحد على صورة ابيهم ادم ستون ذراعا في السماء وفي رواية اخرى لكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيا وعن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جنتان من فضة انيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب انيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن اخرجاه في الصحيحين وفيهما من حديث انس بن موسى ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة لخيمة من درة مجوفة عرضها ستون ميلا في كل زاوية منها اهل ما يرون الاخرين يطوف عليهم المؤمن واعلم ان الله تعالى ذكر نعيم الجنة مبسوطا في مواضع من القران ثم جمعه في ايات منها قوله تعالى وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وقوله لا يبغون عنها حولا ثم زاد على ذلك بقوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وصفات الجنة كثيرة اقتصرنا منها على هذا وافضل ما ينال في الجنة رؤية الله تعالى في الصحيحين من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قيل يا رسول الله هل نرى ربنا فقال هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا قال فانكم ترونه يوم القيمة

باب في ذكر سعة رحمة الله تعالى

ختم الكتاب بذكر سعة رحمة الله عز وجل نرجوا بذلك فضله اذ ليس لنا اعمال نرجوا بها العفو ولكن نرجوا ذلك من رحمته وكرمه قال الله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وقال سبحانه ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما قضى الله عز وجل الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش ان رحمتي غلبت

غلبت غضبي اخرجاه في الصحيحين وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لله عز وجل مائة رحمة انزل منها رحمة واحدة بين الانس والجن والهوام والبهائم فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على اولادها واخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيمة وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان ربكم تبارك وتعالى رحيم من هم بحسنة فلم يعملها كتب له حسنة فان عملها كتب له عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة ومن هم بسيئة فلم يعملها كتب له حسنة فان عملها كتب سيئة واحدة او يمحوها الله ولا يهلك على الله تعالى الا هالك وعن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول الله عز وجل من عمل حسنة فله عشر امثالها او ازيد ومن عمل سيئة فجزاء سيئة مثلها او اغفر ومن اقترب الي شبرا اقتربت اليه ذراعا ومن اقترب الي ذراعا اقتربت اليه باعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة وعن ابي هريرة عن النبي عليه السلام ان رجلا اذنب ذنبا فقال اي رب اذنبت ذنبا فاغفر لي فقال تبارك وتعالى علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم اذنب ذنبا اخر فقال اي رب عملت ذنبا فاغفره لي فقال عز وجل علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم اذنب ذنبا اخر فقال رب عملت ذنبا فاغفره لي فقال علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به اشهدكم اني قد غفرت لعبدي فليعمل ما شاء هذه الاحاديث كلها صحاح وفي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بسبي واذا امراة من السبي تسعى اذ وجدت صبيا في السبي اخذته فالصقته ببطنها فارضعته فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اترون هذه المراة طارحة ولدها في النار قلنا لا والله قال لله ارحم بعباده من هذه المراة بولدها وفي الصحيحين من حديث ابي ذر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما من عبد قال لا اله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة قلت

وان زنا وان سرق ثم قال في الرابعة على رغم انف ابي ذر وفيهما من حديث
عتبان بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله حرم النار
على من قال لا اله الا الله يبتغي بذلك وجه الله وفيهما من حديث انس
بن مالك عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال يخرج من النار من قال
لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من
قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير وزن برة ثم يخرج من قال لا اله الا الله و
كان في قلبه من الخير ما يزن ذرة وعن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا كان يوم القيمة لم يبق مؤمن الا اتي بيهودي او نصراني حتى يدفع اليه
فيقال له هذا فداك من النار وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله عز وجل يستخلص رجلا من امتي
على رؤس الخلايق يوم القيمة فتنشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل
منها مد البصر ثم يقول اتنكر من هذا شيا اظلمك كتبتي الحافظون قال لا
يا رب فيقول الك عذر او حسنة فيبهت الرجل فيقول لا يا رب فيقول
بلى ان لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها
اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فيقال انك لا تظلم قال فتوضع
السجلات في كفة والبطاقة في كفة قال فطاشت السجلات وثقلت
البطاقة ولا يثقل بشيء مع اسم الله عز وجل ونظر الفضيل بن عياض الى
تسبيح الناس وبكائهم يوم عرفة فقال ارايتم لو ان هؤلاء صاروا الى
رجل يسالونه دانقا اكان يردهم فقيل له لا والله للمغفرة عند الله عز وجل
اهون من اجابة رجل لهم بدانق وعن ابراهيم بن ادهم قال خلا لي
الطواف في ليلة مظلمة شديدة المطر فلم ازل اطوف الى السحر ثم رفعت
يدي الى السماء فقلت اللهم اني اسالك ان تعصمني عن جميع ما تكره
فاذا قائل يقول في الهواء انت تسالني العصمة وكل خلقي يسالني العصمة
فاذا عصمتكم فعلى من اتفضل فهذه الاحاديث مع ما ذكرنا في كتاب الرجاء
تبشرنا بكرم الله تعالى وسعة رحمته وجوده ونحن نرجوا من الله سبحانه

ان لا يعاملنا بما نستحقه وان يتفضل علينا بما هو اهله ونحن نستغفر الله
عز وجل من اقوالنا التي تخالف اعمالنا ومن كل تصنع تزيينا به للناس وكل
علم وعمل قصدناه ثم خالطه ما يكدره فبكرمه نستشفع الى كرمه وبجوده نسال
من جوده انه قريب مجيب والحمد لله رب العالمين تم كتاب منهاج
القاصدين الذي هو مختصر احياء علوم الدين للشيخ الغزالي رحمة الله عليه
ووقع الفراغ من تتميم هذه النسخة الشريفة بعون الله وحسن توفيقه
في وقت الضحى في يوم الجمعة من شهر رجب من سلك شهور السنة
عشر ومائة والف على يد عبد الضعيف المحتاج النحيف الى ربه القوي
اللطيف السيد حسين السيد الحاج حمزه بن السيد احمد القنابي عفي عنه
وعنهما اجمعين برحمتك يا ارحم الراحمين امين يا معين

كتاب الطهارة ٢	كتاب الصلوة ١٤	باب الاذان ١٤	باب النية والتكبير ١٥	ما ينبغي ان يفعل وما يكره ١٧	
باب ما يفسد الصلوة وما لا يفسدها ٢٤	باب صلوة المسافر ٢٩	باب صلوة المريض ٣٠	باب سجود السهو والتلاوة ٣١	باب الامامة ٣٣	
باب الجمعة ٣٤	باب ذلة القارئ ٣٥	التشهد ٤١	قنوت ٤٢	الدعاء بعد القنوت ٤٣	كتاب الزكوة ٤٤
كتاب الصوم ٤٧	كتاب الحج ٤٩	كتاب النكاح والمهر ٥٠	باب ثبوت حرمة المصاهرة وما لا ٥٣	باب الوكالة في النكاح والشهود ٥٤	
باب خيار البلوغ وما يحل للقاضي ٥٤	باب الدعوى في النكاح وغيره ٥٧	في العدة والنفقة وغير ذلك ٥٨	كتاب الطلاق ٥٩	باب العدة والرجعة ٦٨	
باب الدعوى في الطلاق ٦٩	كتاب العتاق ٧٠	كتاب الايمان ٧٢	كتاب الحدود والسرقة ٨٣	باب السير ٨٣	
كتاب الكراهية والاستحسان ٨٥	كتاب الغصب والضمان ٩٧	كتاب الوديعة والعارية ١٠١	كتاب الشركة ١٠٢	كتاب الصيد والذبائح ١٠٣	
كتاب الاضحية ١٠٥					
كتاب الوقف ١٠٥	كتاب الهبة ١١٠	كتاب البيوع ١١٢	كتاب الشفعة ١٢٩	كتاب القسمة ١٣٠	
كتاب الاجارة ١٣١	كتاب ادب القاضي ١٣٦	كتاب الشهادات ١٣٨	كتاب الدعوى ١٤١	كتاب الاقرار ١٥٤	
كتاب الوكالة ١٥٨	كتاب الحوالة والكفالة ١٦٠	كتاب الصلح ١٦١	كتاب الرهن ١٦٢	كتاب المزارعة ١٦٣	
كتاب الديات والجنايات ١٦٤	باب ما يكون كفرا وما لا يكون ١٦٦	كتاب الوصية ١٧٧	كتاب الفرائض ١٨٠	تمّ فهرست يتيمة الدهر في فتاوى اهل العصر	

كتاب الطهاره ٢ كتاب الصلوه ١٤ باب الاذان ١٤

هذا شرح التبادري المتقي على المشهور بابن الاخوي
عليه نيهل من الله المعين سحائب الفضل على المسلمين
يوم الخميس تاسع الشهر صفر نفعله الله بتاريخ اعز
١٣٠١

D 19917

٢٤٢١
A
146

٢٣٢١